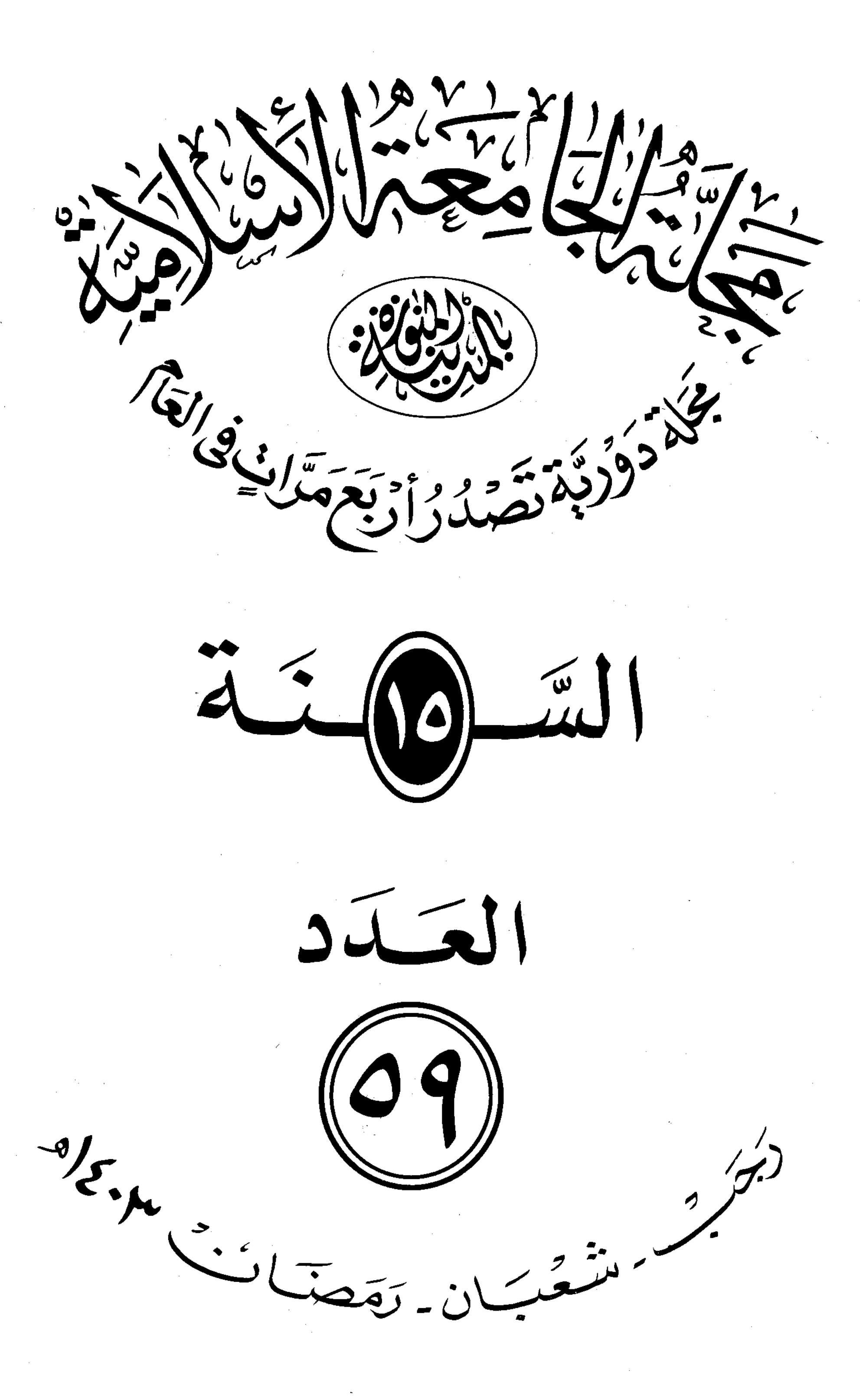
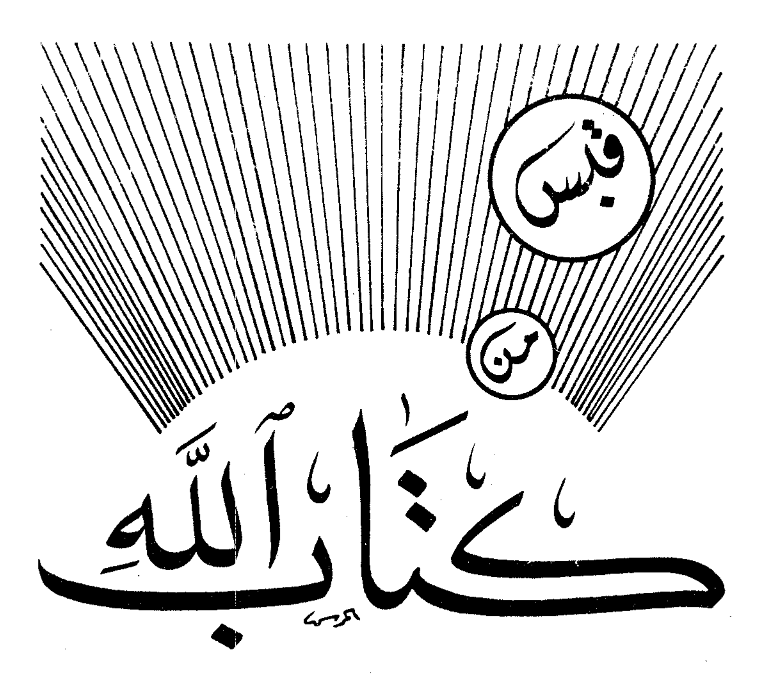

مجلة الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة
مجلة دورية تصدر أربع مرات في العام
السنة ١٥
العدد
٥٩
رجب - شعبان - رمضان ١٤٠٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

هيئة التحرير

المراسلات: ترسل باسم مدير التحرير . الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة



قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ

آية ٨٢ من سورة طه





عَنْ عائِشَة رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْها قالَتْ :

قُلْتُ يا رَسُولَ ٱللَّهِ : ٱبْنُ جُدْعان

كانَ فِى ٱلْجاهِلِيَّةِ يَصِلُ ٱلرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ

ٱلْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذٰلِكَ نافِعُهُ ؟

قالَ : لايَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْماً:

«رَبِّ ٱغْفِرْ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ » .

« أَخْرَجَهُ الإِمَامُ مسلم »





«الثَّوابُ والعِقابُ يكونانِ مِنْ جِنسِ العَمَلِ فِي قَدَرِ اللَّهِ، وفِي شَرعِهِ فإنَّ هَذا مِنَ العَدلِ الَّذِي تَقومُ بِهِ السَّماءِ والأرضِ.»

«شيخ الإسلام ابن تيمية»





للشيخ سعد ندا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ومن تبع هديه ووالاه.

وبعد: فإن المؤمن ذا البصيرة إذا أخطأ أدرك سريعا خطأه، ولجأ إلى الله تعالى يستغفره، ويستعينه، ليبصره، فيصلح.

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشيطانِ تذكَّرُوا، فإذا هم مُبْصِرون** ﴾ [الأعراف].

وحين يبصر المؤمن طريقه، يدرك عثراتها فيتجنبها، وينتبه إلى معوقاتها فيتقيها، فيسلم حينئذ من مخاطرها، ويتجاوز فى يسرٍ عقباتها.

ولابد للمؤمن أن يقوم دائما على إيقاظ قلبه، حتى يرهفه، فيفيء إلى أمر الله، ويَعْجَل إلى ربه فيرضى. عندئذ يوالى المؤمن مراقبة ربه تعالى ومحاسبة نفسه، ليخلص ما يعلق بقلبه مما يقترف من آثام. والله جل وعلا يتيح لنا كثيراً من فرص الخير فى الزمان والمكان، لتتوافر لنا أسباب نيل المثوبة. ثم هو سبحانه يفتح لنا أبواب التوبة على مصاريعها ليلجها كل راغب صباح مساء. فعن أبى موسى عن النبى ﷺ قال (إن الله عز وجل يَبْسُطُ يَدَهُ بالليل ليتوبَ مسيءُ النهار، ويبسُطُ يده بالنهار ليتوب مسيءُ الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها) أخرجه مسلم. وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: (ينزل ربُّنا إلى السماء الدنيا كلَّ ليلة حين يبقَى الثلثُ الآخر، فيقول: (مَنْ يَدْعُونى فَأَسْتجيب له؟ من يسألُنِى فأعطيه؟ من يستغفرُنى فَأَغْفر له؟) متفق عليه.

ومن فرص الخير الطيبة شهر رمضان، فيه الصيام، وفيه القيام، وفيه الجود، وفيه الإحسان، وفيه قراءة القرآن العظيم، وفيه ليلة القدر خير من ألف

شهـر، وفيـه يُعطى المـرء الأجـرَ الجزيلَ بالعمل القليل، وفيه تُفتح أبواب الجنة، وتُغلق أبـواب النـار، وتسلسـل الشيـاطـين، ويُنـادى العبـادُ كل ليلة ليكثروا من الخير، وليمسكوا عن الشر. فعن عرفجة قال: عدنا عتبة بن فرقد، فتذاكرنا شهر رمضـان، فقـال: ما تذكـرون؟ قلنا: شهر رمضان. قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقـول: (تُفتـح أبـوابُ الجنةِ، وتُغلقُ فيه أبوابُ النار، وتُغلُّ فيه الشياطينُ، وينادِى منادٍ كلَّ ليلة: ياباغىَ الخير هَلُمَّ وياباغىَ الشرِّ أَقْصِرْ) رواه أحمد وابن ماجه.

بَيْدَ أن عباد الله جميعا لا يغتنمون مارصد الله من فرص الخير. فكل الناس يغـدو، فمنهم بائـعٌ نفسـه فمعتِقُهـا، وذلـك هومن باع نفسه لله، فيعدُّ له جنات النعيم، ومنهم بائعٌ نفسه فموبِقُها، وذلك هومن باع نفسه للشيطان، الذى يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير.

فإلى أى الجانبين يتجه المؤمن؟ وإلى أى المصيرين يتمنى أن يكون؟.

﴿ **فأمـا من أعطى واتقى وصـدق بالحسنى، فسنيسـره لليُسـرى، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى، فسينسره للعُسرى** ﴾ [الليل].

﴿ **قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها** ﴾ [الشمس].

وإن من سُبُـل ذلـك أن يحسن المؤمن محاسبـة نفسـه فى ختام كل يوم، فإن وجـد خيراً فليحمـد الله وليسألـه المـزيـد، وإن وجـد غير ذلـك فليتب إلى الله وليستغفره، وليسأله العفو، والعافية، والتوفيق.

وبهذا يُعِدُّ المرءُ ما يحمله عند لقاء ربه من زاد يصلح مع هذا اللقاء الكريم، وهـذا ما أمـرنـا ربنـا سبحانه أن نَجدَّ لتحقيقه لنكون من أهل السعادة، ﴿ **يا أيها الـذين آمنـوا اتَّقـوا الله ولْتَنْظُـرْ نفسٌ ماقَـدَّمَتْ لِغَـدٍ، واتقُـوا الله، إنَّ الله خَبيرٌ بما تعلمون، ولا تكونُوا كالذين نَسُوا الله فأنساهُم أنفسَهم، أولئك هم الفاسقون. لا يَسْتَوِى أصحابُ النارِ وأصحابُ الجنة أصحابُ الجنةِ هم الفائزون** ﴾ [الحشر].

فيا باغى الخير أَقْبِلْ، ويا باغى الشر أَمْسِكْ، أَلَا إلى الله تصيرُ الأمورُ.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله الكريم محمد وعلى آله وصحبه.


التفسير
و
أصوله

كَيفيّةُ الدَّعوةِ إلى اللهِ

للشيخ أبي بكر الجزائري
رئيس قسم التفسير بالجامعة

قال الله تعالى :

« قُلْ هذه سبيلي ، أَدْعوْ إلى الله على بصيرة أَنا وَمن اتَّبعني ، وسُبْحان الله ، وما أَنا من المُشركين » (سورة يوسف آية ١٠٨) .

بين يدىْ تفسير الآية :

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد :

فإن هذه الآية الكريمة : **« قل هذه سبيلى ، أدعو إلى الله على بصيرة »** الآية .

كآية النحل : **« ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن »** الآية .

وكآية الرعد **« قل إنما أمرتُ أَن اعبدَ الله ولا أشرك به ، إليه أدعو ، وإليه مآب »** الآية .

متضمّنةٌ واجب الدعوة الى الله تعالى الذى قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده وسلفهم الصالح خير قيام ، فعرف الله تعالى ، وعرفت شرائعه المتضمنة محابه ومكارهه ، وعبد سبحانه وتعالى ووحد في عبادته في أنحاء كثيرة من العالم ، وسعد وكمل على تلك الدعوة خلق لا يحصى عددهم إلا الله ؛ لأنهم من أجيال أربعة عشر قرنا وزيادة .

غير أن هذا الواجب تخلى عنه المسلمون في الجملة زمناً غير قصير ، فمنذ ضعفت الخلافة العثمانية وقبل سقوطها والدعوة الإسلامية واقفة ، وظلها الطيب المبارك ينحسر عن رقاع واسعة من العالم الإسلامي . والأسباب معروفة ، فما هناك حاجة إلى ذكرها هنا . وإنما الذي ينبغي أن يذكر هو أن العالم الإسلامي قد تحرر من سلطان الاستعمار الغربي ، وأصبح للمسلمين دول وحكومات لها شأن عظيم ، ووزن ثقيل بين دول العالم وحكوماته فيجب على المسلمين أن ينهضوا من جديد بواجب الدعوة الإسلامية ويحملوها إلى الناس ليكملوا عليها ويسعدوا بها ،

وذلك واجبهم الذى أوجبه الله تعالى عليهم بآية يوسف التى نحن بصدد تفسيرها ؛ إذ قوله تعالى : (**أنا ومن اتبعني**) نص صريح في أن من اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ودعا إليه من الإيمان والإسلام والإحسان ، وجب عليه أن يدعو إلى الله تعالى ليعرف ويعبد ويوحد ، في حدود طاقته ، وما يتسع له جهده البشري ·

ونظراً إلى الظروف المحيطة بالعالم الإسلامي ، والواقع الذي يعيشه المسلمون اليوم . فإن النهوض بهذا الواجب ، واجب الدعوة الى الله تعالى قد يتأتى من طريقين :

الأول : وهو واجب الدعوة في داخل العالم الإسلامي ، ويكون باضطلاع الحكومة المسلمة به بين مواطنيها ورعاياها ، وذلك بتكوين لجان الأحياء والقرى والمساجد . وتتكون لجنة الحى في الجامع من عمدة الحي أو القرية وإمام المسجد والواعظ الخاص بالمسجد ، ويتعاون كل مواطن في الحي أو القرية مع هذه اللجنة على دعوة كل مواطن لحضور درس المسجد اليومي من بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء ، لتلقي العلم المعرف بالله تعالى ومحا به ومساخطه ، والمواعظ المساعدة على فعل المحبوب لله عز وجل ، وترك المكروه له سبحانه وتعالى . وعلى المسئولين أن يولوا هذه اللجان وأعمالها في المساجد عناية تجعل المواطن لا يتأخر عن حضورها والاستفادة منها طوال حياته ·

يضاف إلى ذلك تحويل الإذاعة إلى منبر هداية وإصلاح وتربية وتعليم على نحو إذاعة القرآن بالمملكة العربية السعودية ، فإنها خير إذاعة وجدت اليوم في العالم الإنساني ؛ إنها تبث ثمان عشرة ساعة الهدى والمعرفة مع خلوها من أي باطل أو ضلال من غناء أو زمر ، أو صوت امرأة يحرم سماع صوتها ·

كما يضاف إلى ما تقدم : أن يقوم وزير الداخلية في كل حكومة إسلامية بزيارات متتالية لكل قرية وحي في المدينة بحيث يؤمر أهل القرية أو الحي بالحضور إلزامياً · ويحضره الوزير ورجاله وكافة أهل القرية أو الحي ويلقي الوزير كلمة يشجع بها على طاعة الله ورسوله والاستقامة على دين الله ، ثم تلقي كلمات الوعاظ والمرشدين المتخصصين . وكلها تدعو إلى معرفة الله والتقرب إليه وطلب ما عنده من خير الدنيا والآخرة وذلك بطاعته تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، بفعل الصالحات وترك السيئات ·

فعلى مثل هذا يتم النهوض بواجب الدعوة إلى الله تعالى في داخل البلاد الإسلامية . وهذا الطريق خير من نظام الجمعيات والتكتلات الخاصة ، فقد جربت فلم ينتج عنها إلا البلبلة والاضطراب وسوء الأخلاق وفساد الأحوال .

وقد عرف هذه الحقيقة الملك الصالح عبد العزيز آل سعود ، فعاش طوال حكمه وليس في المملكة حزب ولا جمعية ولا منظمة ، وجرى على هذا أبناؤه البررة ، فصارت المملكة مضرب المثل في الطهر والصلاح والاستقرار ٠ بينما وجدت في البلاد الإسلامية الأخرى الأحزاب والجمعيات والجماعات ، فلم تثمر شيئا ذا بال من الخير والإصلاح ، فضلا عما حصل من جرائها من مصاعب ومتاعب في كثير من البلاد الإسلامية والعياذ بالله ٠

والثاني : وهو النهوض بواجب الدعوة خارج ديار الإسلام ، ويكون من طريقين :

الأول : متعذر في هذه الظروف وهو أن يتقدم الجيش الإسلامي إلى الدولة المتاخمة لحدوده فيعسكر على مقربة منها ، ثم يطالب بواحدة من ثلاث : **الإسلام ، أو الدخول** في حماية المسلمين للدعوة إلى الله تعالى ، والتعريف به وبما عنده وما لديه ، ويحكموا الناس بشريعة الله العادلة الرحيمة ، وإن رفضت الأوليين **فالثالثة وهي القتال** حتى يحكم الله بين المسلمين دعاة الله وبين الكافرين دعاة الشيطان والطاغوت ٠ هذا طريق ، وهو متعذر في هذه الظروف كما قدمنا ٠

والثاني : وهو أن يلحق بكل سفارة لدولة إسلامية في بلاد الكفر عالِمٌ متخصِّصٌ في شئون الدعوة الإسلامية يتولى أمر عرض الإسلام بلغة تلك البلاد ، وبيان محاسنه ، والدعوة إليه بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة بواسطة النشرة والكتاب ، والمحاضرة والندوة ، وما إلى ذلك من وسائل البلاغ ٠

هذا أولاً ، وثانيا أن يعنى بشأن الجاليات الإسلامية الموجودة في تلك البلاد بحيث تصبح في كمالاتها الروحية والأخلاقية مثالاً عالياً يُرغب في احتذائه والتمثل به ، الأمر الذي يجعل سكان تلك الديار يتساءلون عن مصدر تلك الكمالات الروحية ، ويطلبون التعرف إليها ، والأخذ بها . وهذه طريق من أنجح الطرق إلى الإسلام وأكثرها نفعاً ؛ لأنها الدعوة إلى الإسلام بحسن القدوة ٠

ولكى تصبح الجاليات الإسلامية على هذا المستوى الرفيع من الكمال الروحي والخلقي ، يجب أن تنشأ هيئة إسلامية في العالم الإسلامي لهذا الغرض ، تكون مهمتها جمع التبرعات المالية شهرياً من كل المسلمين حكومات وشعوبا ويتولى إنفاق تلك الأموال هيئة إسلامية أخرى تعرف (بالهيئة العليا للدعوة الإسلامية في العالم) وتعمل هذه الهيئة على توحيد كلمة الجاليات الإسلامية وعملها من طريق بناء مسجد جامع لكل مجموعة في البلد الواحد وتزويده بعالم يؤم الناس ويعلمهم ويرشدهم ويهذب نفوسهم ويصلح أخلاقهم ٠ مع فتح مدرسة تتسع لأولادهم ، ومقبرة لدفن موتاهم ٠

ومن المسجد الجامع تنبثق لجنة تعرف (بلجنة المسجد) تعنى بشئون الأفراد المسلمين دينيا ودنيوياً في تلك المدينة بحيث تقوم بما تقوم به جماعة المسلمين عند انعدام الحاكم المسلم . فتأمر بالمعروف بين الجالية ، وتنهى عن المنكر ، وتنصح ، وترشد ، وترعى الحرمات ، وتدفع المضرات ، وتفصل في الخصومات .

وبهذا تتم الدعوة الإسلامية في خارج البلاد الإسلامية ، وبذلك تبرأ ذمة المسلمين من واجب الدعوة إلى الله تعالى ، ويكونون قد قدموا لأنفسهم ولغيرهم خيراً يعود عليهم نفعة في الدنيا والآخرة .

(تفسير الآية)

أ ـ شرح الكلمات :

قل : فعل أمر من قال يقول قولاً ، إذا أمر غيره أن يقول . بمعنى ينطق بقولٍ ما من الأقوال .

هذه : اسم إشارة إلى القريب ، والمشار إليه هنا : طريق الرسول صلى الله عليه وسلم في إبلاغ رسالته .

سبيلي : السبيل : الطريق الموصل إلى غاية . وهي هنا الإسلام . والغاية الجنة دار السلام . وأضيفت السبيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه سالكها وملتزم بالسير عليها .

أدعو : اطلب غيرى من الناس إلى الاسلام ليدخلوا فيه حتى يكملوا ويسعدوا .

إلى : حرف جر يفيد الغاية ويدل عليها والانتهاء إليها .

الله : اسم الرب تبارك وتعالى : ومعناه المعبود بحق الذي يألهه أهل السماء والأرض .

على : حرف جر يدل على الاستعلاء والتمكن فيه .

بصيرة : البصيرة للقلب كالإبصار للعين . والمراد بها هنا : العلم التام والحجة الواضحة .

أنا : ضمير المتكلم وهو هنا عائد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفصل هنا ليعطف عليه قوله ومن اتبعني .

و : حرف عطف ، عطف به الموصول « مَنْ » على الضمير المنفصل قبله « أنا » .

مَنْ : من اسم موصول بمعنى الذي .

اتبعني : اتبع فعل ماضي ، والضمير المستتر فاعل عائد على من . والنون للوقاية .

والياء ضمير متصل عائد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مبني على السكون في محل نصب مفعول به ·

وســـبحان : الواو حرف عطف ـ سبحان أصله مصدر كالغفران من سبح يسبح ، وصار علماً على التسبيح الذى هو تنزيه الله تعالى عن النقائص وعن كل ما لا يليق به : أى طلب البراءة له من كل نقص وعيب ·

اللـــــه : اسم الجلالة الأعظم : علم على ذات الرب تعالى ·

ومـــــا : الواو للعطف والاستئناف . وما : حرف نفي مثل ولا ، في نفي الصفات والذوات والأفعال أيضاً ، نحو ما الله بغافل · وما القائم زيد ، وما قلت غير الحق ·

أنـــا : ضمير فصل للمتكلم عائد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

مـــنْ : حرف جر ، ولها معانٍ كثيرة يعرف كل معنى بحسب ما تدخل عليه من الكلام ، فتكون للتبعيض كأنفقوا مما رزقناكم ، وكما هى هنا إذ نفى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون واحداً من المشركين ، أى بعضاً منهم ·

المشـــركين : جمع مشرك وهو من عبد مع الله تعالى غيره من سائر المخلوقات ، وبأي نوع من أنواع العبادات . التى شرعها الله لعباده يعبدونه بها ·

ب ـ المعنى المجمل للآية الكريمة :

يأمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين والمكذبين به وبدينه الحق : هذه سبيلي أى طريقتي التى لا أخرج منها ولا أحيد عنها ، وقد وضعني ربي عليها وأمرني بالتزامها ، وهي إيماني به تعالى وإسلامي وجهي له ، بعبادته وحده لا شريك له بما شرع لى من العبادات ، وما ألزمني به من الطاعات ، حال كوني داعيا إلى الإيمان بالله ربي تعالى وإلى معرفته ، ومعرفة محابه ومساخطه ، من الاعتقادات والأقوال والأعمال وإلى فعل محبوبه ، وترك مكروهه . ليكمل الناس بذلك ويسعدوا عليه ·

وإني في دعوتي هذه لَعَلَى عِلْمٍ كامل ومعرفة تامة بربي وبمحابه ومساخطه ، وبما عنده من نعيم مقيم لأوليائه في دار كرامته ، وما لديه من نكال وعذاب أليم لأهل عداوته وبغضته ممن كفروا به وأشركوا في عبادته ، وذلك في دار مهانة أعدائه يوم يحشرون إليه ، ويجمعون ويوقفون بين يديه ·

وإن أتْبَاعِي على طريقتي هم مثلي يدعون على علم تام ومعرفة كاملة ، يدعون عباد الله إلى معرفته تعالى ومعرفة محابه ومكارهه ، وإلى طاعته عز وجل بفعل محابه من المعتقدات والأقوال والأفعال ، وترك مكارهه من ذلك ، رجاء أن يكملوا ويسعدوا في دنياهم وأخراهم ·

وإني لمسبح ربي ومقدسه ومنزه له عن كل ما لا يليق بجلاله وجماله من الولد والشريك والعجز وكل صفات النقص وسمات الضعف والعجز ·

ومع هذا فإني متبرىء من المشركين ، فلا تربطني بهم رابطة ، ولا تصلني بهم صلة ، وذلك من أجل محادتهم لربي ، وشركهم به ، وكفرهم بآياته ورسوله ، وأن أتباعي مثلي في تنزيه ربي وتقديسه ، وفي البراءة من الشرك والمشركين ·

جـ ـ هـــــداية الآيـــــة :

اعلم أخي المسلم أن في كل آية من آي كتاب الله تعالى الذى بلغ نيفاً وست آلاف آية هداية خاصة بحيث لا تخلو آية من ذلك . وقد تحمل الآية الواحدة هدايات عدة ، وهناك نوع من الهدايات لا تخلو منه أية آية قط ، وهو دلالة كل آية على وجود الله تعالى وعلمه ورحمته وقدرته وحكمته ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته ·

وبيان ذلك : أن الآية قول نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وكل قول دال على قائله ؛ إذ يستحيل وجود قول بلا قائل ، فدلت الآية إذاً على وجود الله تعالى . وبما أن الآية تحمل علماً ومعرفة فقائلها إذاً عالم ، وكون الآية تحمل مظهر الرحمة ؛ لأنها نزلت بالخير ، فمنزلها رحيم ، وكونها لا تخلو من حكمة نزلت لها فإن منزلها قطعا حكيم ، وهكذا ·

وبما أن محمداً صلى الله عليه وسلم رجل أمي بشهادة الله تعالى وشهادة التواتر البشري وينطق بالقرآن ويقرؤه ، ويعلمه ، ويهدي ويحكم به ، فإن هذا دل على أنه صلى الله عليه وسلم نبي الله ورسوله ؛ إذ لولا أن الله تعالى نبأه وأرسله لما أوحى اليه كلامه ، وأمره أن يتلوه ويعلمه ويحكم به ويهدي ، وهو أمي لا يعرف حتى الحروف الهجائية ·

فهذه الهداية ـ وهى الدلالة الفعلية على صحة الحقيقة العظمى وهى : لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ـ موجودة في كل آية من كتاب الله القرآن العظيم ·

ومن هدايات هذه الآية الخاصة :

١ ـ **منهجية الإسلام :** إذ هو سبيل الله الموصل إلى رضوانه تعالى وجواره الكريم ، وهو قائم على الاعتقاد الخاص ، والقول الخاص ، والعمل الخاص . وأهله ملزمون بالتقيد التام بمعتقداته ، وأقواله ، وأعماله . وبهذا كان الإسلام منهجاً ثابتا وواضحاً يفضي بالآخذين به إلى كمالهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ·

٢ ـ **علم الداعي بما يدعو إليه :** وبما يساعده على إبلاغ دعوته من الحجج القواطع ، والبراهين السواطع ، العقلية والنقلية ، ومن ذلك أساليب البيان للترغيب والترهيب ·

٣ ـ واجب الدعوة إلى الله تعالى : ليعبد ويوحد ، ويذكر ويشكر من أجل إكمال البشر وإسعادهم في الحياتين . على كل من شهد لله بالوحدانية ، ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ممن أوتى علماً وبصيرة في دين الله تعالى الذى هو الإسلام ·

٤ ـ وجوب تنزيه الله تعالى وتقديسه : عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله وجماله من سائر العيوب والنقائص ، مع وجوب إثبات كل كمال لله عز وجل مما يليق بذاته وربوبيته سبحانه ·

٥ ـ وجوب البراءة من الشرك وأهله : ولو كانوا أقرب قريب ، وذلك إلى أن يؤمنوا بالله وحده ويعبدوه بما شرع لعباده من ضروب الطاعات وصنوف العبادات ·

هذا وفي الآية هدايات غير ما ذكرنا . والله نسأل أن يرزقنا الاهتداء بهداياتها والعمل بها . وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ·

قال تعالى :

﴿ ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأرض مَرَحاً إنَّ الله لا يحب كلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ ﴾

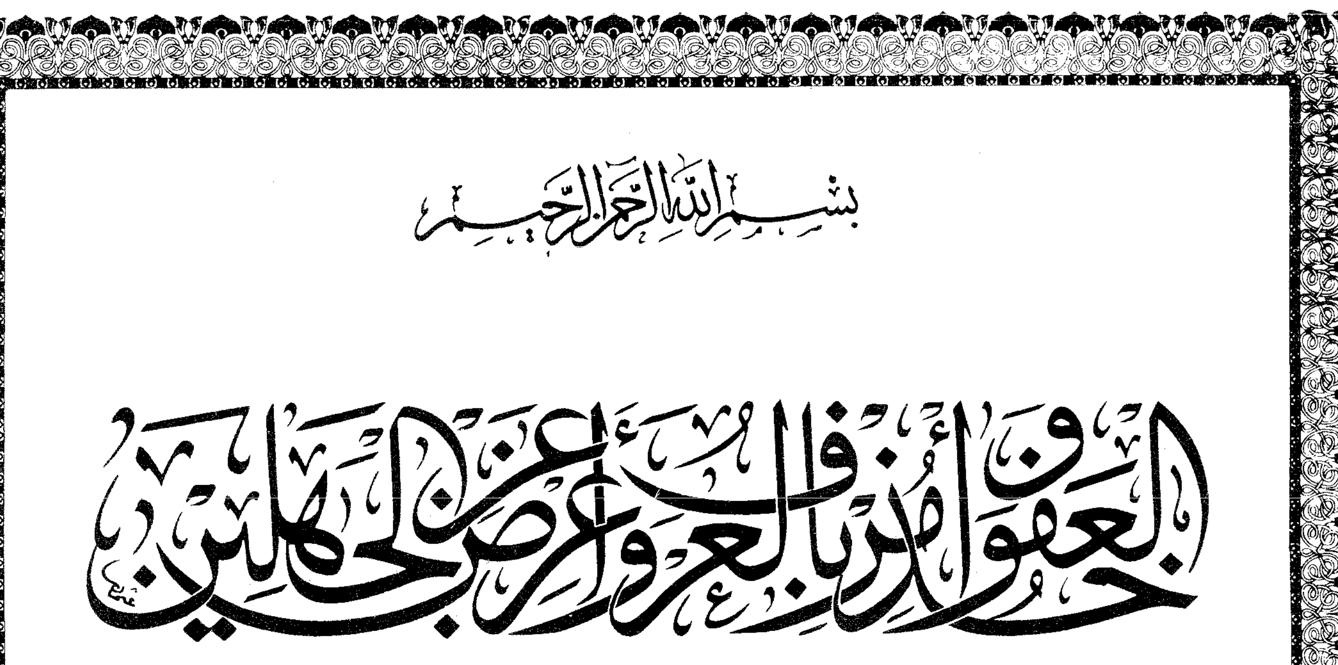
(لقمان الآيــــة : ١٨)

****

من هم القُرّاء السبعــــــة

هـــم :

نافع في المدينة المنورة ـ وعبد الله بن كثير في مكة المكرمة ـ وأبو عمرو بن العـلاء في البصـرة ـ وعبـد الله بن عامـر في دمشق ـ وعاصم ـ وحمزة ابن حبيب والكسائى ثلاثتهم فى الكوفــة .


بسم الله الرحمن الرحيم
خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين
الأعراف -١٩٩-


الحديث
و
أصوله

صلاة التراويح

للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي
أستاذ مساعد بكلية الحديث الشريف

١ ـ التراويح لغة :

جمع ترويحة : أي ترويحة النفس وهي استراحتها · وفي القاموس : « منها ترويحة شهر رمضان سميت بها لاستراحة بعد كل أربع ركعات ـ يقال : استروح أي وجد الراحة » انتهى ·

ثم غلب اسم التراويح على الصلوات التي تصلى في ليالي رمضان ، ويجلس الإمام بعد كل أربع ركعات ، ولذا يقال : ويجلس بين كل ترويحتين مقدار ترويحة ·

وقد روي الإمام البيهقي في سننه بسنده عن المغيرة بن زياد الموصلي عن عطاء ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي أربع ركعات في الليل ثم يتروح فأطال حتى رحمته فقلت : بأبي أنت وأمي يارسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ·

قال البيهقي : تفرد به المغيرة بن زياد وليس بالقوي · انتهى (١) ·

ووثقه ابن معين ، وصحح الحاكم بعض أحاديثه (٢) ·

الا أن الذهبي لم يوافقه على ذلك فقال : المغيرة : صالح الحديث · وتركه ابن حبان ·

وقال في الكاشف : وثقه ابن معين وجماعة ، وقال أحمد : منكر الحديث (٣) · ويرى بعض العلماء أن الاستراحة تكون بعد خمس تسليمات ، والأمر فيه وسع ، فقد سئل الإمام أحمد عن قوم صلوا في رمضان خمس تراويح لم يتروحوا بينها فقال : لا بأس (٤) ·

---

(١) البيهقي : ٤٩٧/٢ ·
(٢) انظر : المستدرك ٤١/٢ ·
(٣) الكاشف : ١٦٧/٣ ·
(٤) المغني : ١٤١/٢ ·

٢ ـ الترغيب في قيـــام رمضـــان :

الحـــديث الأول : حديث أبي هريرة ، قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمر بعزيمة ، فيقول : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه) ۰ رواه الجماعة ۰

شـــرح الحـــديث : قول أبي هريرة : (من غير أن يأمر فيه بعزيمة) فيه التصريح بعدم وجوب القيام ۰ قال الإمام النووي : معناه لا يأمرهم أمر ايجاب وتحتم بل أمر ندب وترغيب ، ثم قال : اجتمعت الأمة على أن قيام رمضان ليس بواجب بل هو مندوب ۰

ومعنى قوله : « من قام رمضان » أي مصلياً ، ويحصل هذا بمطلق ما يصدق عليه القيام وليس من شرطه استغراق جميع أوقات الليل ، قال النووي : إن قيام رمضان يحصل بصلاة التراويح ۰

الحـــديث الثاني : حديث عبد الرحمن بن عوف قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله عز وجل فرض صيام رمضان ، وسننت قيامه فمن صامه وقامه إيمانا واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) (١) ۰

إلا أن في اسناده النضر بن شيبان الحداني ـ بضم المهملة وتشديد الدال ـ قال الحافظ : لــين الحديث (٢) ۰

٣ ـ حـــكم صـــلاة التراويح بالجماعـــة :

القـــول الأول : صلاة التراويح بالجماعة في المسجد أفضل ، وبه قال أحمد والشافعي وأبو حنيفة وبعض المالكية ، وبالغ الطحاوي من الحنفية فقال : إن صلاة التراويح بالجماعة واجبة على الكفاية ۰

هكذا نقل الشوكاني عن الطحاوي (٣) ، وسبقه الحافظ (٤) ، وهو مخالف تماماً لما قاله الطحاوي في شرح معاني الآثار ، وما نقل عنه الشيخ ابن الهمام في شرح فتح القدير ، يقول الطحاوي : « فهؤلاء الذين روينا عنهم ما روينا من هذه الآثار كلهم يفضل صلاته وحده في شهر رمضان على صلاته مع الإمام ، وذلك هو الصواب » ۰ انتهى (٥) ۰

---

(١) رواه أحمد (١٩١/١ ـ ١٩٥) ، والنسائي (١٥٨/٤) ، وابن ماجه (٤٢١/١) ۰

(٢) التقريب (٣١١/٢) ۰

(٣) انظر : نيل الأوطار : ٦٠/٢ ۰

(٤) انظر : فتح الباري : ٢٥٢/٤ ۰

(٥) انظر : شرح معاني الآثار : ٣٥١/١ ۰

وقد قارن قبل هذا بين أدلة الفريقين فقال : « ذهب قوم إلى أن القيام مع الإمام في شهر رمضان أفضل منه في المنازل ، واحتجوا في ذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قنوت بقية ليلته) ٠

وقال : خالفهم في ذلك آخرون فقالوا : بل صلاته في بيته أفضل من صلاته مع الإمام ، وحجتهم في ذلك حديث زيد بن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خير صلاة المرء في بيته ، إلا المكتوبة) وذلك لمّا قام لهم ليلة في رمضان فأرادوا أن يقوم بعد ذلك فقال لهم هذا القول ٠

ثم وفق بين الروايتين فقال : يوجب الحديث الأول ـ (حديث أبي ذر) ـ إن من قام مع الإمام يكتب له قنوت بقية ليلته ، ويوجب حديث زيد بن ثابت أن ما فعل في بيته هو أفضل من ذلك ، حتى لا يتضاد هذان الأثران » ٠ انتهى (١) ٠

وقال الشيخ ابن الهمام : « إن الطحاوي روى عن ابن عمر ، وعروة ، تخلف بعض الصحابة ونقل عن القاسم ، وإبراهيم ، ونافع ، وسالم ، وأبي يوسف ، إن أمكنه أداؤها في بيته مع مراعاة سنة القراءة وأشباهها فيصليها في بيته إلا أن يكون فقيها كبيرا يقتدى به لقوله صلى الله عليه وسلم : (عليكم بالصلاة في بيوتكم فإن خير صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة) » ٠ انتهى (٢) ٠

القــــول الثاني : الأفضل أن يصلي الرجل صلاة التراويح في البيت ٠ وبه قال مالك ، وأبو يوسف ، وبعض الشافعية ، فقد سئل مالك عن قيام الرجل في رمضان فقال : إن كان يقوى في بيته فهو أحب اليّ وليس كل الناس يقوى على ذلك ، فقد كان ابن هرمز ينصرف فيقوم بأهله وكان ربيعة ينصرف ، وعدد غير واحد من علمائهم كانوا ينصرفون ولا يقومون مع الناس وأنا أفضل ذلك (٣) ٠

وأستدل هؤلاء بقول النبي صلى الله عليه وسلم (أفضل الصلاة ، صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة) (٤) ـ من حديث زيد بن ثابت ، قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا القول لما اتخذ حجرة في المسجد من حصير فصلى فيها حتى اجتمع عليه ناس ثم فقدوا صوته ليلة وظنوا أنه قد نام فجعل بعضهم يتنحنح إليهم فقال : ما زال بكم الذى رأيت من صنيعكم حتى خشيت أن

---

(١) انظر : شرح معاني الاثار : ٣٤٩/١ ٠

(٢) انظر : شرح فتح القدير : ٣٣٤/١ ٠

(٣) انظر : المدونة : ٢٢٢/١ ٠

(٤) متفق عليه ٠

يكتب عليكم ، ولو كتب عليكم ما قمتم به ، فصلوا في بيوتكم ، فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة » .

والعجب من الألباني أنه لم يذكر هذا الحديث في كتابه « صلاة التراويح » وهو أقوى دليل للقول الثاني .

فلم يستثن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلوات إلا الفرائض ، وصلاة التراويح ليست منها .

وورد هذا الحديث في صلاة رمضان في مسجده صلى الله عليه وسلم فإذا كانت صلاة التراويح في البيت أفضل حتى من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف في مسجد غيره ؟ !

ولكن بعد عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه صارت صلاة التراويح من شعائر الإسلام ، وواظب المسلمون على ذلك ، لذا أجمع العلماء على أفضليتها في أدائها في المساجد وذكروا في ذلك الأدلة التالية :

(١) حديث عائشة : قالت : إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد فصلى بصلاته ناس ، ثم صلى الثانية فكثر الناس ، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح قال : (رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم) وذلك في رمضان . متفق عليه .

شرح الحديث : في الحديث دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة التراويح بالجماعة ولم يمنعه من الاستمرار بالجماعة إلا تخوفه أن تكتب على الأمة .

فإن قيل : كيف كان يفرض عليهم وقد أكمل الله الفرائض ورد الخمسين إلى الخمس ؟

أجاب البغوي على هذا السؤال قائلًا : كانت صلاة الليل واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله الشرعية كان الاقتداء به فيها واجباً ، فكان لا يأمن إن هو واظب على الصلاة بهم أن يلزمهم الاقتداء به فيه ، فالزيادة من جهة وجوب الاقتداء به ، لا من جهة انشاء فرض مستأنف على أن الإنسان قد يكلف نفسه ما لم يوجبه الشرع ثم تلحقه اللائمة بتركه كما لو نذر صلاة تلزمه وكما أخبر الله سبحانه وتعالى عن فريق من النصارى أنهم ابتدعوا رهبانية لم يكتبها عليهم ، ثم قصروا فيها ، فلحقتهم اللائمة ، فقال سبحانه وتعالى « فما رعوها حق رعايتها » فأشفق النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فترك العمل » انتهى [1] .

---

(١) شرح السنة : ١١٨/٤ .

ونقل الحافظ عدة أقوال عن العلماء في شرح قول النبي صلى الله عليه وسلم (خشيت أن يفرض عليكم) ونسب هذا القول الذى مر آنفا إلى الخطابي ، وذكر احتمالا آخر عن الخطابي ، وهو : أن الله فرض الصلاة خمسين ، ثم حط معظمها بشفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإذا عادت الأمة فيما استوهب لها والتزمت مما استَعفَى لهم نبيُهم صلى الله عليه وسلم منه لم يستنكر أن يثبت ذلك فرضا عليهم ، ثم قال الحافظ : وتلقي هذين الجوابين من الخطابي جماعةٌ من الشراح ، كابن الجَوزي ، وهو مبني على أن قيام الليل كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى وجوب الاقتداء بأفعاله وفي كل من الأمرين نزاع ، ثم نقل الحافظ أقوال العلماء الآخرين فقال :

١ ـ **قال المحب الطبري :** يحتمل أن يكون الله عز وجل أوحى إليه أنك إن واظبت على هذه الصلاة معهم افترضتها عليهم : فأحب التخفيف عنهم فترك المواظبة .

وقال : ويحتمل أن يكون ذلك وقع في نفسه كما اتفق في بعض القرب التي داوم عليها فافترضت .

وقيل : خشى أن يظن أحد من الأمة من مداومته عليها الوجوب .

وإلى هذا نحا القرطبي فقال : قوله (فتفرض عليكم) أى تظنونه فرضا فيجب على من ظن ذلك ، كما إذا ظن المجتهد حل شيء أو تحريمه فإنه يجب عليه العمل به .

قال : وقيل : كان حكم النبي صلى الله عليه وسلم إنه إذا واظب على شيء من أعمال البر واقتدى الناس به فيه أنه يفرض عليهم .

وعلق على هذا الحافظ فقال : ولا يخفي بعد هذا الأخير ، فقد واظب النبي صلى الله عليه وسلم على رواتب الفرائض وتابعه أصحابه ولم تفرض .

٢ ـ **قال ابن بطال :** يحتمل أن يكون هذا القول صدر منه صلى الله عليه وسلم لما كان قيام الليل فرضا عليه دون أمته ، فخشى إن خرج إليهم والتزموا معه قيام الليل أن يسوي الله بينه وبينهم في حكمه ، لأن الأصل في الشرع المساواة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أمته في العبادة .

قال : ويحتمل أن يكون خشى من مواظبتهم عليها أن يضعفوا عنها فيعصى من تركها بترك اتباعه صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ **وقال الكرماني :** إن حديث الاسراء يدل على أن المراد بقوله تعالى « لا يبدل القول لدى » الأمن من نقص شيء من الخمس ولم يتعرض للزيادة .

٤ ـ **وقال البعض :** إن الزمان كان قابلا للنسخ فلا مانع من خشية الافتراض وعلق

عليه الحافظ بقوله : « وفيه نظر ، لأن قوله تعالى « لا يبدل القول لدى » خبر ، والنسخ لا يدخله على الراجح ·

٥ ـ **قال الحافظ** : وقد فتح الباري بثلاثة أجوبة أخرى :

أحدهـــا : أن يكون المخوف افتراض قيام الليل بمعنى جعل التهجد في المسجد جماعة شرطا في صحة التنفل بالليل ، ويوميء إليه قوله في حديث زيد بن ثابت (حتى خشيت أن يكتب عليكم ، ولو كتب عليكم ما قمتم به ، فصلوا) أيها الناس (في بيوتكم) فمنعهم من التجمع في المسجد اشفاقا عليهم من اشتراطه ، وأمِن مع إذنه في المواظبة على ذلك في بيوتهم من افتراضه عليهم ·

ثانيهـــا : أن يكون المخوف افتراض قيام الليل على الكفاية لا على الأعيان ، فلا يكون ذلك زائدا على الخمس ، بل هو نظير ما ذهب إليه قوم في العيد ونحوها ·

ثالثهـــا : يحتمل أن يكون المخوف افتراض قيام رمضان خاصة ، فقد وقع في حديث الباب أن ذلك كان في رمضان · وفي رواية سفيان بن حسين : (خشيت أن يفرض عليكم قيام هذا الشهر) فعلى هذا يرتفع الاشكال ، لأن قيام رمضان لا يتكرر كل يوم في السنة فلا يكون ذلك قدرا زائدا على الخمس ·

قال الحافظ : وأقوى هذه الأجوبة الثلاثة في نظري : الأول · انتهى (١) ·

الحديث الثاني : حديث أبي ذر ، قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهر رمضان فلم يقم في شيء من الشهر حتى كانت ليلة سابعة بقيت فقام بنا إلى نحو من ثلث الليل ، ثم لم يقم بنا ليلة سادسة بقيت ، فلما كانت ليلة خامسة بقيت قام بنا إلى نحو من شطر الليل ، فقلنا يارسول الله لو نفلتنا قيام هذه الليلة ؟ فقال : (إن الرجل إذا قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة) ، ثم لم يقم بنا ليلة رابعة بقيت ، فلما كان ليلة ثالثة بقيت قام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح ، قلت : وما الفلاح ؟ قال : السحور ، قال : فكان يوقظ في تلك الليلة أهله وبناته ونساءه » (٢) ·

---

(٢) رواه أصحاب السنن : الترمذي (١٦٠/٢) ، وأبو داود (١٠٥/٢) ، والنسائي (٨٣/٣) ، وابن ماجه (٤٢٠/١) ، كلهم بطرق عن داود بن أبي هند ، عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي ، عن جبير بن نفير ، عن أبي ذر ·

قال الترمذي : حسن صحيح ·

ونقل المنذري تصحيح الترمذي وأقره ·

شــرح الحــديث : قوله (لو نفلتنا) أي لو جعلت بقية الليل زيادة لنا على قيام الشطر ، وهو من التسنفيل ، وفي النهاية : لو زدتنا من الصلاة النافلة ، سميت بها النوافل لأنها زائدة على الفرائض ، وتقديره : لو زدت قيام الليل على نصفه لكان خيرا لنا ، ولو « للتمني » (١) ·

وقال الشوكاني : المراد هنا لو قمت بنا طول ليلتنا ونفلتنا من الأجر الذى يحصل من ثواب الصلاة · انتهى ·

وفي الحديث دليل على مشروعية الجماعة لصلاة التراويح ·

الحــديث الثــالث : حديث أبي هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أناس في رمضان يصلون في ناحية المسجد ، فقال : ما هؤلاء ؟ فقيل : هؤلاء ناس ليس معهم قرآن ، وأبي بن كعب يصلي ، وهم يصلون بصلاته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أصابوا ، ونعم ما صنعوا) (٢) ·

وروي هذا الحديث أيضا محمد بن نصر المروزي (٣) ·

والمحفوظ في هذا أن عمر بن الخطاب جمع الناس وراء أبي بن كعب كما جزم الحافظ وغيره (٤) ·

هذه بعض الأحاديث التي رويت في مشروعية الجماعة في صلاة التراويح ·

وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم (أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة) فحمل العلماء على صلاة التهجد كما خصصوا من هذا العموم بعض الصلوات التي شرع فيها الجماعة كالعيدين ، والكسوف ، والاستسقاء ، وكذلك صلاة التراويح ، ولذلك لما أمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من افتراض صلاة التراويح أمر باقامتها في المسجد جماعة ، واستمر هذا العمل منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا فصارت صلاة التراويح في شهر رمضان من شعائر الإسلام ، إلا أن من ترك التراويح جماعة في المسجد ، وأقامها في البيت لا يذم ولا يلام ·

---

(١) انظر : تحفة الأحوذي : ٥٢١/٣ ·

(٢) رواه أبو داود (١٠٦/٢) وقال : ليس هذا الحديث بالقوي ، مسلم بن خالد ضعيف · انتهى ·
قال الذهبي في الكاشف (١٤٠/٣) : وثق ، وضعفه أبو داود لكثرة غلطه ·
وقال الحافظ في التقريب : فقيه صدوق كثير الأوهام ·

(٣) انظر : قيام الليل : (ص ١٥٥) بطريق خالد بن مسلم ولم يقل فيه شيئا ·

(٤) انظر : فتح الباري : ٢٥٢/٤ ·

٣ ـ عدد ركعات صلاة التراويح :

فيه ثلاثة أقوال للعلماء :

القول الأول : ركعات التراويح ثمانية ـ وهو قول المحدثين والمحققين ·

القول الثاني : ركعات التراويح عشرون ركعة ـ وبه قال الأئمة الثلاثة : الشافعي وأبو حنيفة ، وأحمد ·

القول الثالث : ركعات التراويح ست وثلاثون ـ وبه قال الإمام مالك ·

واليكم بعض الأدلة للقول الأول :

١ ـ **حديث عائشة** رضي الله عنها قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة ، يصلي أربعا فلا تسأل عن طولهن وحسنهن ، ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن طولهن وحسنهن ، ثم يصلي ثلاثا (١) ·

وقد بوب ابن خزيمة في صحيحه (٢) باب ذكر عدد صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل في رمضان فذكر هذا الحديث ، كما ذكره البيهقي في سننه (٣) في باب ما روي في عدد ركعات القيام في شهر رمضان ·

ويبدو أن الجميع أستمسكوا به لمعرفة عدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان وغيره ، كما ذكره الإمام البخاري في صحيحه عقب صلاة التراويح ، وسوف يأتي ذلك قريبا إن شاء الله ·

٢ ـ **حديث جابر بن عبد الله** قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ثماني ركعات وأوتر ... رواه أبو يعلى ، والطبراني في الصغير ، كما قال الهيثمي وفيه : عيسى بن جارية وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه ابن معين (٤) ·

وقال الحافظ في الفتح : (٥) ورواه ابن خزيمة وابن حبان ، وعزاه في التلخيص (٦) لابن حبان فقط ولم يتكلم على اسناد الحديث مع وجود عيسى بن جارية في اسناد ابن حبان كما في موارد الظمآن ·

---

(١) متفق عليه : ففي البخاري مع الفتح (٣٣/٣) ، وفي مسلم (٥٠٩/١) من طبعة فؤاد عبد الباقي ·

(٢) صحيح ابن خزيمة : (٣٤١/٣) ·

(٣) السنن الكبرى للبيهقي : (٤٩٥/٢) ·

(٤) انظر : مجمع الزوائد : ١٧٢/٣ ·

(٥) فتح الباري : ١٢/٣ ·

(٦) التلخيص : ٢١/٣ ·

وقد ذكر الشيخ الألباني هذا الحديث ونسبه لابن نصر والطبراني وقال : سنده حسن (١) . ولم يتكلم على عيسى بن جارية .

والطبراني ذكر هذا الحديث في المعجم الصغير (٢) باسناده عن يعقوب بن عبد الله القمي عن عيسى بن جارية ، عن جابر بن عبد الله قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ثمان ركعات وأوتر ، فلما كانت القابلة اجتمعنا في المسجد ورجونا أن يخرج ، فلم نزل حتى أصبحنا ثم دخلنا ، فقلنا يارسول الله اجتمعنا البارحة في المسجد ورجونا أن تصلي بنا ؟ فقال : إني خشيت أن يكتب عليكم) .

قال الطبراني : لا يروى عن جابر بن عبد الله إلا بهذا الاسناد ، تفرد به يعقوب وهو ثقة ، ولم يتكلم عن عيسى بن جارية .

وذكر الذهبي هذا الحديث وقال : اسناده وسط (٣) .

أقـــول : عيسى بن جارية : هو الأنصارى المدني ، قال الحافظ : فيه لـين . وقال الذهبي : روى عن جرير وجابر ، وعنه أبو صخر حميد بن زياد ، ويعقوب القمي مختلف فيه ، قال ابن معين : عنده مناكير (٤) . وفي الميزان : قال النسائي : منكر الحديث ، وجاء عنه : متروك . وقال أبو زرعة : لا بأس به . وأما يعقوب بن عبد الله القمي فهو ـ بضم القاف ـ أبو الحسن الأشعري ، سبق أن وثقه الطبراني . وقال النسائي : ليس به بأس ، وقال الدارقطني : ليس بالقوى (٥) . وحكم عليه الذهبي بأنه صدوق (٦) .

ويبدو من هذا أن الحديث لا يقل عن درجة الحسن ، ولذا سكت عليه الحافظ ، وحسنه الألباني ، وقال الذهبي : اسناده وسط . والمعروف أن الذهبي من أهل الاستقراء .

ثم أخرج الإمامان الجليلان وهما ابن حبان وابن خزيمة في صحيحيهما ، اضافة إلى ذلك أنه موافق لحديث عائشة .

وبهذين الحديثين أخذ المحققون من علماء أهل الحديث والفقه . فإن أحدا منهم لم يقل بأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى أكثر من ثماني ركعات في رمضان أو في غير رمضان ، وإنما الخلاف في الطول ، والقراءة ، والوقت ، والجماعة ، وغير ذلك .

---

(١) انظر : صلاة التراويح : ص ٢١ .

(٢) المعجم الصغير : ١٩٠/١ .

(٣) انظر : ميزان الاعتدال : ٣١١/٣ .

(٤) انظر : الكاشف : ٣٦٦/٢ .

(٥) انظر : الخلاصة للخزرجي : ١٨٢/٣ .

(٦) انظر : الكاشف : ٢٩٢/٣ .

وأما التراويح ، وقيام رمضان ، وصلاة الليل ، وصلاة التهجد في رمضان ، فهي عبارة عن شيء واحد ، قال الشيخ عبيد الله المباركفوري : « اعلم أن التراويح وقيام رمضان وصلاة الليل وصلاة التهجد في رمضان عبارة عن شيء واحد ، واسم لصلاة واحدة ، وليس التهجد في رمضان غير التراويح لأنه لم يثبت من رواية صحيحة ولا ضعيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في ليالي رمضان صلاتين إحداهما التراويح ، والأخرى التهجد ، فالتهجد في غير رمضان هو التراويح في رمضان كما يدل عليه حديث أبي ذر وغيره ، وإليه ذهب صاحب فيض الباري (١) · (الشيخ أنور شاه الكشميري) من الحنفية حيث قال : « المختار عندي أن التراويح ، وصلاة الليل واحد ، وإن اختلفت صفتاهما كعدم المواظبة على التراويح وأدائها بالجماعة ، وأدائها في أول الليل تارة ، وايصالها إلى السحر أخرى بخلاف التهجد فإنه كان في آخر الليل ، ولم تكن فيه الجماعة · وجعل اختلاف الصفات دليلا على اختلاف نوعيها ليس بجيد عندي بل كانت تلك صلاة واحدة ، إذا تقدمت سميت باسم التراويح ، وإذا تأخرت سميت باسم التهجد ·

ولا بدع في تسميتها باسمين عند تغاير الوصفين فإنه لا حجر في التغاير الاسمي إذا اجتمعت عليه الأمة ، وإنما يثبت تغاير النوعين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه التهجد مع إقامته بالتراويح (٢) · انتهى ·

وقد جزم أيضا الشيخ بدر الدين العيني وهو من كبار العلماء الحنفية أن قول عائشة إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل في العشر الأواخر في رمضان يجتهد ما لا يجتهد في غيره ، المقصود منه التطويل في الركعات والسجود والقيام والقعود بدون الزيادة في العدد (٣) ·

وقد ذكر الشيخ العيني عشرات الروايات عن الصحابة الآخرين لاثبات عدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم وخرج منها بأنه ما كان يزيد عن ثمان ركعات ، ويزيد وينقص من ركعات الوتر ما شاء ، وذهب الشيخ ابن الهُمام - من محققي الحنفية - إلى أن الثماني ركعات سنة ، والبقية مستحبة ، وأنكر عليه المشايخ الحنفية القائلون بسنية العشرين (٤) ·

القـــول الثاني : ركعات التراويح عشرون ركعة :

استند أصحاب هذا القول بالأثر المروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه جمع الناس وراء أبي بن كعب على عشرين ركعة كما استندوا أيضا بحديث مرفوع إلا أنه ضعيف

---

(١) انظر : (٤٢٠/٢) من فيض الباري ·

(٢) انظر : مرعاة المفاتيح : ٢٢٤/٢ - ٢٢٥ ·

(٣) انظر : عمدة القارىء : ٢٠٤/٧ ·

(٤) انظر : شرح فتح القدير : ٣٣٤/١ ·

بالاتفاق . فلذا نرى أن المحققين من أصحاب المذاهب لم يذكروا هذا الحديث المرفوع في الاستدلال لما ذهبوا إليه كالشيخ ابن قدامة وغيره .

ولو كان هذا الحديث صحيحا لكان حجة قاطعة على أصحاب القول الأول ، ولتبادر المحققون إلى ذكره ، ومع ذلك فنحن نذكر هذا الحديث ثم نتبعه الآثار المروية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذا الخصوص .

الحديث المرفوع : قال الإمام الزيلعي : روى ابن أبي شيبة في مصنفه (١) ، والطبراني في معجمه (٢) ، وعنه البيهقي (٣) ، من حديث إبراهيم بن عثمان أبي شيبة عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في رمضان عشرين ركعة والوتر .

قال الحافظ الزيلعي : وهو معلول بأبي شيبة إبراهيم بن عثمان جد الإمام أبي بكر بن أبي شيبة ، وهو متفق على ضعفه ولينه ابن عدى في الكامل ثم أنه مخالف للحديث الصحيح عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة ...... فذكر حديثها (٤) . انتهى كلام الزيلعي .

وقال الهيثمي : رواه الطبراني (٥) في الكبير والأوسط وفيه : أبو شيبة وهو ضعيف (٦) .

وقال الحافظ في التقريب : أبو شيبة إبراهيم بن عثمان متروك ، وقال الشيخ ابن الهمام : أبو شيبة إبراهيم بن عثمان ضعيف (٧) .

وقال البيهقي : تفرد به أبو شيبة إبراهيم بن عثمان العبسي الكوفي وهو ضعيف (٨) .

فسند هذا الحديث يدور على أبي شيبة لأن كل من خرجه فطريقه ينتهي إليه فلا يغرنك إذا قال أحد إن لهذا الحديث سنداً آخر ، فإن الطبراني والبيهقي صرحا بأن أبا شيبة تفرد بهذا الحديث ، وذكر الحافظ الذهبي في الميزان وقال : إنه من مناكير أبي شيبة ، وكذا الحافظ مع علمه الغزير لم يجد لهذا الحديث سندا آخر ، فقد جزم وقال : « وأما ما رواه أبو شيبة من حديث ابن عباس فاسناده ضعيف ، وقد عارضه حديث عائشة هذا الذي في الصحيحين مع كونها أعلم بحال النبي صلى الله عليه وسلم ليلا من غيرها » (٩) .

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة : ٣٩٤/٢ .
(٢) الكبير : ٣٩٣/١١ .
(٣) البيهقي : ٤٩٦/٢ .
(٤) انظر : نصب الراية : ١٥٣/٢ .
(٥) انظر : المعجم الكبير : ٣٩٣/١١ .
(٦) انظر : مجمع الزوائد : ١٧٢/٣ .
(٧) انظر : شرح فتح القدير : ٣٣٣/١ .
(٨) انظر : سنن البيهقي : ٤٩٦/٢ .
(٩) انظر : فتح الباري : ٢٥٤/٤ .

ومع وجود هذه التصريحات من الأئمة والمحققين ، ومنهم علماء الحنفية جاء الشيخ يوسف البنوري رحمه الله تعالى الحنفي غاضبا وثائرا على من يقول : إن عدد ركعات التراويح ثمان ، ورماهم بالسفسطة والعجرفة في القول والبيان والزيغ في المعتقد ، والبغض مع صلحاء الأمة ثم قال : « ويدفع القول الأول بأنه وإن كان ضعيفا - أي إبراهيم بن عثمان أبو شيبة - ولكن يؤيد روايته تعامل الأمة في عهد الفاروق ومن بعده ، ويدفع الثاني بالحمل على اختلاف الأحوال كما أشار إليه الحافظ في سياق آخر . وقد يعمل بالضعيف لتقويته بالتعامل وغيره » (١)

وقال بعد ذلك - ويبدو أنه متعب جدا لعدم نجاحه في محاولاته الكلامية - : « العشرون لا بد أن يكون لها أصل في المرفوع ، وإن لم يبلغ إلينا بالاسناد القوي » (٢) .

وهي قاعدة مخترعة تنم عن العجز من الإتيان بالأدلة المعقولة .

دراسة الآثار المروية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بخصوص عدد ركعات صلاة التراويح :

روى الإمام البخاري في صحيحه (٣) عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعم البدعة هذه ، والتى ينامون عنها أفضل من التي يقومون ، يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله . انتهى .

هذا الحديث الذى ذكره الإمام البخاري معلقا وقال : عن ابن شهاب ، وهو في الحقيقة عطف على ما سبق من الاسناد . ورواه مالك في موطئه باسناده نحوه .

شـــرح بعض الكلمات : (أوزاع) بسكون الواو ، بعدها زاي معجمة ، أى جماعة متفرقون ، وقوله في الحديث : متفرقون : تأكيد لفظي .

(أمثـــل) أى أفضل ، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استنبط من تقرير

---

(١) انظر : معارف السنن : ٥/٥٤٧ .
(٢) المصدر السابق : ٥/٥٥٠ .
(٣) انظر : فتح الباري : ٤/٢٥٠ .

النبي صلى الله عليه وسلم من صلى معه في تلك الليالي ، وإن كان كره ذلك لهم ، فإن كرهه خشية أن يفرض عليهم فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم حصل الأمن من ذلك ٠

(**فجمعهم على أبي بن كعب**) أي جعله إماما ٠ قال الحافظ : كأنه اختاره عملا بقوله صلى الله عليه وسلم (يؤمهم أقرؤهم لكتاب الله) ، وقد قال عمر : أقرؤنا أبي ٠

(ثم خرجت معه ليلة أخرى) فيه اشارة إلى أن عمر ما كان يصلي مع الجماعة وراء أبي ، لأنه يرى أن الصلاة في آخر الليل في البيت أفضل ، فإنه قال في آخر الحديث : والتى تنامون عنها أفضل ٠

وقد روى محمد بن نصر من طريق طاوس ، عن ابن عباس قال : كنت عند عمر في المسجد فسمع هيعة الناس فقال : ما هذا ؟ قيل : خرجوا من المسجد ، وذلك في رمضان فقال : ما بقي من الليل أحب اليّ مما مضى ٠ انتهى ٠

(**الهيعة**) قال في النهاية : الصياح والضجة ٠

(قول عمر : **نعم البدعة**) وجاء في بعض الروايات : نعمت البدعة ٠ والبدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق ٠

وتطلق في الشرع : في مقابل السنة ، وتكون ممنوعة ٠

قال الحافظ : والتحقيق في ذلك أنها إن كانت مما تندرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنة ، وإن كانت مما تندرج تحت مستقبح في الشرع فهي مستقبحة ، وإلا فهي من قسم المباح (١) ٠

وقال الحافظ ابن الأثير : البدعة بدعتان ، بدعة هوى ، وبدعة ضلال ، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو في حيز الذم والانكار ، وما كان تحت عموم ما ندب الله إليه ، وحض عليه الله ورسوله فهو في حيز المدح وما لم يكن له مثال موجود كنوع من السجود والسخاء وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة ، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل له ثوابا فقال : (من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها) وقال في ضده (ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها) وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم ٠ ومن هذا النوع قول عمر بن الخطاب : نعمت البدعة هذه (٢) ٠

---

(١) انظر : فتح الباري : ٢٥٣/٤ ٠

(٢) انظر : النهاية في غريب الحديث : ١٠٦/١ ٠

ونرجع إلى الحديث أصل الموضوع فنقول :

إن الإمام البخاري لم يذكر عدد الركعات التي جمع عليها عمر بن الخطاب وفي هذا اشارة إلى أن الآثار التي وردت في ذكر عدد الركعات لم تصح عنده ، أو أنه يرى أن عمر لم يتجاوز على ثماني ركعات فذكر عقب قصة عمر حديث عائشة رضي الله عنها التي تقول : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد على إحدى عشرة ركعة في رمضان ولا في غيره ، يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا ٠

لذا وقع الخلاف بين الرواة في ذكر عدد الركعات ، وإليكم بعض هذه الآثار :

١ ـ **في موطـــأ مـــالك** (١) : عن محمد بن يوسف ، عن السائب بن يزيد أنه قال : أمر عمر بن الخطاب أُبَي بن كعب وتميما الداري أن يقوما للناس باحدى عشرة ركعة قال : وقد كان القارىء يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصيّ من طول القيام ، وما كنا ننصرف إلا في بزوغ الفجر ٠

وبطريق مالك رواه البيهقي (٢) وصرح فيه بأن محمد بن يوسف هو ابن أخت السائب بن يزيد ٠

ورواه سعيد بن منصور في سننه بوجه آخر عن عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن يوسف ، عن السائب بن يزيد ٠

واسناده صحيح ، فإن محمد بن يوسف الكندي المدني الأعرج ثقة ثبت مات في حدود الأربعين ومائة وهو شيخ مالك واحتج به الشيخان ٠

والسائب بن يزيد صحابي معروف حج مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير ، ثم إن هذا الحديث موافق لحديث عائشة رضي الله عنها وحديث جابر بن عبد الله ٠ إلا أن الحافظ ابن عبد البر يقول : روى غير مالك في هذا الحديث « أحدى وعشرون » وهو الصحيح ولا أعلم أحدا قال فيه احدى عشرة إلا مالكا ، ويحتمل أن يكون ذلك أولا ثم خفف عنهم طول القيام ونقلهم إلى إحدى وعشرين إلا أن الأغلب عندي أن قوله : إحدى عشرة وَهْمٌ ٠ انتهى ٠

ورد الزرقاني بقوله : ولا وهم مع أن الجمع بالاحتمال الذى ذكره قريب ، وبه جمع

---

(١) الموطأ مع شرحه التنوير : ١٠٥/١ ٠

(٢) السنن الكبرى : ٤٩٦/٢ ٠

البيهقي أيضا ، وقوله إن مالكا انفرد به ليس كما قال ، فقد رواه سعيد بن منصور من وجه آخر عن محمد بن يوسف مثل قول مالك (١) ٠ انتهى ٠

وقال النيموني في آثار السنن : ما قاله ابن عبد البر من وهم مالك فغلط جدا لأن مالكا تابعه عبد العزيز بن محمد الدراوردي عند سعيد بن منصور ، ويحى بن سعيد القطان عند أبي بكر بن أبي شيبة في مصنفه ، وكلاهما عن محمد بن يوسف وقالا : إحدى عشرة ٠

وهذه الروايات التي رويت عن عمر بن الخطاب في غاية من الصحة ، وفيها ذكر لإحدى عشرة ركعة ، لأن عبد العزيز بن محمد الدراوردي من الثقات أيضاً أخرج له أصحاب الستة ، ويحيى بن سعيد القطان إمام في الحفظ والضبط والاتقان ٠

وزاد الألباني في رسالة صلاة التراويح (٢) فقال : وأيضا تابع مالكاً إسماعيل بن أمية ، وأسامة بن زيد ، ومحمد بن اسحاق عند النيسابوري ، وإسماعيل بن جعفر المدني عند ابن خزيمة في حديث ابن حجر كلهم قالوا عن محمد بن يوسف به ٠ انتهى ٠

٢ ـ **أخرج عبد الرزاق في مصنفه** (٣) عن داود بن قيس وغيره ، عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد أن عمر جمع الناس في رمضان على أبي بن كعب ، وعلى تميم الداري على إحدى وعشرين ركعة يقرأون بالمئين وينصرفون عند بزوغ الفجر ٠

قال الشيخ المباركفوري : إن عبد الرزاق انفرد برواية إحدى وعشرين ركعة ولم يخرجه أحد غيره فيما أعلم ، وعبد الرزاق وإن كان ثقة حافظاً فقد عمي في آخر عمره فتغير كما صرح به الحافظ في التقريب ، وأما الإمام مالك فبقي إماما لدار الهجرة (٤) ٠

والمعروف أن الحكم في المختلطين أنه يقبل حديث من أخذ عنهم قبل الاختلاط ولا يؤخذ حديث من أخذ عنهم بعد الاختلاط أو أشكل أمره فلم يدر هل أخذ عنهم قبل الاختلاط أو بعده ، فمسألة عبد الرزاق هي من القسم الثالث وخاصة إذا خالف الثقات ٠

ثم هذه الرواية مخالفة للحنفية فإنه يستلزم أن يقولوا بأن التراويح ثماني عشرة ركعة ، أو أن الوتر ركعة واحدة ٠

وأما داود بن قيس فهو الصنعاني ذكره ابن حبان في الثقات وقال عنه الحافظ : مقبول ٠

---

(١) شرح الموطأ للزرقاني : ٣٥٤/٨ ٠

(٢) صلاة التراويح : ص ٥٣ ٠

(٣) المصنف : ٢٦٠/٤ ٠

(٤) انظر : تحفة الأحوذي : ٥٢٧/٣ ٠

٢ ـ **وأخرج محمد بن نصر المروزي** (١) ، عن السائب بن يزيد بدون الاسناد وفيه ذكر لعشرين ركعة ومثله عند البيهقي (٢) بطريق أبي عبد الله الحسين بن محمد بن فنجويه الدنيورى ، ثنا أحمد بن محمد بن إسحاق السني ، أنبأنا عبد الله محمد بن عبد العزيز البغوي ، ثنا علي بن الجعد ، أنبأنا ابن أبي ذئب ، عن يزيد بن خصيفة ، عن السائب بن يزيد ..

قال صاحب مرقاة المفاتيح : أما رواية يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد فهي عند البيهقي بوجهين في أحدهما أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري ، وفي الآخر أبو عبد الله الحسين بن فنجويه ، ولم أقف على ترجمتهما ولم يعرف حالهما . انتهى (٣) .

أقـــــول : أما وجه أبي عثمان عمرو بن عبد الله البصري فلم أجده في السنن الكبرى وأما قوله في أبي عبد الله الحسين بأنه لم يقف على ترجمته فهو صحيح ، فإني بعد البحث لم أقف على أكثر ما ذكره الحافظ الذهبي في ترجمة « تمام بن أبي الحسين » اسمه فقط بدون أن يقول عنه شيئا (٤) .

وقال الحافظ (٥) : روى مالك من طريق يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد عشرين ركعة ، وتبعه الشوكاني (٦) فقال : رواه مالك في الموطأ والظاهر أنهما قد سهوا في ذلك فإن مالكاً لم يرو رواية يزيد بن خصيفة هذه في الموطأ .

وقد ذكر النووي حديث يزيد بن خصيفة وعزاه إلى البيهقي وغيره ولم يعزه إلى مالك (٧) وهذا لا يمنع أن يروى مالك هذه الرواية في غير الموطأ ، بالاضافة إلى ذلك فقد قال الإمام أحمد عن يزيد بن خصيفة : منكر الحديث مع توثيقه له في رواية الأثرم عنه (٨) .

ومعنى هذا أن يزيد بن خصيفة انفرد برواية هذا الأثر وهو مخالف لما رواه زملاؤه الآخرون فيكون الضعف في روايته من أجل مخالفته فقد قال الحافظ في مقدمة الفتح (٩) في ترجمته : هذه اللفظة يطلقها أحمد على من يغرب من أقرانه بالحديث ، عرف ذلك بالاستقراء من حاله ، وقد احتج بابن خصيفة مالك والأئمة كلهم . انتهى .

---

(١) انظر : قيام الليل : ص ١٥٧ .
(٢) السنن الكبرى : ٤٩٦/٢ .
(٣) ٣٣٣/٢ .
(٤) انظر : تذكرة الحفاظ : ١٠٥٧/٣ .
(٥) انظر : فتح الباري : ٢٥٣/٤ .
(٦) انظر : نيل الأوطار : ٦٣/٣ .
(٧) انظر : شرح المهذب : ٥٢٧/٣ .
(٨) انظر : ميزان الاعتدال : ٤٣٠/٤ .
(٩) ص ٤٥٣ .

فرواية يزيد بن خصيفة غريبة وشاذة مع صحته كما زعم به النووي (١) ٠ لأنها تخالف روايات الثقات لأن ابن خصيفة ومحمد بن يوسف كلاهما ثقتان يرويان عن السائب بن يزيد ، فالأول يقول في روايته « إحدى وعشرون » ، والثاني « إحدى عشرة ركعة » ، فيرجح القول الثاني لأنه أوثق من صاحبه ، لذا اقتصر الحافظ في وصف يزيد بن خصيفة في التقريب بقوله : « ثقة » بينما قال في وصف محمد بن يوسف « ثقة ثبت » وأيضا محمد بن يوسف هو ابن أخت السائب بن يزيد فلأجل قرابته للسائب يكون أعرف الناس في حديث السائب من غيره ٠

هذه هي خلاصة الخلاف بين يزيد بن خصيفة ومحمد بن يوسف ، وقد حمل بعض علماء الحنفية على علماء أهل الحديث فنسبوا إليهم القول بتضعيف يزيد بن خصيفة معتمدين على قول أحمد فرموهم بالجهل والتعصب ، والحق أن علماء أهل الحديث لم يضعفوا يزيد بن خصيفة ، بل رجحوا رواية محمد بن يوسف على روايته للأسباب التى مر ذكرها ٠

فلم ينجح في محاولة من أراد تقديم حديث يزيد بن خصيفة أو تصحيحه كما يظهر هذا جليا من قول الشيخ اللكنوي في « الرفع والتكميل » ، ومنه الدكتور نور الدين عتر في « منهج النقد في علم الحديث » في باب « منكر الحديث » ، والله الهادى إلى سواء السبيل ٠

٤ ـ روى مالك في الموطأ (٢) عن يزيد بن رومان أنه قال : كان الناس يقومون في زمان عمر بن الخطاب بثلاث وعشرين ركعة « إلا أن فيه انقطاعاً ، فإن يزيد بن رومان لم يدرك عمر بن الخطاب فإنه توفى سنة ثلاثين ومائة فلم يلق إلا صغار الصحابة كابن الزبير ، وأنس ، وعبيد الله ، وسالم ، ابني عبد الله بن عمر ، ولم يذكر الحافظ في « التهذيب » ، ولا السيوطي في « اسعاف المبطأ برجال الموطأ » أنه التقى بعمر بن الخطاب ٠

وقد نص الزيلعي (٣) بأنه لم يدرك عمر بن الخطاب ، وقال العيني (٤) : سنده منقطع ٠

٥ ـ روى ابن أبي شيبة عن وكيع ، عن مالك ، عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب أمر رجلاً يصلي بهم عشرين ركعة (٥) ، ويحيى بن سعيد لم يدرك عمر بن الخطاب فقد قال ابن المديني : لا أعلمه سمع من صحابي غير أنس (٦) ٠

---

(١) شرح المهذب : ٥٢٧/٣ ٠

(٢) الموطأ : ١٠٥/١ مع التنوير ٠

(٣) نصب الراية : ١٥٤/٢ ٠

(٤) انظر عمدة القارىء : ١٢٦/١١ ٠

(٥) المصنف : ٣٩٣/٢ ٠

(٦) تهذيب التهذيب : ٢٢٣/١١ ٠

٦ ـ **وروى ابن أبي شيبة أيضاً** عن عبد العزيز بن رفيع قال : كان أبي بن كعب يصلي بالناس في رمضان بالمدينة عشرين ركعة ويوتر بثلاث (١) ·

وعبد العزيز بن رفيع لم يدرك أبي بن كعب ، فإنه توفي سنة (١٩ هـ) ، أو سنة (٣٢ هـ) ، وعبد العزيز توفي سنة مائة وثلاثين على أنه لم يذكر أى واحد في ترجمته أنه روى عن أبي بن كعب ، إنما يروى عن صغار الصحابة وكبار التابعين (٢) ·

٧ ـ **وروى محمد بن نصر المروزي في قيام الليل قال** : قال الأعمش : كان ابن مسعود يصلي عشرين ركعة ويوتر بثلاث ، إلا أن الأعمش لم يدرك ابن مسعود ·

٨ ـ **وروى البيهقي** (٣) عن أبي الحسناء أن علي بن أبي طالب أمر رجلاً أن يصلي بالناس خمس ترويحات ، عشرين ركعة · قال البيهقي : وفي هذا الاسناد ضعف · انتهى ·

أقـــــول : لأن فيه أبا الحسناء وهو مجهول كما قال الحافظ في التقريب (٤) ·

٩ ـ **وروى البيهقي من وجه آخر** من طريق حماد بن شعيب ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي قال : دعا القراء في رمضان فأمر منهم رجلاً يصلي بالناس عشرين ركعة وكان يوتر بهم ، وفيه حماد بن شعيب ضعيف ، ضعفه ابن معين وغيره (٥) ، وقال البخاري : فيه نظر (٦) ·

وقد ذكرت آثار غير هذه ولكن يظهر من دراستها أنها لا تخلو من ضعف ، فإن الآثار الصحيحة عن عمر بن الخطاب تدل على أنه أمر أبي بن كعب أن يصلي بالناس ثماني ركعات وهي موافقة لفعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما ما زاد على هذه فهي كلها ضعيفة ، أو مقطوعة غير صحيحة ·

١٠ ـ **وروى أبو داود في سننه** عن الحسن أن عمر بن الخطاب جمع الناس على أبي بن كعب ، فكان يصلي لهم عشرين ليلة ، ولا يقنت بهم إلا في النصف الباقي ، فإذا كانت العشر الأواخر تخلف فصلى في بيته ، فكانوا يقولون : ابق أبي (٧) ، وبطريقه رواه البيهقي (٨) ، وكذا ذكره الزيلعي (٩) عن أبي داود ، بأن أبيا صلى بهم عشرين ليلة ·

---

(١) المصنف : ٣٩٣/٢ ·
(٢) راجع ترجمتهما في تهذيب التهذيب ، وتهذيب الكمال ·
(٣) السنن الكبرى : ٤٩٧/٢ ·
(٤) التقريب : ٤١٣/٢ ·
(٥) انظر : الجرح والتعديل : ١٤٢/٢/١ ·
(٦) التاريخ الكبير : ٢٥/١/٢ ·
(٧) أبو داود : ١٣٦/٢ ـ باب القنوت في الوتر ·
(٨) السنن الكبرى : ٤٩٨/٢ ·
(٩) انظر : نصب الراية : ١٢٦/٢ ·

ثم تعمد بعض من لا أمانة له ولا ديانة ، فأثبت في حاشية بعض نسخ أبي داود المطبوعة في الديار الهندية بأنه توجد في نسخ أخرى : عشرين ركعة بدلاً من عشرين ليلة . وظهر ذلك أول مرة في حاشية الشيخ محمود الحسن على سنن أبي داود وهو إمام الحنفيين في جامعة دار العلوم بديوبند ، ثم جاءت خطوة أخرى فأثبتوا في المتن (عشرين ركعة » وقالوا في الحاشية « وفي نسخة عشرين ليلة » وذلك في شرح فخر الحسن على سنن أبي داود ٠

وأمامي الآن نسخة بذل المجهود المطبوعة في لبنان على طبع الهندية ، وفي هامشها « في نسخة بدله ركعة » ، كذا في نسخة مقروءة على الشيخ مولانا محمد إسحاق رحمه الله تعالى (١) ٠

ثم هذا السند الذى ساقه أبو داود فيه انقطاع لأن الحسن البصري لم يدرك عمر بن الخطاب فإنه ولد في سنة إحدى وعشرين ، ومات عمر في أواخر سنة ثلاث وعشرين أو في أوائل المحرم سنة أربع وعشرين ٠

١١ ــ **وعند مالك رواية أخرى** عن داود بن الحصين أنه سمع الأعرج يقول : ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان قال : وكان القارىء يقرأ سورة البقرة في ثمان ركعات ، فإذا قام بها في اثنتي عشرة ركعة رأى الناس أنه قد خفف ٠

قال ابن عبد البر : أدرك الأعرج جماعة من الصحابة وكبار التابعين ٠

وأما داود بن الحصين فهو أبو سليمان المدني الأموي مولاهم ، وثقه ابن معين ، وضعفه أبو حاتم وقال : لولا أن مالكاً روى عنه لترك حديثه (٢) ٠

قال الحافظ بعد ذكر هذه الروايات وغيرها : قال ابن إسحاق : وهذا أثبت ما سمعت في ذلك (يعني به رواية محمد بن يوسف ، عن جده السائب بن يزيد قال : كنا نصلي زمن عمر في رمضان ثلاث عشرة) وهو موافق لحديث عائشة في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم من الليل (٣) ٠

وهذا الذى نرجحه لأنه يوافق فعل النبي صلى الله عليه وسلم ٠ والمسألة فيها خيار ، كما قال الإمام الشافعي : رأيت الناس يقومون بالمدينة بتسع وثلاثين ، وبمكة بثلاث وعشرين وليس في شيء من ذلك ضيق ، وعنه قال : إن أطالوا القيام وأقلوا السجود فحسن ، وإن أكثروا السجود وأخفوا القراءة فحسن ، والأول أحب إليّ ٠

---

(١) انظر : بذل المجهود في حل أبي داود : ٢٥٢/٧ ٠

(٢) انظر : الجرح والتعديل : ٤٠٩/٢/١ ٠

(٣) انظر : فتح الباري : ٢٥٤/٤ ٠

القـــول الثالث : وهو قول الإمام مالك بأن صلاة التراويح ست وثلاثون ركعة ٠ وجد أهل المدينة على ذلك ؛ وقيل : ثمان وثلاثون ، فقد روى محمد بن نصر المروزي ، عن ابن أيمن ، عن مالك هكذا ، وقال مالك : وعلى هذا العمل منذ بضع ومائة سنة ، ثم يقول مالك : وليس في شيء من ذلك ضيق ٠

فكان يرى أن الأمر موكول إلى المصلي فهو يختار العدد المناسب حسب نشاطه ، وقد قال الترمذي في سننه : أكثر ما قيل أنها تصلى إحدى وأربعين ركعة ـ يعني بالوتر ـ ٠

ولكن نقل ابن عبد البر : عن الأسود بن يزيد : تصلى أربعين ويوتر بسبع ٠

وسبب اختيار أهل المدينة ستا وثلاثين ركعة أن أهل مكة كانوا يطوفون بين كل ترويحتين طوافا ويصلون ركعتين ، ولا يطوفون بعد الترويحة الخامسة ، فأراد أهل المدينة مساواتهم فجعلوا مكان كل طواف أربع ركعات فزادوا ست عشرة ركعة فصار المجموع ستا وثلاثين ركعة ٠ ذكره النووي (١) وغيره ٠ والحمد لله رب العالمين ٠

المنتقل من معصية إلى معصية أكبر منها كالمستجير من الرمضاء بالنـــار .
والمنتقل من معصية إلى معصية، كالمنتقل من دين باطل إلى دين باطـــل .

(ابن تيمية)

المعـاصى سبب المصـائب ، والطـاعـة سبب النعمـة ، وإحسان العمل سبب لإحسان الله .

(ابن تيمية)

(١) انظر : شرح المهذب : ٣/٥٢٧ ٠

حديث تفرق الأمة

للشيخ عبد الكريم مراد
أستاذ مشارك بكلية الشريعة

قال الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني : حدثنا وهب بن بقية عن خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ٠

إسناد الحديث : وهب بن بقية شيخ أبي داؤد هو وهب بن بقية بن عثمان أبو محمد الواسطي ويقال له : وهبان ، ثقة من العاشرة روى عنه : مسلم وأبو داؤد والنسائي وخلق ، ومات سنة تسع وثلاثين ومائتين (٢٣٩ هـ) ٠

وخالـــد : هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن الطحان أبو الهيثم ويقال أيضاً أبو محمد المازني مولاهم ، ثقة ثبت من الثامنة روى له الجماعة ، ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة (١٨٢ هـ) ٠

ومحمد بن عمرو : هو محمد بن عمرو بن علقمة الليثي المدني ، صدوق له أوهام من السادسة روى له الأربعة والبخاري مقرونا بغيره ومسلم في المتابعات ومات سنة خمس وأربعين ومائة (١٤٥ هـ) ٠

وأبو سلمة : هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري قيل اسمه : عبد الله وقيل إسماعيل ، ثقة مكثر من الثالثة روى له الجماعة ومات سنة أربع وتسعين (٩٤ هـ) ٠

وأبو هريرة : هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر أبو هريرة الدوسي اليماني رضى الله عنه حافظ الصحابة ٠ اختلف في اسمه اختلافا كثيرا وكان اسمه في الجاهلية : عبد شمس ومات سنة سبع وخمسين (٥٧ هـ) ٠

قال ابن اسحاق في مغازيه : حدثني بعض أصحاب أبي هريرة أنه قال : كان اسمي في الجاهلية : عبد شمس بن صخر فسميت في الإسلام : عبد الرحمن ٠ رواه الحاكم في مستدركه (١) ٠

تخـــريج الحـــديث : أخرج حديث أبي هريرة هذا : الترمذي في باب افتراق الأمة · وابن ماجة مختصراً في باب افتراق الأمم · وابن حبان في صحيحه · والحاكم في مستدركه · وأحمد بن حنبل في مسنده · والآجرى في الشريعة · وأبو يعلى في مسنده · من طرق كلها عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً ·

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح · وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ·

قلت : والترمذي والحاكم رحمهما الله معروف تساهلهما في التصحيح ومحمد بن عمروا بن علقمة من المشهورين بالصدق ولكن لم يكن من أهل الضبط والاتقان فحديثه حسن وسبق أن البخاري روى له مقرونا بغيره ومسلم في المتابعات ·

وحديث افتراق الأمة روى عن جماعة من الصحابة منهم : معاوية بن أبي سفيان وعوف بن مالك وأنس بن مالك وعبد الله بن عمرو ·

أما حديث معاوية رضى الله عنه فأخرجه أبو داؤد والحاكم وأحمد بن حنبل بسند جيد ولفظه عند أبي داؤد : ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة ·

وفي رواية له : وإنه سيخرج في أمتى أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله ·

وأما حديث عوف بن مالك رضى الله عنه فأخرجه ابن ماجة في باب افتراق الأمم بسند جيد ولفظه : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة ·

والذى نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار . قيل يارسول الله من هم ؟ قال : الجماعة ·

وأما حديث أنس بن مالك رضى الله عنه فأخرجه ابن ماجة بلفظ : إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتى ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهى الجماعة ·

وفي إسناده : أبو عمرو عبد الرحمن بن يزيد بن تميم وهو ضعيف ·

وأما حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنه فأخرجه الترمذي والحاكم ولفظه عند عند الحاكم : ليأتينّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مثلاً بمثلٍ حذو النعل بالنعل حتى لو كان فيهم من نكح أمه علانية كان في أمتي مثله ·

وإن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين ملة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة فقيل ما الواحدة ؟ قال : ما أنا عليه اليوم وأصحابي .

وفي رواية الترمذي : وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة .

وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب .

وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقي وهو ضعيف فتحسين الترمذي للحديث لاعتضاده بما روى في الباب من أحاديث .

وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله في تهذيب السنن : حديث أنس رواه أبو إسحاق الفزاري عن الأوزاعي عن يزيد الرقاشي ورواه ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن عبد الله ابن غزوان عن عمرو بن سعد عن يزيد الرقاشي .

قلت : يزيد بن أبان الرقاشي ضعيف وعبد الله بن غزوان وشيخه عمرو بن سعد مجهولان . كذا في الميزان .

وقال السخاوي في المقاصد الحسنة بعد ما نقل قول الحاكم في مقدمة مستدركه : إنه حديث كبير الأصول وقد روى عن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو وعوف بن مالك .

قال : وروى عن أنس بن مالك وجابر وأبي أمامة وعلي وعمرو بن عوف وعويمر أبي الدرداء ومعاوية بن أبي سفيان وواثلة بن الأسقع كما بينتها في كتابي الفرق .

شـــــرح الحديث : افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة الخ . هذا شك من الراوى وقد ورد ذلك في حديث معاوية وحديث عبد الله بن عمرو من غير شك وقد تقدما .

وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، هذا من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عن غيب وقع كما قال .

والمعنى أن الأمة تفترق فرقا تتدين كل فرقة منها بخلاف ما تتدين به الأخرى . والمراد من (أمتي) أمة الإجابة .

وليس المراد بالفرق المذمومة المختلفين في فروع الفقه وإنما المقصود بالذم من خالف أهل الحق في التوحيد والقضاء والقدر وشروط النبوة والرسالة وموالاة الصحابة وما جرى مجرى ذلك لأن المختلفين في هذه الأمور يكفر بعضهم بعضاً بخلاف الفروع الفقهية فإنهم مختلفون فيها من تكفير ولا تفسيق للمخالف فيها .

فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الاختلاف (١) .

قلت وإلى ذلك يومئ قوله صلى الله عليه وسلم في حديث معاوية : وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب (٢) بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله .

وفيه إشارة أيضًا إلى أن الأهواء والبدع إذا تمكنت من النفس واستحكمت بها فصاحبها على خطر عظيم قد لا يوفق للتوبة منها كما أن داء الكلب إذا تمكن من صاحبه واستحكمت به فهو على خطر من الهلاك قد لا يشفى منه .

قال الخطابي في معالم السنن : في الحديث دليل على أن هذه الفرق كلها غير خارجة من الدين إذ جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم من أمته .

وفيه دليل على أن المتأول لا يخرج عن الملة وإن أخطأ في تأويله . اهـ .

قلت : وفي الجهمية قولان للعلماء هل هم من أهل القبلة أم لا ؟ وممن قال إن الجهمية ليسوا من فرق الأمة : عبد الله بن مبارك ويوسف بن أسباط (٣) .

وجاء في حديث غير أبي هريرة في فرق الأمة ، زيادة : كلها في النار إلا واحدة كحديث أنس بن مالك ومعاوية وعوف بن مالك وعبد الله بن عمرو وغيرهم .

والحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الصحيح لغيره ولذا قال الحاكم بعدما ساق حديث معاوية في ١٢٨/١ : هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث ووافقه الذهبي .

وأما ما قاله الشوكاني في فتح القدير ٥٦/٢ : أما زيادة : كلها في النار إلا واحدة ، فقد ضعفها جماعة من المحدثين بل قال ابن حزم : إنها موضوعة .

وكذلك ما نقله زاهد الكوثري عن ابن الوزير أنه قال في كتابه : **العواصم والقواصم** : إياك أن تغتر .

بزيادة : كلها في النار إلا واحدة ، فإنها فاسدة ولا يبعد أن تكون من دسيس الملاحدة وقد قال ابن حزم : إن هذا الحديث لا يصح .

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٩ .

(٢) الكلب : بفتح الكاف . داء يصيب الكلب بجنون . وعلامته أن تحمر عيناه . وإذا عقر هذا الكلب إنساناً عرض له من ذلك أعراض رديئة .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية .

فقد تولى الإجابة عن ذلك محدث الشام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله في السلسلة الصحيحة بما ملخصه :

ولا أدرى من الذين أشار إليهم الشوكاني بقوله : فقد ضعفها جماعة ، ؟ فإني لا أعلم أحداً من المحدثين ضعف هذه الزيادة بل إن الجماعة قد صححوها وقد سبق ذكر أسمائهم .

وأما ابن حزم فقد راجعت كتابه الفصل في الملل والنحل وقلبت مظانه فلم أعثر عليه ثم إن النقل عنه مختلف فابن الوزير قال عنه : إن الحديث لا يصح والشوكاني قال عنه : إنها موضوعة ، وشتان ما بين النقلين .

فإن صح عنه ذلك فابن حزم رحمه الله معروف عند أهل العلم بتشدده في النقد فلا ينبغي أن يحتج بقوله عند تفرده فكيف إذا خالف جماعة المحدثين ؟

وأما ابن الوزير فقد صحح حديث معاوية في كتابه القيم : **الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم** ص ٢٦٢ .

وقد روى حديث افتراق الأمة مقلوب السند والمتن بلفظ : تفترق أمتي على سبعين أو إحدى وسبعين فرقة كلهم في الجنة إلا واحدة . قالوا يارسول الله من هم ؟ قال : الزنادقة وهي القدرية . أخرجه العقيلي وابن عدى .

قال أهل العلم : هذا الحديث وضعه الأبرد بن أشرس وسرقه يسين الزيات فقلب إسناده وخلط والمعروف بلفظ : كلها في النار إلا واحدة .

قال في الميزان : قال ابن خزيمة : أبرد بن أشرس كذاب وضاع ويسين بن معاذ الزيات قال ابن حبان : يروى الموضوعات وقال البخاري : منكر الحديث .

وقد أشكل حديث افتراق الأمة على بعض الناس من جهة معناه .

والإشكال في قوله : كلها في النار إلا واحدة ، ومن المعلوم أن أمته صلى الله عليه وسلم خير الأمم والمرجو أن يكونوا نصف أهل الجنة مع أنهم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود كما كما جاء ذلك في الأحاديث فكيف يتمشى هذا ؟

وقد أجاب عن ذلك الشيخ صالح بن مهدي المقبلي في كتابه : **العلم الشامخ في الرد على الآباء والمشائخ** ص ٤١٤ .

بما ملخصه : إن الناس عامة وخاصة فالعامة آخرهم كأولهم مثل النساء والعبيد والفلاحين والسوقة ونحوهم ممن ليسوا من أمر الخاصة في شيىء فلا شك في براءة هؤلاء من الابتداع .

وأما الخاصة فمنهم مبتدع أحدث البدعة واتخذها ديناً وبلغ في تقويتها كل مبلغ وجعلها أصلًا يرد إليه نصوص الكتاب والسنة · ثم تبعه قوم من نمطه في الفقه والتعصب وربما جددوا بدعته وفرعوا عليها ولكنه إمامهم المقدم · وهؤلاء هم المبتدعة حقاً ·

ومن الناس من تبع هؤلاء وناصرهم وقوى سوادهم بالتدريس والتصنيف ولكنه في نفسه راجع إلى الحق وقد دس تلك الأبحاث نقوضها في مواضع على وجه خفي . ولعل هذا تخيل مصلحة دنيئة أو عظم عليه انحطاط نفسه وإيذاؤهم له في عرضه وربما بلغت الأذية نفسه ·

فهذا عرف الحق من الباطل وتخبط في تصرفاته وحسابه على الله إما أن يحشره مع من أحب بظاهره أو يقبل عذره ·

وما تكاد تجد أحداً من هؤلاء النظار وأهل الكلام إلا وقد فعل ذلك ·

ومن الناس من ليس من أهل التحقيق ولا هيىء للهجوم على الحقائق وقد تدرب في كلام الناس وعرف أوائل الأبحاث وحفظ كثيراً من غثاء ما حصلوه ولكن أرواح الأبحاث بينه وبينها حجاب ·

وهؤلاء الأكثرون عددا والأرذلون قدرا فإنهم لم يحظوا بخصيصة الخاصة ولا أدركوا سلامة العامة ·

فالقسم الأول مبتدع قطعاً والثاني ظاهر الابتداع والثالث له حكم الابتداع ·

وإذا حققت ما ذكرنا لك لم يلزمك السؤال المحذور وهو هلاك معظم الأمة لأن الأكثر عددا قديماً وحديثاً هم العامة · وكذلك الخاصة في الأعصار المتقدمة ·

ولعل القسمين الأوسطين وكذلك من خفت بدعته من القسم الأول تنقذهم رحمة ربك من الانتظام في سلك الابتداع بحسب المجازاة الأخروية . ورحمة ربك أوسع بكل مسلم · اهـ ·

أصـــول فـــرق أهـــل الأهـــواء :

أصول فرق أهل الأهواء والبدع ثمانية :

الأول المعتزلة : ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية وهم عشرون فرقة ·

والثاني الشيعة الشنيعة : وهم اثنتان وعشرون فرقة ترجع في الأصل إلى ثلاث فرق : الغالية والإمامية وهم الرافضة والزيدية ·

والثالث الخوارج : ويسمون الحرورية والنواصب والشراة بضم الشين وهم عشرون فرقة ·

والرابع المرجئة : والإرجاء له معنيان :
أ ـ التأخير ، تقول : أرجأت الأمر إذا أخرته ·
ب ـ إعطاء الرجاء ، تقول : أرجيت فلاناً إذا أعطيته الرجاء ·
والهمزة على الأول أصلية وعلى الثاني منقلبة عن حرف العلة .

وتسمية الجماعة مرجئة على المعنى الأول صحيح لأنهم يؤخرون العمل عن النية وعقد القلب لقولهم : إن الإيمان هو المعرفة بالله وبرسله وبما جاءت به من عند الله فقط والعمل ليس بإيمان . وتسميتهم مرجئة على المعني الثاني واضح لقولهم : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة . فقد أعطوا المؤمن العاصي الرجاء في ثواب الله . والمرجئة خمس فرق ·

والخامس النجارية : ويسمون الحسينية أتباع أبي عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار ، وافقوا أهل السنة في خلق أفعال العباد ووافقوا المعتزلة في نفي الصفات . وهم ثلاث فرق ·

والسادس الجبرية : وهم الجهمية في الصفات أتباع جهم بن صفوان السمرقندي . والجبرية لا تثبت للعبد قدرة ولا فعلًا وتقول : نسبة الأفعال إلى العبد مجاز والفاعل حقيقة هو الله تعالى . وهم فرقة واحدة ·

والسابع المشبهة : وهم غلاة المثبة الذين شبهوا الخالق بالمخلوق حكى عن بعضهم أنه قال : أعفوني عن الفرج واللحية وأسألوا عما وراء ذلك . تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً . والمشبهة فرقة واحدة ·

فهذه اثنتان وسبعون فرقة كلهم في النار والفرقة الناجية هم أهل السنة الملتزمون اتباع سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم في القليل والكثير ·

واعلم أن افتراق الأمة واختلافها في أصول العقيدة قد حدثت بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى فقد حدث في آخر أيام الصحابة خلاف القدرية من معبد الجهني وأتباعه ثم شيئاً بعد شيىء إلى أن تكاثرت الفرقة الضالة ·

وقد رسم النبي صلى الله عليه وسلم الطريق التي يسير عليها المؤمن ووضع صلى الله عليه وسلم الميزان الصحيح الذى تعرض عليه المعتقدات ليبين صحيحها من مفاسدها فما خالف منها ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم فهو مردود على صاحبه غير مقبول منه ·

وذلك يقتضي من كل مؤمن أن لا يأبه لما تزعمه كل فرقة وتدعيها لنفسها من أنها الناجية ومن عداها هالك ٠

فما من فرقة حتى الذين ألهوا البشر إلا وتتبجح بأنها على الحق ٠

فاعرض ياأخي المؤمن كل ما تسمع على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فما وافقهما فهو الحق الذى يجب أن تعض عليه بالنواجذ ولا تفارقه إلى أن تلقي ربك سبحانه . أللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ٠ وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه إنك ولي ذلك والقدير عليه ٠

وصلى الله وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه الى يوم الدين ٠

العلم والمـــال

كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول :

العلم خير من المال ، لأن المال تحرسه والعلم يحرسك ، والمال تفنيه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ...

مات خزَان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة ...

مكانة أهل الحديث ومآثرهم وآثارهم الحميدة في الدين

للدكتور ربيع هادي مدخلي
أستاذ مساعد بكلية الحديث الشريف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعـد ـ فإن الله بعث محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

وإن أسعد الناس بهديه واتباعه وحبه وموالاته ونصرة ما جاء به من الحق هم صحابته الكرام ومن اتبعهم بإحسان من القرون المفضلة . ومن سلك سبيلهم وترسم خطاهم إلى يوم الدين .

ثم إن من يدرس أحوال السابقين واللاحقين من الفرق المنتسبة إلى أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويدرس مناهجهم وعقائدهم وأفكارهم بانصاف وفهم وتجرد يجد أن أهل الحديث هم أشدُّ الناس اتباعاً وطاعة وتعلقاً وارتباطاً بما جاءهم به نبيهم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتاباً وسنة في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم ودعوتهم واستدلالهم واحتجاجهم وهم على غاية من الثقة والطمأنينة بأن هذا هو المنهج الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأنه الطريق السليم والصراط المستقيم .

وما عدا ذلك من المناهج والسبل فأمر لم يشرعه الله ولم يرض به ولا يؤدي إلا إلى الهلاك والعطب .

فمـــن هـــم أهـــل الحـــديث إذا ؟

هم من نهج نهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان في التمسك بالكتاب والسنة والعض عليهما بالنواجذ وتقديمهما على كل قول وهدى سواء في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق أو االسياسة والاجتماع .

فهم ثابتون في أصول الدين وفروعه على ما أنزله الله وأوحاه على عبده ورسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وهم القائمون بالدعوة إلى ذلك بكل جد وصدق وعزم . وهم الذين يحملون العلم النبوي وينفون عنه تحريف المغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

فهم الذين وقفوا بالمرصاد لكل الفرق التي حادت عن المنهج الإسلامي ، كالجهمية والمعتزلة والخوارج والروافض والمرجئة والقدرية ، وكل من شذ عن منهج الله واتبع هواه في كل زمان ومكان لا تأخذهم في الله لومة لائم .

هم الطائفة التى مدحها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزكاها بقوله : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة » .

هم الفرقة الناجية الثابتة على ما كان عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ، الذين ميزهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحددهم عندما ذكر أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، فقيل : من هم يارسول الله ؟ قال : من كان على ما أنا عليه وأصحابي » .

لا نقول ذلك مبالغة ولا دعاوى مجردة ، وإنما نقول الواقع الذي تشهد له نصوص القرآن والسنة ، ويشهد له التاريخ وتشهد به أقوالهم وأحوالهم ومؤلفاتهم .

هم الذين وضعوا نصب أعينهم قول الله تعالى : **(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)** (آل عمران : ١٠٣) .

وقوله : **(فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)** (النور : ٦٣) . فكانوا أشد الناس بعداً عن مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وأبعدهم عن الفتن .

وهم الذين جعلوا دستورهم **(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما)** (النساء : ٦٥) .

فقدروا نصوص القرآن والسنة حق قدرها وعظموها حق تعظيمها فقدموها على أقوال الناس جميعاً وقدموا هديها على هدى الناس جميعاً واحتكموا إليها في كل شأن عن رضى كامل وصدور منشرحة بلا ضيق ولا حرج وسلموا لله ولرسوله التسليم الكامل في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم .

هم الذين يصدق فيهم قول الله : **(انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسولـه ليحكم بينهم أن يقولـوا سمعنـا وأطعنـا وأولئك هم المفلحـون)** (النور : ٥١) ٠

هم بعد صحابة رسول الله جميعا وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون هم سادة التابعين وعلى رأسهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلي بن الحسين زين العابدين ومحمد بن الحنفية وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وسالم بن عبد الله بن عمر والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق والحسن البصري ومحمد بن سيرين وعمر بن عبد العزيز ومحمد ابن شهاب الزهري ثم اتباع التابعين وعلى رأسهم مالك والأوزاعي وسفيان بن سعيد الثوري وسفيان بن عينة وإسماعيل بن علية والليث بن سعد وأبو حنيفة النعمان ٠

ثم اتباع هؤلاء وعلى رأسهم عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح والإمام محمد بن أدريس الشافعي وعبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد القطان وعفان بن مسلم ٠

ثم تلاميذ هؤلاء الذين سلكوا منهجهم وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني ٠

ثم تلاميذهم كالبخاري ومسلم وأبي حاتم وأبي زرعة وأبي داود والترمذي والنسائي ٠

ثم من جرى مجراهم في الأجيال بعدهم كابن جرير وابن خزيمة والدارقطني في زمنه والخطيب البغدادي وابن عبد البر النمري ٠

وعبد الغني المقدسي وابن قدامة وابن الصلاح وابن تيمية والمزى والذهبي وابن كثير واقران هؤلاء في عصوهم ومن تلاهم واقتفى أثرهم في التمسك بالكتاب والسنة الى يومنا هذا ٠

هؤلاء الذين أعنى بهم أهل الحديث ٠

جهـودهم في خدمـة السـنة عمومـاً :

لقد شرف الله أهل الحديث وأكرمهم بحب السنة النبوية المطهرة واحترامها والأهتمام بها ، واعتبارها مع القرآن مصدراً وحيداً لتعاليم الإسلام العقائدية والتشريعية في العبادات والمعاملات وسائر جوانب الحياة فشمروا عن ساعد الجد في حفظها والحفاظ عليها وتدوينها والرحلات الطويلة الشاقة في سبيلها وتمييز صحيحها من سقيمها ٠

وتدوين أسماء رواتها وبيان أحوالهم من عدالة وضبط واتقان أو ضعف وكذب وتدليس وغير ذلك من أحوالهم من أنواع الجرح والتعديل مما يتعلق بالأسانيد والمتون بدون مجاملة

لأحد لا تأخذهم في الله لومة لائم وتلك ميزة خاصة لأمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ امتازت بها على سائر الأمم حققها الله على أيدي أئمة أهل الحديث الذين أبدوا من الكفاءات العلمية المدهشة ما لا يلحقهم ولا يدانيهم فيها أهل أي علم من العلوم ·

وبرهنت أعمالهم وجهودهم وما خلفوه من تراث عظيم على عبقريات عظيمة وقرائح متوقدة وعقول خصبة قادرة على تشقيق علوم الحديث وتنويعها إلى حد تحار فيه الألباب ·

من هـذا الانتاج العظيم أنـواع المـؤلفات الآتي ذكرهـا :

١ ـ الجـوامع ·

٢ ـ المسـانيد ·

٣ ـ والصحـاح ·

٤ ـ السـنن ·

٥ ـ المسـتخرجات ·

٦ ـ كتب مفردة في أبواب مخصوصـة ·

ككتب في رؤية الله في الآخرة وكتب في الإخلاص والتوحيد · والطهور والسواك والأذان وصفة الصلاة ·

٧ ـ كتب مفردة في الآداب والأخلاق والترغيب والترهيب ·

٨ ـ كتب في التفسـير ·

٩ ـ كتب في المصاحف والقـراءات ·

١٠ ـ كتب في الناسـخ والمنسـوخ ·

١١ ـ كتب في الأحـاديث القدسـية ·

١٢ ـ كتب في المراسـيل ·

١٣ ـ الأجزاء عندهم تأليف الأحاديث المروية عن رجل واحد من الصحابة أو من بعدهم ·

١٤ ـ الفـوائـد ·

١٥ ـ الوحـدانيات ·

١٦ ـ الثنائيات والثلاثيات إلى العشاريات ·

١٧ ـ كتب في الشمائل والسير والمغازي ·

١٨ ـ كتب في أحاديث شيوخ مخصوصين ·

١٩ ـ كتب في جمع طرق بعض الأحاديث ·

٢٠ ـ كتب في رواة بعض الأئمة أو في غرائب حديثهم ·

٢١ ـ كتب في الأحاديث الأفراد ·

٢٢ ـ كتب في المتفق والمفترق وفي المؤتلف والمختلف · وكتب في المتشابه ·

٢٣ ـ كتب في معرفة الأسماء والكني والألقاب ·

٢٤ ـ كتب في مبهم الأسانيد أو المتون ·

٢٥ ـ كتب في الأنساب ·

٢٦ ـ كتب في معرفة الصحابة ·

٢٧ ـ كتب في تواريخ الرجال وأحوالهم ·

٢٨ ـ كتب المعاجم ·

٢٩ ـ كتب الطبقات ·

٣٠ ـ كتب في علوم الحديث أى مصطلحه ·

٣١ ـ كتب في الضعفاء وكتب في الثقات وكتب فيهما ·

٣٢ ـ كتب في العلل ·

٣٣ ـ كتب في الموضوعات ·

٣٤ ـ كتب في بيان غريب الحديث ·

٣٥ ـ كتب في اختلاف الحديث ·

٣٦ ـ كتب في الأمالى ·

٣٧ ـ كتب في رواية الأكابر عن الأصاغر ·

٣٨ ـ كتب في أدب الرواية ·

٣٩ ـ كتب في العوالي ·

٤٠ ـ كتب في الأطراف أى أطراف الأحاديث ·

٤١ ـ كتب في الزوائد ·

٤٢ ـ كتب في الجمع بين بعض الكتب الحديثية ·

فهذه هي بعض المجالات التى كان يخوضها علماء الحديث والأثر تأليفاً ودراسة وهو يدل على همم عالية وعقول متفتحة خصبة واسعة الأفاق وإذا كان يحق للأمة أن ترفع رؤوسها وتعتز بأسلافها فبهؤلاء العباقرة وبعلومهم الواسعة النافعة وعقولهم النيرة المتفتحة ، في الوقت الذى كان غيرهم ولا يزال يبذلون جهودهم في الحجر على العقول ودفع الأمة إلى الجمود القاتل المؤدي إلى الهلاك والضياع والفناء ·

جهودهم الخاصة بالعقيدة والدعوة الى الكتاب والسنة والتثبيت عليهما والدفاع عنهما :

كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ومن سلك منهجهم واتبعهم بإحسان في عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم ، مؤمنين إيماناً كاملاً بما جاء في كتاب الله المجيد وسنة رسوله المطهرة في باب أسماء الله وصفاته المقدسة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل وكذلك في الإيمان بالقدر والجنة والنار وعذاب القبر ونعيمه وسائر المعتقدات التى حصل فيها الإنحراف من بعض الفرق والله الخالق العليم الحكيم ـ قد فطر الناس وأعدهم وهيأهم وأعطاهم عقولاً تناسب الحق وتوافقه وانزل اليهم كتباً تتضمن من العقائد والشرائع ما يوافق العقول السليمة والفطر الصحيحة التى سلمت من الإنحراف والفساد ٠ فيتلقي حواريو الأنبياء ومن ورثهم بحق واتبعهم بإحسان ما جاء به الرسل والكتب بالإيمان والتسليم ٠

وهذا كان موقف الصحابة الكرام ومن اتبعهم بإحسان ٠

ولما ذرت قرون شياطين البدع وقفوا لهم بالمرصاد فضللوهم وبدعوهم وكفروا من يستحق التكفير وقتلوا بعض رؤساء البدع والفتن والزندقة ثم ردوا في مقالاتهم ومؤلفاتهم على أهل البدع وبينوا خطرها وضررها على الإسلام والمسلمين ٠

وثبتوا المسلمين على كتاب ربهم وسنة نبيهم وبينوا لهم أن الواجب عليهم الاعتصام بكتاب ربهم وسنة نبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومنابذة الأهواء وأهلها ٠ إيمانا منهم أن القرآن والسنة كافيان غاية الكفاية في كل ما يجب على المرء الإيمان به واعتقاده كفيلان بهداية الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة ٠ وأن الضلال والشقاء في الدنيا والآخرة في مخالفتهما فاستناداً إلى ما جاء في الكتاب والسنة من وجوب اتباع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وطاعته والانقياد له وايجاب رد ما تنازع الناس فيه إلى الله والرسول والوعيد الشديد لمن خالف هذا المنهج وشرع في الدين ما لم يأذن به الله ٠

ومن تحذير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من البدع وذمه لها وحكمه على كل بدعة أنها ضلالة وأنها مردودة لا يقبلها الله ٠

قام من لحقتهم هذه الفتن من الصحابة بقمع أهلها والرد عليهم فقام علي ـ رضي الله عنه ـ بقتل الخوارج وروى هو وغيره من الصحابة عن رسول الله ما يحض على قتلهم وأنه من أفضل ما يقرب إلى الله ٠

واحرق غلاة الشيعة بالنار حينما غلوا فيه ورفعوه إلى درجة الألوهية ٠

ولما بلغ عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن قوماً ينفون القدر وأن الأمر عندهم أنف قال لمن اخبره بهم : « إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني برىء منهم وانهم مني برآء والذي

نفسي بيده لو أن لأحدهم مثل احد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبل الله منه شيئاً حتى يؤمن بالقدر خيره وشره » ٠

وسئل مالك عمن يقول « القرآن مخلوق ، قال : هو عندي كافر فأقتلوه ٠ وعن ابن المبارك والليث بن سعد وابن عيينة وهشيم وعلي بن عاصم وحفص بن غياث ووكيع بن الجراح مثله (١) » ومثله عن النووي ووهب بن جرير ويزيد بن هارون (٢) ٠ وقيل لعبد الرحمن بن مهدي : إن الجهمية يقولون : إن القرآن مخلوق ٠

فقال : « إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الرحمن على العرش استوى » وأرادوا أن ينفوا أن يكون القرآن كلام الله أرى أن يستتابوا والا ضربت أعناقهم (٣) ٠

وقال الربيع بن سليمان المرادي صاحب الشافعي : « لما كلم حفص الفرد الشافعي فقال حفص القرآن مخلوق فقال له الشافعي - رضي الله عنه - « كفرت بالله العظيم (٤) » ٠

وسئل مالك عن الاستواء فقال : « الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وما أراك الا صاحب بدعة وأمر به فأخرج وكان يقول : إن الله في السماء ٠ وأخرج رجلاً من حلقته لأنه مرجىء ٠

وقال سعيد بن عامر : « الجهمية أشر قولاً من اليهود والنصارى ٠ قد اجتمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان أن الله تبارك وتعالى على العرش وقالوا هم : ليس على العرش شيىء » (٥) ٠

وقال ابن المبارك لا نقول كما قالت الجهمية إنه في الأرض ها هنا بل على العرش استوى ٠

وقيل له : كيف نعرف ربنا ؟

قال : فوق سماواته على عرشه ... وإنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية (٦) ٠

وقال البخاري : « نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأيت أضل في كفرهم منهم وإني لأستجهل من لا يكفرهم إلا من لا يعرف كفرهم (٧) » ٠

---

(١) شرح السنة للبغوى (١/١٨٧) .
(٢) خلق أفعال العباد ص ١١٩ تحقيق على سامي النشار .
(٣ ، ٤) شرح السنة للبغوي (١/١٨٧) .
(٥ ، ٦) خلق أفعال العباد ص ١٢٠ .
(٧) خلق أفعال العباد ص ١٢٢ .

ونقل الإمام البخاري أقوال كثير من الأئمة في تضليل وتكفير الجهمية في انكارهم ان الله في السماء وفي قولهم ان القرآن مخلوق . (راجع خلق أفعال العباد له) .

وخرج البيهقي بسند جيد عن الأوزاعي قال : كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله على عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته .

وأسند اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التى جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير فمن فسر شيئاً منها وقال بقول جهم فقد خرج عما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وفارق الجماعة لأنه وصف الرب بصفة لا شيء .

وأخرج ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي عن يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول : لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر وأما قبل قيام الحجة ، فإنه يعذر بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر فنثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال : « ليس كمثله شيىء » (انظر فتح الباري (٤٠٦/١٣ - ٤٠٧) .

وروى الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفي سنة ٢٧٩ في جامعه حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - « أن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره حتى أن اللقمة لتصير مثل احد » .

وقال عقبه : هذا حديث حسن صحيح .

وروي عن عائشة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - نحو هذا ثم قال : « وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا قالوا قد ثبتت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم ولا يقال كيف ؟

هكذا روى عن مالك وسفيان بن عيينه وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث امروها بلا كيف وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة .

وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا : هذا تشبيه وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر . فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم وقالوا : إن الله لم يخلق آدم بيده وقالوا : إن معنى اليد هاهنا القوة .

وقال إسحاق بن إبراهيم إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيد أو سمع كسمع أو مثل سمع ، فإذا قال : سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه .

وإما إذا قال كما قال الله تعالى يد وسمع وبصر ولا يقول كيف ولا يقول مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيهاً ·

وهو كما قال الله تعالى : في كتابه : ليس كمثله شيىء وهو السميع البصير » (الترمذي كتاب الزكاة عقب حديث ٦٦٢ جـ ٣ ص ٤٣ طبعة الحلبي) ·

وروى أيضا حديث الحسن البصري عن أبي هريرة مرفوعاً في السماوات والمسافات بينها وان العرش فوقها وذكر الأرضين والمسافات بينها ثم قال هذا حديث غريب من هذا الوجه · ثم اثبت استواء الله على عرشه فقال :

« وهو على العرش كما وصف في كتابه (٤٨ ـ كتاب التفسير حديث ٣٢٩٨) (٤٠٤/٥) طبعة الحلبي ·

أما المؤلفات في نصرة العقيدة والرد على أهل البدع فهي كثيرة لا تحصى نذكر منها ما يأتي :

ألف الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والحديث المتوفي سنة ٢٤١ هـ : كتاب : **الرد على الجهمية والزنادقة** · وألف كتاب : **السـنة** · وألف ابنه عبد الله كتاب : **السـنة** ·

وألف أبو بكر بن أبي شيبة المتوفي سنة ٢٣٥ هـ كتاب : **الإيمـان** ·

وألف الإمام البخاري المتوفي سنة ٢٥٦ هـ : كتاب : **خلق أفعال العباد** ضمنه الرد على الجهمية المعطلة لصفات الله والقائلين بخلق القرآن ·

وضمن كتابه الجامع الصحيح ثلاثة كتب في هذا المجال : كتاب : **الإيمان** وضمنه الرد على المرجئة · وكتاب : **التوحيد** وضمنه الرد على معطلة الجهمية · وكتاب : **الاعتصام** وضمنه وجوب اتباع الكتاب والسنة وضمنه الرد على أهل الرأى المفرقين في القياس والرد على منكري حجية خبر الأحاد ·

وألف أبو داود كتابه : **السـنن** وأدخل فيه كتاب السنة وضمنه الرد على القدرية والمرجئة والجهمية المعطلة وهو يضع تراجم واضحة بأسماء هذه الفرق كقوله بباب الرد على الجهمية في موضعين من كتاب السنة في الموضوع الأول رد عليهم انكار استواء الله على العرش وفي الموضوع الثاني رد عليهم انكار النزول ·

ووضع الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه مقدمة لكتابه **السـنن** في اتباع سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ استغرقت ٩٨ صفحة وضمنها ستة وستين حديثاً ومائتي حديث · وضمنها أبواباً كثيرة من جملتها باب فيما انكرت الجهمية ذكر فيه انكارهم

الرؤية والكلام والاستواء على العرش وساق أحاديث في الرد عليهم وذكر الخوارج وغيرهم من المبتدعة وعقد باباً في اجتناب الرأي .

وألف عثمان بن سعيد الدارمي المتوفي سنة ٢٨٠ هـ كتاب : **الرد على الجهمية** . وكتاب : **الرد على بشر المريسي** .

وصنف أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي المتوفي سنة ٢٩٢ هـ كتاب : **السنة** .

وصنف أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري المتوفي سنة ٣٦٠ هـ كتاب : **الشريعة** . وكتاب : **التصديق بالنظر إلى وجه الله وما أعد لأوليائه** .

وألف أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشافعي الطبراني صاحب التصانيف المتوفي سنة ٣٦٠ هـ كتاب : **السنة** .

وألف الإمام أحمد بن محمد بن هانىء أبو بكر الأثرم المتوفي سنة ٢٧٣ هـ كتاب : **السنة** .

وألف الإمام أبو علي حنبل بن اسحاق الشيباني ابن عم الإمام أحمد بن حنبل وتلميذه المتوفي سنة ٢٧٣ هـ كتاب : **السنة** .

وألف الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال مؤلف علم أحمد وجامعه المتوفي سنة ٣١١ هـ كتاب : **السنة** وهو في ثلاث مجلدات .

وألف الإمام أبو الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني ذو التصانيف المتوفى سنة ٣٦٩ هـ كتاب : **السنة** .

وألف أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل الشيباني المتوفي سنة ٢٨٧ هـ كتاب : **السنة** .

وصنف أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي الواعظ المعروف بابن شاهين الحافظ الكبير ذو التصانيف العجيبة المتوفي سنة ٣٨٥ هـ كتاب : **السنة** .

وصنف الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفي سنة ٣٢٤ هـ كتاب : **الابانة** . وكتاب : **الموجز** على طريقة أهل الحديث في اثبات الصفات وضمنه الرد على الجهمية وغيرهم من فرق التعطيل .

وألف الإمام الحافظ خشش بن اصرم المتوفي ٢٥٣ هـ كتاب : **الاستقامة والرد على أهل البدع** .

وألف إمام الأئمة محمد بن اسحاق بن خزيمة المتوفي سنة ٣١١ هـ كتاب : **التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل** .

وألف إمام المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠ هـ **عقيدة على منهج أهل الحديث** وجرى في تفسيره الكبير الشهير على المنهج نفسه ٠

وصنف أبو عبد الله محمد بن يحى بن مندة الحافظ الرحال المتوفي سنة ٣٠١ هـ كتاب : **السـنة ٠**

وصنف الإمام أبو بكر أحمد بن اسحاق الشافعي النيسابوري المتوفي سنة ٣٤٢ هـ المعروف بالصبغي كتاب : **الأسماء والصفات ٠** وكتاب : **الإيمان بالقدر ٠**

وألف أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم العسال الأصبهاني المتوفي سنة ٣٤٩ هـ كتاب : **السنة ٠**

وألف أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي المتوفي سنة ٣٧٧ هـ كتاب : **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ٠**

وصنف الإمام الحافظ الكبير أمير المؤمنين في الحديث أبو الحسن على بن عمر الدارقطني المتوفي سنة ٣٨٥ هـ كتاب : **الصفات ٠** وكتاب : **النزول ٠** وكتاب : **الرؤية ٠**

وألف الإمام الحافظ عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري المتوفي سنة ٣٨٧ هـ كتاب : الابانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، والإبانة الصغرى ، والسنة ٠

وألف الإمام الحافظ الجوال صاحب التصانيف الكثيرة محمد بن اسحاق بن يحى بن مندة المتوفي سنة ٣٩٥ هـ كتاب : **التوحيد ، وكتاب الإيمان ٠**

وألف الإمام الزاهد شيخ الإسلام أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي المتوفي سنة ٤٩٠ هـ كتاب : **الحجة في مجلد ٠**

وألف الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي محدث بغداد المتوفي سنة ٤١٨ هـ كتاب : **شرح أصول السنة ٠**

وألف الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني المتوفي سنة ٤٣٨ هـ **رسالة في اثبات الاستواء والفوقية ٠**

وألف الإمام الكبير أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي المتوفي سنة ٤٨١ هـ كتاب : **الفاروق في صفات الله ٠** وكتاب : **ذم الكلام ٠**

وألف الإمام الزاهد شيخ الإسلام أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي المتوفي سنة ٤٩٠ هـ كتاب : **الحجة في مجلد ٠**

وافتتح الإمام محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي المتوفي سنة ٥١٦ هـ كتابه : **شرح السنة ٠ بكتاب الإيمان** من ص ٧ ـ ٢٣١ ضمنه الأبواب الآتية :

١ ـ باب الإيمان بالقدر ٠ ٢ ـ باب وعيد القدرية ٠ ٣ ـ باب الرد على

الجهمية ٠ ٤ ـ باب الرد على من قال بخلق القرآن ٠ ٥ ـ باب الاعتصام بالكتاب والسنة ٠ ٦ ـ باب رد البدع والأهواء ٠ ٧ ـ باب مجانبة أهل الأهواء ٠

ونهج في كتابه التفسير نهج أهل الحديث والسنة في اثبات الصفات ومخالفة أهل الأهواء في ذلك ٠

وألف العلامة أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي صاحب شيخ الإسلام الهروي المتوفي سنة ٥٣٢ هـ **عقيدة على منهج السلف ٠**

وألف الإمام الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الطلحي الأصبهاني المتوفي سنة ٥٣٥ هـ كتاب : **الحجة في بيان المحجة على منهج أهل الحديث ٠**

وألف الإمام الحافظ محدث الإسلام عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي الحنبلي صاحب التصانيف المتوفي سنة ٦٠٠ هـ كتاباً **في الصفات في جزئين** تذكرة الحفاظ / ١٣٧٤/٤ ٠

وألف الإمام شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ المتوفي سنة ٧٢٨ هـ عدداً من الكتب في : **العقيدة والدعوة إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة ، ومحاربة البدع ، كالعقيدة الواسطية ، والعقيدة الحموية ، والعقيدة التدمرية ، واقتضاء الصراط المستقيم ، ومنهاج السنة ، والرد على البكري ، والرد على الاخنائي ، والفتاوى ، وكلها تهدف إلى العودة بالأمة الإسلامية إلى الكتاب والسنة وإلى منهج السلف الصالح ٠**

وألف تلميذه الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ المتوفي سنة ٧٥١ هـ كتاب : **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** ، وكتاب : **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ٠**

والقصيدة النونية في مجال العقيدة ٠ وأعلام الموقعين في باب الاعتصام بالسنة ٠

وألف الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفي سنة ٧٤٨ هـ كتاب : العلو للعلي الغفار جمع فيه نصوص الكتاب والسنة في علو الله وما بلغه من أقوال الصحابة والتابعين وأئمة الحديث وأئمة الفقه وأتباعهم إلى عصره ٠

وألف العلامة القاضي صدر الدين علي بن علي بن أبي العز الحنفي الصالحي الدمشقي المتوفي سنة ٧٩٢ هـ رسالة سماها **الاتبـــاع** موضوعها وجوب اتباع السنة كما شرح

العقيدة الصحاوية على منهج أهل الحديث في الصفات والقرآن والقدر وغيرها من العقائد الإسلامية ·

ثم كانت حركات الدعوة إلى الكتاب والسنة وتصحيح العقائد ومحاربة البدع في العالم الإسلامي · كحركة الصنعاني والشوكاني في اليمن ·

وحركة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية وحركة أهل الحديث في الهند امتداداً لدعوة أهل الحديث ومنهجهم وهي لا تزال قائمة إلى قيام الساعة كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم « لاتزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم الى قيام الساعة » ·

• • • • •

يرزق الله العلم السعداء ويحرمه الاشقياء

عن عبد الرزاق ، قال :

سمعت سفيان الثورى يقول لرجل من العرب :

« ويحكم ، اطلبوا العلم ، فإنى أخاف أن يخرج العلم من عندكم فيصير إلى غيركم ، فتذلون ···

اطلبوا العلم ، فإنه شرف في الدنيا وشرف في الآخرة »

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه ، قال :

« يرزق الله العلم السعداء ، ويحرمه الأشقياء » ·

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه :

« يا بنى ، تعلموا العلم ، فإن استغنيتم كان لكم كمالاً ، وإن افتقرتم كان لكم مالاً »

وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول :

« زيادة العلم : الا بتغاء ، ودرك العلم : السؤال ··· فتعلم ما جهلت ، واعمل بما عملت » ···

(جامع بيان العلم وفضله)

قال رسول الله ﷺ :

« لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل بأرض فلاة دوية مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فنزل عنها فنام وراحلته عند رأسه فاستيقظ وقد ذهبت ، فذهب فى طلبها فلم يقدر عليها حتى أدركه الموت من العطش ، فقال : والله لأرجعن فلأموتن حيث كان رحلى ، فرجع فنام ، فاستيقظ ، فإذا راحلته عند رأسه ، فقال : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح »

متفق عليه .

العقيدة



بيان مذهب أهل السنة في الاستواء وسائر الصفات

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد :

فقد اطلعت أخيراً على ما نشر في مجلة البلاغ بعددها رقم ٦٣٧ من اجابة الشيخ أحمد محمود دهلوب على السؤال الآتي : ما تفسير قوله تعالى ﴿استوى على العرش﴾ وجاء في هذه الاجابة جملة نسبها إلى السلف وهي قوله : (وقال أهل السلف استوى على العرش استوى عليه وملكه كقولهم :

استوى بشر على العراق ... من غير سيف أو دم مهراق

وحيث إن هذه النسبة الى السلف غلط محض . احببت التنبيه على ذلك لئلا يغتر من يراها فيظنها من قول العلماء المعتبرين . والصواب أن هذا التفسير هوتفسير الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم في نفي الصفات وتعطيل الباري سبحانه وتعالى عما وصف به نفسه من صفات الكمال . وقد أنكر علماء السلف رحمهم الله مثل هذا التأويل وقالوا إن القول في الاستواء كالقول في سائر الصفات وهو إثبات الجميع لله على الوجه اللائق به سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . قال الإمام مالك رحمه الله : (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة) .

وعلى هذا درج علماء السلف من أهل السنة والجماعة رحمهم الله . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالة الحموية (فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى وهو فوق كل شيء وهو عال على كل شيء ، وأنه فوق العرش ، وأنه فوق السماء مثل قوله تعالى : **﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾** . **﴿إني متوفيك ورافعك إليّ﴾** . **﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾** . **﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً﴾** . **﴿بل رفعه الله إليه﴾** . **﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾** . **﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾** . **﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾** . **﴿ثم استوى على العرش﴾** . في سبعة مواضع إلى أن قال إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصي إلا بالكلفة . وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى إلا

بالكلفة مثل قصة معراج الرسول إلى ربه ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه وقوله فى الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار . ﴿**فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم**﴾ وفى الصحيح فى حديث الخوارج (ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحاً ومساء) إلى أن قال (إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله مما هو أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التى تورث علماً يقيناً من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش وأنه فوق السماء كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية والإسلام إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته، ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين أو الوفاً) الخ أ. هـ .

وبما ذكرناه يتضح للقراء أن ما نسبه أحمد محمود دهلوب إلى السلف من تفسير الاستواء بالاستيلاء غلط كبير وكذب صريح لا يجوز الالتفات إليه، بل كلام السلف الصالح في ذلك معلوم ومتواتر، وهو ما أوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من تفسير الاستواء بالعلو فوق العرش، وأن الإيمان به واجب، وأن كيفيته لا يعلمها إلا الله سبحانه. وقد روى هذا المعنى عن أم سلمة أم المؤمنين وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ مالك رحمه الله وهو الحق الذي لا ريب فيه وهو قول أهل السنة والجماعة بلا ريب. وهكذا القول في باقي الصفات من السمع والبصر والرضى والغضب، واليد والقدم والأصابع والكلام والإرادة وغير ذلك. كلها يقال فيها إنها معلومة من حيث اللغة العربية، فالإيمان بها واجب والكيف مجهول لنا لا يعلمه إلا الله سبحانه مع الإيمان أن صفاته سبحانه كلها كاملة، وأنه سبحانه لا يشبه شيئاً من خلقه، فليس علمه كعلمنا ولا يده كأيدينا ولا أصابعه كأصابعنا ولا رضاه كرضانا إلى غير ذلك كما قال سبحانه: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع العليم**﴾ وقال تعالى: ﴿**قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد**﴾ وقال تعالى: ﴿**هل تعلم له سمياً**﴾ والمعنى انه لا أحد يساميه سبحانه أى يشابهه وقال عز وجل: ﴿**فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة والواجب على المؤمن التمسك بما أخبر الله به ورسوله ودرج عليه سلف الأمة من الصحابة رضى الله عنهم وأتباعهم بإحسان، والحذر من مقالات أهل البدع الذين أعرضوا عن الكتاب والسنة وحكموا أفكارهم وعقولهم فضلوا وأضلوا. والله المسئول أن يحفظنا وجميع المسلمين من مضلات الفتن وأن يعيذنا وسائر المسلمين من نزغات الشيطان واتباع خطواته إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن تبع هديه ووالاه ، وبعـد :

فإذا توهم بعض الناس أن الكتابة فى أسماء الله عز وجل أمر لا أهمية له وزعموا أنهم جميعاً يعرفون الله تعالى ، ولا حاجة لهم الى مثل هذه الموضوعات .

فأقـول : وهل يعرف ربه من يجهل ربه بأسمائه الحسنى وصفات كماله العليا التى اختارها هو سبحانه لنفسه وجعلها لنا سبيلا الى التعرف عليه جل وعلا ؟

وهل يستطيع أن يعبد ربه ويجرد له عبادته من لم يتعرف على ربه ولم يعلم له اسماً ولاصفة ؟

وإلا فليدلنى أولئك الزاعمون : ممن يطلب الواحد منهم الرزق مثلاً إن لم يكن يعرف أن من أسماء ربه سبحانه : الرزاق ، ومن صفاته صفة الرزق ؟ وممن يطلب المغفرة إن لم يكن يعرف أن من أسماء ربه سبحانه : الغافر والغفار ، ومن صفاته صفة المغفرة ؟ وهكذا .

ان معـرفـة العبـد أسماء ربه الحسنى وصفات كماله العليا له شأن عظيم ، ومن روائع ما ذكـره الامـام ابن القيم ـ رحمـه الله ـ فى أهميـة التعـرف على الله تعـالى بأسمائه وصفاته وأفعـالـه قولـه : **[لا حياة للقلوب ، ولا سرور ، ولا لذة ، ولا نعيم ، ولا أمان ، إلا بأن تعرف ربها ، ومعبودها ، وفاطرها ، بأسمائه وصفاته ، وأفعاله ، ويكون ذلك أحب إليها مما سواه ، ويكـون سعيهـا فيـما يقربها إليه . ومن المحال أن تستقل العقول البشرية بإدراك ذلـك على التفصيـل ، فاقتضت حكمـةُ العزيز العليم بأن بعث الرسل به مُعَرِّفين ، وإليه داعـين ، ولمن أجـابهم مبشـرين ، ولمن خالفهم منـذرين ، وجعـل مفتـاحَ دعوتهم وزبدة**

رسـالتهم معـرفـةَ المعبـود سبحـانـه بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله . وعلى هذه المعرفة تنبنى مطـالبُ الـرسـالـة جميعهـا ، فإن الخوفَ والرجاءَ ، والمحبة والطاعةَ والعبوديةَ تابعةٌ لمعرفة المرجُوّ ، المخُوف ، المحبُوب ، المُطاع ، المعبُود .

ولمـا كان مفتـاحُ الـدعوة معرفةَ الربِّ تعالى ، قال أفضلُ الداعين إليه رسولُ الله ﷺ لمعاذ بن جبل ، وقد أرسله الى اليمن : (إنك تأتى قوماً من أهل الكتاب ، فليكنْ أول ما تدعوهم اليه شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فاذا عرفوا الله ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات فى اليوم والليلة . . . الحديث) .

وهو فى الصحيحين ـ واللفظ لمسلم [1] .]

ثم قال الامام ابن القيم ـ رحمه الله ـ : [**والمقصود أن الله تعالى أكمل للرسول ولأمته به دينهم ، وأتم عليهم به نعمتـه . ومحـال مع هذا أن يَدَعَ ما خُلِقَ له الخلقُ ، وأُرسلت به الرسلُ ، وأُنزلت به الكتبُ ، ونُصِبَتْ عليه القِبْلةُ ، وأُسِّسَتْ عليه المِلَّةُ ، وهو باب الايمان بالله ، ومعرفته ومعرفة أسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ملتبساً مشتبِهاً حقُّهُ بباطله ، لم يتكلم فيه بما هو الحق بل تكلم بما هو الباطل ، وأن الحق فى إخراجه عن ظاهره . فكيف يكون أفضل الـرسـلِ وأجـلُّ الكتب غيرَ وافٍ بتعـريف ذلك على أتم الوجوه ؟ مبين له بأكمل البيان ؟ موضـح له غايـة الايضـاح ؟ مع شِدَّة حاجـة النفـوس إلى معرفته ، وهو أفضل ما اكتسبته النفوس ، وأجلُّ ما حصلته القلوب ؟ [2]] .**

بعـد هذا التقـديم ، أعـود إلى اتمـام ما بدأتـه من الكلام على أسماء الله الحسنى ، سائلا الله عز وجل أن يلهمنى الرشاد . **فأقول :**

المــؤمن :

هو اسم من أسماء الله عز وجل . وهو من (آمن) عباده من أن يظلمهم .
وأصل (آمَنَ) : (أأَمَنَ) بهمزتين لُيِّنت الثانية [3] .

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة جـ١ ص ٤ ، ٥
(٢) المرجع السابق ص ٧
(٣) مختار الصحاح فى مادة (أ و ن) .

وقيـــل : المؤمن : هو الـذى يَصْـدُق عبادَه وعْدَه : فهو من الإيمان : التصديق ، أو يؤمنهم فى القيامة من عذابه ، فهو من الأمان ، والأَمْن ضد الخوف (١) .

● وقد ورد اسم (**المؤمن**) جل وعلا فى القرآن الكريم مرة واحدة فقط (٢) . فى قوله تعالى : ﴿ **هو الله الذى لاإله إلا هُوَ المَلكُ القُدُّوسُ السَّلام المُؤْمِنُ** . . . ﴾ [الحشر آية **٢٣**] .

ـ وقـد قيـل فى معنى (**المؤمن**) فى هذه الآيـة : أنـه سبحـانـه الذى يؤمن خلقه من ظلمـه . المصـدِّق المـوقن : بمعنى أن النـاس آمنـوا بربهم فسـماهم مؤمنـين ، وآمن الربُّ الكريمُ لهم بإيمانهم . صدقهم (٣) .

ـ **وقيل** المؤمن : هو واهب الأمن (٤) .

ـ **وقيل** : المؤمن : فيه ستة أقوال :

١ ـ أنـه ـ سبحـانـه ـ الـذى أمن النـاسُ ظلمَه ، وأَمِنَ مَنْ آمَنَ به عذابَه . قاله ابن عباس ومقاتل .

٢ ـ أنه المجير ـ قاله القرطبى .

٣ ـ أنه الذى يُصَدِّق المؤمنين إذا وحدوه ـ قاله ابن زيد .

٤ ـ أنه الذى يصدِّق عبادُه وعدَه ـ قاله ابن قتيبة .

٥ ـ أنه الذى وحَّد نفسه لقوله تعالى ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو** ﴾ [آل عمران آية ١٨] ـ قاله الزجاج .

٦ ـ أنه الذى يُصدِّق ظُنون عباده المؤمنين ولا يُخيب آمالهم ، كقول النبى ﷺ (أنا عند حسن ظن عبدى بى) ـ حكاه الخطابى ـ وهذا الحديث جزء من حديث قدسى رواه كل من البخارى ومسلم فى صحيحهما بتمامه ولفظه عند البخارى بتمامه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : (يقول الله تعالى : أنا عند حسن ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإنْ ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منهم ،

---

(١) النهاية لابن الأثير ـ الجزء الأول ص ٦٩

(٢) المعجم المفهرس ص ٩٠

(٣) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ـ للطبرى ـ جزء ٢٨ ص ٥٤

(٤) الكشاف ـ للزمخشرى ـ جزء ٤ ص ٨٧ . وجامع البيان للإيجى ـ جزء ٢ ص ٣٥٠

وإن تقرب إليَّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً ، وإنْ تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرولة) .

والحديث يرشد الى تحسين الظن بالله عز وجل ، وهذا لايكون الا لمن تاب ، وندم ، وأقلع ، وأتبع السيئة الحسنةَ ، واستقبل بقية عمره بوسائل النجاة فَمَن فعل ذلك ثم أحسن الظن ، فقد أحسن وحلَّ محلَّه ، وأما مَنْ أساء وأصر على الكبائر ، فَوَحْشَةُ المعاصى لا يجامِعها إحسان الظنِّ بالله تعالى (١) .

- **وقيل** : المؤمن : هو المُصَدِّقُ لرسله باظهار معجزاته عليهم ، ومصدِّق الكافرين ما أوعدهم من العقاب (٢) .

أو هو الذى يؤمِّن أولياءهُ من عذابه ، ويؤمِّن عبادَه من ظلمه ، فيقال : آمنه من الأمان الذى هو ضد الخوف ، كما قال تعالى ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ [قريش آية ٤] ، فهو سبحانه المؤمن (٣) .

- **وقيل** : المؤمن : أمن خلقه من أن يظلمهم - قال الضحاك عن ابن عباس .

أو : أنه صدَّق عباده المؤمنين فى ايمانهم به - قاله ابن زيد (٤) .

- **وقيل** : **المؤمن** هو المصدق لنفسه ولرسله عليهم السلام فيما بلغوه عنه سبحانه ، أو بخلق المعجزة .

أو : هو واهب عباده الأمن من الفزع الأكبر .

أو : هو مؤمنهم منه إما بخلق الطمأنينة فى قلوبهم ، أو باخبارهم بأنهم لا خوفٌ عليهم .

أو : أنه المصدق للمؤمنين أنهم آمنوا - قاله ثعلب .
أو : أنه المصدق للمؤمنين فى شهادتهم على الناس يوم القيامة (٥) .

---

(١) زاد المسير فى علم التفسير لأبى الفرج ابن الجوزى - ص ٢٢٥ - بقليل تصرف -
(٢) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبى - جزء ١٨ ص ٤٦ - بقليل تصرف - وفتح القدير - جزء ٥ ص ٢٠٧ -
(٣) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبى - جزء ١٨ - ص ٤٦ - بقليل تصرف - .
(٤) تفسير ابن كثير - جزء ٤ ص ٣٤٤
(٥) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى - للألوسى جزء ٢٨ - ص ٦٣ -

وقيل : المؤمن هو الطاهر الذى لاتعلق به شائبة . ومنه سمى المؤمن مؤمناً [1] .

وقيل : المؤمن الذى أثنى على نفسه بصفات الكمال ، وبكمال الجلال ، وبكمال الجلال والجمال ، الذى أرسل رسله وأنزل كتبه بالآيات والبراهين ، وصدق رسله بكل آيةٍ وبرهانٍ يدل على صدقهم وصحة ما جاءوا به [2] .

● **أقـــول :**

وإذا كان علماء التفسير ـ على مدى العصور ـ قد ذكروا تلك المعانى السامية الرائعة لاسم (**المؤمن**) سبحانه ، فانه يبدولى أن هذا الاسم الكريم يعنى ـ بإجمال هذه المعانى ـ أنه ـ جل وعلا ـ الطاهر الذى لاتعلق به شائبة ولا نقيصة ، لأنه الكامل فى كل صفاته كمالا مطلقا ، وهو الذى يهب الأمن لعباده ، فيؤمنهم جميعاً من الظلم لأنه سبحانه يتنزه عنه ، ويؤمن قلوب المرسلين والمؤمنين بهم بما أنزل من الحق ، ثم يؤمنهم من عذابه ، لأنهم أولياؤه الذين آمنوا به ووحدوه وجردوا له العبادة ، ويؤمنهم فى الدنيا من كل خوف وحزن ، كما قال تعالى ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ [يونس آية **٦٢**] ، ويؤمنهم فى الآخرة من الفزع الأكبر كما قال سبحانه : ﴿ **لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون** ﴾ [الأنبياء آية **١٠٣**] بل سيجعلهم شهداء على الناس ويجعل الرسول ﷺ شهيداً عليهم يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس** ﴾ [الحج آية ٧٨] .

فاسم (**المؤمن**) ـ سبحانه ـ يشمل كل حسن وجمال وخير ، يشيع أثره فى هذا الكون :

أنظر إلى الأمن الذى يغشى الناس فى أسرابها ، والطيور فى أوكارها ، والأسماك والحيتان فى بحارها ، والزواحف فى جحورها ، وأسراب النمل فى شقوقها ، وجماعات النحل فى بيوتها : حين تأكل ، وحين تشرب ، وحين تنام ، وحين تتزاوج ، وحين تتوالد . أنظر الى الأمن السائد فى كل المخلوقات ، والطمأنينة المبسوطة على كل الكائنات ، لتجد أن ذلك كله من آثار اسم (**المؤمن**) جل جلاله ، الذى يهب الحياة لخلقه ، ويهب الأمن للأحياء .

---

(١) التفسير القرآنى للقرآن ـ جزء **٢٨** ص **٨٨٣**

(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تنفسير كلام المنان ـ للسعدى ـ جزء **٥** ـ **٣٠١** ـ

ومن ثم ينبغي عليك ـ أيها الانسان ـ أن تكون مؤمناً (**بالمؤمن**) سبحانه ، وأن تجرد له أعمالك جميعاً ، ليطمئن به قلبك وتأمن به نفسك ، وينتشر الأمن فى كل كائن من حولك ، وحينئذ ستشعر بلذة الحياة الآمنة الوادعة الطيبة التى تختفى فيها المعاصى ومشكلاتها ، وتبرز فيها الطاعات وثمراتها ، ويكون الله ورسوله فيها أحب اليك مما سواهما ، والحب سبيل الطاعة ، والطاعة سبيل الفوز العظيم فى الدنيا والآخرة ﴿ **ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً** ﴾ [الأحزاب آية ٧١] .

المُهَيْمِنُ :

هو اسم من أسماء الله عز وجل . وهو الرقيب . وقيل : الشاهد . وقيل : المُؤتَمَن . وقيل : القائم بأمور الخلق .

ـ وقيل أصله : مؤتَمِن ، فأبدلت الهاء من الهمزة ، وهو مُفَيعِلٌ من الأمانة [١] .

● وقد ورد اسم (**المهيمن**) جل وعلا فى القرآن الكريم مرة واحدة فقط [٢] ، فى قوله تعالى : ﴿ **هو الله الذى لاإله إلا هو الملكُ القدوس السلامُ المُؤمنُ المُهيمنُ** . . . ﴾ [الحشر آية **٢٣**] .

ـ وقد قيل فى معنى (**المُهَيمنُ**) فى هذه الآية : الشهيد أو الأمين . قاله ابن عباس رضى الله عنهما . أو المصدِّق لكل ماحدث ، قاله ابن زيد ثم قرأ (ومهيمنا عليه) [٣] وقال : فالقرآن مصدِّق على ما قبله من الكتب ، والله مصدِّق فى كل ما حدث عما مضى فى الدنيا ، وما بقى ، وما يحدث فى الآخرة [٤] .

ـ **وقيل** : (**المُهيمن**) الرقيب على كل شىء الحافظ له . مُفَيْعِل من الأَمن إلا أَن همزته قلبت هاء . [٥]

ـ **وقيل (المُهَيْمنُ)** : فيه أربعة أقوال :

١ ـ أنه الشهيد : قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والكسائى . قال الخطابى : ومنه

---

(١) النهاية لابن الأثير ـ الجزء الخامس ـ ص ٢٧٥ ـ

(٢) المعجم المفهرس ـ ص ٧٣٩ ـ

(٣) يقصد قوله تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ﴾ [المائدة آية ٤٨] .

(٤) جامع البيان للطبرى ـ جزء ٢٨ ـ ص ٥٤ .

(٥) الكشاف للزمخشرى ـ جزء ٤ ـ ص ٨٧ ـ .

قوله تعالى : ﴿ **ومهيمناً عليه** ﴾ [المـائدة ٤٨] ـ فالله تعالى : الشاهد على خلقه بما يكون منهم من قول أو فعل .

٢ ـ أنه الأمين : قاله الضحاك .

وقال الخطابي : وأصله : مُؤَيْمنٌ ، فقُلبت الهمزة هاءً ، لأن الهاء أخف عليهم من الهمزة ـ ولم يأت : مُفَيعِل في غير التصغير إلا في ثلاثة أحرف : (مُسَيْطِر ـ ومُبَيْطِر ـ ومُهَيْمِن) وقد ذكر في سورة الطور آية ٣٧ عن أبي عبيدة أنها خمسة أحرف : في قوله تعالى ﴿ **أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون** ﴾ إنه لم يأت في كلام العرب اسم على مُفَيْعِل إلا خمسة أسماء : مُهَيْمِن ـ ومُجَيْمِر ـ ومُسَيْطِر ـ ومُبَيْطِر ـ ومُبَيْقِر .

فالمهيمن : الله الناظر ، المحصي ، الذي لايفوته شيء ـ ومجيمر : جبل ـ ومسيطر : مسلَّط ـ ومبيطر : بَيْطار ـ ومبيقر : الذي يخرج من أرض إلى أرض يقال : بَيْقَر إذا خرج من بلد إلى بلد .

٣ ـ أنه المُصدِّق فيما أخبر ـ قاله ابن زيد .

٤ ـ أنه الرقيب على الشيء ، والحافظ له ، ـ قاله الخليل والخطابي .

وقال بعض أهل اللغة : الهيمنة : القيام على الشيء ، والرعاية له ثم قال :

ألا إن خير الناس بعد نبيه ∴ مُهَيْمِنُهُ التاليه في العرف والنكر

يريد القائم على الناس بعده بالرعاية لهم [١] .

وقيل : (**المُهَيْمنُ**) : الشاهد على خلقه بأعمالهم ، بمعنى هو رقيب عليهم كقوله : ﴿ **والله على كل شيء شهيد** ﴾ ، وقوله ﴿ **ثم الله شهيد على ما يقولون** ﴾ ، وقوله ﴿ **أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت** ﴾ ـ قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ـ [٢] .

ـ **وقيل** : (**المُهَيْمِن**) : الرقيب المطلع على السراير [٣] .

ـ **وقيل** : (**المُهَيْمنُ**) : الشهيد على عباده بأعمالهم ، الرقيب عليهم ـ قاله مجاهد وقتادة ومقاتل .

---

(١) زاد المسير ـ جزء ٨ ـ ص ٢٢٥ ـ .

(٢) تفسير ابن كثير ـ جزء ٤ ص ٣٤٤ ـ .

(٣) جامع البيان ـ للإيجي ـ جزء ٢ ص ٣٥٠ ـ .

يقال : هَيْمَن يُهيْمن فهو مُهَيْمن : إذا كان رقيباً على الشيء .

وقال الواحدى : وذهب كثير من المفسرين إلى أن أصله مُؤَيمن من آمن يؤمن ، فيكون بمعنى المؤمن - والأول أولى [1] .

- **وقيل** : **(المهيمن)** : الرقيب الحافظ لكل شيء . مُفَيْعِل من الأمن بقلب همزته هاءً [2] .

- **وقيل** : **(المُهَيْمِن)** : الرقيب الحافظ لكل شيء . مُفَيْعِل بقلب همزته هاءً ، وإليه ذهب غير واحد - وتحقيقه كما فى الكشف : أن أَيْمَنَ على فَيْعَل مبالغة أمن العدو للزيادة فى البناء - وإذا قلت : أمن الراعى الذئب على الغنم مثلاً ، دل ذلك على كمال حفظه ورقبته . فالله تعالى أمن كل شيء سواه سبحانه على خلقه وملكه ، لاحاطة علمه ، وكمال قدرته عز وجل ، ثم استعمل مجرد الدلالة بمعنى الرقيب والحفيظ على الشيء من غير ذكر المفعول بلا واسطة للمبالغة فى كمال الحفظ . كما قال تعالى ﴿ **ومهيمناً عليه** ﴾ وجعله من ذلك أولى من جعله من الأمانة ، نظراً إلى أن الأمين على الشيء حافظ له ، اذ لاينبيء عن المبالغة ولا عن شمول العلم والقدرة . وجعله فى الصحاح اسم فاعل من : آمنه الخوف على الأصل ، فأبدلت الهمزة الأصلية باء كراهة اجتماع الهمزتين ، وقلبت الأولى هاءً كما فى هراق الماء .

وظاهر كلام الكشف : أنه ليس من التصغير فى شيء .

وقال المبرد : إنه مُصَغَّر - وقد أخطأ فى ذلك ، فإنه لايجوز تصغير أسماء الله عز وجل [3] .

- وقيل : (المهيمن) : القائم على الوجود ، المسيطر على كل ذرة فيه [4]

● **أقول** : فى اسم : **(المهيمن)** سبحانه ، ذكر المفسرون المعانى التى عرضت جانبا منها ، وأجملها فى أن المراد بمعنى **(المُهَيْمِن)** جل وعلا : القائم بأمور الخلق - الرقيب الحافظ لكل شيء ، الشهيد على عباده ، المطلع على أعمالهم وأسرارهم ، الأمين ، المصدق فيما أخبر ولكل ما حدث .

---

(1) فتح القدير - جزء ٥ - ص ٢٠٨ - .
(2) تفسير أبى السعود - جزء ٧ - ص ٢٣٤ - .
(3) روح المعانى - جزء ٢٨ - ص ٦٣ - .
(4) التفسير القرآنى للقرآن - جزء ٢٨ - ص ٨٨٣ - .

والذى يبدو لى أن اسم (المُهَيْمِن) جل جلاله ، يتضمن معناه شمول الهيمنة بمعنى السيطرة المطلقة لله عز وجل على كل كائن فى هذا الكون ، إيجاداً وإعداماً ، وتحريكاً ، وتسكيناً ، بعلمٍ محيطٍ ، وعدلٍ مطلقٍ ، وقدرةٍ شاملةٍ ، ومشيئةٍ نافذةٍ ، وقدرٍ سابقٍ ، فلا راد لمشيئته ، ولا معقب لقدره ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا يكون فى ملكه إلا مايريد . وما أراد وقوعه فى كونه سبحانه ـ وما دونه فى اللوح المحفوظ غيبَه عن خلقه ، واستأثر بعلمه وحده ، وهذا الاستئثار أثر من آثار هيمنته سبحانه .

ومن أمثلته قوله عز وجل : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم مافى البرِّ والبحر ، وما تسقُطُ من ورقةٍ إلَّا يعلمها ، ولا حبَّةٍ فى ظلمات الأرض ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا فى كتابٍ مبينٍ** ﴾ [الأنعام آية ٥٩] .

ثم أنه سبحانه مع هذه الهيمنة التى من مقتضاها قهر عباده سبحانه : ﴿ **وهو القاهر فوق عباده ، وهو الحكيم الخبير** ﴾ [الأنعام آية ١٨] ، لم يهمل عباده بل يراقبهم ، ويشهد كل أقوالهم وأعمالهم ، بل ويطلع على أسرارهم وما تُكِن صدورهم ، ويوالى إمدادهم بكل ما يحتاجون لعمارة هذه الأرض ، وما يصلح لهم فى دنياهم وأخراهم ، ويرسل إليهم ملائكة حفظة لهم بإذن الله طول حياتهم حتى تنتهى آجالهم ، كما قال سبحانه : ﴿ **له معقباتٌ من بين يديه ومنْ خَلْفِه يحفظونه من أمر الله** ﴾ [الرعد آية ١١] ، وكما قال تعالى : ﴿**وهو القاهرُ فوقَ عباده ويُرسل عليكم حَفَظَةً ، حتى إذا جاء أحدكُمْ الموت تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وهم لايُفرِّطُونَ** ﴾[الأنعام آية ٦١] .

ومن آثار هيمنته سبحانه أنه يملك أن يتصرف فى خلقه كيف يشاء ، لأنهم فى ملكه ، والمالك من حقه أن يتصرف فى ملكه بكافة أنواع التصرفات . ومن نماذج هذه التصرفات ما ذكره الله تعالى تنبيهاً لنا وتذكيراً باستمرار وشمول هيمنته على خلقه سبحانه قوله : ﴿ **قل من يُنْجيكُم مِنْ ظُلُماتِ البرِّ والبَحْر؟ تدعونه تَضَرُّعاً وخُفْيَةً لَئِنْ أنْجَانَا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله يُنْجيكُم منها ومن كل كَرْبٍ ، ثم أنتم تُشركون . قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً مِنْ فَوْقِكُم أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجِلِكُمْ أَو يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً ويُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْس بَعْضٍ . أنظر كيف نُصَرِفُ الآياتِ لعلهم يَفْقَهُونَ** ﴾ [الأنعام آية ٦٣ ـ ٦٥] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أرأيتم إنْ أَخذَ اللهُ سَمْعَكُم وأبصاركم وخَتَمَ على قُلوبِكُمْ ، مَنْ إلـهٌ غيرُ الله يأتيكم به ؟ أنْظُر كيف نُصرفُ الآياتِ ثُمَّ هُم يَصْدِفون . قُلْ أرأيْتكُمْ إن أَتاكُمْ عَذابَ الله بَغْتَةً أو جَهرةً هَلْ يُهْلَكُ إلا القومُ الظَالمونَ ؟ ﴾ [الأنعام آية ٤٦ ، ٤٧] .

وقوله تعالى : ﴿ إن الله فالقُّ الحبِّ والنَوى يُخرجُ الحَيَّ من الميِّت ومُخْرِجُ الميِّتَ من الحيِّ ، ذلكم الله ، فَأَنَّى تُؤْفكون ؟ فالقُ الإصبَاح وجَعَلَ الليلَ سَكناً والشمسَ والقمرَ حُسْباناً ، ذلك تقديرُ العزيز العليم . وهو الذي جَعَلَ لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلماتِ البرِّ والبحر ، قد فَصلّنا الآياتِ لقومٍ يعلمُونَ . وهو الذي أنشأَكُمْ من نفسٍ واحدةٍ فَمُسْتَقرٌ ومُسْتَودَعٌ ، قد فصَّلنا الآياتِ لقومٍ يَفقهون . وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نباتَ كلِّ شيءٍ فأخرجنا منهُ خَضِراً نُخرجُ منه حباً متراكباً ، وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنوانٌ دَانيةٌ ، وجَنَّاتٍ مِنْ أعنابٍ والزيتونَ والرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وغيرَ مُتَشَابهٍ ، انظُروا إلى ثمره إذا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ، إنَّ في ذلكم لآياتٍ لقومٍ يؤمنون ﴾ [الأنعام آية ٩٥ - ٩٩] .

وقوله تعالى : ﴿ هو الذي يُريكم البرْقَ خَوْفاً وطَمعاً ويُنشىءُ السَحَابَ الثِقالَ . ويُسبحُ الرعدُ بحَمْده ، والملائكةُ مِنْ خِيفَتِهِ ، ويُرسِلُ الصَواعِقَ فَيُصيبُ بها مَنْ يشاءُ ، وهم يجادلونَ في اللهِ وهو شديدُ المِحَال ﴾ [الرعد آية ١٢ ، ١٣] .

وقوله تعالى : ﴿ ولَقَدْ جَعلنَا في السَّماءِ بُرُوجاً وزَيَّناها للنَّاظرين . وحَفظْناها مِنْ كُلِّ شَيطانٍ رجيم ، إلاَّ مَنْ اسْتَرَقَ السَّمعَ فأَتْبعَهُ شِهابٌ مبينٌ . والأرضَ مددناها وألقينا فيها رواسيَ وأنْبتنا فيها مِنْ كل شيءٍ مَوْزونٍ . وجعلنا لكم فيها مَعَايشَ وَمَنْ لسْتُم له برازقينَ . وَإنْ مِنْ شَيءٍ إلاَّ عندنا خزائِنَهُ وما ننزلهُ إلاَّ بِقَدرٍ مَعلوم . وأرسلنا الرياحَ لَوَاقِحَ فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه وما أنتم لهُ بخازنين . وإنا لنحن نُحيِي ونُميتُ ونحنُ الوارثون . ولقد عَلِمْنا المُسْتَقْدمينَ منكم ولقد عَلِمْنا المُسْتأْخرينَ . وإنَّ ربَّكَ هو يَحشرُهُمْ إنَّهُ حكيمٌ عليمٌ ﴾ [الحجر آية ١٦ - ٢٥] .

وقوله تعالى : ﴿ والأنعامَ خلقَها لكُمْ فيها دِفْءٌ ومَنَافِعُ ومنها تأْكلون . ولكم فيها جَمالٌ حينَ تُريحُونَ وحينَ تَسرحُونَ . وتَحمِلُ أَثقالكُمْ إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيهِ إلاَّ بشقِّ الأنفس ، إنَّ رَبَّكم لَرَؤُفٌ رحيمٌ . والخيلَ والبغالَ والحميرَ لِتركبوها وزينةً ، ويَخْلُقُ مالاتَعلمونَ ﴾ [النحل آية ٥ - ٨] .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى ربك كيف مَدَّ الظِّلَّ ولَوْ شاءَ لجَعَلَهُ سَاكِناً ، ثم جعلنا الشمسَ عليه دليلاً . ثم قبضناهُ الينا قَبْضاً يَسيراً . وهو الذى جَعَلَ الليلَ لِبَاساً والنَّوْمَ سُبَاتاً وجَعَلَ النهارَ نُشُوراً ، وهو الذى أرسل الرِّيَاحَ بُشْراً بين يَدَيْ رحمتِهِ ، وأنزلنا مِنَ السماءِ ماءً طَهُوراً ، لِنحْيِيَ به بَلْدَةً مَيْتاً ونُسْقِيهُ مما خَلَقْنا أنعاماً وأناسيَّ كثيراً ﴾ [الفرقان آية ٤٥ - ٤٩] .

وقوله تعالى : ﴿ وهو الذى مَرَجَ البَحْرينِ : هذا عَذْبٌ فُراتٌ وهذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَجَعَلَ بينهما بَرْزَخاً وحِجْراً مَحْجُوراً . وهو الذى خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وصِهْراً ، وكانَ ربُّكَ قَدِيراً ﴾ [الفرقان آية ٥٣ - ٥٤] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرأيتُمْ إنْ جَعَلَ اللهُ عليكم الليلَ سَرْمَداً إلى يوم القيامة مَنْ إلهٌ غيرُ اللهِ يأتيكم بِضِياءٍ ؟ أفلا تَسْمَعُونَ ؟ قُلْ أَرأيتُمْ إن جَعَلَ الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بلَيلٍ تَسْكُنُونَ فيه ؟ أَفلا تُبْصرونَ ؟وَمِنْ رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لكم الليلَ والنهارَ لِتسْكُنُوا فيهِ ، ولِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، ولعلكُم تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص آية ٧١ - ٧٣] .

وقوله تعالى : ﴿ نحنُ خلقناكُمْ فلولا تُصَدِّقونَ . أَفرأيتُمْ ماتُمْنُونَ . ءَأَنْتُمْ تخلقُونَهُ أَمْ نحنُ الخَالِقُونَ ، نحنُ قَدَّرْنا بينكُمْ الموتَ وما نحنُ بمسبوقِينَ . على أَنْ نُبَدِّلَ أمثالَكُمْ ونُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تعلمونَ . ولقد علمتُمْ النَشْأَةَ الأولى فَلَوْلا تَذَكَّرُون . أفرأيتم ما تحرثُونَ . ءَأَنْتُمْ تزرعُونَهُ أَمْ نحنُ الزارعونَ ؟ لَوْ نَشاءُ لجَعَلْنَاهُ حُطاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُون . إنا لَمُغرَمون بلْ نحنُ محرومُونَ . أَفرأيتم الماءَ الذى تشربون . ءَأَنتم أَنزلتموهُ من المُزْنِ أم نحنُ المُنْزِلونَ ؟ لو نشاءَ جعلناهُ أُجاجاً فَلَوْلا تشكرون . أَفرأيتم النارَ التى تُورُونَ . ءَأَنتم أَنشأْتُمْ شَجَرتها أَم نحنُ المُنْشِئون ؟ نحنُ جعَلْناها تذكرةً ومتاعاً لِلْمُقْوِينَ . فَسَبِّحْ باسم رَبِّكَ العَظيم ﴾ [الواقعة آية ٥٧ - ٧٤] .

سبحانك ربَّنا العظيم ، ما أعظم سلطانك ، وما أكمل هيمنتك المطلقة على كل شىء فى هذا الوجود ، لا يفتك منها أى مخلوق صغر أم كبر ، دقَّ أم عظم .

ننزهك ربَّنا العظيم عن كل ما لا يليق بجلالِكَ وسلطانِك ، ونُقِرُّ لَكَ وحدَكَ بسموِّ أسمائِكَ وكمالِ صِفاتِكَ ، ونعترفُ لكَ بجليل فضلِكَ وإحسانِكَ وكرمِكَ ، بقلوبنا وألسنتنا وجوارحنا ، ونشهدُ بأنَّكَ وحدَكَ المستحق لِأن تُشْكَرَ فلا تُكْفَر ، وتُذْكر فلا تُنسى ، وتُطاع فَلاَ تُعْصَى .

ونَكِلُ أُمورَنَا إليكَ وحدَكَ ، فَأَنتَ ملاذُنا وحدَكَ فى الدنيا ، ومَرجعُنَا اليكَ وحدَكَ فى الأُخـرى ، أنت مولانـا المهيمنُ علينـا حَقًّا ، ونحنُ عَبيدُكَ الخاضِعُونَ لَكَ صِدْقاً ، ﴿ إنْ كُلُّ مَنْ فى السمـواتِ والأرض إلاَّ آتى الـرحمن عبداً . لقدْ أحْصاهُمْ وَعَدَّهُمْ عداً . وكُلُّهُمْ آتية يوم القيامة فرداً ﴾ [مريم آية ٩٣ ـ ٩٥] .

أسأل الله جل وعلا أن يثبت قلوبنا على دينه ، وأن يصرفها على طاعته ، وأن يختم لنا بعقيدة التوحيد ختام الإيمان .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله الكريم محمدٍ وعلى آله وصحبه .

حلاوة الإيمـــان

عن أنس بن مالك رضى الله عنه (في الصحيحين) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان في قلبه :

(١) من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما :

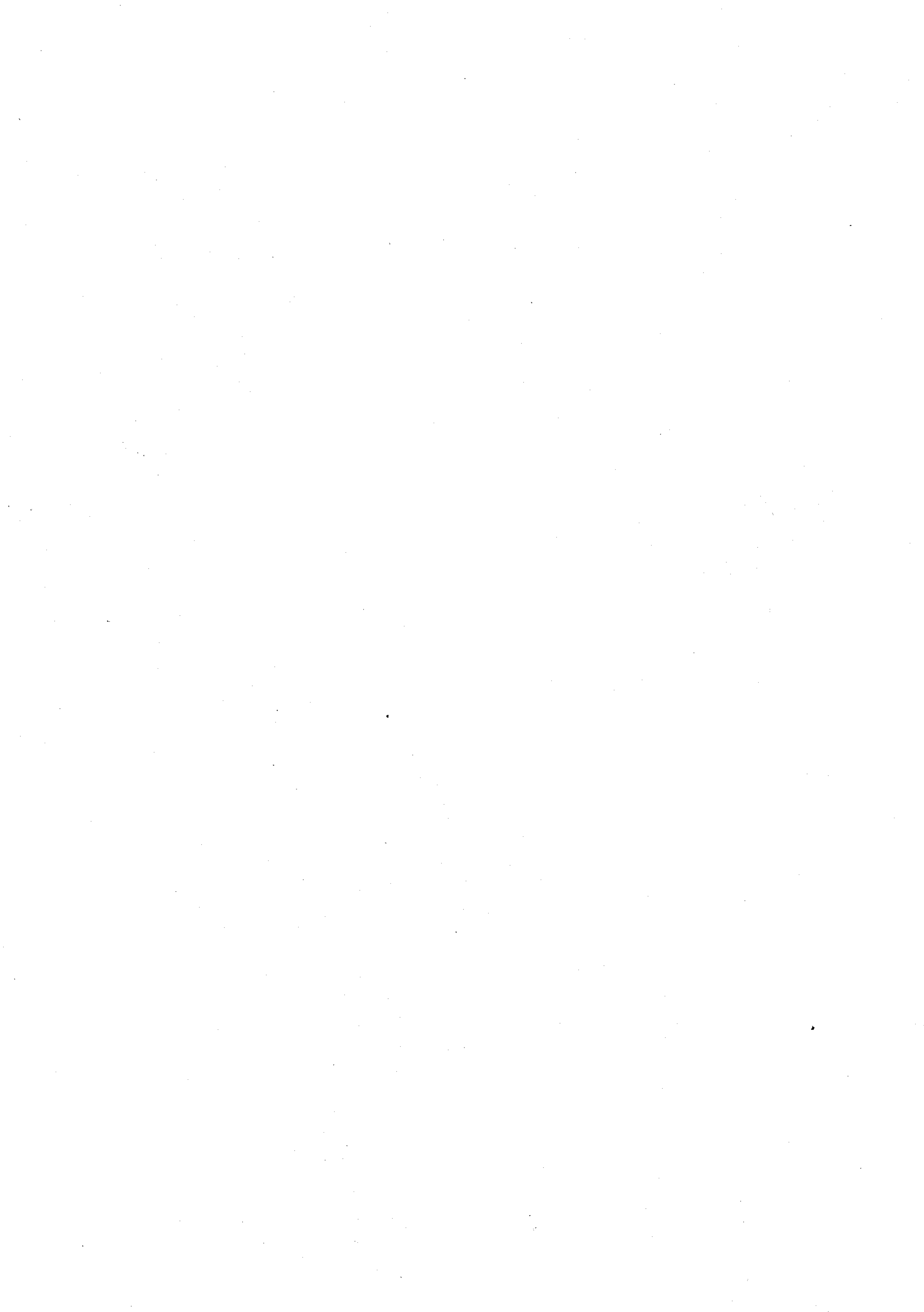
(٢) ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله .

(٣) ومن كان يكره أن يرجع في الكفر ، بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يلقى في النار .

وعن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه (في صحيح مسلم) قال : قال صلى الله عليه وسلم :

ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً ، بالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً .


الفقه
و
أصوله



سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز :

يدعو المسلمين للمبادرة بالتوبة

وجه الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز نصيحة إلى المسلمين دعاهم فيها إلى وجوب التوبة إلى الله والضراعة إليه عند نزول المصائب وفيما يلي نصها:

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يطلع عليه من المسلمين.. وفقني الله وإياكم للتذكر والاعتبار والأتعاظ بما تجري به الأقدار والمبادرة بالتوبة النصوح من جميع الذنوب والأوزار.. أمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أما بعد:

فإن الله عز وجل بحكمته البالغة وحجته القاطعة وعلمه المحيط بكل شيء يبتلي عباده بالسراء والضراء والشدة والرخاء وبالنعم والنقم، ليمتحن صبرهم وشكرهم، فمن صبر عند البلاء وشكر عند الرخاء وضرع إلى الله سبحانه عند حصول المصائب يشكو إليه ذنوبه وتقصيره ويسأله رحمته وعفوه أفلح كل الفلاح وفاز بالعاقبة الحميدة.. قال الله جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿**ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾.. والمقصود بالفتنة في هذه الآية الأختبار والامتحان حتى يتبين الصادق من الكاذب والصابر والشاكر. كما قال تعالى: ﴿**وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا**﴾ وقال عز وجل: ﴿**ونبلوكم بالخير والشر فتنة والينا ترجعون**﴾ وقال سبحانه: ﴿**وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون**﴾ والحسنات هنا هي النعم من الخصب والرخاء والصحة والعزة، والنصر على الأعداء، والسيئات هى كالزلازل والرياح العاصفة والسيول الجارفة المدمرة ونحو ذلك... وقال عز وجل: ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**﴾ والمعنى أنه سبحانه قدر ما قدر من الحسنات والسيئات وما ظهر من الفساد ليرجع الناس إلى الحق ويبادروا بالتوبة مما حرم الله عليهم

ويسارعوا إلى طاعة الله ورسوله لأن الكفر والمعاصي هما سبب كل بلاء وشر في الدنيا والآخرة. وأما توحيد الله والإيمان به وبرسله وطاعته وطاعة رسله والتمسك بشريعته والدعوة إليها والإنكار على من خالفها فذلك هو سبب كل خير في الدنيا والآخرة والنجاة من كل مكروه والعاقبة من كل فتنة. كما قال سبحانه: ﴿**يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾. . وقال سبحانه: ﴿**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾. . وقال تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾ وقال سبحانه: ﴿**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**﴾.

وقد بين سبحانه في آيات كثيرات أن الذي أصاب الأمم السابقة من العذاب والنكال بالطوفان والريح العقيم والصيحة والغرق والخسف وغير ذلك كله بأسباب كفرهم وذنوبهم. . كما قال عز وجل ﴿فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير**﴾ وأمر عباده بالتوبة إليه والضراعة إليه عند وقوع المصائب فقال سبحانه: ﴿**يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾ وقال سبحانه: ﴿**وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾ وقال سبحانه: ﴿**ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون. فلولا ان جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون**﴾.

وفي هذه الآية الكريمة حث من الله سبحانه لعباده وترغيب لهم إذا حلت بهم المصائب من الأمراض والجراح والقتال والزلازل والريح العاصفة وغير ذلك من المصائب ان يتضرعوا إليه ويفتقروا إليه فيسألوه العون. وهذا هو معنى قوله سبحانه: ﴿**فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا**﴾ والمعنى هنا إذا جاءهم بأسنا تضرعوا، ثم بين سبحانه ان قسوة قلوبهم وتزيين الشيطان لهم أعمالهم السيئة كل ذلك صدهم عن التوبة والضراعة والاستغفار فقال

عز وجل: ﴿**ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون**﴾.

وقد ثبت عن الخليفة الراشد رحمه الله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما وقع الزلزال في زمانه كتب إلى عماله في البلدان وأمرهم ان يأمروا المسلمين بالتوبة إلى الله والضراعة إليه والاستغفار من ذنوبهم. . وقد علمتم أيها المسلمون ما وقع في عصرنا هذا من أنواع الفتن والمصائب، ومن ذلك تسليط الكفار على المسلمين في أفغانستان والفلبين والهند وفلسطين ولبنان واثيوبيا وغيرها. . ومن ذلك ما وقع من الزلازل في اليمن وبلدان كثيرة ومن ذلك ما وقع من فيضانات مدمرة والريح العاصفة المدمرة لكثير من الأموال والأشجار والمراكب البحرية وغير ذلك. . وأنواع الثلوج التي حصل بها ما لا يحصى من الضرر ومن ذلك المجاعة والجدب والقحط في كثير من البلدان. وكل هذا واشباهه من أنواع العقوبات والمصائب التي ابتلى بها العباد بأسباب الكفر والمعاصي والانحراف عن طاعته سبحانه والإقبال على الدنيا وشهواتها العاجلة والإعراض عن الآخرة وعدم الإعداد لها إلا من رحم الله من عباده.

ولاشك أن هذه المصائب وغيرها توجب على العباد البدار بالتوبة إلى الله سبحانه من جميع ما حرم عليهم، والبدار إلى طاعته وتحكيم شريعته والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر عليه ومتى تاب العباد إلى ربهم وتضرعوا إليه وسارعوا إلى ما يرضيه وتعاونوا على البر والتقوى وتآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر أصلح الله أحوالهم وكفاهم شر أعدائهم ومكن لهم في الأرض ونصرهم على عدوهم وأسبغ عليهم نعمه وصرف عنهم نقمه. كما قال سبحانه وهو أصدق القائلين: ﴿**وكان حقاً علينا نصر المؤمنين**﴾ وقال عز وجل: ﴿**أدعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين**﴾ وقال عز وجل: ﴿**وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير**﴾ وقال سبحانه: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا**﴾ الآية. وقال عز وجل: ﴿**والمؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم**﴾.

فأوضح عز وجل في هذه الآيات أن رحمته وإحسانه وأمنه وسائر أنواع نعمه إنما تحصل على الكمال الموصول بنعيم الآخرة لمن اتقاه وآمن به وأطاع رسله واستقام على شرعه وتاب إليه من ذنوبه. . أما من أعرض عن طاعته وتكبر عن أداء حقه وأصر على كفره وعصيانه فقد توعده سبحانه بأنواع العقوبات في الدنيا والآخرة وعجل له من ذلك ما اقتضته حكمته ليكون عبرة وعظة لغيره كما قال سبحانه: ﴿**فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين**﴾.

فيا معشر المسلمين حاسبوا أنفسكم وتوبوا إلى ربكم واستغفروه وبادروا إلى طاعته واحذروا معصيته، وتعاونوا على البر والتقوى، واحسنوا إن الله يحب المحسنين، وأقسطوا إن الله يحب المقسطين وأعدوا العدة الصالحة قبل نزول الموت، وارحموا ضعفاءكم، وواسوا فقراءكم، وأكثروا من ذكر الله واستغفاره، وتآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر لعلكم ترحمون واعتبروا بما أصاب غيركم من المصائب بأسباب الذنوب والمعاصي، والله يتوب على التائبين ويرحم المحسنين ويحسن العاقبة للمتقين. . كما قال سبحانه: ﴿**فأصبر إن العاقبة للمتقين**﴾ وقال تعالى: ﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾. والله المسئول بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرحم عباده المسلمين، وأن يفقههم في الدين، وينصرهم على أعدائه وأعدائهم من الكفار والمنافقين، وأن ينزل بأسه بهم الذي لا يرد عن القوم المجرمين. إنه وليُّ ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

الحسنة والسيئة

قال بعض السلف:

إن للحسنة لنوراً في القلب، وقوة في البدن، وضياء في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق ...

وإن للسيئة لظلمة في القلب، ووهناً في البدن، وسواداً في الوجه، ونقصاً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلق ...

نظام الإثبات في الفقه الإسلامي

دراسة مقارنة

للدكتور عوض عبدالله أبوبكر
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

- ٢ -

بينا في مقالنا السابق أن الفقه الاسلامي قد حوى نظاما متميزا ومتفردا في الاثبات، يتسق مع نظامه الشامل العادل. فهو مع تحديده لأدلة إثبات الدعوى - على ما ذهب إليه جمهور الفقهاء - إلا أنه لم يحد من سلطة القاضي في تقدير الأدلة حتى لا يجعل وظيفة القاضي الية لا أثر لها في الحكم. كما أنه لم يطلق للقاضي الحرية الكاملة في تحديد الأدلة تجنبا لتعسف القضاة في استعمال هذا الحق فيستغلون سلطة وظيفتهم.

وقبل أن نتناول هذه الأدلة نود أن نشير إلى أن القوانين الوضعية بعد مناقشات وتعديلات قد لجأت إلى تحديد الأدلة في الدعوى المدنية والتجارية، اتفاقا بذلك مع قول جمهور الفقهاء، إلا أنها قد خالفت الفقهاء في تحديد القيمة لكل دليل من هذه الأدلة، كما سنرى إن شاء الله - أما في الدعوى الجنائية فإن القانونيين يميلون الى رأى ابن قيم الجوزية الذي يقضي بعدم حصر أدلة الثبوت، ولذلك نجدهم يطلقون للقاضي الحرية الكاملة في الدعوى الجنائية ليستمد اقناعه من اى دليل يعرض عليه.

أما فيما يتعلق بأدلة الاثبات في الفقه الاسلامي، فإننا نجدها قد انقسمت إلى قسمين رئيسيين: قسم اتفق الفقهاء على حجته وقبوله كدليل فى الدعوى، يعول عليه القضاة، ويتمسك به الخصوم في إثبات دعواهم، وقسم اختلف الفقهاء في قبوله دليلا للاثبات. ومنشأ هذا الاختلاف فى هذا القسم الأخير هو: إما لعدم قوة الأدلة الدالة على اعتباره، أوللاحتياط الشديد الذي تميزت به بعض المذاهب الاسلامية، فاحتاطت للقضاة حتى لا يكون تعويلهم على أدلة ظنية لا تطمئن إليها النفوس، فتضطرب الأحكام وتختلط الحقوق.

ولنلق الآن نظرة عامة على هذه الأدلة، ولنشير إلى موقف القانونيين في بعض مسائلها.

القسم المتفق عليه:

أولا: الاقرار:

والمعنى الاصطلاحي للاقرار كما تدل عليه عبارات الفقهاء هو (إخبار الانسان بحق عليه لغيره). فلا يسمي إخبار الغير بحق لآخر إقرارا[1].

الأصل في الاقرار:

وقد ثبتت حجية الاقرار بالكتاب والسنة والاجماع والمعقول:

---

(١) البحر الرائق لابن نجيم جـ ٧، ص ٢٤٩ ط دار المعرفة بيروت. وانظر أيضا منحة الخالق على البحر الرائق لابن عابدين جـ ٧ ص ٢٤٩. تبصرة الحكام لابن فرحون جـ ٢ ص ٥٣ المطبعة البهية مصر سنة ١٣٠٢هـ.

فالكتاب: قوله تعالى: ﴿**وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه**﴾ (البقرة: ٢٨٢) فأمر سبحانه من عليه الحق بالاملال، وإملاله هو إقراره وإلا لما كان فيه فائدة، ولما أمر الله به. وكذلك قوله تعالى: ﴿**كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم**﴾ (النساء: ١٣٥) وشهادة الانسان على نفسه هو إقراره بالحق.

أما السنة: فما روى متفقا عليه من أنه ﷺ قبل إقرار ماعز بالزنا. وعند مسلم وأصحاب السنن أنه قبل إقرار الغامدية بالزنا، فعامل كلا منهما بموجب الاقرار بإقامة الحد عليه [١].

أما الاجماع: فقد أجمعت الأمة من عهده ﷺ إلى يومنا هذا على أن الاقرار حجة على المقر، وجرت بذلك في معاملاتها وأقضيتها.

أما المعقول: فهو أن العاقل لا يقر بشيء ضار بنفسه أو ماله إلا إذا كان صادقا فيه.

والاقرار هو أول الحجج الشرعية وأقواها، لأنه ليس هناك أبلغ من أن يقضي الانسان على نفسه بالاعتراف بثبوت الحق عليه. ولما كان للاقرار هذه القوة وهذه الأهمية في الاثبات، كان لابد من عناية الفقهاء به وضبطه حتى يكون صحيحا واضح الدلالة. ولذا فقد جعلوا له شروطا لابد من توافرها، بعضها في المقر، وبعضها في المقر له، وبعضها في المقر به.

ويمكن إجمال هذه الشروط في أنه يشترط في المقر أن يكون عاقلا بالغا، طائعا، مختارا، وأن لا يكون هازلا، كما يشترط في المقر له أن يكون موجودا حال الاقرار، أو وجد قبله ومات، وأن يكون أهلا للملك، وأن يكون سبب استحقاقه للمقر به مقبولا عقلا، فلو أقر للحمل وقال عن بيع باعه، لغا الاقرار، وألا يكون المقر له مجهولا جهالة فاحشة [٢].

التهمة في الاقرار:

ومن الشروط التي تدل على بعد نظر فقهاء الشريعة هو أنه يشترط لصحة الاقرار عندهم ألا يكون المقر متهما في هذا الاقرار، فلو كان متهما فيه لم يصح إقراره، إذ التهمة تخل برجحان جانب الصدق على جانب الكذب، ولأن الاقرار شهادة على النفس كما قدمنا والشهادة ترد بالتهمة.

ومن الأمثلة على رد الفقهاء الاقرار بتهمة المقر، إقرار المريض مرض الموت لوارثه بدين.

وتكييف هذه التهمة التى تلحق بالمريض مرض الموت: هو أن المريض وقد أحس بدنو أجله وقرب رحيله عن الدنيا وفراقه لماله الذي سيؤ ول إلى خلفاء غيره، ربما أراد أن يؤثر بعض هؤلاء الخلفاء على غيرهم بميل الطبع أو ربما أراد أن يحرم بعضهم لضغينة يحملها عليهم، فيذهب إلى تنفيذ غرضه بصورة الاقرار من غير أن يكون للمقر له دين عليه أصلا، فكان متهما في هذا الاقرار فيرد الاقرار.

ويظهر القول بعدم صحة إقرار المريض مرض الموت لوارثه بدين، واضحا جليا في عبارات

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١١ ص ١٩٥. ط المطبعة المصرية ومكتبتها. وانظر جمع الفوائد جـ ١ ص ٧٤٩ ط دار التأليف مصر.

(٢) بداية المجتهد جـ ٢ ص ٤٦١ ط البابي الحلبي سنة ١٣٧٩هـ، المرافعات الشرعية لمحمد زيد بك الابياني ص ٤٤ وما بعدها. الاصول القضائية في المرافعات الشرعية: علي قراعة ص ٧٠.

فقهاء الحنفية والحنابلة والمالكية ، أما الامام الشافعي فإنه وإن كان متفقا معهم في الحد من تصرفات المريض مرض الموت فيما يتعلق بالوصية والبيع والشراء بمحاباة ، إلا أنه لم يوافقهم في عدم قبول إقراره لانتفاء التهمة في نظره [1].

وما يقال عن المريض مرض الموت ، يمكن أن يقال عن المدين المحجور عليه بسبب الدين ، فقد ذهب فقهاء الحنفية والحنابلة الى وقف سريان إقراره ، وقالوا : إن إقرار المدين بحق حال الحجر عليه تصرف يضر بالغرماء . ومقصود الحجر هو منع المدين من كل تصرف يضر بهم ، إذ أن الحجر لحقهم ، والمدين متهم في هذا الأقرار ، وعليه فإنه لا يشارك المقر له الغرماء فيما حجر عليه من مال ، ولكن يؤاخذ المقر بإقراره ، ويلزمه بعد قضاء ديون الغرماء الذين طلبوا الحجر على المدين[2] .

وقد قررت هذه الأحكام منذ زمن بعيد في الفقه الاسلامي لمصلحة الورثة في مال مورثهم ، والدائنين في مال مدينهم ، فاحتاط الفقهاء ومنعوا التصرفات التى تلحق بهم الضرر . وفي نفس الوقت وقف القانون الغربي جامدا ولم يستطع أن يقرر شيئا من هذا القبيل . ولذا لجأ القانونيون في مصر لاستمداد هذه الأحكام من الشريعة الاسلامية .

يقول الدكتور محمد كامل مرسي «ولكن الرأى الصحيح هو أن الأحكام التى أتى بها الشارع المصري خاصة بالبيع الحاصل في مرض الموت ليست مبنية على فكرة عدم أهلية المريض ، وقد جاءت بها الشريعة الاسلامية مراعاة لمصلحة الورثة والمحافظة على حقوقهم بمنع المورث من إيثار بعضهم على بعض»[3] .

ويقول الدكتور عبد الناصر العطار «لم يعرف القانون المدنى مرض الموت ، فيرجع فى تعريفه إلى الشريعة الاسلامية باعتبارها مصدرا رئيسيا للتشريع ، ومصدرا تاريخيا استمد المشرع منه أحكام المريض مرض الموت ، ومصدر احتياطيا لابد من الرجوع إليه إذا لم يوجد نص أو عرف .)[4] .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أصالة هذه الشريعة وكمالها وتفردها بكثير من الأحكام التى عجزت القوانين الوضعية أن تأتى بمثلها .

ثانياً : الشـــــهادة :

ويطلق عليها جمهور الفقهاء البينة ، فالأصل أن البينة تطلق على كل ما يبين به الحق ، ولكن جمهور الفقهاء خصوها بالشهادة ، ولذا قد عتب عليهم ابن القيم في هذا التخصيص وقال : إن من خصَّ البينة بشهادة الشهود لم يوف مسماها حقه .

---

(١) أصول البزدوي وكشف الأسرار جـ ٤ ص ٣٠٩ ط المطبعة العثمانية سنة ١٣٥٨هـ. المغني لابن قدامة جـ ٦ ص ٧٣ ط دار المنار سنة ١٣٦٧هـ. قوانين الأحكام الشرعية لابن جزي المالكي ص ٢٤٢ ط دار العلم بيروت . الأشباه والنظائر للسيوطي ص ٢٦٢ ط مصطفى محمد سنة ١٣٥٥هـ.

(٢) الهداية مع تكملة فتح القدير جـ ٨ ص ٢٥٤ . المطبعة الأميرية مصر سنة ١٣١٥هـ. المغني لابن قدامة جـ ٤ ص ٤٣٩ .

(٣) مجلة القانون والاقتصاد، العدد الثالث السنة الثامنة مارس ١٩٣٨م. ص ٢٧٣ .

(٤) الدكتور عبد الناصر العطار: إثبات الملكية بند ٢٤ ص ١١٢ .

والشهادة في اصطلاحهم هي إخبار الأنسان بحق لغيره على غيره، أوهي إخبار صادق لأثبات حق بلفظ الشهادة في مجلس القضاء[1] .

الأصل في الشهادة وحكمها:

وأداء الشهادة واجب في غير الحدود، لقول الله تعالى: ﴿**ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا**﴾ (البقرة: ٢٨٢) وقوله تعالى: ﴿**ولا تكتموا الشهادة، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه**﴾ (البقرة: ٢٨٣) .

أما جرائم الحدود فالستر مطلوب فيها، وإذا كان الستر مطلوبا فيها، فإن الأخبار بها يكون خلاف الأولى، وما كان خلاف الأولى لا يكون واجبا[2] .

نصاب الشهادة:

أما نصاب الشهادة فهو على أربع مراتب:

الأولى: الشهادة على الزنا ونصابها أربع رجال.

الثانية: الشهادة على بقية الحدود والقصاص ونصابها رجلان، ولا تقبل فيها شهادة النساء.

الثالثة: الشهادة على ما لا يطلع عليه الرجال من عيوب النساء كالولادة، والبكارة فيكتفي فيها بشهادة امرأة واحدة.

الرابعة: سائر حقوق العباد، سواء أكانت مالا أوغير مال كالبيع والهبه والنكاح والإجارة والوصية، ونصابها رجلان أو رجل وامرأتان.

والشهادة حجة من الحجج الشرعية تثبت بها جميع الحقوق، سواء كانت من حقوق الله الخالصة أومن حقوق العباد، مهما كانت قيمة الشيء المدعي به، طالما توفر النصاب المشترط للحق المدعي به، وطالما توفرت الشروط والضوابط التى قررها الفقه الاسلامي لهذه الشهادة، سواء تعلقت بالشاهد وما يتعلق به من تزكية، وتحمل، وأداء، ومعاينة للمشهود به، أوسماع فيما يقبل السماع فيه، أو تعلقت بالمشهود له، أو المشهود به. والشهادة ليست كالأقرار القاصر على المقر وحده، إنما هي حجة متعدية يثبت بها الحق المدعي به على الغير.

مقارنة بين الفقه والقانون في موضوع الشهادة:

(١) الشهادة في الفقه الاسلامي دليل كامل يثبت به جميع الحقوق سواء أكانت من حقوق الله الخالصة أومن حقوق العباد مهما كان القدر المدعي به، أما في القانون الوضعي فهي دليل احتياطي واستثنائي غير كامل، فلا يؤخذ بها كدليل إلا في حدود معينة (المواد ٦٠ الى ٦٤ إثبات

---

(١) الطرق الحكمية ص ١٤، بداية المجتهد جـ ٢ ص ٤٦٣، فتح القدير لابن الهمام جـ ٦ ص ٣.

(٢) البحر الرائق جـ ٧ ص ٦٠، حاشية ابن عابدين جـ ٣ ص ١٩٨.

مصري) كما لا يثبتون بها كل دعوي مدنية إلا في حالات استثنائية كحالات فقد السند من صاحبه بقوة قاهرة من حريق أو غرق أو سرقة.

والواضح أن هدف القانونيين من ذلك هو الحد من شهادة الزور التى احترفها الكثيرون فأصبحوا حربا على العدالة. كما أن القانون قد جعل معوله في الأثبات على الكتابة والمحررات الرسمية.

ولاشك أن شهادة الزور من أكبر الكبائر في الشريعة الأسلامية، حذر منها المولى عز وجل ورسوله الكريم، يقول تعالى ﴿**واجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور**﴾ (الحج: ٣٠). وتضافرت الأخبار عنه ﷺ بمنعها وتحريمها وتأثيم مرتكبها.

ولذا فإننا نقول أن الشريعة الاسلامية ينبغي أن تؤخذ بكامل منهجها التشريعي نظاما وخلقا، وإلا لما استطعنا أن نجني ثمرتها، أو نفيد من تطبيق قانونها الفائدة المرجوة، فالقانون وحده لا يكفل الأمن ولا يقيم العدل إلا إذا صحبته صحوة ضمير ممن يطبق القانون، وممن يسرى عليه القانون، وإلا لكان أشبه بجسد بلا روح، والشريعة الاسلامية بما تبذله من إصلاح للفرد، وما تقيمه من ضمير يقظ، يراقب الله عز وجل، تجعل من قلب كل فرد في المجتمع الاسلامي رقيبا عليه، فلا يقدم على قول أو فعل فيه غضب لله تعالى، فالقاضي بها يحكم ورائده رضا الله بإيصال الحق إلى أهله، والشاهد يشهد ورائده رضا الله بأداء الشهادة على وجهها، والخصم ينبغي أن لا يقصد بخصومته الجور والتعدى. وهكذا تندرج هذه المراقبة لله على كل فرد في المجتمع الاسلامي في أفعاله وأقواله وسلوكه.

أما الكتابة الذي عول عليها القانون وجعلها دليلا رئيسيا في الأثبات خصوصا في المعاملات المدنية والتجارية، فالشريعة الاسلامية مع احترامها لمبدأ الكتابة وحضها عليه، حتى ذهب بعضهم إلى وجوبه في إثبات الديون استدلالا بالأمر بالكتابة في آية الدين في سورة البقرة: ٢٨٢ [١]. إلا أن عامة الفقهاء لم يجعلوه شرطا لا يجوز الاثبات إلا به.

(٢) إن القانونيين بالرغم من اعتدادهم بالشهادة إلا أنهم لم يتقيدوا فيها بنصاب معين، كما أنهم لم يفرقوا بين شهادة الذكر وشهادة الأنثى، ولم يخصوا كل منهما بموضع على النحو الذى قدمناه في الفقه الاسلامي، ولم يلاحظوا أن شهادة الرجل كشهادة المرأتين. ولاشك أن هذه الأحكام منها ما هو مقرر وفق آيات محكمات، ومنها ما هو مستفاد من أقوال رسول الله ﷺ وأقضيته. فشتان بين من يكون مصدره كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن يكون مصدره العقل البشري الذى لا يتقيد بنصوص أو أوامر إلهية.

(٣) لا يشترط عند فقهاء الشريعة أن يحلف الشاهد يمينا قبل أداء الشهادة وإن كانت محاكمنا الشرعية قد درجت على ذلك الآن. أما في القانون الوضعي فتعتبر الشهادة باطلة إذا لم

---

(١) راجع تفسير القرطبي على الآية ٢٨٢ من سورة البقرة.

يؤد الشاهد اليمين (مادة ٨٦ إثبات مصري ومادة ٢٨ من مشروع قانون الأثبات السوداني لسنة ١٩٨١).

(٤) إذا كان القانون الوضعي قد انتهى إلى وجوب التفريق بين الشهود حتى يؤدي كل شاهد شهادته على انفراد (مادة ٨٤ إثبات مصري والمادة ٢٩ من مشروع قانون الأثبات السوداني لسنة ١٩٨١). فإن الأمام علي - رضى الله عنه - هو أول من فرق بينهم في مجلس القضاء، كما ذكر ذلك الكندي في القضاء، وابن القيم في الطرق الحكمية، وخلاصته أن شابا شكا أن نفرا خرجوا مع أبيه للتجارة وكان معه مال كثير، فعادوا دونه، فرفع الأمر إلى شريح الذي استحلفهم وخلى سبيلهم. ثم رفع الأمر إلى علي - رضى الله عنه - الذي وكل بكل شاهد رجلين وأوصاهم ألا يمكنوا بعضهم من بعض، ولا يمكنوا أحدا أن يكلمهم، ثم دعا كاتبه ونادى عليهم واحدا واحدا يسألهم عن يوم خروجهم، ونزولهم، وأين مات، أبو الفتى، ومن صلى عليه، وأين دفن، فلما رأى اختلافهم ضيق عليهم فأقروا بالقضية[1].

مقارنة بين الشهادة والأقــــرار:

(١) الشهادة حجة كاملة لاتصال القضاء بها، لأن القاضي ولايته عامة وتتعدى إلى الكل، أما الأقرار فإنه حجة قاصرة على المقر وحده، ولا يحاسب الغير بإقراره، وذلك لقصور ولايته على غيره، ولذا فإنه لو أقر مجهول النسب بالرق جاز على نفسه وماله ولا يسري هذا الأقرار على أولاده.

(٢) الشهادة لا توجب حقا إلا باتصال القضاء بها، أما الأقرار فإنه موجب للحق بنفسه عند عامة الفقهاء وإن لم يتصل به القضاء. والجدير بالذكر أن القانون الوضعي لا يعترف إلا بالأقرار القضائي، أما الأقرار في غير مجلس القضاء فلا عبرة له عندهم (مادة ١٦ من مشروع قانون الأثبات السوداني لسنة ١٩٨١).

(٣) يصح الأقرار بالمعلوم والمجهول، ويقبل إقراره، بخلاف الشهادة فإنها لا تكون إلا بعد العلم بالمشهود به. فلو قال لفلان عليّ دين أو حق، قبل، ولو أقر بزناه بامرأة لا يعرفها حد ولابد من علم الشهود بالمشهود عليه فلو قالوا لا نعرفها ترد شهادتهم.

ولا يوجد دليل من أدلة الأثبات غير الأقرار والشهادة اتفق الفقهاء على حجيته، وعليه فقد تبقى لنا الأدلة المختلف فيها وهذا ما سنحاول عرضه في مقال قادم إن شاء الله تعالى.

---

(١) الطرق الحكمية ص ٤٥.

شرعيّة المعاملات

التي تقوم بها البنوك الإسلاميّة المعاصرة

للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق
الكويت

* هذه كلمة من محب لكم ولأمتنا الإسلامية أسدْيها لكم تبرئة للذمة ونصحاً للأمة، وحساب الجميع على الله سبحانه وتعالى. ولأن موضوع البنوك الإسلامية طويل ومتشعب، ولأنه لا يسعنى فى هذه العجالة تفصيل هذا الأمر، فإننى سأضع بين أيديكم خطوطاً عريضة محددة لما يجب أن يدور عليه البحث ولما أحب أن ألفت نظركم إليه.

أولا : البنوك الإسلامية غاية وهدف :

من تحصيل الحاصل الآن أن أذكر أن البنوك الإسلامية غاية إسلامية وهدف وأمل لكل مسلم صادق وأن كل مسلم مطالب بأن يسعى إلى إقامة هذه المصارف الإسلامية على النحو الذى يحقق للمسلم طيب المطعم والكسب، ولأمة الإسلام النصر والعزة، ولاشك أنه يبرأ من الإسلام من يريد أن يحول بين المسلمين وبين إقامة نظام اقتصادهم وفق الشريعة ومن يريد تعطيل مسيرة البنوك الإسلامية لتطبيق شريعة الله.

ثانيا: نظرة الى الوراء:

من جانب الحرص على المصارف الإسلامية كتبنا مقالات مطولة فى عدم شرعية كثير من المعاملات الجارية الآن فيها، وقد كان لنا بحمد الله شرف الدعوة والعمل من أجل إقامة هذه المصارف وذلك منذ عام ١٩٦٦ مقتدين ومساعدين لأستاذنا فى هذا الصدد الدكتور عيسى عبده رحمه الله الذى هو بحق رائد ومنشىء أول مصرف إسلامى فجزاه الله عن المسلمين خيراً وأفسح له فى جنان الخلد.

ثالثا: الغاية التى من أجلها تنشأ المصارف الإسلامية:

لا يخفى عليكم أن المصرف الإسلامى يختلف عن المصرف الربوى فى شىء أساسي هو أن المصرف الإسلامى هو التاجر والصانع والزارع والمؤجر، والذى يعمل فى الصيد واستخراج المعادن، وباختصار هو الذى يقوم بكل الأعمال المشروعة للكسب وهذا بعكس

البنك الربوى الذى يقوم بدور الوسيط فقط بين صاحب المال وبين صاحب المشروع الزراعى أو الصناعى أو التجارى. فالمصرف الربوى فى حقيقته وكيل عن المودع فى أنه يقرض ماله بالربا بفائدة معلومة دون أن يتحمل شيئا من الخسارة، وأما المصرف الإسلامى فإنه يأخذ المال من المودعين ليزرع هو، ويصنع هو، ويبنى هو، ويؤجر هو، وبالتالى يكسب أو يخسر ويشارك المودع فى الربح والخسارة.

وليس بخاف على أحد اليوم أن المصارف الإسلامية جميعها لم تقم بشىء يذكر مما أسست من أجله فلم تفتح بنفسها زراعة أو صناعة أو تجارة أو صيداً أو استخراج معادن. اللهم إلا خمسة فى المائة فقط من الأموال المودعة عندها ذهبت إلى هذا الصدد وأما بقية الأموال المودعة فإنها تتعامل فيها بطريقة ربوية لا شبهة فيها بتاتاً أنها ربوية تحايلية. وذلك فيما يسمونه ببيع المرابحة، وكذلك فى الاعتمادات المستندية.

ففى بيع المرابحة المزعوم يشترى المصرف الإسلامى فى الظاهر لنفسه وفى الحقيقة للمشترى الذى تعاقد معه وباع له، والمصرف هنا ليس مشتريا حقيقة وإنما هو وسيط ربوى ضامن للربح غير مخاطر بشىء فهو يبيع ويشترى فى وقت واحد ويسلم البضاعة وهى ما زالت فى مصانعها أو فى البحر أو فى مخازن التاجر البائع. وهذا تحايل صارخ على الربا وليس من البيع فى شىء وقد فصلنا هذا الأمر بحمد الله فى مقالات عديدة، ورددنا ردوداً شافية على كل الذين حاولوا الدفاع عن هذا البيع الزائف الذى يسمونه (بيع المرابحة) وما هو من بيع المرابحة المعروف فى الإسلام فى شىء.

وأما الاعتمادات المستندية فهو نوع من ضمان وصول مستندات البيع إلى المشترى، وهو خدمة تتقاضى عليها البنوك أجراً وهذا جائز إلا أن البنوك الربوية إذا سددت عن عميلها وتأخر فى السداد فإنها تحسب عليه فائدة ربوية على كل يوم تأخير، وأما المصارف الإسلامية فقد وجدت من يتحايل لها أيضا ويضع نسبة تصاعدية على العميل المشترى فالذي يسدد فى ثلاثة أشهر يدفع ١ر٥٪ والذى يسدد فى ستة أشهر يدفع ٣٪ والذي يسدد فى سنة يدفع ٦٪ وهذا هو عين المداينة بربح معلوم، ولا يفيد هذا القول بأن الدين مختلط مع عقد آخر هو الوكالة عن المشترى فى استلام المستندات، لأن أخذ الأجرة على تسليم المستند معلومة ويمكن فصلها عن المداينة. ولذلك فلا فرق بتاتاً بين ما تصنعه المصارف الإسلامية الآن فى الاعتمادات المستندية. وما تصنعه البنوك الربوية. وهذه القضية أيضاً قد فصلناها فى مذكرة ورفعناها إلى بيت التمويل الكويتى عندما طلب منا أحد العلماء إفتاءه فيها.

رابعـاً: ليس المهم أن نرفع شعاراً إسلامياً بل المهم أن تطبق الإسلام الحقيقى:

أظن أنه ليس بخاف عليكم أنه ليس المهم أن يرفع المسلم شعاراً يقول أنه مسلم ثم يمارس بعد ذلك ما يحلوله، وإنما المهم الآن ــ والآن بالذات أن نظهر الإسلام الحقيقى وأن نقدم الإسلام حقيقة للناس. وقد ذكرت فى معرض ردودى السابقة على قضية (بيع المرابحة) أنه بهذا الطريق من التحايل نستطيع أن نزاول كل الربا الموجود فى الأرض الآن عن طريق مايسمى (بيع المرابحة) فهذا النوع من التعامل قد يَسر إجراء أى معاملة ربوية على أى صورة عن طريق ما يسمى (بيع المرابحة) وهذا معناه أن لايوجد الآن ربا فى الأرض فقط بل أى معاملة ربوية نستطيع أن نجعلها (شرعية) إلا بأن نغير شكل الكتابة فقط، فبدلا من أن أقول أخذت دينا بفائدة كذا وكذا أقول إننى لست مشتر يا ولا بائعاً وإنما أنا قد أسلفت نقودى لغير ى بفائدة معلومة لزمن معلوم.

خامساً: أنظروا عمن توقعون؟

وختاماً أقول للمجتمعين اليوم انظروا عمن توقعون. إنكم توقعون عن الله. فإن قلتم إن هذا حلال فإنكم تعنون أن الله قد حرم هذا، ولاشك أن تحليل الحرام كتحريم الحلال. وأن الربا إحدى وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أربي الربا عرض الرجل المسلم. فانظروا أين تضعون أنفسكم، واعلموا أن الله سائلكم غداً عما ستوقعون عليه اليوم.

وفى الختام أذكر هذه الحادثة لأوضح لكم إلى أى مدي أنتم مسئولون: فقد سألت بعض القائمين على المصارف الإسلامية: لماذا لاتؤسسون مشروعات صناعية وزراعية وتجارية وهذه هى المهمة التى من أجلها أسست البنوك الإسلامية؟ فقال لى: لانستطيع ذلك فقلت: شاركوا بعض الشركات القائمة اشتر وا شركات ناجحة. فقال: لم نجد من نستأمنه؟ ونخاف أن نخاطر بأموال المودعين. فقلت له: هذه هى نفسها حجة المرابين. أنهم لايريدون المخاطرة. ولكن أليس الذين أودعوا نقودهم عندكم من المسلمين الذين فروا من الربا. وأنهم دخلوا وأودعوا أموالهم عالمين أنها قد تتعرض للربح والخسارة؟ فلماذا تخافون إذن من المخاطرة؟. ولم أسمع لليوم جواباً.

فيا إخوانى الأعزاء هذه مسئوليتكم: فإن وجهتم المصارف الإسلامية اليوم إلى العمل الإسلامى الصحيح توجهت. وكان لكم الفضل بعد الله سبحانه وتعالى. وإن أقررتم ما هو حاصل الآن من المعاملات الربوية كرستم الظلم والغش والربا وكانت المصارف الإسلامية القائمة اليوم وجهاً جديداً تحايلياً للمصارف الربوية فاختاروا اليوم ما تشاؤ ون واللهم هل بلغت. اللهم فأشهد.

متى يكون بيع المرابحة حلالاً ومتى يكون حراماً ؟

من المعلوم قطعاً أن كل عمل محرم اذا ألبس الصورة الشرعية فإنه يبقى على تحريمه بل يزداد حرمة لأنه يأخذ صورة الحيلة للتوصل إلى ما حرمه الله سبحانه . ولاشك أن المقاصد والنيات لها دخل كبير فى الحكم على العمل هل هو حرام أم حلال .

ومن المعلوم قطعاً أيضاً كون البيع مباحاً ولكن هذه الإباحة ليست على إطلاقها فإن ثمة شروطاً لابد من توافرها ليكون البيع حلالاً وثمة موانع تمنع صحة البيع لابد من الابتعاد عنها .

وقد أجاز فقهاؤنا الأقدمون نوعا من البيع سموه بيع المرابحة ولكنه اتخذ فى بعض المعاملات الجارية والحادثة الآن صورة شرعية زائفة لعمل ربوى صريح .

فبيع المرابحة المشروع هو أن يقول البائع للمشترى اشتريت هذه السلعة بكذا وأربحنى فيها كذا وأبيعك إياها سواء باعه هذه السلعة حاضرا أم بأجل وهذا لا خلاف فى مشروعيته بين الفقهاء . ومازال المسلمون يتعاملون فى أسواقهم بمثل هذا البيع ، فكثيرا ما يقول لك التاجر «هذه السلعة وقفت علي بكذا أربحنى كذا وأبيعك إياها» .

والبيع هنا صحيح سواء كذب البائع أو صدق فكذبه هنا حرام عليه لا يمنع صحة البيع وإن كان فى هذا إثم عظيم لقوله صلى الله عليه وسلم «ثلاثة لايكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة : وذكر منهم رجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف له لقد اشتراها بكذا وكذا وإذا وهو على غير ذلك» رواه البخارى .

ولكن الصورة المحرمة من صور المرابحة والتى لاشك أنها تحايل على الربا ، هو مايصنعه الكثيرون ممن يلجأون إلى المصارف الإسلامية ، أو المولين فيقولون لهم «اشتر لى الأرض الفلانية أو السيارة الفلانية وأنا أشتريها منك» وهو لا يلجأ إلى المصرف أو الممول إلا من أجل أن يبيعه مؤجلا ومن أجل الحصول على المال ، فبدلا من أن يقترض بربا ويشترى السلعة يلجأ إلى هذه الحيلة فيأخذ الممول أو المصرف وسيطا لا من أجل الشراء وإنما من أجل الحصول على المال . والبنك الإسلامى لايشترى السلعة لنفسه وإنما من أجل أن يبيعها لذلك المشترى ، فالمقاصد هنا معلومة قطعا وصورة الشراء الأول والبيع الثانى ما هى إلا غطاء شرعى زائف لعمل غير مشروع يقينا وهو الربا . ومن أجل ذلك تتهم البنوك الربوية المتعاملين بمثل هذا البيع مع البنوك الإسلامية بأنه لا فرق بين عمل هذه البنوك وتلك ، وإن كان فى البنوك الربوية صريحا والبنوك الإسلامية ملفوفا .

وعليه فاننا نقول فى الحلال فسحة وأبواب الرزق المشروعة أكبر وأعظم من أبواب الرزق المحرمة . ولا يجوز تحليل هذه المعاملة لأنها تحايل واضح على الربا يتم فى صورة البيع . ولا علاج لذلك إلا بأن يشترى البنك الاسلامى لنفسه ثم يبيع لمن شاء دون أن يكون هناك اتفاق أووعد سابق على الشراء والبيع قطعا لمادة الربا ، وبعدا عن الشبهات ، والحلال بين والحرام بين ، ولاشك أن بيع المرابحة بهذه الصورة من الحرام البين الذى لايحتاج إلى كبير بيان .

القول الفصل فى بيع المرابحة

أولا ـ صفة بيع المرابحة (المشروع) :

بيع المرابحة الشرعى هوأن يذكر البائع للمشترى الثمن الذى اشترى به السلعة فيقول وقفت علي بكذا ربحنى فيها كذا وأنا أبيعك اياها : وفى هذا يقول ابن قدامة فى المغنى «معنى بيع الرابحة هو البيع برأس المال وربح معلوم ويشترط علمهما برأس المال فيقول رأس مالي فيه . أو هو علي بمائة «مثلا» بعتك بها وربح عشرة فهذا جائز لاخلاف فيه ولا نعلم فيه عند أحد كراهة» «اهـ» .

ويقول صاحب بدائع الصنائع «فقه حنفى» هو أن يبيع بمثل الثمن الأول مع زيادة ربح . «ص ٢٢ ج ٥ ط أولى» وهذا البيع مازال معمولا به فى أسواق المسلمين جميعا الى اليوم فأنت تأتى الى التاجر فيقول لك هذه الشاة مثلا اشتريتها بخمسين دينارا ربحنى فيها خمسة دنانير وأنا أبيعك إياها .

ثانيا ـ صفة «بيع المرابحة» المعمول بها فى بعض البنوك الاسلامية :

وأما المعاملة التى يسمونها فى البنوك الإسلامية بيع مرابحة فهى تختلف عما قدمنا شكلا وموضوعا ونية وقصدا ، فإن البنك لايملك السلعة والمشترى الذى يلجأ إلى البنك لايقصد خدمة البنك فى أن يشترى له وإنما ـ يلجأ إلى البنك من أجل المال لأنه ليس لديه مال حاضر وهو يريد شراء سلعة ما «أرضا مثلا أو سيارة» فيأتى إلى صاحب الأرض «البائع الحقيقى» ويتفق معه على السعر ثم يذهب الى البنك الإسلامى ويقول له اشتروا لى هذه الأرض الفلانية ويوقع معهم عقدا يسمونه «وعد بالشراء» . ثم يذهب موظفوا البنك ويحضرون البائع ويتفقون معه على أن يبيعوا له بثمن أكثر نسيئة أعنى الى أجل ويسمون هذه «الدورة الطويلة» بيع مرابحة .

أوجه تحريم هذه المعاملة :

(أ) قصـــد الربـــا :

ولا شك أن هذه المعـاملة ليست من البيـع والشـراء فى شيء فإن المشترى الحقيقى ما لجأ إلى البنـك إلا من أجـل المـال ، والبنك أيضا لم يشتر هذه السلعة بقصد أن يبيعها بأجل إلى المشترى وهذه المقاصد لايستطيع أحد أن يكابر فيها .

(ب) بيع ما لايملك :

ولاشـك أيضـاً أن البنـك الإسـلامى عنـدمـا يأتيـه مشـتر ويقول : اشتر لى السلعة الفـلانيـة فإن البنـك يسـاومـه على البيع ويشترط عليه إذا اشتراها له أن يشتريها بربح كذا وكذا ، وهنا يكون البنك قد باع ماليس عنده . وقد جاءت النصوص بتحريم ذلك بل إجماع الأمـة كلهـا على هذا كما قال ابن قدامـة فى المغنى «ولا يجوز أن يبيـع عيناً لايملكها ليمضى ويشتريها ويسلمها رواية واحدة» أحمد بن حنبل «وهو قول الشافعى ، ولا نعلم فيه مخالفاً لأن حكيم بن حزام قال للنبى ﷺ : إن الرجل يأتينى فيلتمس من البيع ما ليس عندى فأمضى إلى السوق فأشتريه ثم أبيعه منه فقال النبى ﷺ «لاتبع ما ليس عندك» (أ هـ ص **١٥٥** ج **٤** المغنى) .

ومعلوم يقينـاً أن البنـك يبيـع ماليس عنـده باتفـاقـه مع المشترى الذى يسمونه وعداً بالبيع ، والحال أنه تعهد مكتوب موقع عليه يلتزم به المسلم على الأقل أخلاقياً وأدبياً ولا يجوز للمسلم أن يخلف وعـده حقـاً إن البنـك لا يقـاضي من يتخلف عن هذا الوعد ويطالبه أمام المحـاكم بإنجـاز ما وعـد[١] ولكنه يكبله بتوقيع ووعد يلزمه أخلاقياً على الأقل أن يشترى ، وهل هناك بيع أظهر من هذا وأوضح .

(جـ) بيعتين فى بيعة :

هذه المعاملة التى يتبايعون فيها فى البنوك الإسلامية هى بيعتان فى بيعة . وقد جاءت النصوص وكلام السلف بالنهى عن ذلك فقد صح أن النبى ﷺ قد نهى عن بيعتين فى بيعة . قال الإمام ابن تيمية «وفى السنن عن النبى ﷺ أنه قال لمن باع بيعتين فى بيعة «فله أوكسهما أو الربا» وهذا إن تواطأ على أن يبيع ثم يبتاع فما له إلا الأوكس وهو الثمن الأقل أو الربا» أ هـ فتاوى ج **٢٩** ص **٤٤٧** ولاشك أن الشراء الأول للبنك ثم البيع ما هما إلا عمليتان اثنتان فى صفقة واحدة قصد بها التحايل على الربا .

(١) عنـدمـا كتبنـا ذلـك كان الأمر كذلك . وأما الآن فإن العقود الجديدة تنص على التقاضى أمام المحاكم إذا أخل أى طرف بهذا الوعد .

(د) القضية كلها تحايل لأخذ الربــــا :

وهـذه المسألـة برمتهـا ما هى إلا دورة طويلة ، القصـد منهـا التـوصل الى الربا بغطا شرعى . ولهـدا قال ابن قدامـة بعـد أن ساق بعض المعـامـلات التى ظاهرها الشرع وباطنها التـوصـل الي محرم : قال : «والحيـل كلهـا محرمـة غير جائزة فى شيء من الدين وهو أن يظهر عقـداً مبـاحـاً يريـد به محرمـاً مخادعـة ، وتـوسلا الى فعل ما حرم الله ، واستباحة محظوراته أو اسقـاط واجب ، أودفـع حق ، ونحـو ذلـك ، قال أيوب السختيانى «إنهم ليخادعون الله كما يخادعون صبياً ، لو كانوا يأتون الأمر على وجهه كان أهون علي» أ هـ .

وذكـر صاحب المغنى أمثلة للحيـل فى أبـواب الـربا منها قوله : «وهكذا لو أقرضه شيئاً وباعه سلعة بأكثر من قيمتها توصلا الى أخذ عوض عن الفرض فكل ما كان من هذا على وجه الحيلة فهو خبيث محرم «ا هـ» واستطرد ابن قدامة قائلا : «وقال أبو حنيفة والشافعى ذلك كله وأشباهه جائز إذا لم يكن مشروطاً فى العقد» لكن ، قال بعض أصحاب الشافعى «يكره أن يدخلا فى البيع على ذلك لأن ما كل ما لايجوز شرطه فى العقد يكره أن يدخلا عليه» ثم عقب ابن قدامـة على آراء الشـافعى وأبى حنيفـة هذه بقـولـه «ولنـا أن الله تعالى عذب أمة بحيلة احتالوها فمسخهم قردة وخنازير وسماهم معتدين وجعل ذلك نكالا وموعظة للمتقين ليتعظوا بها ويمتنعوا عن مثل أفعالهم وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى « وموعظة للمتقين» أى لأمة محمدﷺ فروى أنهم «أى بنى اسرائيل» كانوا ينصبون شباكهم للحيتان يوم الجمعة ويـتركـونهـا الى يوم الأحـد ، ومنهم من كان يحفـر حفـائـر ويجعل اليها المجارى فيفتحها يوم الجمعـة فاذا جاء السمـك يوم السبت جرى مع المـاء فى المجارى فيقع فى الحفائر فيدعها الى يوم الأحد ثم يأخذها ويقول : ماصطدت يوم السبت ولا اعتديت فيه فهذه حيلة . «أهـ» .

وقـال ابن عبـاس أيضـاً فمن يشـتر ى بنقـد «حـاضر» ومقصوده البيع نسيئة «أى الى أجـل» قال «إذا استقمت بنقـد ثم بعت بنقـد فلا بأس ، وإذا استقمت بنقد ثم بعت بنسيئة فتلك دراهم بدراهم» قال ابن تيميـــة تعقيبـاً على كلام ابن عبـاس هذا «ومعنى كلامـه إذا استقمت ، اذا قومت يعنى إذا قومت السلعـة بنقـد وابتعتهـا الى أجل فإنما **مقصودك** دراهم بدراهم» الفتاوى ص **٤٤٢** ج **٢٩** » وعقب الامام ابن تيمية ناصحاً من يتبع بعض الأقوال الضعيفـة لأهـل العلم ويستحـل مثل هذه الحيل قال «عليهم اذا سمعوا العلم أن يقولوا عن هذه المعـامـلات الـربـويـة ، ولا يصلح أن يقلد فيهـا أحـداً فمن يفتى بالجواز تقليداً لبعض العلماء فإن تحريم هذه المعـامـلات ثابت بالنصـوص والآثـار ولم تختلف الصحابة فى تحريمها وأصـول الشـريعـة شاهـدة بتحـريمها ، والمفاسد التى لأجلها حرم الله الربا موجودة فى هذه

المعاملات مع زيادة مكر وخداع ، وتعب وعذاب فإنهم يكلفون من الرؤ ية والصفة والقبض وغير ذلك من أمور يحتاج اليها فى البيع المقصود، وهذا البيع ليس مقصوداً لهم وانما المقصود أخذ دراهم بدراهم فيطول عليهم الطريق التى يؤمرون بها فيحصل لهم الربا فهم من أحل الربا المعذبين فى الدنيا قبل الآخرة وقلوبهم تشهد بأن هذا الذى يفعلونه مكر وخداع وتلبيس ولهذا قال أيوب السختيانى «يخادعون الله كما يخادعون الصبيان فلو أتوا بالأمر على وجهه لكان أهون علي» انتهى فتاوى ص ٤٤٥ ج ٢٩ .

الخلاصة :

وخلاصة الأمر أن هذا البيع الذى يسمونه فى بعض البنوك الإسلامية ببيع المرابحة ليس هو بيع المرابحة فى شيء ، واعتمادهم هو قول للشافعى رحمه الله فى هذه المسألة لايحل لهم ذلك لأمرين :

الأول : أن الشافعى يفترض فى هذا حسن النية وعدم التحايل على الربا قطعاً .

والثانى : أن الشافعى رحمه الله يرى جواز ما يماثل هذه الحيلة وهو بيع العينة كما قال : (وان اشترى الرجل طعاماً الى أجل فقبضه فلا بأس أن يبيعه ممن اشتراه منه دون غيره بنقد والى أجل) «أ هـ ص ٣٩ ج ٣» وهم لايقولون بجواز مثل هذا البيع لأنه تحايل فكذا يجب أن يقولوا ذلك فى مثيله «أ هـ» .

كلمة أخيرة :

وعلى كل حال فليس مقصوداً فى هذا والله يعلم . الطعن فى البنوك الاسلامية ، والتشويش عليها ، كما أدعى بعض الناس سامحهم الله . بل مقصوداً هو النصح والتقويم وخاصة إن هذه معاملة قد استشرت فى الناس ويعلم العامة قبل الخاصة أنها تحايل صريح على الربا ، والبنوك الإسلامية لم تبدأ عملها بعد وما زالت فى أول الطريق وعملها يبدأ عندما تكون هى الزارع والصانع والتاجر والشريك الحقيقى الذى يتحمل فى الربح والخسارة ، والمضارب الذى يمول غيره ويتحمل فى الربح والخسارة ، وهنا فقط يبدأ عمل البنك الاسلامى والطريق طويل ونسأل الله العون كل العون للقائمين عليها . ونصيحتى للمودعين أن لا ينتظروا الربح السريع من أول الطريق بل علينا التضحية ولن يضير البنك الاسلامى إذا مكث سنة أو سنتين أو أكثر يؤسس شركات حقيقية ، ويشارك هو حقيقة ويبنى اقتصاداً إسلامياً حقيقياً ، ولو أنه فى سبيل ذلك لم يحقق لزبائنه هذه النسبة المرتفعة من الأرباح .

البنوك الاسلامية بين النظرية والتطبيق :

* يعقد حالياً فى الكويت المؤتمر الثانى للمصارف الإسلامية، وذلك لمناقشة شرعية المعاملات التى تمارسها المصارف الإسلامية، وحتى يدرك الجميع الحقائق التى تواجهها هذه المؤسسات، ويعرف الناس ما يدور بداخلها نحب أن نضع الجميع أمام هذه الحقائق لتصل المصارف الإسلامية إلى التطبيق الصحيح للاسلام ولتكون مصارف إسلامية حقيقية وليست مجرد غطاء إسلامى لواقع ربوى .

أولا : الفارق الأساسى بين البنك الربوى والمصرف الاسلامى :

كثيرون لا يدركون الفارق الأساسى بين المصرف الإسلامى والبنك الربوى والفارق باختصار يتمثل فيما يأتى :

* البنك الربوى يقوم نظامه وعمله الأساسى على تجميع أموال المستثمرين، ومن ثم اقراضها بفائدة ثابتة للتجار والمؤسسات والمصانع والحكومات والأفراد المحتاجين، وهذا يعنى فى المحصلة أن البنك الربوى وكيل عن المودع فى اقراض أمواله بفائدة ثابتة ثم هو أعنى البنك الربوى يتقاسم الفائدة بينه وبين المودع. وهذا يعنى أيضاً أن البنك الربوى لا يخاطر بالأموال وإنما يقرضها بفائدة ثابتة. وما يتحصله من فوائد يتقاسمه مع المودعين فيه .

* وأما المصرف الاسلامى فانه يجمع أموال المودعين لا ليؤجرها أويقرضها للغير وانما ليعمل هو بها من خلال مؤسساته الخاصة - يعمل بها فى الزراعة والتجارة والصناعة وشراء العقار وتأجيره وسائر أوجه الكسب المشروع وبالتالى فالمصرف الاسلامى مخاطر بأموال المودعين لأنه قد يكسب ويربح عند ممارسته لهذه الأعمال وقد يخسر وبالتالى فإنه لا يعطى فائدة ثابتة وإنما يتقاسم الربح والخسارة مع المودعين (المستثمرين) هذا هو الفارق الأساسى بين البنك الربوى والمصرف الإسلامى .

ثانيا - الواقع الفعلى للمصارف الإسلامية :

ولكن للأسف فان هذا المفروض الذى بيناه آنفا غير مطبق فى المصارف الإسلامية الآن - اللهم إلا بنسبة ضئيلة جداً لا تتعدى خمسة فى المائة ٥٪ من الأموال المودعة فيها . وأما بقية أعمال المصارف الإسلامية الحالية فإنها تعمل بطريقة ربوية خالصة وذلك على النحو التالى :

البنوك الربوية تقرض التجار الذين لا يملكون نقوداً حاضرة (سيولة) فى مقابل فائدة

ثابتـة . وهـذا من الـربـا الصريح الواضح وأما المصارف الإسلامية ، فانها تصنع مع التجار نفس الصنيع ولكن عن طريق دورة طويلة من الاجراءات التى لاداعى لها . فالتاجر الذى يأتيها يريد (سيولة) نقوداً حاضرة تقول له نحن لانقرضك مالاً (لأننا بنك إسلامى) . ولكن ماهى البضاعة التى تريدها أرنا إياها ونحن نشتريها ثم نبيعها لك . بشرط أن تتكفل أنت بجميـع مصـاريف الشحن والتأمـين وجميـع الالتزامات الأخرى التى تترتب على نقل هذه البضـاعـة ونأخـذ منك عشرة فى المـائة . هذه هى صورة معاملة البنك الإسلامي مع التاجر الـذى لجأ اليـه من أجـل (السيـولـة) النقود وهكذا يكون البنك الإسلامى ضامناً للربح غير مخاطـر بشيء ـ فهـويوهم نفسـه ويـوهم النـاس أنه يتاجر والحال أنه مقرض بفائدة وما قضية الشراء والبيع إلا تمثيلية وقد يسأل سائل وما الحرام فى ذلك والجواب أن الحرام يتأتى من أن البنـك الاسـلامى فى هذه الحـال يبيـع ما ليس عنده وما لايملك وهذا لايجوز فى الشريعة ، ويبيـع البضـاعـة ولم يتسلمها بعد ولم ينقلها إلى مخازنه وقد نهى النبى ﷺ عن بيع الطعام قبل قبضـه (كما فى صحيـح مسلم) وكـذلـك سائر البضائع والتجارات وكذلك فالبنك هنا ليس تاجـراً وانـما هو مقـرض فقـط فهو لايشترى لنفسه وإنما يشترى لغيره ، ولا يلتزم بشىء بتاتاً نحـو تجارتـه فلا هو ملزم بنفقـات نقلهـا ، ولا بضـمانهـا إذا هلكت بل وهـو أيضـاً غير ملتزم بتسليمهـا إلى المشـترى وانـما يسلمـه المستنـدات وهـو يذهب لاستلام بضاعته التى تكون مازالت فى عرض البحر . ولذلك فالتاجر يكون فى جانب المخاطرة والبنك الاسلامى يكون فى جانب الأمان التام شأنه فى ذلك شأن البنك الربوى تماماً إلا أن البنك الربوى وصل إلى مقصـوده دون لف ودوران والبنـك الاسـلامى لايصـل إلى مقصـوده إلا بزيـادة عنـاء ولف ودوران . وهكذا تكون (الشريعة الإسلامية) على هذا النحو مزيداً فى التعقيد والتطويل مع فعل نفس الأمر الذى حرمه الله سبحانه وتعالى .

ثالثـا ـ الدعاوى لا تغير الحقـــائق :

وقـد استبـاح القـائمون على البنوك الإسلامية لأنفسهم مثل هذه المعاملة التى بيناها آنفـاً من باب أنهم عنـدمـا يأتيهم العميـل فلأنهم لايبيعـونه وإنما يعدونه وعداً غير ملزم بأن يبيعـوا له إذا اشـتروا السلعـة . فإذا اشـتروها لأنفسهم قاموا بعد ذلك ببيعها للعميل وهذا الكلام أيضاً غير صحيح بدليل ما يأتى :

١ ـ لايوجد شيء فى الشريعة يسمى وعداً غير ملزم إذ المؤمن مطالب شرعاً بانفاذ ما وعد وإلا كان على شعبة من نفاق .

٢ ـ كيف يكون وعد الشراء هذا غير ملزم وقد نصوا فيه على ما يأتى كما جاء فى نص العقد المعنون بـ (رغبة ووعد بالشراء) ففى المادة الرابعة منه : **يتحمل الطرف الذى يخل بهذا الوعد الضرر الفعلى الذى يلحق بالطرف الآخر مالم يكن الاخلال لأسباب قاهرة** أ هـ .

فكيف إذن يكون الوعد غير ملزم إذا كان الطرف الذى سيخل بهذا الوعد سيتحمل الضرر الناشىء من الاخلال بالوعد ؟

ولعل قائلاً يقول إن الأمر لن يصل إلى أن يتقدم البنك الإسلامى بطلب محاكمة العميل الذى يتخلف عن انفاذ وعده للبنك وإنما هذا مجرد تهديد وتخويف وأقول هذا أيضا خطأ لأن المادة الخامسة من هذا الوعد تنص على ما يأتى فهى تقول بالنص : «عند نشوء أى خلاف بين الطرفين بشأن هذا الوعد يصعب عليهما حله ودياً يعرض على محكمين ملتزمين بالشريعة الإسلامية (هكذا) يتم اختيارها على الوجه التالى :

* حكم يختاره الطرف الأول .
* حكم يختاره الطرف الثانى .
* وحكم تختاره غرفة تجارة وصناعة الكويت .

ويتم الفصل فى النزاع وفقاً للقوانين والأعراف التجارية السائدة بدولة الكويت وبما لا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية (**عجباً**) ويكون حكمها سواء صدر بالاجماع أو بالأغلبية ملزماً للطرفين وغير قابل للطعن فيه بالمعارضة أو الاستئناف وإذا اعتذرت غرفة التجارة والصناعة عن ترشيح الحكم الثالث يقوم الحكمان المختاران من قبل الطرفين باختياره ، فاذا تعذر ذلك تقوم المحكمة الكلية بتعيينه وفقاً لأحكام قانون المرافعات المدنية والتجارية الكويتى» .

وبعـــــد . . . .

أنظرتم يا إخوانى إلى مفهوم الوعد غير الملزم فى نظر البنوك الإسلامية إنه وعد يجرك جراً إلى محاكمة لا استئناف فيها ولا طعن فأى إلزام وأى دكتاتورية أبلغ من هذا . . . ؟ إن هذه الالتزامات المترتبة على هذا الوعد بالشراء (غير الملزم) لهى أبلغ من كل الالتزامات التى تترتب على الإخلال بعقد بيع حقيقى . ولذلك قلنا إن الادعاء بأن وعد الشراء غير ملزم أكذوبة كبيرة وإيهام كبير .

رابعاً ــ نناشدكم الله العودة إلى الحق والصواب

للأسباب السابقة كتبنا مراراً وتكراراً مناشدين القائمين على البنوك الإسلامية الله ــ أن يعودوا إلى الحق والصواب وأن لا تصبح الشريعة الإسلامية ألعوبة فى أيديهم فإن الدنيا

لا تغنى من الآخرة شيئاً ، ومصير الجميع غداً بين يديه سبحانه وتعالى وهو سائل كل إنسان منا على ما اكتسبه بلسانه وقلمه ويده .

ولـذلـك قلنـا إن المـؤتمر الحالى للبنوك الإسلامية مفترق طرق فإما أن تتحول البنوك الإسلامية إلى مزاولة عملها وفق الشريعة حقيقة وذلك بأن تفتح هى وكالات تجارية وتمارس التجارة الفعلية حقيقة ، وكذلك تقوم هى بالزراعة والصناعة والبناء ، والمقاولات بشركاتها وعـمالهـا وصنـاعهـا ، وإمـا أن تأخـذ البنـوك الإسـلامية من المجتمعين صكاً شرعيا لتزاول ما تزاول من أعمال ربوية تحت غطاء هذا الصك الشرعي .

فمـــاذا أنتم فاعلون أيها المجتمعون اليوم ؟

الفـــرق بين التـــاجر والمـــرابى

من المقطوع به فى الشريعة أن الله سبحانه وتعالى قد أباح البيع ، وحرم الربا . ومقالنا هذا مخصص وموجه لوضع الفروق بين البيع المشروع والربا المحرم .

تعريف البيع وشروط صحة عقـــده :

البيع معروف لدى جميع الناس تقريباً وهو استبدال نقود بسلع ، أوسلع بسلع أخرى كاستبـدال أرز بنفـط مثـلا . ويشـترط له الصدق وعدم كتمان العيب ، وخيار المجلس «ولهذا شرح فى مقام آخر إن شاء الله تعالى» والتسليم . ومن شروطه الهامة التى تخفى على كثير من النـاس وجـوب حيازة التاجر للسلعة قبل بيعها للمشترى ومعنى هذا أن التاجر لا يجوز له أن يبيع ماليس عنده . وأنه يجب عليه أولا أن يشترى السلعة ويحوزها ثم بعد ذلك يشرع فى بيعها .

حكمـــة مشروعيـــة البيـــع :

ولا يخفى حكمة مشروعية البيع وجواز الربح من ورائه وذلك لمـا يأتى :

(١) البائع خادم للناس لأنه يجلب البضاعة ويتعهدها ، ويعرضها لمن يشترى ويوفر على الناس كثيرا من الجهد والتعب ، ومعنى هذا أنه يقوم بخدمة حقيقية لغيره .

(٢) البـائـع مخاطـر فهـو يشترى السلعة بماله ويخاطر فى طلب الربح وقد تربح تجارته وقد تكسد وتبور . ولذلك فهو يبتغى فضل الله كما فسر العلماء قول الله تبارك وتعالى ﴿ **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض ابتغوا من فضل الله** ﴾ قالوا هو التجارة لأن الله نهى عنها

فى الآيـة التى قبلهـا عنـد سماع النداء بصلاة الجمعة كما قال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصــلاة من يوم الجمعــة فاسعــوا إلى ذكـر الله وذروا البيـع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله** ﴾ الآية . . الجمعة ٦٠ .

وهـذا سبب هام لإبـاحـة التجارة وذلك أن البائع كما قلنا منتظر لفضل الله وهو كسب تجارته الذى قد يأتى وقد لا يأتى تماما كالزارع والراعى والصياد وكل هؤلاء ينتظرون الربح ويخافون الخسارة .

والآن نأتى إلى الربــا فما هو الربا ولمـاذا كان حراماً ؟ :

تعــــريف الربـــــا :

الربا نوعان أساسيان أولهما : أخذ زيادة على تسليف النقود . ومعنى هذا إنه تأجير النقود لمـدة معينة بسعر معين . حيث يسترد المرابى رأس ماله والزيادة وهذا هو الربا المشهور وهو ما يسمى فى الفقه بربــا النسيئة لأن النساء من الامهال ومعناه امهال مستلف النقود مدة معينـة مقـابـل زيادة على رأس المال . وأما النوع الثانتى من الربا فهو بيع أصناف معينة من السلع بجنسهـا متفـاضــلاً ومن هذه الأصنـاف الذهب والفضة والقمح والشعير ، والزبيب والتمـر . ومـا قاسـه العلماء على هذه السلع . فلا يجوز مثـلاً أن يبيـع طنـاً من القمح بطن ونصف من قمح آخر . وهذا النوع لايعنينا الآن فى مقالنا هذا لأن تحريم هذا النوع من الربا إنما هو من باب سد الذرائع .

لمــاذا حرمت الشريعــة الربــا ؟ :

وفى تحريم الربا حكمة عظيمة جداً أهمها ما يأتى :

(١) القيام بخدمة لايجوز أخذ الأجرة عليها :

لاشـك أن الـرابى يؤدى خدمـة للمدين فهو يسلفه النقود ، والمدين يستفيد ولاشك بأخـذه لهذه السلفـة . فقد يكون محتاجاً إليها لتنفيس كربه كأن يكون محتاجاً إليها للاستثمار والاتجـار كأن يكـون مريـداً للزراعـة أو صنـاعة أو تجارة أو نحو ذلك وحصوله على المـال من المرابى «مصرفاً كان أو غيره» يسهل له ذلك .

ولكن هذه الخدمة نهى الشارع الحكيم عن أخذ أجرة عليها وذلك لما تؤدى إليه من فساد النفوس والمجتمعات ولذلك جعلها الشارع خدمة مجانية تماماً كالشهادة والكفالة ، والشفاعة ، والضيافة ، وعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وكل هذه الخدمات ولاشك من المسلم للمسلم ولكن الشارع نهى وحرم أخذ الأجرة على شيء من ذلك ، وجعل تسليف النقود خدمة مفروضة بلا أجر . وذلك أن أخذ الأجر على هذه الأعمال يؤدى الى التقاطع والمقت والكراهية وفقدان المحبة والموالاة بين المسلم والمسلم .

(٢) المرابى غير مخاطر وهو فى جانب الأمان دائماً :

السبب الثانى الذى من أجله حرم الربا أن المرابى لايخاطر بماله ولايضعه إلا حيث يضمن الربح ولا يهتم بمن أخذ منه المال هل خسر أم كسب وبذلك يظل المرابى فى جانب الأمان دائما فينمو ماله باستمرار ويظل غيره فى جانب الخطر صعوداً وهبوطا . واستمرار الحال على هذا النحو معناه فى النهاية تحول المال الى القلة وبالتالى تحول السيطرة والعلو والنفوذ .

(٣) الربا ضد الزكاة :

يستحيل أن تزكو نفس المرابى لأنه يأخذ المال ممن أسلفه دون نظر إلى فقره أو غناه ولذلك يستحيل أن يكون المرابى منفقاً مزكياً . بل لا تروج بضاعة المرابى وهى تأجير النقود إلا فى الأزمات والمصائب وفى وجود احتياج الناس له .

هذا باختصار أهم الفروق بين المرابى والتاجر أو بين البيع والشراء . والآن تعالوا لنطبق هذه القواعد على البيع المزور الذى تمارسه البنوك الإسلامية لننظر هل هو من البيع أو من الربا ؟

تعريف البيع الذى يسمونه بيع المرابحة :

تاجر كويتى يبيع الأحذية مثلاً وله محلاته وزبائنه ويريد أن يستورد صفقة كبيرة من ايطاليا مثلا ليس عنده نقود لشرائها . فيذهب إلى البنك الإسلامى ويقول هذه صفقة أريد شرائها من ايطاليا وهذه مواصفاتها وكميتها وعنوان مصنعها . والآن ماذا يصنع البنك الإسلامى . يقول لهذا العميل «تاجر الأحذية» نحن نشتريها لك بزيادة «بربح» ٢٠٪ مثلا عن ثمن الشراء ويقول التاجر قبلت على أن يسدد هذا المبلغ فى غضون عام أو عامين مثلاً أو أقل من ذلك أو أكثر . ويحصل الاتفاق شفوياً أو كتابياً على ذلك .

ثم يقوم البنك بشراء السلعة من مصادرها وبمجرد شحنها يستدعى تاجر الأحذية ليوقع عقدا بالشراء مع البنك وتصبح البضاعة التى مازالت فى البحر ولم يتسلمها أحد بعد فى ذمة تاجر الأحذية . . والآن لنناقش هذا العقد بصراحة .

والسؤال الأول : هل البنك هنا مارس التجارة ؟

والجواب . . . لا حتماً . لأسباب كثيرة منها : أن البنك لايتاجر فى الأحذية فليس له خبرة بها ولا يعـرف ما يروج فى الكـويت مما لا يروج فيهـا وليس عنـده أى معـرض أومخزن لاستقبـالهـا . ويـوم طلب البنـك هذه السلعـة من مصـدرهـا لم يكن يعلم أى شىء عن محتوياتها ؟ فكيف يكون هذا تاجراً . . . ؟

وثـانيـاً : التـاجـر يؤدى خدمـة للمشـترى كما ذكـرنـا آنفاً وهى أنه يجلب البضاعة ويتعهـدهـا ويعـرضهـا والبنـك هنا لم يفعل شيئا من هذا قط فالمشترى وهوتاجر الأحذية هو الـذى له علم بمصـانـع الأحـذية وأنواع هذه الأحذية ومعرفة مايروج مما لا يروج وهو الذى يتحمل الخسارة إن بارت هذه السلعة . وأما البنك فقد قام بعملين فقط أحدهما حقيقى وآخر زائف .

أما العمل الحقيقى فهو أنه دفع ثمن السلعة لمصدرها فى ايطاليا والثانى هو عقد شراء من المصنـع لهذه الأحـذيـة وعقد الشراء هذا زائف وباطل لأنه لم يشتر لنفسه وليحوز السلعة اليـه وإنـما اشـتراها ضامنا بيعها على تاجرها الحقيقى . وبهذا يتبين أن البنك الإسلامى هنا يقوم بمهمة المرابى تماماً الذى يسلف النقود ويضمن الربح .

وثـالثـاً : لاشـك أن البنـك الإسـلامى بهذه الصورة يكون بنكاً طفيلياً ربوياً ، فهو بهذه الصـورة ليس بتـاجـر قطعـاً . لأن التـاجـر يلتـزم بتسليم السلعـة للمشـترى والبنـك الإسـلامى لا يسلم السلعـة وانـما يبيعهـا وهى ما زالت فى البحـار وأمـامها كثير من المخاطر والآفات وقد تكون موافقة للمطلوب وقد تكون مغشوشة من مصدرها وكل هذه الأخطار تقع على المشترى ولا يلتزم . . . البنك بشىء منها لأنه يفض يده من السلعة قبل وصولها .

ومن أكـبر الأدلـة على طفيليـة البنـوك الإسـلامية الحالية بهذه المعاملة المحرمة إنها لا تلتزم بأى إتفاق قانونى أوأخلاقى أوإنسانى نحو السلع التى تستوردها لعملائها . . فالتاجر الحقيقى الذى يستورد غسالات مثلاً أوسيارات أوثلاجات ملتزم قانونياً وأخلاقياً أمام زبائنه بقطع الغيار والتصليح والصيانة ، والبنك الإسلامى يستورد ويبيع كل هذه الأشياء دون أى التـزام قانـونى أوأخـلاقى بصيـانتهـا أوتصليحهـا . . . وإنـما يقـع هذا على كتف التجار الحقيقيين الذين يشترى لهم البنك . . .

وبهـذا يظهـر لكـل ذى عينـين أن البنك الإسلامى فيما يسمونه ببيع المرابحة لا يمارس

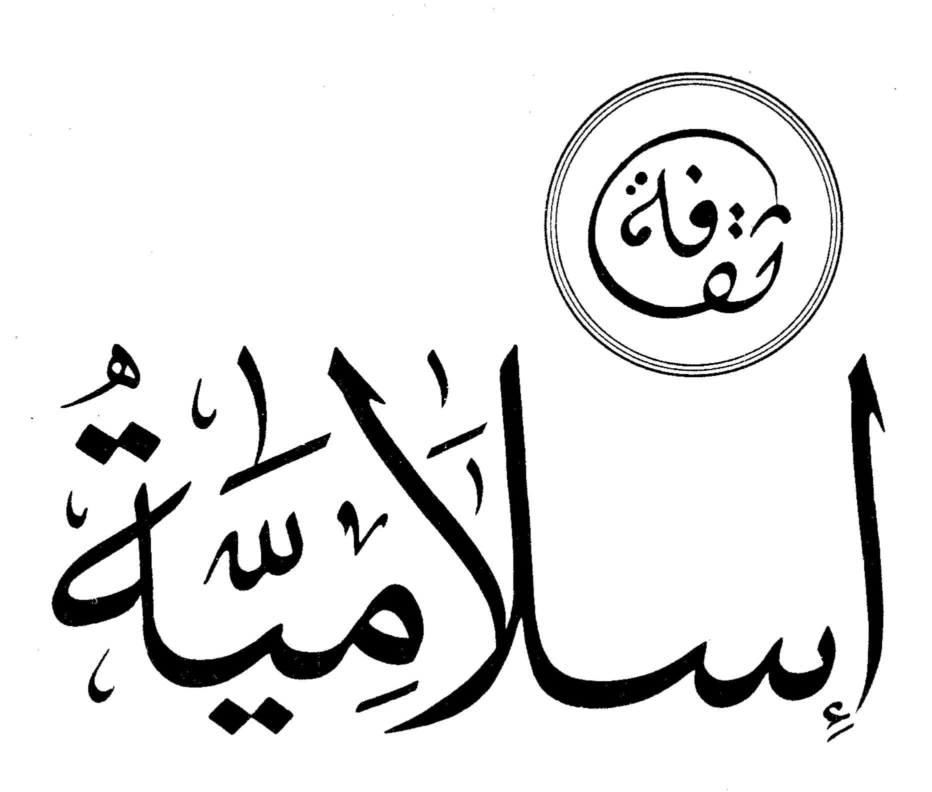
تجارة وإنما يمارس التمويل الربوى الذى لا شبهة فيه . فحقيقة عمله فى التجارة هو أن يسلف التجار لشراء بضائعهم بزيادة «ربح» ربوية فى مقابل أجل السداد .

ومرة ثانية نقول شتان بين النظرية والواقع لقد قامت البنوك الإسلامية لتمارس الاقتصاد الاسلامى ولو فعلت هذه حقيقة فى مجال هام كالتجارة لقلبت أوضاع السوق رأساً على عقب ، ومن ذلك أنها كان يمكن أن تكسر احتكار المحتكرين ، وأن تكتفى بالربح القليل تيسيراً على عامة الناس وأن تشجع صغار التجار ، وأن تقلل من السماسرة ، وأن ترخص الأسعار حتماً لأنها ستقضى على أرباح البنوك الربوية التى تأخذها من التجار فى مقابل التمويل ولكنها للأسف لم تفعل شيئاً من ذلك ، وإنما جعلت من نفسها بنوكاً ربوية جديدة حيث تأخذ فائدة من التاجر الذى يشترى منها وبذلك تزيد ثمن السلعة على المستهلك ولو مارست هى التجارة رأساً وتحملت مخاطرها لحذفت من تكاليف السلعة هذه الزيادة الربوية ولكانت كلفة السلعة هى : ثمن الشراء + مصاريف النقل والتخزين والعرض + الربح ، وأما تكلفة السلعة الآن فهى : ثمن الشراء من المصدر + تكاليف النقل والتخزين والعرض + فائدة البنك الإسلامى + ربح التاجر .

وهكذا وضعت البنوك الإسلامية نفسها موضع الوسيط الطفيلى الذى يضمن الربح عن طريق تمويل التجار بدلاً من أن تكون هى التاجر المسلم الحقيقى الذى يبتغى من فضل التاجر ويخاطر بماله فى البر والبحر وينفع عباد الله .

وبعد فلقد حاولت جهدى أن أشرح هذا الموضوع بلغة سهلة واضحة لتقوم الحجة على عموم الناس . وذلك لخطورة هذا الأمر فقد أهلك الله طائفة من بنى إسرائيل ومسخهم قردة وخنازير لتحايلهم على أكل الحرام . وهذا البيع الذى يسمونه بيع المرابحة هو من المحرم قطعاً لما أسلفنا وأرجو أن أبرىء ساحتى أمام الله وأكون قد بلغت . وأقول اللهم أشهد .

ومرة ثانية نحن لا نتهم نية أحد ، وحساب الجميع على الله وحده ، وعلى الذين يتهموننا أن يتقوا الله فى أنفسهم ، وأن يقرأوا هذا الكلام بنزاهة المسلم . والدنيا لاتغنى من الآخرة شيئاً . وحرام أن نسكت ونحن نرى البنوك الاسلامية تقع فى حماة الربا الخبيث الملتوى ، ولتسأل البنوك الإسلامية . كم متجراً فتحت ؟ وكم مصنعاً شيدت ؟ وكم يداً عاملة استخدمت ؟ وأين الزراعة والرعى ، والتعدين الذى أنشئت من أجله ؟ هذا هو ميدان البنوك الإسلامية ، وليس ميدانها أن تكون وسيطا ربويا جباناً يخشى المشاركة والقراض ، والمخاطرة المشروعة فى سبيل الرزق والكسب .


ثقافة
إسلامية

الغزو الفكري ووسائله

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

س ١ : ماهو تعريف الغزو الفكري في رأيكم ؟

جـ : الغزو الفكري هو مصطلح حديث يعنى مجموعة الجهود التى تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخري أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة ، وهو اخطر من الغزو العسكري لأن الغزو الفكري ينحو إلى السرية وسلوك المسارب الخفية في باديء الأمر فلا تحس به الأمة المغزوه ولا تستعد لصده والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس ، تحب مايريده لها عدوها أن تحبه وتكره ما يريد منه أن تكرهه .

وهو داء عضال يفتك بالأمم ويُذهب شخصيتها ويزيل معانى الأصالة والقوة فيها ، والأمة التى تبتلى به لا تحس بما أصابها ولا تدري عنه ولذلك يصبح علاجها أمراً صعباً وإفهامها سبيل الرشد شيئاً عسيراً .

س ٢ : هل يتعرض العرب عامة والمملكة خاصة لهذا النوع من الغزو ؟

جـ : نعم يتعرض المسلمون عامة ومنهم العرب لغزو فكري عظيم تداعت به عليهم أمم الكفر من الشرق والغرب ومن أشد ذلك وأخطره :

- **الغزو النصرانى الصليبى .**
- **الغزو اليهودي .**
- **الغزو الشيوعى الإلحادي .**

أما الغزو النصرانى الصليبى فهو اليوم قائم على أشده ومنذ أن انتصر صلاح الدين الأيوبى على الصليبيين الغازين لبلاد المسلمين بالقوة والسلاح أدرك النصاري أن حربهم هذه وإن حققت انتصارات فهى وقتية لا تدوم ، ولذا فكروا في البديل الأفضل ، وتوصلوا بعد دراسات واجتماعات إلى ما هو أخطر من الحروب العسكرية وهو أن تقوم الأمم النصرانية فرادي وجماعات بالغزو الفكري لناشئة المسلمين لأن الاستيلاء على الفكر والقلب أمكن من الاستيلاء على الأرض فالمسلم الذي لم يلوث فكره لا يطيق أن يري الكافر له الأمر والنهى

في بلده ، ولهذا يعمل بكل قوته على إخراجه وإبعاده ولو دفع في سبيل ذلك حياته وأغلى ثمن لديه . وهذا ماحصل بعد الانتصارات الكبيرة للجيوش الصليبية الغازية . أما المسلم الذي تعرض لذلك الغزو الخبيث فصار مريض الفكر عديم الإحساس فإنه لا يري خطرا في وجود النصاري أو غيرهم في أرضه ، بل قد يري أن ذلك من علامات الخير ومما يعين على الرقى والحضارة . وقد استغنى النصاري بالغزو الفكري عن الغزو المادي لأنه أقوي وأثبت من أي حاجة لهم في بعث الجيوش وإنفاق الأموال مع وجود من يقوم بما يريدون من أبناء الإسلام عن قصد أو عن غير قصد ، وبثمن أو بلا ثمن ، ولذلك لا يلجأون إلى محاربة المسلمين علانية بالسلاح والقوة إلا في الحالات النادرة الضرورية التى تستدعى العجل كما حصل في غزو أوغندا والباكستان ، أو عندما تدعو الحاجة إليها لتثبيت المنطلقات وإقامة الركائز وإيجاد المؤسسات التى تقوم بالحرب الفكرية الضروس كما حصل في مصر وسوريا والعراق وغيرها قبل الجلاء .

أما الغزو اليهودي فهو كذلك لأن اليهود لا يألون جهداً في إفساد المسلمين في أخلاقهم وعقائدهم . ولليهود مطامع في بلاد المسلمين وغيرها ولهم مخططات أدركوا بعضها ولا زالوا يعملون جاهدين لتحقيق ما تبقى . وهم وإن حاربوا المسلمين بالقوة والسلاح واستولوا على بعض أرضهم ، فإنهم كذلك يحاربونهم في أفكارهم ومعتقداتهم . ولذلك ينشرون فيهم مباديء ومذاهب ونحلًا باطلة كالماسونية والقاديانية والبهائية والتيجانية وغيرها ويستعينون بالنصاري وغيرهم في تحقيق مآربهم وأغراضهم .

أما الغزو الشيوعى الإلحادي فهو اليوم يسري في بلاد الإسلام سريان النار في الهشيم نتيجة للفراغ وضعف الإيمان في الأكثرية ، وغلبة الجهل وقلة التربية الصحيحة السليمة فقد استطاعت الأحزاب الشيوعية في روسيا والصين وغيرها أن تتلقف كل حاقد وموتور من ضعفاء الإيمان وتجعلهم ركائز في بلادهم ينشرون الإلحاد والفكر الشيوعى الخبيث وتعدهم وتمنيهم بأعلى المناصب والمراتب ، فإذا ما وقعوا تحت سيطرتها أحكمت أمرها فيهم وأدبت بعضهم ببعض وسفكت دماء من عارض أو توقف حتى أوجدت قطعاناً من بنى الإنسان حرباً على أممهم وأهليهم وعذاباً على إخوانهم وبنى قومهم فمزقوا بهم أمة الإسلام وجعلوهم جنوداً للشيطان يعاونهم في ذلك النصاري واليهود بالتهيئة والتوطئة أحياناً ، وبالمدد والعون أحياناً أخري ، ذلك أنهم وإن اختلفوا فيما بينهم فإنهم جميعا يد واحدة على المسلمين يرون أن الإسلام هو عدوهم اللدود . ولذا نراهم متعاونين متكاتفين بعضهم أولياء بعض ضد المسلمين فالله سبحانه المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل .

س ٣ : ماهي الوسائل التى يستخدمها الغرب لترويج أفكاره ٠ ؟

جـ : الوسائل التى يستخدمها الغرب لترويج أفكاره كثيرة منها : ـ

١ ـ محاولة الاستيلاء على عقول أبناء المسلمين وترسيخ المفاهيم الغربية فيها لتعتقد أن الطريقة الفضلى هى طريقة الغرب في كل شيء سواء فيما يعتقده من الأديان والنحل أو ما يتكلم به من اللغات أو ما يتحلى به من الأخلاق أو ماهو عليه من عادات وطرائق ٠

٢ ـ رعايته لطائفة كبيرة من أبناء المسلمين في كل بلد وعنايته بهم وتربيتهم حتى إذا ما تشربوا الأفكار الغربية وعادوا إلى بلادهم أحاطهم بهالة عظيمة من المدح والثناء حتى يتسلموا المناصب والقيادات في بلدانهم ، وبذلك يروجون الأفكار الغربية وينشئون المؤسسات التعليمية المسايرة للمنهج الغربى أو الخاضعة له ٠

٣ ـ تنشيطه لتعليم اللغات الغربية في البلدان الإسلامية وجعلها تزاحم لغة المسلمين وخاصة اللغة العربية لغة القرآن الكريم التى أنزل الله بها كتابه والتى يتعبد بها المسلمون ربهم في الصلاة والحج و الأذكار وغيرها ٠ ومن ذلك تشجيع الدعوات الهدامة التى تحارب اللغة العربية وتحاول إضعاف التمسك بها في ديار الإسلام في الدعوة إلى العامية وقيام الدراسات الكثيرة التى يراد بها تطوير النحو وإفساده وتمجيد ما يسمونه بالأدب الشعبى والتراث القومى ٠

٤ ـ إنشاء الجامعات الغربية والمدارس التبشيرية في بلاد المسلمين ودور الحضانة ورياض الأطفال والمستشفيات والمستوصفات وجعلها أوكاراً لأغراضه السيئة وتشويق الدراسة فيها عند الطبقة العالية من أبناء المجتمع ومساعدتهم بعد ذلك على تسلم المراكز القيادية والوظائف الكبيرة حتى يكونوا عونا لأساتذتهم في تحقيق مآربهم في بلاد المسلمين ٠

٥ ـ محاولة السيطرة على مناهج التعليم في بلاد المسلمين ورسم سياستها إما بطريق مباشر كما حصل في بلاد الإسلام حينما تولى (دنلوب) القسيس تلك المهمة فيها أو بطريق غير مباشر عندما يؤدي المهمة نفسها تلاميذ ناجحون درسوا في مدارس (دنلوب) وتخرجوا فيها فأصبح معظمهم معول هدم في بلاده وسلاحاً فتاكاً من أسلحة العدو يعمل جاهداً على توجيه التعليم توجيهاً علمانياً لا يرتكز على الإيمان بالله والتصديق برسوله وإنما يسير نحو الإلحاد ويدعو إلى الفســـاد ٠

٦ ـ قيام طوائف كبيرة من النصارى واليهود بدراسة الإسلام واللغة العربية وتأليف الكتب وتولى كراسى التدريس في الجامعات حتى أحدث هؤلاء فتنة فكرية كبيرة بين المثقفين من أبناء الإسلام بالشبه التى يلقنونها لطلبتهم أو التى تمتلىء بها كتبهم وتروج في بلاد المسلمين حتى أصبح بعض تلك الكتب مراجع يرجع إليها بعض الكاتبين والباحثين في الأمور الفكرية أو التاريخية ولقد تخرج على يد هؤلاء المستشرقين من أبناء المسلمين رجال

قاموا بنصيب كبير من إحداث الفتنة الكبري ، وساعدهم على ذلك ما يحاطون به من الثناء والإعجاب وما يولونه من مناصب هامة في التعليم والتوجيه والقيادة فأكملوا ما بدأه أساتذتهم وحققوا ما عجزوا عنه لكونهم من أبناء المسلمين ومن جلدتهم ينتسبون إليهم ويتكلمون بلسانهم فالله المســــتعان ...

٧ ـ انطلاق الجيوش الجرارة من المبشرين الداعين إلى النصرانية بين المسلمين وقيامهم بعملهم ذلك على أسس مدروسة وبوسائل كبيرة عظيمة يجند لها مئات الآلاف من الرجال ولقد تعد لها أضخم الميزانيات وتسهل لها السبل وتذلل لها العقبات (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمم نوره ولو كره الكافرون) « الصف : ٨ » وإذا كان هذا الجهد منصباً على الطبقة العامية غالباً فإن جهد الاستشراق موجه إلى المثقفين كما ذكرت آنفاً وإنهم يتحملون مشاقاً جساماً في ذلك العمل في بلاد أفريقيا وفي القري النائية من أطراف البلدان الإسلامية في شرق آسيا ثم هم بعد كل حين يجتمعون في مؤتمر يراجعون حسابهم وينظرون في خططهم فيصححون ويعدلون ويبتكرون . فلقد اجتمعوا في القاهرة سنة ١٩٠٦ ، وفي ادنمبرج سنة ١٩١٠ ، وفي لكنوا سنة ١٩١١ ، وفي القدس ١٩٣٥ م ، وفي القدس كذلك في عام ١٩٣٥ م . ولا زالوا يوالون الاجتماعات والمؤتمرات فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وإليه يرجع الأمر كله .

٨ ـ الدعوة إلى افساد المجتمع المسلم وتزهيد المرأة في وظيفتها في الحياة وجعلها تتجاوز الحدود التى حد الله لها وجعل سعادتها في الوقوف عندها وذلك حينما يلقون بين المسلمين الدعوات بأساليب شتى وطرق متعددة إلى أن تختلط النساء بالرجال وإلى أن تشتغل النساء بأعمال الرجال يقصدون من ذلك إفساد المجتمع المسلم والقضاء على الطهر والعفاف الذي يوجد فيه وإقامة قضايا وهمية ودعاوي باطلة في أن المرأة في المجتمع المسلم قد ظلمت وأن لها الحق في كذا وكذا يريدون إخراجها من بيتها وإيصالها إلى حيث يريدون في حين أن حدود الله واضحة وأوامره صريحة وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم جلية بينة يقول الله سبحانه وتعالى : (**يأأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيماً**) « الاحزاب : ٥٩ » ويقول سبحانه (**وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن**) الآية : « النور : ٣١ » ويقول : (**وإذا سالتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن**) ويقول : (**وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**) « الأحزاب : ٣٣ » ويقول صلى الله عليه وسلم : (إياكم والدخول على

النساء قال رجل من الأنصار يارسول الله أفرأيت الحمو قال الحمو الموت) وقال : (لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما) ٠

٩ ـ إنشاء الكنائس والمعابد وتكثيرها في بلاد المسلمين وصرف الأموال الكثيرة عليها وتزيينها وجعلها بارزة واضحة في أحسن الأماكن وفي أكبر الميادين ٠

١٠ ـ تخصيص إذاعات موجهة تدعو إلى النصرانية وتشيد بأهدافها وتضلل بأفكارها أبناء المسلمين السذج الذين لم يفهموا الإسلام ولم تكن لهم تربية كافية عليه وخاصة في إفريقيا يصاحب هذا الإكثار من طبع الأناجيل وتوزيعها في الفنادق وغيرها وإرسال النشرات التبشيرية والدعوات الباطلة إلى الكثير من أبناء المسلمين ٠

هذه بعض الوسائل التى يسلكها أعداء الإسلام اليوم في سبيل غزو أفكار المسلمين وتنحية الأفكار السليمة الصالحة لتحل محلها أفكار أخرى غربية شرقية أو غربية وهى كما نرى جهودًا جبارة وأموالاً طائلة وجنوداً كثيرين كل ذلك لإخراج المسلمين من الإسلام وإن لم يدخلوا في النصرانية أو اليهودية أو الماركسية إذ يعتقد القوم أن المشكلة الرئيسية في ذلك هى إخراجهم من الإسلام وإذا تم التوصل إلى هذه المرحلة فما بعدها أسهل وميسور ٠ ولكننا مع هذا نقول إن الله سيخيب أمالهم ويبطل مكرهم ويضعف كيدهم لأنهم مفسدون وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين ٠ قال الله تعالى : **(ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)** « الانفال : ٣٠ » وقال سبحانه : **(إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويدا)** « الطارق : ١٥ ـ ١٧ » وإن الأمر يحتاج من المسلمين وقفة عقل وتأمل ونظر في الطريق التى يجب أن يسلكوها والموقف المناسب الذي يجب أن يقفوه وأن يكون من الوعى والإدراك ما يجعلهم قادرين على فهم مخططات أعدائهم وعاملين على إحباطها وإبطالها ولن يتم ذلك إلا بالاستعصام بالله والاستمساك بهديه والرجوع إليه والإنابة له والاستعانة به وتذكر هديه في كل شيء وخاصة في علاقة المؤمنين بالكافرين وتفهم معنى سورة الكافرون وما ذكره سبحانه في قوله : **(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)** « البقرة : ١٢٠ » وقوله : **(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)** « البقرة : ٢١٧ »

أسال الله سبحانه أن يهيىء لهذه الأمة من أمرها رشداً ، وأن يعيذها من مكائد أعدائها ، ويرزقها الاستقامة في القول والعمل حتى تكون كما أراد الله لها من العزة والقول والكرامة ٠ إنه خير مسئول وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ٠

حديث عن الدورة

وأثرها على المجتمع الذي أقيمت فيه

محاضرة ألقيت بقاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الإسلامية

مساء الأربعاء ١٤٠٣/١/٣

للدكتور علي بن محمد ناصر فقيهي
عميد شؤون المكتبات بالجامعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

وبعد : فإن الجامعة الإسلامية التى هيأ الله الأسباب لانشائها فى المدينة النبوية التى قال رسول الله ﷺ فيها : « إن الإيْمانَ ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها . . » وقد أسست لهدف نبيل وغاية محمودة ، وهو العودة بالمسلمين جميعاً الى العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية النقية المأخوذة من الكتاب والسنة ، واتباع منهج سلف الأمة فى ذلك ، وذلك لمعرفة المؤسسين لها والراسمين لسياستها وأهدافها ، أنه بصلاح القلوب وتنقيتها من جميع شوائب الشرك والبدع والخرافات تصلح المجتمعات وتصح مسيرتها ، لأن فى القلب مضغة إذا صَلَحَت صَلَحَ الجسدُ كله وإذا فسدت فسدَ الجسدُ كله ألا وهى القلب ، فالقلب ملك الأعضاء وقائدها .

وهذا هومنهج المصطفى ﷺ فى دعوته ، فقد مكث فى مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس لتحقيق هذه الغاية ، وهى توحيدُ الله وتركُ كل ما يدعى من دونه ، ولو علم ﷺ أن هناك منهجاً آخر يمكن به صلاح البشرية لتبعه ، فقد عرض عليه رؤساء قريش لصرفه عن منهجه فى دعوته أموراً منها : أنه إذا أراد بدعوته الملك فهم على أتم استعداد أن يتوجوه ملكاً عليهم ، ولكنه يعلم أن الملك لا يصلح قلوب الناس ولا ينقذ البشرية مما وصلت اليه من تدهور فى العقيدة والسلوك والأخلاق ، وإنما الملك ثمرة من ثمار الإيمان والأعمال الصالحة كما قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيَسْتَخْلِفَنَّهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وَلَيُمَكنَنَّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم وَلَيُبدلنهم من بعد خوف أمناً يعبدونني لا يشركون بى شيئاً ﴾ [النور / ٥٥] .

ولذلك بقى فى دعوته سائراً على منهجه غير مبال بمعاداة ومخالفة الناس جميعاً له فيما يدعوهم إليه ـ إلا الذين آمنوا بدعوته وهم قلة .

والفئة القليلة المؤمنة ، تغلب الفئة الكثيرة الضالة باذن الله .

فهو ﷺ يعلم أنه لو صار ملكاً عليهم ، وهم لا يؤمنون بمبادئه ، وشريعته التى يريد تطبيقها وتنفيذها عليهم يعلم يقيناً أَنْ ليس فى استطاعته ولا فى مقدوره تَنْفيذَ هذا المنهج فيهم .

ولكن حينما صلحت تلك القلوب فآمنت بالله ثم بكل ما جاء عنه فى كتابه وفى سنة رسوله ﷺ ، قامت الدولة فى المجتمع المدني الذى نزل فيه قوله تعالى : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قَضَى الله ورسُولُه أمراً أن يكونَ لهم الخِيَرَةُ من أمرهم ومن يَعْصِ الله ورسوله فقد ضلَّ ضَلاَلاً مُّبيناً** [الأحزاب / ٣٦] .

فكما نعلم جميعاً ، أن عقوبة الزاني المحصن الرجم بالحجارة حتى الموت ، فما الذى دعى المرأة الغامدية أن تقدم نفسها لإقامة تلك العقوبة عليها ، وما الذى دفع ماعزاً أن يقدم نفسه لتلك العقوبة أيضاً .

والجواب ـ أنه صلاح القلوب التى أصبحت فارغة من كل شىء إلا الإيمان بالله وبما جاء فى كتابه وعلى لسان رسوله ، الإيمان الجازم باليوم الآخر وما يجرى فيه ، وأنَّ منْ لم يعاقب على جريمته فى الدنيا ، فلن ينجو من ذلك يوم القيامة ، يوم الاجزاء على الأعمال إن لم يعفو الله عنه ، وبذلك الإيمان الصادق والعمل الصالح تحققت الخلافة فى الأرض التى هى ثمرة من ثماره ، وذلك **ليُعبَدَ الله وحدهُ ولا يشرك به شيئاً** ﴿ **يَعْبُدُونني لا يشركون بى شيئاً** ﴾ وبقيام تلك الخلافة تحافظ الدولة على حماية هذا المبدأ العظيم الذى خلق الله الجن والإنس من أجله ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [الذاريات : ٥٦] . ولا تتحقق تلك المحافظة إلا بالقيام بكل ما من شأنه عز الإسلام وأهله وهو ما نصت عليه الشريعة الإسلامية وحث عليه دستورها القرآن الكريم ، الذى لم يفرط فى الله فيه من شىء ، وهو القائل : ﴿ **وأَعِدُوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

وقد قامت الدولة الإسلامية من عهدها الأول بذلك ، ومكن الله لها فى الأرض ، وبحفظها لدين الله واقامة شريعته فى الأرض بقيت لها العزة والكرامة .

وحين ابتعد الناس عن هذا المنهج الذى رسمه لهم رسول الهدى ﷺ ، وابتعد الناس عن دينهم فتركوا كتاب ربهم وسنة نبيهم بعوامل كثيرة ، نشأ عنها تفرق الأمة فى عقائدها وسلوكها ومناهج حياتها بما يزينه لها أعداؤها ، فتشتت المسلمون وتفرقت كلمتهم ، وذلك بسبب تركهم لوصية رسول الله ﷺ وهى قوله : (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتى) .

ومعناه أن من ترك التمسك بهما فسيضل ، وهذا هو الواقع المشاهد . ومعلوم أن التمسك بهما هو العمل بما جاء فيهما أمراً ونهياً فى جميع مجالات الحياة ، بدأ بالعقيدة واخلاص العبادة لله وحده ، وانتهاء بعمل ما يمكِّن المسلمين من أداء هذه العبادة لله ، وأن تكون كلمة الله هى العليا ، وقد قال الإمام مالك رحمه الله : (لايصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها) .

والمهتمون بأحوال المسلمين والذين يسعون لاصلاح المجتمعات ليستعيد الإسلام مجده ، وتستعيد الأمة الإسلامية كرامتها وقوتَها وسيرتَها الأولى ، هؤلاء يسلكون لتحقيق هذه الغاية مناهج مختلفة .

والناظر فى دعوات زعماء الاصلاح الذين سبقونا وهم كثيرون ، أقول إن المتتبع لدعوات أولئك لا يجد دعوة نجحت وحققت ثمارها المرجوة منها إلا الدعوة التى سلكت وترسمت المنهج الذى سلكه رسول الله ﷺ ، وهو البدء باصلاح القلوب أولاً .

وأعنى بالمنهج الذى نجح فى ذلك هو منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى لازال المجتمع الإسلامى يجنى من ثمار دعوته المباركة ، رغم ما كثفه أعداء الدعوة هذه ضدها من دعايات باطلة ، سواء على المستوى السياسى الذى يتذرع به أصحابه لصد العامة عن سماع هذه الدعوة . أوعلى يد رؤساء الطرق الصوفية الضالة المضلة ، وذلك بما يبثونه فى أتباعهم من أن أتباع هذه الدعوة ودعاتها يكرهون رسول الله ﷺ ، والأولياء وينكرون كراماتهم ، وذلك ليحافظ هؤلاء على خدمة العامة وخُضُوعهم لهم لأخذ ما يحتاجونه من أموالهم بالدجل والشعوذة .

وسوف أذكر أمثلة من كتبهم حينما أذكر لكم ثانى رجلين من رجال الدعوة السلفية تعرف عليهما أعضاء الدورة ، وقد كان كل واحد منهما صاحب طريقة .

وقد قرأ الاخوة ما كتبه أحدهما عن مخازى طريقته التى أنقذه الله منها ، تلك الطريقة التى بلغ فيها الكاتب أعلى رتبة ، وهى رتبة الخليفة الذى له الاذن المطلق من أحمد التيجانى فى اعطاء الطريقة والتنصيب والاذن لمن يراه أهلاً لذلك ـ وان شئت فقل : فى اضلال الناس عن الصراط السوى وادخالهم فى مذهب الحلول والاتحاد المعبر عنه عندهم بالفناء أحياناً ـ كما ذكر هو ذلك فى أحد كتبه فى الرد على الطريقة التيجانية .

أعود فأقول : إن الجامعة الإسلامية أسست فى مدينة رسول الله ﷺ ، للعودة بالناس الى هذا المنهج الصحيح ، وقد جاء فى أهدافها ايصالُ هذا الخير إلى العالم الإسلامى بالوسائل التى تحقق هذا الهدف ، وأولها التعليم ، فهى تقدم :

١ ـ منحاً دراسية لأبناء العالم الإسلامى حسب حاجات تلك البلاد وعدد سكانها .
٢ ـ ترسل بعثات للوعظ والإرشاد .
٣ ـ تبعث الكتب الدينية النافعة للمؤسسات والمدارس والأفراد .

أما المنح الدراسية : فقد لَبَّى أبناء العالم الإسلامى قوله تعالى : ﴿ **وما كان المؤمنون لِينفروا كافةً فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا إليهم لعلهم يَحْذَرُون** ﴾ [التوبة : ١٢٢] . ودليل ذلك وجود أكثر من مائة جنسية من أبناء العالم الإسلامى فى مختلف مراحل التعليم فى الجامعة .

وبوصول هؤلاء الطلاب الجامعة الإسلامية يصبحون أمانة فى عنق المسئولين فيها فعليهم أن يرعوا هؤلاء الطلاب وأن يعلموهم ما ينفعهُم فى دينهم ودنياهم ، على الأسس التى رسمتها الجامعة فى سياستها وأهدافها . وهى الرجوع بالأمة إلى الكتاب والسنة .

وقد آتت الجامعة ثمارها فى هذا الحقل فخرّجَتْ عدداً كبيراً من أبناء العالم الإسلامى ، وعادوا الى بلادهم رُسُلَ خير يبلغون قومهم هذا الخير الذى حصلوا عليه فى جميع أنحاء العالم ، وقد شَهِدَ لهم بذلك الذين زاروا تلك البلاد ورأوا أعمالهم وما يقومون به من توجيه وارشاد ، ولا عبرة بالشاذ منهم عن هذا المنهج فتلك سنة الله فى خلقه .

وقد قال لى رئيس جماعة عباد الرحمن ـ فى كانو ـ سليمان بللو ـ مقارنا بين الطلاب الذين يرجعون إليهم من البلاد العربية بعد إكمال دراستهم ، وبين الطلاب الذين يعودون من الجامعة الإسلامية .

قال : إن الطالب الذى يعود من الجامعة الإسلامية يمكث سنوات وأنت تشم فيه رائحة المدينة . فقلت له : ما معنى هذا الكلام . فقال : إن سلوكه وأخلاقه ودعوته تختلف كثيراً عن الذين عادوا إلينا من البلاد العربية الأخرى .

أقول هذا لأن هدف الجامعة الإسلامية الأول فى نشر الدعوة هو التعليم وقد نجحت فى هذا نجاحاً ملموساً على يد خريجيها حتى الذين كانوا فى أيام دراستهم لا يلقى لهم بال ولا يعرف عنهم نشاط ، فقد حدث عندهم ردُّ فعل لما يشاهدونه من انحراف عن المنهج السوى .

- كما أن الجامعة حققت نجاحاً بالوسائل الأخرى التى أشرت اليها ، وهى إرسال الوفود للوعظ والإرشاد ، وبعثُ الكتب للمؤسسات والمدارس والأفراد .

- ولكن فى نظري ويشاركنى فى هذا **كل** الذين اشتركوا معي فى الدورة.

إن من أنجح الوسائل لهدف الجامعة بعد تعليم الطلاب فى داخلها ، هو المشاركة فى إقامة هذه الدورات التعليمية ، وذلك لما يأتى :

١ - **الدورات** التى شاركت فيها أنا وزملائى والذين سوف أذكر أسماءهم **هى دورات تعليمية** تقوم بتنفيذ منهج فى مواد معينة لها مذكرات بأيد الطلاب ، ويوضع جَدْوَلُ حصصٍ لكل مدرس ليقوم بتدريس مادته كما لو كان فى المعهد .

٢ - **المتدربون** - هم معلمون فى مراحل التعليم المختلفة - الثانوى ، والاعدادى ، والابتدائى ، فهم ينقلون ما تعلموه إلى طلابهم فى مدارسهم ، والذين ينقلون مايسمعون من أساتذتهم إلى أهخليهم وذويهم .

٣ - **المنهج المقرر** يشمل مادة **العقيدة** ، وهذا هدف الجامعة الأول .

والعقيدة الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة هى أساس كل انطلاق .

ثم مادة التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والنصوص ، والتربية ، وطرق تدريس المواد الدينية ، وطرق تدريس اللغة العربية ، ومواد أخرى مساعدة .

- وكما تعلمون جميعاً أن المواد المقررة لاتكفى فى حد ذاتها . وإنما الأمر يرجع إلى مدرس المادة وعقيدته ومنهجه وما يريد أن يبلغه إلى الآخرين .

وزملائى فى هذه الدورات التى اشتركت فيها لاأعتقد أن منهجهم يختلف عن هذا المنهج لأنه المنهج الحق الذى يؤمنون به ويدينون الله به قبل كل شىء وهومنهج الجامعة الذي رسمته فى أهدافها ونظامها الأساسى ، وهو نشر العقيدة السليمة الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة ، والتى سبقنا إلى تطبيقها سلف الأمة .

وقد كان جميع أعضاء الدورة من المدرسين السعوديين إلا فى المواد التى لاتخصص لهم فيها ، فقد أخذنا من هيئة التدريس بالجامعة .

ومن هؤلاء المشتركين فى الدورات جميعاً :

عميد شئون الطلاب الشيخ عوض أحمد سلطان ، والدكتور ذيب القحطانى ، والشيخ عبد العزيز الصاعدى ، والشيخ صالح السحيمى ، والشيخ محمد زربان الغامدى ، والشيخ سليم الأحمدى ، والشيخ راشد الرحيلى والشيخ جبران والشيخ ابراهيم عمير .

وأعتقد أن هؤلاء جميعاً يؤمنون بأن منهج الجامعة الإسلامية فى إبلاغ دعوتها فى داخل الجامعة وخارجها هو المنهج الصحيح ، وهو دعوة الناس جميعاً إلى الكتاب والسنة ، والبدأ أولاً وقبل كل شىء بالعقيدة الصحيحة ، وأنهم جميعاً يرفضون ما يسمى بمنهج التجميع ، يرفضونه بأسلوبهم فى دعوتهم ، ولا يلتفتون الى أى أسلوب آخر يفرض عليهم ، يقومون بذلك دون ضجيج أو شعارات ترفع ، لأن الغرض هو إبلاغ الحق الذى يؤمنون به إلى الآخرين الذين هم فى حاجة اليه ، دون نصب رايات لا يعمل أصحابُها غير رَفعها .

أما عمل هؤلاء داخل الجامعة فيتمثل فى القيام بالتدريس وتوجيه الطلاب الى المنهج الصحيح فى العقيدة والسلوك ، يوجد أثر ذلك عند طلابهم الذين تلقوا التدريس على أيديهم فى مختلف مراحل التعليم فى الجامعة ، ثم فى كتابة من له مشاركة فى الكتابة . وأما عملهم لتحقيق هدف الجامعة خارجها فإنى مضطر هنا إلى ذكر أمثلة لما حققته هذه الدورات على أيد هؤلاء الإخوة وزملائهم الذين لم يرفعوا لائحات بأعمالهم أمام الآخرين ، ولم يتحدثوا بها قدموا إلا لمن سألهم عما وجدوا ، وماذا عملوا ، وهم لايحبون ذلك لأنهم لايريدون من أحد من الناس جزاء ولا شكوراً .

ولكنى أستميحهم عذراً فى ذكر ذلك إجابة على أسئلة تكررت كثيراً وذلك لبيان الحقيقة للذين لا يعلمون . (ولذا فإن العنوان الكامل لهذا الحديث هو : « **حديث عن**

الـدورات التـدريبيـة وأثـرهـا على المجتمـع الـذى أقيمت فيـه وتحقيقهـا لأهداف الجامعة الإسلامية لو كانوا يعلمون » .

فأقـول : إن الـدورة الأولى عام **١٤٠٠** هـ وأعنى بها دورة نيجـيريا ـ التى اشتركت فيهـا ـ لا الـدورات فى بنجـلادش وبـاكستـان التى شارك فيها زميلى فى الدراسة من المرحلة الإعدادية الى أخذ شهادة الدكتوراه الشيخ ربيع بن هادى المدخلى .

أقـول : فقـد كان من المشـاركـين معى فى هذه الـدورة كما أشرت سابقاً عميد شئون الطلاب الشيخ عوض أحمد سلطان ، والدكتور ذيب القحطانى وغيرهما ، وقد التحق بهذه الدورة ثلاثمائة معلم ، والذين دخلوا الامتحان ومنحوا شهادة الدورة أكثر من مائتين وثلاثين معلماً .

أما الأعمال التى قام بها الأساتذة فى تلك السنة إضافة إلى التدريس فما يأتى :

١ ـ **القيام بخطبة الجمعة** فى الجامع الذى يحضر للصلاة فيه أكثر من أربعة آلاف ، إذ يصلون خارج المسجـد تحت الأشجـار وفى الشمس ، حرصـاً منهم على سماع الـداعيـة المعـروف عنـدهم أمـين الـدين أبو بكر ، إمَّا لِسَماع خطبه أو لترجمته للخطب التى تلقى يوم الجمعة والأخوة هناك ومنهم القاضي نائبي والى يلقبونه بالمترجم المشهور .

وهـو رئيس جماعـة الـدعوة والذى عرف العقيدة السلفية . وقرأ كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وترجم مسائل الجاهلية على أشرطة (باللغة الهوسا) يتداولها الشباب وتباع فى السـوق ، كما قرأ ما وجـده من كتب شيـخ الإسلام ابن تيميه ، أما شيخه فى الحديث كما قال ـ فناصر الدين الألباني ولم يره ـ ، ثم نبذه للطرق الصوفية بواسطة الشيخ أبى بكر قومي عضـو المجلس الأعلى للجـامعـة وعضـو رابطـة العـالم الإسـلامى ، وهـو الـرجل المعروف بمحاربة أصحاب الطرق والخرافات ولازال فى محاربتهم إلى الآن .

٢ ـ **المشـاركـة فى المحـاضـرات والنـدوات** التى تقيمهـا المؤسسة الإسلامية فى قاعة مدرسة العلوم العربية طوال شهر رمضان ، وتنقل فى الإذاعة يومياً .

٣ ـ **اقامة ندوات ومسابقات للطلاب** اشترك فيها الدكتور عبد العزيز فاخر ، والشيخ عوض أحمد سلطان الشهرى ، وغيرهما من الأساتذة .

ومما حدث فى هذه الدورة أن طالباً صاحب طريقة أرسل للاشتراك فى الدورة من أجل إثارة الأسئلة لينقل ما يقال الى شيخه ، وقد جرى النقاش فى الفصل حول التوسل فذكر المدرس التوسل المشروع ـ واستشهد بقول عمر بن الخطاب للعباس فى صلاة الاستغاثة ـ قم ياعباس فادعوا الله لنا . . . الخ . فقال الطالب : يقول رسول الله ﷺ : (توسلوا بجاهى فإن جاهى عند الله عظيم) فقال له المدرس : لو رجعت لهذا الحديث لوجدته موضوعاً . فقال : هذه طريقتكم ، الحديث الذى يصلح لكم تستشهدون به ، والذى يصلح تقولون عنه موضوع .

ثم ذهب الى شيخه وقال له ما يشاء ـ فأرسل الشيخ سكرتيره للاذاعة وسمحوا له فألقى حديثاً قال فيه : أن جماعة من الوهابيين جاءوا لتفريق كلمة المسلمين ولكن بحمد الله فقد كان هذا الحديث منه سبباً من أسباب نجاح الدورة وظهورها ، وبيان الحق الذى جاء به المشتركون فيها .

كما تعرف الأخوة فى هذه الدورة على الداعية المشار اليه أمين الدين أبو بكر وجرت معه مناقشات حول أسلوب الدعوة ، وما الطريق الصحيح الذى ينبغى أن يسلكه الداعية .

وقد وجدنا عنده أكواماً من الكتب تتحدث عن الإسلام عموماً وتدعوا لنصرته ، وهى تهتم بما يسمى بالتنظيم والتخطيط والتنفيذ ، حتى صار هذا الأسلوب يجرى على ألسنة بعض الشباب وهو لايدرى ماذا ينفذ . وكل هذه الكتب تدعو الى تجميع الناس لا فرق فى الدعوة فيها بين من يهتم بالأساس وهو العقيدة الصحيحة وغيره ، فكل صاحب طريقة أو تربية والتربية ألطف فى التسمية سواء كان قادرياً أو تيجانياً يمكنهم الدخول فى هذه الدعوة إذا تحقق شرط واحد وهو الولاء العام لها .

ومن المصادفة أن الشيخ أمين الدين كان قادرياً ، أى يتبع الطريقة المنسوبة لعبد القادر الجيلانى ، فهو يعرف أسرارها وما تهدف اليه فى دعوتها ولها صولة وجولة وأتباع كثيرون .

وقد حارب هذه الطريقة التى يعرف ضلالها وفسادها ومخالفتها للشريعة الإسلامية .

فلما كثرت عنده هذه الكتب التى تدعوا للتجميع ، وقد دعم ما تدعوا اليه هذه الكتب ، الشخص الذى يحملها اليه ، ويحمل كل جديد منها باستمرار ، ولا يتأخر عن

نيجـيـر يـا فهـو دائم الأسفار إليها ففى كل ثلاثة أشهر تقريباً يزورها ـ وقد سألته عن مهمته ـ فقال : إنه يريد تأسيس مطبعة ودار للنشر ـ ولكن مضى ثلاث سنوات ولم يوجد أثر لذلك .

وقـد حاول هذا الـرجل اقناع أمين الدين بمهادنة أصحاب الطرق بحجة الحكمة فى الـدعـوة وجمـع كلمـة المسلمـين ، ولكن أمـين الـدين بحمـد الله قد أقنعـه الأخوة بالدعوة الصحيحة ، وهى تُؤدَّى بالحكمة والموعظة الحسنة ، لأن بيان الحق لابد منه ، **والا فما معنى الدعوة اذا لم يبيِّن الحقُّ من الباطل** .

وفى الـدورة الثـانيـة وبعـد زيـارتـه لنـا أعنى أمين الدين ، ذهبت لزيارته فى مسجده فوجـدت عنـده كتـاباً جديداً بكمية لابأس بها ، ولكنه لم يعرف ما فيه إذ لم يقرأه ، والكتاب اسمه « تربيتنا الروحية » وقد ذكرت ما فيه من خرافات فى مقدمة تحقيقي لكتاب « **الرد على الجهمية لابن مندة** » وهو مطبوع الطبعة الثانية .

ولقد حملت منه نسخاً هدية له ولطلابه ولبعض الأساتذة الذين تعرفت عليهم .

فتنـــاولت كتـاب الـتـر بـيـة ، وفتحت على ص **٢١٦ ، ٢١٧** لأنظـر هل تنطبق على الطبعـة التى نقلت منهـا قول المؤلف : إن الكـرامـة تحدث للمنتسب للطريقة الرفاعية وإن كان فاسقاً . . . الخ . فوجدتها كذلك لأنها مصورة .

فأعطيتهـا لأمـين الـدين فلما قرأهـا . وضـع يده على رأسه وقال : أنا أعْرفُ بِكِذِب الصـوفيـة وخـرافاتهم ودجلهم وقد وصلت فى الطريقة القادرية إلى رتبة ممتازة عندهم ، وقد أنقذنى الله منها وقد كنت أضرب الطبل فى المسجد للذكر ـ وهذا من طقوسهم ـ قال : فأنا إذاً أعود لها مرة أخرى .

وقـد كانت منـاقشـة الإخـوان له فى منهـج الدعوة الصحيحة نبراساً له اهتدى به الى منهـج السلف فى دعـوتـه ، والمذكور داعية له تأثيره فى المجتمع يشغل جميع أوقاته فى التعليم والدعوة ، وعنده بعض الطلبة يعولهم لفقرهم ، وبعضهم من الوثنيين أسلم على يديه فقلاه أهله ، وليس عنده من الدخل إلا راتبه وهو يعمل مدرساً وله أسرة .

وممـا يجدر ذكـره أن الـرجـل الـذى كان يدعو أمين الدين إلى مهادنة أصحاب الطرق اتصـل بجـماعـة الشيـخ أبى بكـر قومى ، وهم جماعـة نصر الإسلام ، فدعاهم الى مهادنة الطرق الصوفية ، وقال ان كتاب الشيخ عبد الرحمن الافريقى فى الصوفية لا يصلح توزيعه

لأنـه يفـرق كلمة المسلمين ، فاصطدم بهم وأخذه البوليس الى السجن وبقى فيه حتى جاء رئيس المؤسسة الإسلامية من (كانو) إلى (كادونا) فأخرجه بكفالته .

أمـا فى هذه السنـة فقـد كان أعضـاء الـدورة مع الطلبة المشتركين فى الدورة وغيرهم يجرون منـاقشـات حول الطـرق وهى مناقشة علمية سلكناها من أول يوم فيطالبونهم بالأدلة من الكتاب والسنة على ما يقولون ويدّعون فهي الحكمُ فيما اختلف فيه .

وقـد أرسـل مشـائـخ الطـرق طلاباً من أتباعهم للاشتراك فى الدورة ، لإثارة الأسئلة ونقل ما يجرى فى الدورة .

ولكن باستعمال الاخوة الحكمة فى الدعوة ظهر الحق واندحر الباطل .

ومن أمثلة ذلك :

إن طالبـاً قادريـاً فى المستوى الجامعى قال في الفصل بعد مناقشات حول الطرق ـ إن الأئمة الأربعة أجمعوا على تكفير ابن تيمية .

فقـال له المـدرس : هل وجـدت هذا فى كتاب ؟ قال : نعم . قال من كتب الأئمة الأربعة فيظهر أنه تملص من الاجابة .

فقـال المـدرس للطلبـة وهم فى المستوى الجامعى هل تعرفون متى وجد الأئمة الأربعة وهم يعـرفـون ذلـك ، ثم بين لهم أنهم وجدوا فى القرن الثانى والثالث ، وابن تيمية وجد فى القرن السابع فكيف حكموا بكفره قبل أن يولد ، وبذلك أصبح الطلبة يخاصمون الطالب ويسكتونه إذا سأل ، كما حدثت له مناقشة مع الشيخ صالح السحيمى فى شرح البيت :

يا أكـــرم الخلق مالى من ألوذ به . . الخ .

وفى هذه الـدورة **كان للأسـاتـذة دور مع أتباع الخمينى** ، ذلك أن الشعب النيجيرى شعب مسلم يحب الإسـلام ، ولكن الـذى ينقص الشبـاب هناك هو العلم بحقيقة الإسلام ، وما تنطوى عليه دعوات الفرق المنتسبة للإسلام .

فحين سمعوا ما يسمى بالثورة الإسلامية ، وقد كثف أصحاب هذه الدعوة دعايتهم فى نيجيريا بارسال الوفود والنشرات باللغة الانجليزية والعربية انخدع هؤلاء الشباب بهذه الدعوة .

وقد اشترك بعض هؤلاء الطلاب الذين تركوا مدارسهم فى الدورة فى العام الماضى وجرت معهم مناقشات طويلة . وفى آخر شهر رمضان تركوا الدراسة واعتكفوا فى المسجد فقلنا لهم إن الاعتكافَ سنة وطلبَ العلم فريضة فلم يقبلوا .

فطلبنا من الشيخ محمد زربان وهو الرجل المعروف بأسلوبه فى الدعوة أن يذهب ليلقى دروساً فى المسجد ، وكان هدفنا هوملاحقة هؤلاء الشباب المغرر بهم عسى الله أن يهديهم ، وقد استمر معهم يناقشهم ويجيب على شبههم ويوجههم ولكنه فى آخر الأمر قال : إنني أصب فى قربة مخروقة أملأها فى الليل فتصبح فارغة .

وذلك أنه بعد مناقشتهم واقناعهم فى المساء مثلاً يصبحون يعيدون المسألة بعينها .

ورغم ما ظهر على بعضهم من تأثر عند سفرنا فقد مكث أحدهم أورئيسم عند الشيخ محمد زربان ليلة سفرنا إلى وقت متأخر من الليل ثم بكى متأثراً بما يسمع ومع هذا كله لما عدنا هذا العام وجدنا شوكتهم قويت وشعارات الشيعة ظاهرة عليهم كلبس العمائم بل قال لى الشيخ أمين الدين إنهم فى داخل البلد وفى الذهاب للمسجد يلبسون العمائم السود ، ثم لهم مكتبة باسم مكتبة الأمة تأتيها الصحف والمجلات والنشرات من إيران يوزعونها مجانا ومعها صور الخمينى وهى معلقة على باب المكتبة .

وفى أول خطبة جمعة خطبها الشيخ محمد زربان فى الجامع ، وترجمها الشيخ أمين الدين أبوبكر - وقد تعرض المترجم لدعوة الخمينى وبين للناس أنها ضلال مبين إذ أن عقائدهم تقوم على تكفير الصحابة وعلى رأسهم أبى بكر وعمر ، وهو الرجل الوحيد فيما أعلم يبين للناس عَلَناً أن ثورة الخمينى ليست إسلامية ، ولا تمت إلى الإسلام بصلة وإنما هى دعوة باطنية .

وبعد صلاة الجمعة وحين خرجنا من المسجد تقدم طالب من طلاب الشيخ محمد زربان من الذين كان يناقشهم العام الماضى بمجلة حرس الثورة يوزعها علينا ، ثم اتبعوها بنشرات أخرى مطبوعة باللغة العربية والانجليزية فيها أقوال الخمينى .

وبعد أن عرفوا أننا قرأناها طلبوا منا موعداً فلبينا طلبهم فحضروا بعد صلاة العشاء فى السكن فاجتمعنا فى المكان المعد للصلاة ، وجرت المناقشة مع رئيسهم وهو آيتهم واسمه بشير - الذى لم يجاوز عمره العشرين سنة وهو طالب ذكى أضله أولئك الدعاة .

فقد دعاه الخمينى بواسطة عملائه إلى زيارة إيران فزاره هو وبعض زملائه وقابلوا الخمينى ورجع معمدا لانقاذ المستضعفين .

وقد جرت المناقشة معه لعقيدة الرافضة ودعوتهم ، وما الإسلام الذى يدعون اليه ، وهم يعتقدون كفر الصحابة الذين نقلوا لنا القرآن والسنة . . . الخ .

فكان الرجل أعمى لا علم عنده ، وقد قطع هؤلاء الصلة بينهم وبين علمائهم فحين قلنا لهم العام الماضى ما دمتم تركتم دراساتكم فى الجامعة ، فاتصلوا بالشيخ أبى بكر قومي ، والدكتور حسن غاوررزوا ، رئيس القضاة ، وأمين الدين أبو بكر لتتفقهوا فى الدين على أيديهم قالوا : إن هؤلاء موظفون مع الحكومة فلا يوثق بعلمهم . لذلك تمكنت الدعاية المكثفة مع وجود العاطفة الإسلامية عندهم من اضلالهم ، فمثلا يقولون رداً على تكفيرهم للصحابة ومنهم أبو بكر وعمر ، إن هذا القول تركه المتأخرون وإنما هى عقائد قديمة .

فقيل لهم : إن هذا القول موجود فى كتاب الخمينى - الحكومة الإسلامية - فقال بشير : هذا الكتاب طبعته رابطة العالم الإسلامى ضد الخمينى ، فقلنا له : أنت زرت ايران ولاشك أنك أخذت من الخمينى الذى قابلته النسخة الأصلية فاطلعنا عليها فرفض .

فقال له الشيخ صالح السحيمى : ما رأيك لو قلت : إن لأئمتنا درجة لا يبلغها ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فقال : أنت كافر .

فقال له : ولو قال هذا القول الخمينى مارأيك فيه ، فقال : أمره الى الله . فقلنا له اتق الله ما الفرق بين الاثنين .

فقال بحماس : أنا لا أكفر الخمينى لأنه يجاهد فى سبيل الله .

والله يقول : والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . فهو سيهتدى . هكذا بلغ حال هؤلاء ، وليست هناك مقاومة لهذا الضلال تذكر ما عدا ما يقوم به الشيخ أمين الدين أبو بكر ، حتى الكتب الصغيرة مثل الخطوط العريضة وكتب إحسان إلهي ظهير لاتوجد فى هذه البلاد .

أما الطلبة الذين اشتركوا فى الدورة فقد كان بعضهم متأثراً بدعوة الخمينى - أو بفتنته - لأنها تلمس عواطفهم ومشاعرهم الدينية بألفاظها ولا يعرفون حقيقتها .

وقـد ركـز الإخوة جميعاً على إزالة هذه الشبه من أذهانهم ، باستثارة عواطفهم الدينية أيضـاً ، وهـو طلب الحكم منهم على من يكفـر الصحابة ومن يقول أن أبا بكر وعمر صنمى قريش ، فيصـدر الحكم منهم على قائـل ذلـك . فبيـين لهم أن هذه عقيدة الشيعة الرافضة الإمامية فى القديم ، وهى الموجودة الآن فى كتبهم التى تنشر وتوزع .

وقد فضح الله باطل الشيعة وإن كانوا يستعملون التقية ديناً وهى النفاق بعينه ـ وذلك بما قامـوا به من نشْـرِ لِكتـاب الكـافى فى أجزاء صغيرة مبسطة للقراءة ـ أعلى الصفحة باللغة العـربيـة وفى أسفلهـا الـترجمـة باللغة الانجليزية ، وفيه الطعن على أبى بكر وعمر ومعاوية وغيرهم من الصحابة .

وقـد ركـز فى الكلمة التى ألقيت فى حفل اختتام الدورة والتى حضرها وزير الاسكان ورئيس القضاة على حثهم على الإهتمام بالشباب المسلم والعناية بالعقيدة الصحيحة التى أخبر الرسول بأن الأمة ستفترق الى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة . ولمـا سئل عنهـا قال : هى من كان مثـل ما أنـا عليه وأصحابى . فالذى يكفر الصحابة ويقول فى أبى بكر وعمر أنهما صنمى قريش كيف يكون داعية للإسلام .

فوعد رئيس القضاة بأنهم سيعملون بهذه النصيحة .

أما الآن فإلى الحديث عن ثانى رجلين من رجال الدعوة الى العقيدة الصافية .

الـذى تعـرف عليه أعضاء الدورة وتناقشوا معه وقرأوا كتبه واعجبوا بعمله وبأفكاره . ذلك الرجل هو **الشيخ محمد طاهر ميغرى البرناوى** المحاضر فى جامعة بايرو ـ فى كانو ـ وألدّ أعداء الطريقة التيجانية التى بلغ فيها درجة يتمناها كل تيجانى كما قال ذلك فى مقدمة كتابه « **الطريقة التيجانية دين جديد هدام لعقيدة الإسلام وشريعته** » .

أريـد أن أقـول قبـل أن أذكر شيئاً عن كتبه : إن أعضاء الدورة وأعنى بهم السعوديين خاصـة ـ بقـدر ما قدمـوا لطـلابهم فى بيان العقيدة الصحيحة فقد أخذوا معلومات جيدة فى معـرفـة أسـرار الطـرق الصـوفية الخبيثة التى أضلت شباب العالم الإسلامى فى كل مكان ، وذلك بما قرأوه فى كتب الشيخ محمد طاهر ميغرى ، وبما سمعوه من تحليل لأقوال ابن عربى وابن الفارض وغيرهما .

وقـد كان البعض منـا يظن أن الطـرق الصوفية عبارة عن أوراد يعملون فيها خلافاً لما عمله السلف الصالح فى الذكر بما يحدثونه من حلقات وذكر جماعي . . الخ .

ولكن تبين لنا بعد قراءة تلك الكتب أنها أى الطرق الصوفية كفر وإلحاد وزندقة ، بيّن ذلك وأرجعه إلى مصادره وأصوله القديمة قبل الإسلام ، كما بين الغاية من أن الدعوة إليها ، هى محاربة لكتاب الله وسنة رسوله بصرف الناس عن القرآن بالأوراد ، وصلاة الفاتح التى ادعى التيجانى أن الملك نَزَلَ بها على البكري مكتوبة فى صحيفة من نور وأنها تعدل القرآن ستة آلاف مرة بل أضعاف ذلك . لأنهم يقولون لأتباعهم : إن القرآن ثقيل ـ كما قال تعالى : انا سنلقى عليك قولا ثقيلا » فهو لثقله يخرب الديار ويزلزل البيوت ـ فيكتفى بالأوراد التى أجْرُهَا أضعاف أجر القرآن ستة آلاف مرة أو أكثر وهى سليمة العواقب .

أما كتبه التى ألفها ولا تزال مخطوطة فهى :

الأول : الطريقة التيجانية دين جديد هدام لعقيدة الإسلام وشريعته .
الثانى : ابطال ادعاء رؤ ية النبى ﷺ يقظة .
الثالث : التيجانية آخر مظهر للباطنية القرمطية الإسماعيلية .
الرابع : كتاب فى المهدى .

والكتب الثلاثة الأولى هي فى الأصل كتاب واحد بعنوان « **التعليمات المفيدة** » وسبب تأليفه أنه ألقى محاضرة فى جامعة بايرو بعنوان التر بية عند الشيخ ابراهيم انياس السنغالى . تعرض فيها لبيان ضلاله والحاده ، وقد أخذ رسالته الماجستير بعنوان « **إبراهيم ايناس آراؤه وأصول أفكاره مع تحقيق كتابه السر الأكبر** » وكلاهما مطبوع فى مجلد واحد .

فكتب أحد أتباع الطريقة التيجانية وهو موريتانى ، رسالة فى الرد عليه بعنوان (إنذار وإفادة لمن باع دينه بشهادة) أي بشهادة الماجستير فكتب محمد طاهر ميغرى هذه الكتب الثلاثة .

أما الكتاب الأول ـ وهو الطريقة التيجانية دين جديد .
والثانى ـ وهو ابطال ادعاء رؤ ية النبى ﷺ يقظة .

فقد قرأها الأساتذة من أولها الى آخرها قراءة متأنية مع المناقشة الحادة بعض الأحيان ، لأن المؤلفَ شديدُ اللهجة فى الرد على المخالف وقد يستنبط بعض الأحيان من أقوالهم ما يراه بعضنا الزام لهم بما لم يحمله قولهم ـ وهو مشترك معنا فى التدريس فى الدورة فيحضر عندنا فى السكن فتجرى معه مناقشة ممتعة ومفيدة . وقد دلت على علم الرجل وفهمه ، واعتداده بما يقتنع به . كما أن من مميزاته قبول الحق اذا تبين له . وعدم العناد فيه .

وهو لا يقبل المجاملة والاحتمالات التى يُفَسّرُ بها بعض أخطاء العلماء فى العقيدة .

ولـه منهـج خاص فى ذلـك ، وهـو تتبـع العـالِم فى مسار فكره فى كتبه فإن كان يسير فى أغلب كتبـه إلى تأييـد هذه الفكـرة بشتى الـوسـائل والاحتمالات والتفسيرات ، ثم لا ينقل أقوال المخالفين له كاملة ، وانما يقتصر على ما يحتاجه منها ، ثم يروى أحاديث موضوعة وهو يعلم ذلك ولا يبين أنها موضوعة . . وهكذا ، فمثل هذا لا يقبل الاعتذار عنه لأن تلك عقيدته .

وان أخطأ مرة أو مرتين فهذا كغيره من العلماء يخطئون ويصيبون . وليسوا بمعصومين .

وأهم ما يمتـاز به المـذكـور فى دراستـه وبحوثه إستيعابه لأقوال الخصم وأدلته وحرصُه الشديد على النقل للأمور المنسوبة لذلك الشخص بأمانة لا زيادة ولا نقصانا .

ثم سرد للتسلسل التأريخى لبدء الفكرة ، وتطورِها فى جميع مراحلها ، وبعد ذلك يبدأ فى المناقشة ، فيبطل ما قاله أولئك بعد مناقشة أدلتهم مناقشة علمية وابطالها بالعقل والنقل ، ثم يورد أدلتـه على ما يريـد اثبـاتـه من الكتـاب والسنـة ، وأقـوال الأئمة ، المعتبرةُ أقوالُهم كالأئمة الأربعة وابن تيمية وابن القيم ، وابن العربي وابن حجر وغيرهم .

ولا يورد أحكامه على الآخرين جزافاً ، وهو بعيد كل البعد عن الحكم بالعواطف .

هذا بالنسبـة لكتبـه المخطـوطة ، والتى أحضرنا بعضها لأنه يرغب نشرها فى المجتمع النيجيري الذى أفسده أصحاب الطرق المضلة ، وهو فقير لا يستطيع طبعها .

وهي كتب تخدم الدعوة ، فهو جدير بأن يشد من أزره ويشجع وينشر الصالح من كتبه .

أما كتبه المطبوعة فمنها كتابه « إبراهيم انياس السنغالى آراؤ ه وأفكاره مع تحقيق كتابه السر الأكبر » . وهو رسالة ماجستير تَقَدّمَ بها فى جامعة بايرو ـ بكانو ـ .

والـرسـالـة كما هو واضـح من عنوانها « دراسة لشخصية إبراهيم ايناس وتحقيق لكتابه السر الأكبر » وكلاهما مطبوع فى مجلد واحد يشمل ٥٢٠ صفحة .

وطبيعة البحث العلمى ـ لاسيما دراسة الشخصيات والمعاصرة منها على الخصوص ، والمفتـون بها مئـات الآلاف بل المـلايـين من الناس ـ سواء قدَمَهُ صاحبُه رسالة فى جامعة فهو يعلم أنـه سوف يعـرض نفسـه للمنـاقشـة فى جميع أقواله . أو يقدمه للقراء فكذلك سيكون مستهدفاً للنقاد ، فهو يحتاط قدر استطاعته ، ولابد أن يبقى عنده نقص لكونه بشراً .

وقد ذكرت أن ما يميز بحوث الشيخ محمد طاهر ميغرى هو الاستقصاء وايراده لكل ما يستطيع أن يتوصل اليه من أقوال قيلت فى المسألة .

وقد ناقشه أساتذة الدورة فى هذا الاستطراد ، وأقنعنا بضرورة ذلك فى بعض المواطن .

فكذلك كان بحثه فى دراسته لشخصية إبراهيم انياس السنغالى .

فقد قام بدراسة ميدانية ، فسافر إلى كولخ موطن أسرة إبراهيم انياس وإلى موريتانيا حيث يوجد أتباع طريقته ، ثم اتصل بكل من له به صلة حتى جمع عنه جميع المعلومات التى استطاع أن يجمعها عن حياته وسجل ذلك كما أخذه بأمانة الناقل .

ثم درس الطـريقـة التيجـانيـة التى ينتسب اليها إبراهيم انياس ويدعو لها وينشرها فى نيجيريا بلد غير بلده .

فذكـر تأريـخ أحمـد التيجانى ، وبين سيرته السيئة ، وما جرى له من الحاكم التركى الذى سجنه لأنه ثبت عليه تزييفه للنقود ، ثم ضربه له وأخيراً تسفيره .

ثم ذكـر حقـد الشيخ التيجانى على الحاكم التركى المسلم وعلى الإسلام والمسلمين جميعاً ، ودعوته على بلاد المسلمين بأن يستولى عليها الاستعمار .

ولمـا قيـل له فى ذلـك قال : إن الله أوحى إليـه بأنه ساخط على المسلمين وأنه لايقبل دعاء أحد فيهم .

وقـد ناقشـه محمـد طاهر ميغرى فى هذه الأقوال الزائفة وأثبت كذبَه فيها ثم نقل اجماع المسلمين على تكفير من ادعى نزول الوحى بعد النبى ﷺ على أحد من خلقه مستدلاً بأدلة ختم النبوة ـ وبحديث الصحيحين ـ بأنه سيكون بعد الرسول دجالون كذابون قرابة ثلاثين كلهم يزعم أنه نبى .

ثم أثبت بعد ذلك تعاون التيجانى وجميع أصحاب الطرق مع المستعمرين ، ووصيتهم لأتباعهم بالسمع والطاعة للمستعمرين .

وبعد ذلك انتقل إلى تبشير التيجانى بأنه ستكون فيضة فى آخر الزمان على يد أحد أتباعه ، يدخل الناس فى الطريقة التيجانية أفواجاً ، وأن من دخل فيها فهو من أهل الجنة سواء عَبَد الله أو لم يعبده ، وسواء ارتكابه المعاصى والذنوب من زنى وسرقة وغيرها ، فان الله قد تكفل له بأن يقضى عن أتباعه من خزائن جوده وكرمه . وأن يدخلهم الجنة بغير حساب ولا عذاب .

هذا نموذج مما ذكره عن التيجانى وقد حكم بكفره لادعائه الوحى . ولادعائه دخول أتباعه الجنة بغير حساب وأن الله تكفل له بذلك .

وبعد ذلك انتقل إلى إبراهيم انياس السنغالى فاستقصى سيرته من حين ولادته ، ذاكراً الخرافات التى قرنت بولادته ، ثم تتبع سيرته إلى أن أصبح صاحب طريقة ، وأنه لما كان فى السنغال أصحاب طرق ينافسونه ، وهم أقوى منه ، كان أكثر أتباعه فى الدول المجاورة مثل موريتانيا وغيرها .

ثم بين اتصاله بنيجيريا لنشر طريقته فيها ، وأنها كانت بسبب معرفة بينه وبين أمير (كانو) وقعت فى الحج ، ثم قدم إلى (كانوا) بعد ذلك لنشر طريقته . ثم إدعى بعد أن قَبِلَ الناسُ منه طريقته ، أنه هو صاحب الفيضة التى بشر بها أحمد التيجانى ، والتى قال عنها أنها ستكون فى آخر الزمان على يد أحد اتباعه ، فقرر لهم أنه صاحبها وأنه صاحب **الدائرة الفضلية** التى تقع خارج دوائر الشرع كلها ، وأن كل من اتبعه يدخل الجنة بلا حساب وإن ارتكب المعاصى من زنا وفجور وقتل وسلب لأموال الناس فالله يقضى عن اتباعه كل ما ارتكبوه من خزائن فضله . وهذا سبب تسمية دائرته بالدائرة الفضلية .

قال: وإن الذين لا يؤمنون بطريقته ويعادونها كفار يخلدون فى النار .

ثم نقل عنه قوله من قصيدة له :

ومن يحبنى ومن يرانى ∴ فى جنة الخلد بلا بهتان

وقوله فى قصيدة أخرى يدعى فيها تصرفه فى الكون قال :

قد خصّنى بالعلم والتصريفى ∴ إن قلت كُنْ يَكُنُ بلا تسويفى

ثم ناقش محمد طاهر ميغرى هذه الكفريات مناقشة علمية وبين مصادمتها للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة وأنها خروج على الشريعة الإسلامية ، وأن من يقولها ويعتقدها فهو الكافر الذى يستحق العقاب من الله ـ لاعموم المسلمين الذين يَكْفُرُوْنَ بتعاليمِ طريقته الخارجة عن الشريعة الإسلامية .

وقد عقد باباً فى أول أبواب الكتاب بعنوان « **إبراهيم انياس من شيخ الطريقة الى شيخ الإسلام** » .

فقد يظن المتعجل فى الحكم أنه يمدحه وهو فى الحقيقة يذمه . فقد أثبت فى هذا المبحث أن إبراهيم ايناس يقول بالتقية ويعمل بها ، كما أثبت فى الأبواب الأخرى أن الصوفية هم باطنية إسماعيلية يقولون ويعتقدون عقائد الروافض .

قال : وباستعماله لعقيدة التقية فقد خدع الناس بمكره وخداعه ، وقد منح ذكاء وأسلوباً عجيباً فى خداع العالم حتى استطاع أن يكون عضواً فى رابطة العالم الإسلامى . قال : فهو يَظهَر للعالم الإسلامى بِمَظهر شيخ الإسلام ثم يعود الى قفصه فى كولخ يُعَلّم الناس ضلاله وفساد عقيدته ، إلى أن قال : فقد عاش طول حياته تيجانياً ومات تيجانياً ، وقد قال فى باريس وهو فى المستشفى ، على فراش الموت :

رأيت رسول الله جهراً ويقظة ∴ بباريسَ هل هذا المحل محله

ثم نقل إلى لندن فمات بها ونقل جثمانه إلى كولخ فدفن بها **وقد أوصى بالطريقة لخلفه من بعده** .

كما نقل فى أول الكتاب من كتاب السر الأكبر المحقق مع الدراسة والذى سبقت الإشارة اليه ما يأتى :

قال : إن كافراً فاسقاً اغتصب امرأة تيجانية فعاشرها طول حياته ، هذه المعاشرة الفاسدة ، فلما مات هذا الكافر دخل الجنة ، وذلك بسبب معاشرته لهذه المرأة التيجانية مع العلم أن المرأة غير ملتزمة بأداء الأوراد التيجانية ، ولكنها لم تتركها انكاراً لها وإنما تركتها كسلاً وتهاوناً[1] .

---

(١) انظر كتاب الشيخ إبراهيم انياس، حياته وأراؤه ص ١٩٤ ـ ١٩٧ .

ثم يناقش الشيخ محمد طاهر ميغرى هذا الكلام الفاسد ويحكم على معتقده بالكفر .

هذه نماذج قليلة ذكرتها مما تضمنه هذا الكتاب من المخازى التى أثبتها فيه الشيخ محمد طاهر ميغرى عن التيجانية وعقائدهم وكفرهم وعن إبراهيم ايناس نفسه المخصص بالدراسة ، وذلك لأن للشيخ محمد طاهر عليّ وعلى زملائى فى الدورة حق المسلم على المسلم وأخص بالذكر من المشايخ أكثر من غيره إمامنا فى الصلاة الذى لم تفته صفحة واحدة من قراءة كتبه . (ومنها ما قرىء من هذا الكتاب إبراهيم انياس ، والذى قال عنه بعضهم : إن مقدمته تكفى فى بيان أنه طعن للطريقة التيجانية ولأصحابها - وأقول إن الذى قاله هو الحق وقد سمعتم تكفيره للتيجانى ولابراهيم إنياس بما جاء عنهما من عقائد فاسدة .

منها أن الملك نزل على التيجانى بالوحى . وادعاء ابراهيم انياس أن أتباعه فى دائرة وراء دوائر الشرع - وأن الله تكفل له بادخال أتباعه الجنة بغير حساب ولو عملوا ما عملوا من المعاصى وأن الله يقضى عنهم من خزائن فضله ، وأنه يرى رسول الله باستمرار حتى فى باريس وأن الكافر الفاسق يدخل الجنة إذا عاشر امرأة تيجانية . . الخ) .

أقول إن من قرأ هذا الكتاب ليقف على رأى مؤلفه فى التيجانية وفى إبراهيم إيناس فقط ، فسيجد حكمه على التيجانى وابراهيم انياس بالكفر الصريح لا بالمدح ، وبحمد الله الكتاب موجود .

ولم أتحدث عن محمد طاهر ميغرى عن عاطفة ، وانما أتحدث عن حقائق وعن رجلٍ داعيةٍ يتبع مذهب السلف ويحارب الطرق الضالة المضلة ، فيجب أن يشد أزره ويشجع بطبع الصالح من كتبه .

وأعتقد بعد ما سمعتم والكتاب موجود - أنه لاينبغى أن يقال عنه إنه خبيث يدعو للتيجانية أويمدح التيجانية ، فهذا حكم جائر ظالم ، وربما صدر هذا الكلام من صاحبه عن حسن نية وعدم قراءة للكتاب وإنما أكتفى ببعض الصفحات وكان الإنسان عجولاً ، وهذا الذى أعتقده ، لأن حق المسلم على المسلم أن لايَظْلِمَهُ ولا يخذله . . الخ ما جاء فى الحديث .

ولو كان مثلُ هذا القول صحيحاً لما كتب التيجانى الموريتاني تلك الرسالة رداً عليه بعنوان « انذار وافادة لمن باع دينه بشهادة » ولا شك أنه قد باع ما سماه هو- التيجانية دين جديد هدام لعقيدة الإسلام وشريعته بيعة لا رجعة فيها إن شاء الله .

وحيث أن القول فى محمد طاهر ميغرى وفى كتابه قد أصاب شخصاً آخر ، كما يقال : عصفورين بحجر - وهوفى الحقيقة ليس بعصفور وإنما هو صقر على رخم الطرق الصوفية ، ذلك الشخص هو : الشيخ أبوبكر قومي الرجل المعروف فى نيجيريا كلها بمحاربة أصحاب الطرق الصوفية ، وقد سمعتم عن جماعته وهم جماعة نصر الإسلام الذين لهم مراكز فى جميع ولايات نيجيريا - وهم الذين أدخلوا من يريد منهم مهادنة أصحاب الطرق بحجة جمع الكلمة - السّجْنَ عن طريق البوليس ، وهو عربى وليس بنيجيرى .

وذلك أن أبا بكر قومى وهو عضو فى المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية ، وعضو فى رابطة العالم الإسلامى - قد كتب مقدمة مقتضبة لهذا الكتاب . وقال عنه أى ابراهيم انياس أنه صاحب الفيضة ، استهزاء به لا مدحاً له وهو الذى دعانى لقراءة الكتاب كله من أوله إلى آخره ، وذلك لعلمى بمحاربة أبى بكر قومى لأصحاب الطرق حتى أن الحكومة عجزت عن المصالحة بينهما كما حدثنى بذلك الدكتور محمد ثانى زهر الدين رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة بايرو .

ولكن قلت فى نفسي : إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، فلعل الرجل حدث له شىء .

ولكن حينما قرأت الكتاب وجدته بالعكس فإن الرجل مازال على منهجه فقد جاء فى الكتاب نفسه ، فى الباب الذى جمع فيه محمد طاهر ميغرى المعلومات الميدانية عن إبراهيم انياس مقابلته لأبي بكر قومي فى منزله فى (كادونا) مثبتاً تأريخ اليوم الذى جرت فيه المقابلة وهو السبت ٢٧ / مايو ١٩٧٨ م بمقره فى كدونة حيث قال له :

ما رأيك فى ابراهيم انياس وطريقته فأجابه بقوله : إن إبراهيم انياس جاء الى نيجيريا بكفر صريح مكشوف ينادى به علنا وعلى رؤوس الأشهاد ، وأنه أضل عوام النيجيريين بِدَجَلِه ومكره .

قال - أى أبو بكر قومى - : وقد قابلته فى المدينة أيام أن كان عضواً فى الرابطة ، فأراد أن يتخذ من تلك المقابلة خدعة للناس بحجة أننا تصالحنا مع أصحاب الطرق ، فبينت للناس ذلك الكذب فى حينه لأننا عندما تقابلنا تبين لى أنه كافر فتبرأت منه وابتعدت عنه ، وأما اتحاد حركتى مع حركة تلاميذى والتعاون معهم فلا أرى أننى أحتاج إلى ذلك . لأن

حركتي هى جماعة نصر الاسلام ، وهي ليست لى وإنما هي لجميع المسلمين وكل من يريد أن ينصر الاسلام فالباب مفتوح لا يحجبه شيء[1] .

قال : ثم قلت له : ما رأيك فى قول الشيخ إبراهيم انياس : «إن الله قد ساق الوجود كله مساق الهلاك فى هذا الزمان فلا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التيجانى» .

فقال : «إنه يريد بذلك أن يقول : ومن يبتغ غير التيجانية دينا فلن يقبل منه وهوفى الآخرة من الخاسرين» .

أما كتابته المقدمة للكتاب باختصار ولم يفصل القول فيها عن مخازى الطريقة التيجانية فقد سئل من شخصية تعمل بقوله تعالى : ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمنوا إن جاءكم فاسق بِنبأ فتبينوا** ﴾ [الحجرات : ٦] .

فأجاب عن ذلك ، بأن المقصود منه أن يقرأ النيجيريون الكتاب وبالأخص أصحاب الطرق منهم حتى يعرفوا مخازى شيوخ طرقهم ، لأنهم اذا وجدوا منى التفصيل والنقد فى أول الكتاب قد ينصرفون عنه بحجة أن أبا بكر قومي عدوللتيجانية ولأصحاب الطرق جميعاً ، حدثنا بذلك هوبنفسه حين زرناه فى منزله (بكادونا) ، وكان يحدثنا عن أصحاب الطرق ، وقد جاء ذكر محمد طاهر ميغرى فى ذلك المجلس ، ومما يؤكد أن أبا بكر قومي لازال على منهجه فى محاربة الطرق الصوفية الضالة المضلة وأنه بعيد كل البعد من أن يقدم لكتاب يمدح التيجانية ـ إنه فى هذه الزيارة التى كانت فى شهر ذى القعدة **١٤٠٢** هـ للشيخ أبى بكر قومي فى منزله فقد كان حديثه معنا عن خرافات أصحاب الطرق ، حيث قال : إن من ضلالهم ودجلهم على عوام الناس بالكذب والتضليل ، أن ولياً من أوليائهم قال لأتباعه ، إنّ ولياً طار من بغداد الى نيجيريا ، فلما وصل نزل على رأس شجرة ، والأشجار كثيرة فى نيجيريا كما تعرفون ـ فذهب اليه الولى النيجيرى وقال له : لماذا لاتنزل ؟ فرد عليه قائلاً إن الأرض ملوثة بالمعاصى والذنوب فلا يمكن أن أنزل عليها . ولذلك ذكر له حاجته ثم طار راجعاً الى بغداد ـ ولا ندرى هل أرض بغداد ملوثة بالمعاصى أو لا ؟ .

قال ومثل هذا الكذب يصدقه العوام لأنه عندهم من كرامات الأولياء .

هذا وقد أخبرنى أمين الدين رئيس جماعة الدعوة ، أن لأصحاب الطرق رابطة فيما بينهم ولهم جماعة سمّوْهم باسم شباب الإسلام ـ فى مقابلة اسم جماعة أبى بكر قومي « نصر

---

(١) انظر كتاب الشيخ إبراهيم انياس السنغالى ، حياته وأراؤه وتعاليمه ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ الدار العربية تأليف محمد طاهر ميغرى . تقديم أبى بكر قومي .

الإسلام » وأن هؤلاء تمكنوا من اصدار برنامج فى الإذاعة يلقيه أحد رؤساء الطرق الصوفية (باللغة الهوسا) لمحاربة أبى بكر قومى والطعن عليه وعلى كتبه ـ فى الوقت الحاضر ـ وذلك معارضة منهم لحديث أبى بكر قومى الذى يلقيه فى الاذاعة من زمن لتوجيه الناس وارشادهم وتحذيرهم من الخرافات والبدع المهلكة .

أقول هذا عن الشيخ أبى بكر قومى رئيس قضاة شمال نيجيريا سابقاً وعضو المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية وعضو رابطة العالم الإسلامى ، وعن الشيخ محمد طاهر ميغرى البرناوى المحاضر بجامعة بايرو ـ لأنهما من رجال الدعوة إلى الحق ومن ألد أعداء أصحاب الطرق وعلى رأسها الطريقة التيجانية لأنهم يعرفون ضلالها وفسادها وتدميرها لأخلاق الشباب المسلم أكثر منا ، وهما على ثغرة فى الوقت الحاضر لايسدها غيرهما ، ومعهما أمين الدين أبو بكر رئيس جماعة الدعوة وهو الذى يقاوم فى الوقت الحاضر ضلال الرافضة ويبين للناس زيف دعوتهم للإسلام وأنهم يدعون للضلال إذ كيف يدعو للإسلام من يكفر الذين نقلوا لنا القرآن والسنة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما .

يعلن ذلك على منبر الجامع يوم الجمعة للناس جميعاً ، بلا تحفظ ولا خوف من أحد .

فالذى يجب علينا ونحن ندعو الى الحق أن نشد من أزر هؤلاء ونشجعهم ونساعدهم بما نستطيع تقديمه لهم ، ولو بالدعاء لهم ، وأن لانندفع مع ملابسات لا أصل لها ولا تمت إلى الحقيقة والواقع بشيء ونحن فى غنى عنها .

وإنى لأتمثل للشيخ أبى بكر قومى والشيخ محمد طاهر ميغرى بأبيات من منظومة قالها الشيخ حافظ الحكمى لملابسات تشبه هذه من بعض الجوانب هى بعنوان : الجوهرة الفريدة فى تحقيق العقيدة .

قال فيها :

انى براء من الأهواء ما ولدت ... وولديها الحيارى ساء ما ولدوا

والله لست بجهمي أخا جدل ... يقول فى الله قولاً غيرَ ما يرد

إلى أن قال :

وما أرسطو ولا الطومسي أئمتنا ... ولا ابن سبعين ذلك الكاذب الفند

ولا ابــن سيـنــاء وفــارآبـيــه قدوتـنــا ولا الــذى لنـصــوص الـشــر يستـنــد

مؤسس الــزيــغ والالحــاد حيــث يرى كل الخــلائــق بالـبــارى قد اتحــدوا

معــبــودُه كُلُّ شيء فى الــوجــود بدا الــكـلب والـقــرد والخنــزيــر والأســد

. . . الخ القصيدة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

●●●●●●●●●

مركز إســلامى في الســويد

تم وضع حجر ألاساس لبناء أول مركز إسلامى في الدول الاسكندنافية بمدينة (مالمو) بجنوب السويد ·

ويحتوي المركز الإسلامى على مسجد وفصول دراسية لتعليم ابناء المسلمين الدين الاسلامى الحنيف إلى جانب مكتبة تحتوي على العديد من الكتب الإسلامية المختارة ·

وقد اعرب رئيس المركز الاسلامى في السويد ديفيد بيكروف عن سعادته البالغة لهذا الانجاز ودعا جميع الدول الاسلامية لدعم هذا المركز حتى يستطيع تأدية رسالته ··

(الندوة)

مِنْ مَنهَج الْقرآن العَظِيم
في التربية والتعليم

للشيخ محمد المجذوب
كلية الدعوة وأصول الدين

قال الله تبارك وتعالى في سورة لقمان :

(ولقد آتينا لقمان الحكمة : أن اشكرْ لله .. ومن يشكرْ فانما يشكرُ لنفسه ، ومن كفر فان الله غنيٌ حميد (١٢) واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يابنيّ ... لا تشركْ بالله . إن الشركَ لظلم عظيم (١٣) ووصينا الإنسان بوالديه .. حملته امه وهناً على وهن وفصالُه في عامين : ان اشكر لي ولوالديك ، إليَّ المصير (١٤) وإن جاهداك على أن تشركَ بي ما ليس لك به علم فلا تطعْهما ، وصاحبْهما في الدنيا معروفا .. واتبع سبيل من أناب اليّ .. ثم إليَّ مرجعكم ، فأنبئكم بما كنتم تعملون (١٥) يابنيّ .. انها ان تكُ مثقال حبة من خردل فتكنْ في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله .. ان الله لطيف خبير (١٦) يابنيّ .. أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانهَ عن المنكر ، واصبرْ على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور (١٧) ولا تُصَعّرْ خدك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور (١٨)واقصِدْ في مشيك ، واغضُض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير (١٩) .

المفردات : الوهن : الضعف ، والجنين ضعيف لا يدفع عن نفسه ضراً ولا يجلب لها نفعاً والرحم الحامل له ضعيف لا يستطيع حماية نفسه ، والأم الحامل في ضعف مستمر حتى تضعه ، الفصال : الفطام ، أناب الى الله : وثق به واتكل عليه وفوض أمره اليه ، صعرّ خده : أماله عن الناس استكبارا ، والمرح : الفخر والخيلاء ، القصد : الاعتدال بين الافراط والتفريط ، غض من صوته : خفضه تأدباً .

تلخيص المعانى : في هذه الآيات الكريمة تركيز عجيب لدستور كامل في أصول التربية والتعليم ، يذكر الله تبارك وتعالى معظمه عن لسان معلم صالح آتاه الحكمة فعمل بها ومن العسير استيفاء البحث في مضمون هذا الدستورالجامع المانع ،لذلك نكتفى بالاشارة الى أصوله الكبري .

الموضوع هنا يمكن اعتباره قسمين يؤلفان وحدة متكاملة ، أما أحدهما فخاص بالفرد من حيث هو كائن بشري لابد له من التوجيه الى المبادىء الأساسية التى تنظم كيانه الشخصى · وأما الثانى فيتناول تنظيم العلاقة بين هذا الفرد السوي ومجتمعه البشري ·

يبدأ القسم الأول من الوصية الحكيمة بالتحذير من الشرك ، لأن التوحيد هو المرتكز الأساسى الذي ينهض عليه البناء السليم للفرد والجماعه ، وليس الشرك الاّ عارضاً من الخارج ، والحكمة تقتضي تحصين الفطرة من ذلك الواغل الوبيل ، الذي لا ظلم أظلم منه للنفس وللحق ·

وكأن لقمان قد سكت عن ذكر الوصية بالوالدين لأنها تتعلق بحقه على ولده ، فآثر عليه حق الله وحق الآخرين ، ولأن التزامهما مؤد في الواقع الى توكيد شأن الوالدين باعتبارهما الأولى بكل برّ بعد الله ، ولكن الله جل شأنه لم يشأ أن يدع الأمر للاستنتاج ، فاستدرك على لقمان بتوكيد هذا الحق مباشرة بعد حقه ، كما عودنا سبحانه من الربط بين حقه وحق الوالدين في آيات أخر ، ثم قيد ذلك بحدود طاعته ، فللوالدين على الولد حق البر وخفض الجناح ، ولكن ليس لهما أن يفرضا عليه متابعتهما على المعصية ··

ولكى يصون الانسان نفسه من الانحراف عن هذا الخط لابد له من قدوة عملية يلتزم سبيلها في سلوكه ، وقد حدد له هذه القدوة في اتباع المنيبين اليه من الأنبياء والأصفياءالسالكين على خطاهم · والبرّ بالوالدين ، ومتابعة الصالحين ، مع التوحيد الخالص ، أساس التربية القويمةالتى تضبط مسيرة الفرد في الطريق الأمثل ، يضاف الى ذلك تذكرهُ الدائم للمصير الذي هو منته اليه بعد هذه الحياة الزائلة ، حيث يرى ما عمله من خير محضراً ، وما عمله من سوء يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيدا · وأولى ثمار هذه التربية تكوين المراقبة الداخلية لأعمال الفرد ، وهو ما نسميه بالضمير ، اذ يتجنب كل زيغ عن الجادة ، لأن كل حركاته وسكناته مُحصى عليه من قبل اللطيف الخبير ، الذي لا يفوته كبير ولا صغير ·

وهنا يأتى القسم الثانى وفيه تتلاحق الأوامر والنواهي : أمراً بالصلاة التى هى معراج المؤمن الى الملأ الأعلى وكأنها مواقف حساب يومى ، يعرض فيها نفسه وعمله على ربه فيستغفره لما أصاب من الهفوات ، ويستمده العون على ما وفق اليه من الحسنات · ثم أمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر ، وصبر على المصائب ·· كل أولئك نتائج طبيعية لتلك المقدمات ، لأن الانسان الذي زود بكل هاتيك الفضائل بات مؤهلاً للاسهام في توجيه المجتمع بالدعوة الى كل خير ، والتحذير من كل شرّ ولا يطيق ذلك الاّ بالصبر الذي يحبب اليه الثبات واجتياز العقبات · والصبر في حقيقته قوة لا تتاح الاّ لأولى العزم ، فليكن اذا واحداً من أتباعهم وليتحمل ف سبيل الله ما تحمله الأولون من أتباع النبيين ، وما يتحمله حتى اليوم أتباعهم

باحسان في سجون الملاحدة والظالمين .. وانما تستمر سلامة المجتمع واستقراره في طريق الخير بهؤلاء الآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، الذين ما خلت منهم أمة الا تُوْدّع منها ٠

ومن ثم تتابع الآداب الاجتماعية ممثلة في نهيين وأمرين ٠ أما الأولان فالتحذير من الاستكبار والمرح ، وأما الآخران فالحض على الاعتدال في المشي ، والغض من الصوت عند مخاطبة الناس ٠ ويعقب كلًا من القسمين تذييل مؤكد لمضمونه بصورة تقنع العقل السليم بالتزام المطلوب (ان الله لايحب كل مختال فخور) و (ان أنكر الأصوات لصوت الحمير) وحسب المؤمن أن يعلم كره الله للاختيال والتطاول حتى يهجر لوازمهما من الصعر والمرح ، اللذين يسجلان على صاحبهما فراغ النفس من الفضائل ، وخلو القلب من التفكير بالتبعات الثقال ، التى لا يستطيع تجاهلها من كان يؤمن بأنه مسؤول عن حركاته وسكناته جميعاً ! وبحسبه كذلك أن يتصور نهيق الحمار ومزعجاته حتى تشمئز نفسه من مشابهته ٠ فيحاول جهده أن يلتزم أدب الاسلام في المشي وفي الكلام ٠

أهمية هذه المعانى وأثرها في تكوين المجتمع الصالح : بقليل من التدبر الواعي لهذه الوصايا نتبين اننا تلقاء مخطط عميق الغور ، لا أمل بانشاء الفرد الصالح خارج نطاقه فهو أشبه بالأعداد الأساسية في علم الحساب ، فكما أن عملية حسابية دقت أو جلت تقوم على الأرقام الواحد والتاسع وما بينهما ، فكذلك تنبثق من جذور هذا المخطط جميع التفريعات ، التى تحدد مضمون المناهج وأهدافها في كل نظام للتربية والتعليم كما يريده الاسلام ، وكما تتطلبه مصلحة الجنس الانساني ٠

واذا كان لكل منهاج نماذجه التى تمثل مضمونه في صور مشهودة ، فالنماذج التى يقدمها هذا المنهج تؤكد أنه الوحيد ، بين مناهج الدنيا ، الذي أعطى العالم أعظم رجال التاريخ اطلاقا فأثبت بذلك أنه النظام الوحيد الذي يضمن انشاء الانسان الممتاز الذي يحلم به الفلاسفة دون أن يعرفوا الطريق اليه ... ومن يكون ذلك الانسان الممتاز غير الذي رباه الاسلام في مدرسة النبوة على ضوء هذا المنهج الرباني فكان أتقى الناس وأعدل الناس ، وأشجع الناس ، وأكرم الناس ، وأعف الناس ، وأشد الناس حين الشدّة ، وألينهم عند اللين .. أبعد الخلق عن جهل ، وأرغبهم في علم ، حتى كان منهم أئمة البشر في علوم الدين والدنيا جميعا !

فمن المخطط يتضح لنا أن غاية التربية والتعليم ، في مستواهما الأعلى ووفق الطريقة الاسلامية ، انما هي رعاية النفس الانسانية بتدريبها على تحقيق المنهاج الرباني ، في تربية الروح ضمن تعاليم الوحي التى تحرر النفس من كل خوف لغير الله ، وكل عبودية لسواه ، وتجعلها مدركة لرسالتها في الحياة التى هي تكوين المجتمع الأفضل القائم على عبادة الله وابتغاء مرضاته ، ثم تربية العقل تربية صحيحة تمكنه من تحقيق مهمته في استجلاء مظاهر

عظمة الله في ملكوته ، وتسهيل سبل الافادة مما سخر له الله في السماء والأرض من وسائل المتاع والانتفاع ، دون ظلم ولا جحود ولا طغيان .. وهو هو السر الذي أدركه سلفنا الصالح لمفهوم التربية والتعليم على هدى من هذا المنهج الأمثل ، فراحوا يؤكدون على وجوب العناية بالروح ، حتى اعتبروها قوام الانسان كله كما يقول أحدهم : (فأنت بالروح لا بالجسم انسان) واعتبروا صلاحها صلاحا للكيان البشري كله كما يتضح من قول أحدهم :

هذّبِ النفس بالعلوم لترقى   وترى الكل فهي للكل بيتْ
انما النفس كالزجاجة والعقـ   ـل سراج وحكمة الله زيت
فاذا أشرقت فانك حي   واذا أظلمت فانك ميْت

ولا يعنى هذا التركيز على الجانب الروحي من الانسان إغفال جانبه المادي ، لأن الاسلام هو النظام الوحيد الذي يقوم على التوازن المتكامل بين الروح والجسد ، وانما جاء توكيد العناية بالروح لأن من طبيعة الانسان الاستجابة لنوازعه المادية الى حد الإفراط . فكان من الحكمة إثارة اهتمامه بالجانب الآخر لتحقيق التوازن بين الحالين ..

وطبيعي أن أدب الجاهلية لم يقترب من هذه المعاني قط ، فهي جديدة على العقل العربي ، وهي بالتالى جديدة على العقل البشري في كل مكان قبل نزول القرآن العظيم ... ولا تزال جديدة عند أهل العلم ، الذين يتولون تخطيط أسس التربية في أنحاء العالم المتمدين في الشرق والغرب على السواء .. وانما تستمد قيمتها من عمق الادراك لخصائص الفطرة البشرية التي لا صلاح لها الاّ بهذه الحقائق ، وقد ثبت ذلك بشهادة الله الذي أودعها كتابه الحكيم توكيداً لأهميتها في هذا المضمار ، وتقديراً لهذا النوع من الحكمة التى استحقت تكرمته وتخليده سبحانه .

الأسلوب المعجز في الآيات : عندما عجز علماء البلاغة عن الاحاطة بأسرار الاعجاز في كلام الله اضطروا الى القول بأنه كلام لا كالكلام . فاذا كان كلام البشر يدور بين الشعر والنثر فالقرآن ليس من الشعر ، وان كان فيه الكثير من خصائصه في أكمل حالاتها كعذوبة الجرس ، ورشاقة العبارة ، والتصوير المجسم لأدق المعاني .. وليس من النثر ، وان شاركه في أخص عناصره ، كالإنطلاق ، وتحديد المدلول ، والتوافق بين الفكر واللفظ .. وسلوك الأساليب المختلفة من السجع إلى الارسال ، إلى تقصير الفقرات أو تطويلها حسب المناسبة ، وكاستخدام المثل والقصة والتمثيل وما الى ذلك من فنون القول ... واذن فهو قسم خاص من الكلام قائم بذاته وبخصائصه التى يسمو بها على كل ضروب الأدب . ومن هنا جاء قولهم : الكلام ثلاثة

أقسام نثر وشعر وقرآن ٠ وأقرب تعبير عن هذا السر المعجز هو القول بأن طراز البلاغة في كل كلام إنما يمثل عبقرية منشئها وخصائصه الفكرية والنفسية والثقافية . وانما يتفاوت البلغاء في نطاق هذه الخصائص قوة وضعفاً . وانخفاضاً وارتفاعاً . لأنهم بصياغتهم الفنية انما يمثلون صفاتهم المنبثقة من هذه الخصائص ٠ ونحن عندما نميز بين أسلوب انسان وأسلوب آخر انما نميز في الحقيقة بين صفة هذا وصفة ذاك . تماماً كما قرر نقاد الغرب عندما زعموا : أن الأسلوب هو الانسان . يريدون أنه صفته المميزة له ٠ وعلى هذا المقياس نستطيع القول إن امتياز كلام الرب تبارك وتعالى انما جاء من كونه صفته المعبرة عن علمه وكمالاته اللائقة بجلاله . فلا سبيل إلى المقارنة بين كلامه وكلام مخلوق مهما تبلغ بلاغته من الارتفاع . لأنه لا سبيل الى المقارنة بين علم الرب المحيط بكل شيء . وعلم العبد الذي لا يري من الشيء الا الجزء الذي يواجهه ٠٠ ومن طبيعة هذا الفرق أن الانسان يتراوح بين السمو والهبوط وفق قدرته المحدودة في تتبع الوقائع ، واستنباط الأسرار . فيصيب ويخطىء . ويتعمق الشيء آناً فيقول ما يتفق مع حقيقته ، ويغم عليه السر آناً فيتخبط في أحكامه . وبذلك يتعرض للاحسان والاساءة على حين يأتي كلام الخالق صورة الحق الخالص الثابت على مرّ الأحوال وتغير الأزمان . لكل حرف فيه مدلوله اليقيني الذي لا يقبل التبديل . كمثل العضو من الجسم الحيّ له مكانه ووظيفته . التي لا سبيل لتحقيقها الا عن طريق ذلك الوضع المخصوص ٠٠

واذن فالاعجاز في الكلام الآلهي قائم في المعنى والمبنى معا ٠٠ فمعاني الآيات كما رأيت تمثل أسمى ما يتصوره العقل البشري من كمال التنظيم التربوي ٠ الذي عجز عن مثله مفكرو القديم والحديث . لأنه حقائق منسجمة مع الفطرة التى لا تبديل لها على الأحداث والبيئات ٠

والاعجاز متمثل كذلك في نظم الآيات من حيث الألفاظ والتعابير . وتساوق الفقرات في فواصلها ونهاياتها ٠٠ فتقسيم الكلام الى آيات يوجه القاريء الى التوقف على أواخرها . ويساعده على التغني بها وهى بعض مميزات التنزيل التى لا تجد مثلها في كلام الجاهليين ولا الإسلاميين . حتى في أسلوب المقامات القائمة على تقسيم الكلام إلى فقرات مسجوعة كقوافي الشعر . تشعر عند مقارنتها بآيات القرآن العظيم أنها تكاد تفقد كل أثر للجمال . اذ تبدو سجعاتها متكلفة قد سخرت لها المعاني . واجتّلبت لها الألفاظ بدافع الرغبة في الهندسة اللفظية فقط ٠٠ وهذا ما جعل بعض علماء البلاغة ينكرون وجود السجع في كلام الله . لأنهم لم يروا السجع قط الا متكلفا . بخلاف نهايات الآيات القرآنية التى لا تأتى أبداً الا عفوية على أتم التساوق والانسجام مع المعنى . ولهذا رأوا أن تسمية هذه النهايات بالفواصل أحكم وأليق من تسميتها بالسجع ٠

والقارىء ذو الشعور المرهف يدرك بذوقه في هذه الفواصل التى تختتم بها الاي من الجمال والتأثير ما لا سبيل الى تحديده بالوصف الكلامي ..وسيكون أكثر ادراكا لأثرها اذا هو ترك قراءة تلك الخواتيم واكتفى بقراءة صدورها وحدها ، اذ يحس أنه يفتقد بذلك غير قليل من النغم ، والجمال والتأثير .

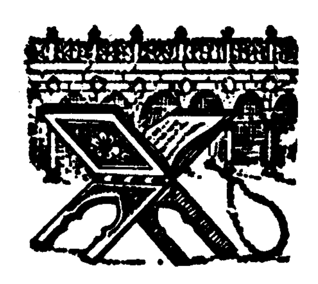
شخصية لقمان : ولقد اعتدنا أن نقرأ الوصايا في الجاهلية فِقرا متقطعة لا نظام لها في الغالب ، حتى يمكن تغيير مواقعها دون أن يؤثر ذلك على مجموعها ، لأن قائلها في الأصل لم يُعن فيها بوحدة الموضوع .. أما هنا في وصية لقمان فالأمر على الضدّ ، اذ نرى التماسك بين الفقرات على أتمه ، فكل فقرة ممسكة بأختها ، لأن كل فكرة ممهدة لما يليها ، ومنها جميعا على هذا التماسك يتألف دستور التربية المتكامل .

لقد بدأت الآيات بخبر الحكمة التى هيأ الله لها لقمان ، ثم تتابعت المعانى التى تنطوي تحتها ، وأولها الشكر لله ، ولم تذكر الايمان به سبحانه ، لأن المناسبة تقتضي أن الايمان أصل في الفطرة الانسانية لا جدال فيه وانما البحث في متطلباته ومُغذّياته ، ولاشك أن شكر المنعم في مقدمتها لأن الحس البشري لا يقع على شيء الا وهو من فضله تعالى ، فشكر المتفضل إنما هو تعهد للنفس بالاصلاح المستمر والضبط الواعي ضمن حدود الخير .. فاذا ما تمت للقمان هذه الخاصة العليا ، خاصة التنبه الدائم لنعم الله وشكرها ، كان أهلاً لدعوة الاخرين الى هذا الخير ، وأحق الناس به منه ولده ، وأفضل ما يبدأ به تزويده التحذير من الانحراف بفطرة الايمان عن طريقها السديد ، لأن الشرك ظلم عظيم .. وهكذا تتابع أجزاء الموعظة في ترابط عجيب لا يغفل شاردة ولا واردة ، من الوصية بالوالدين ، إلى القدوة الحسنة إلى مراقبة النفس والعمل ، الى الجهاد العام للحفاظ على صلاح المجتمع ، إلى حسن معاملة الناس وما يصلح للمؤمن العاقل من أدب المعاملة لمن يدعوهم إلى الصلاح ...

هذا من حيث وحدة الموضوع .. فاذا رحنا نتبين الخصائص النفسية لهذا الحكيم الصالح واجهتنا الحكمة ممثلة في طريقته نفسها ، فهو يسوق مواعظه في أرق الأساليب وأبلغها وقعا ، فيبدأ كل زمرة من تلك الفضائل بذلك الخطاب المؤثر المشحون بالاشفاق : (يابني) .. ثم لا يكتفي بصيغة الأمر والنهي في عرضها ، بل يعمد الى دعمها بالتعليل المقنع فهو ينهاه عن الشرك لأنه ظلم عظيم ، ويحذره من التهاون بصغائر الذنوب لأن الله لطيف خبير ، وهو يحضه على الاستمساك بالصبر لأن تكاليف الايمان والدعوة من الأعباء التى تتطلب العزائم الضخمة ، وهو ينفره من التصعير والمرح لأن الله لا يحب أهلهما ، وينصح له بالأناة والرصانة لأن الخروج منهما دخول في صفة الحيوان الذي لا يعرف الاداب ... ولكي ندرك روعة

التنسيق في أسلوب هذه الآيات نأخذ الآية السابعة عشرة كمثل من ذلك . انه يدعو ولده الى أربعة أشياء : الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر . وكان ممكنا أن يبدأ بأي منها . ولكنه آثر البدء بالصلاة وقيدها بالاقامة لتكون أدل على كمالها . ومن ثم لتؤدي وظيفتها كاملة في رفع طاقاته النفسية . فاذا تم له ذلك حُبِّب اليه الأمر بالمعروف . وقدم ذلك على النهي عن المنكر . لأن دعوة الناس الى مهجور الخير أوقع في قلوبهم من دعوتهم للاقلاع عن مألوف المنكر .. فاذا مرن على ذلك سهل عليه الانتقال الى ما بعده . ولكن هذه أعباء ثقال لا يطيقها الا أولو العزم من الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ... فلتكن الوصية بالصبر أخيرا . ثم ليأت بيان أهمية ذلك تذييلا شاملا لهذه الأحكام جميعا (ان ذلك من عزم الأمور) .

وهكذا نخلص من هذه الدراسة الوجيزة لوصايا لقمان . وقد تبينا ملامح من أهميتها وحاجة الانسان الى تحقيقها في كل زمان ومكان . واستبنا من خلالها شخصية ذلك الحكيم العظيم الذي تعلمنا منه الكثير من أصول الدعوة وطريقة عرض الحقائق بالأسلوب المبشر الذي لا ينفر .. وأخيرا تعرفنا أثناء ذلك بعض الخصائص التى ميز بها الخلاق العظيم أسلوب كتابه الحكيم . فكان بها المعجز الذي لا يبارى . والمعلم الذي لا يجارى . والنور الخالد الذي يهدي للتى هي أقوم .



تعدد زوجات الرسول ﷺ

للدكتور ملك غلام مرتضى
رئيس قسم الترجمة بالجامعة

ـ ١ ـ

قبل أن نتحدث عن الحياة الأسرية للنبى ﷺ ، من الأجدر أن أمهد لهذا البحث فأقول : إن عصرنا الحاضر ، فى الحقيقة ، يمثل الصحوة الاسلامية فى العالم والبعث الاسلامى الجديد . لقد جرب أهل الغرب نظمهم وعقائدهم وحصلوا على ما حصلوا عليه من نتائج سيئة وخطيرة . والآن يسود العالم شعور عام وإحساس ملح لاخفاق الانسان فى هذه النظم الوضعية ، وهو نفسه يشعر أنه قد سئم من هذه النتائج السيئة . لذا فهو يريد الآن أن يتوجه نحو نظام غير وضعى ، نظام ليس من صنع البشر ، نظام إلهى محكم شامل .

ولكن ثمة صعوبة كبيرة تصادف الانسان ، ألا وهى خلو الأديان كلها عدا الإسلام من تصور نظام شامل . والنصرانية تأتى بتصور مذهب شخصى . وهناك نفس المشكلة فى اليهودية والأديان الأخرى . ولكن الاسلام يختلف اختلافا جذريا فى هذا الشأن فهو يتميز بوجود نظام شامل متكامل للحياة .

وأقبل العلماء والمفكرون على مطالعة الإسلام والتعرف على مبادئه عن كثب ، الأمر الذى أدى إلى اليقظة العلمية والركون إلى الإسلام ، فاعتنق عدد كبير من أهل أوربا وأمريكا الإسلام مما أزعج اليهود والتبشيريين وكل أعداء الإسلام ازعاجا شديداً .

واذا أخفق أعداء الإسلام فى مقاومته بأساليب علمية لجأوا الى الحملات المغرضة والمؤامرات الدنيئة ضد هذا الدين ، فمثلا يروجون أباطيلهم وشبهاتهم حول شخصية محمد ﷺ لاسيما بالنسبة لتعدد زوجاته .

ولا تكاد مكتبة من المكتبات المنتشرة فى شتى أنحاء أوربا التى زرتها ، إلا وتضم مؤلفات تتناول أموراً مزعجة فى نفس الموضوع .

فقد هاجموا شخصيته ﷺ بأسلوب متصف بالوقاحة وعدم الموضوعية وبيعت مثل هذه الكتب بالملايين ووزع بعضها بأسعار مخفضة بل حتى بالمجان .

وهكذا الوضع فى الهند . كان الهندوكيون يطبعون الكتب الدنيئة مثل كتاب « رنكيد رسول» (الرسول الشهوانى) الذى ظهر منذ زمن بعيد ومازالوا ينحون هذا المنحى ومع هذا فإن أعداداً كبيرة منهم يشرح الله صدرها للإسلام فيدخلونه أفواجاً .

ولو أننا ضربنا صفحاً عن هذه الكتب المليئة بالكذب والأباطيل فعلينا أن نحلل بأسلوب علمى منهجى يخاطب العقل والمنطق أسباب تعدد الزوجات فى حياة الأنبياء لاسيما أسباب الأحد عشر زيجة خلال حياة محمد ﷺ .

لقد وجه أعداء الإسلام التهمة تلو التهمة الى النبى ﷺ فزعموا أنه كان والعياذ بالله رجلاً شهوانياً وأنانياً ومن أهل الدنيا وكان يفتقر الى النقاء الروحى فضلاً عن النبوة والرسالة .

والآن سأركز على أربعة أمور وهى :

١ ـ هل تعدد الزوجات مختص بالرسول العربى ﷺ أم أن هذه سنة أكثر الأنبياء ؟ وما الذى ورد فى التوراة والنجيل فى هذا الصدد . ؟ وما هو المذكور فى الكتب المقدسة للمذهب الهندوكى عن أكابرهم بالنسبة لتعدد الزوجات ؟

٢ ـ ما هى الأسباب وراء تعدد زوجات النبى ﷺ . وما هى الخلفية وراء كل زيجة من زيجاته **الأحدى عشرة ؟**

٣ ـ ماالذى يتوقع من شخص آخر غير النبى ﷺ لو كان فى محل الرسول ﷺ ؟ ماذا كان يمكن أن يكون أسلوب حياته فى نفس الظروف والملابسات ؟

٤ ـ ما هى المصالح العملية وراء تعدد زوجات النبى ﷺ والحكم التعليمية والتشريعية والاجتماعية والسياسية والشخصية ؟

سنة الأنبياء السابقين مما ورد فى التوراة والانجيل :

الذين يعترضون على تعدد زواج الرسول ﷺ أكثر من غيرهم هم المستشرقون من اليهود والنصارى . ومن ثم كان علينا أن ننظر فى أسفار التوراة والأناجيل الحالية لنرى ماذا ورد فى هذين الكتابين عن كبار الأنبياء من بنى اسرائيل فى هذا الصدد .

١ ـ تعدد زوجات سيدنا ابراهيم عليه السلام :

كان لسيدنا ابراهيم عليه السلام ثلاث زوجات حسبما ورد فى التوراة والانجيل :
أ ـ السيدة / هاجر (كتاب الخلق : **١٦ / ٤**) وهى أم سيدنا اسماعيل عليه السلام .
ب ـ السيدة / سارة (الخلق : **١٨ / ١٥**) وهى أم سيدنا اسحاق عليه السلام .
جـ السيدة قثورة (الخلق : **٢٥ / ١٠**) وكان لها ستة بنين وهذه أسماؤهم :
زمران ، يقان ، مدان ، مديان ، أسباق ، سنوخ .

٢ ـ تعدد زوجات سيدنا يعقوب عليه السلام :

كان له أربع زوجات (الخلق : **٢٩ / ٢٣ ـ ٢٩**) وأسماؤهن كما يلى :
أ ـ لياه (الخلق : **٢٩ / ٢٣**) وهى أم سمون ، لاوى ، يهوده ، أشكار وزبون .
ب ـ زلفة : وهى أم ابنين وهما : جد وآثر .
جـ ـ راخيل : ولها ابنان : سيدنا يوسف عليه السلام وبنيامين .
د ـ بلهمة : وهى أم دان « ونفتاى » .

٣ ـ تعدد زوجات سيدنا موسى عليه السلام :

تزوج سيدنا موسى عليه السلام بأربع نساء (كتاب الخروج : **٢ / ٣١**) وأسماؤهن كما يلى :
أ ـ سفورة : وهى أم جيسون والعيزر .
ب ـ جبشية .
جـ ـ بنت قينى (قاضيون ١ / ١٦) .
د ـ بنت حباب (قاضيون ٤ / ١٦) .

٤ ـ تسع زوجات لسيدنا داود عليه السلام :

وقد ورد فى كتاب صيموئيل (**٢٦ / ٢٣**) ذكر تسع زوجات لسيدنا داود عليه السلام ولا يسعنى أن أذكر أسماؤهن وأسماء أولادهن لضيق المقام .

٥ ـ ألف امرأة لسيدنا سليمان عليه السلام :

وقد ورد فى كتاب سلاطين ١١ / ٣ أنه كان لسيدنا سليمان عليه السلام سبعمائة زوجة وثلاثمائة أمة . ولم يذكر هذا الأمر فى القرآن الكريم .

٦ ـ سنة سيدنا عيسى عليه السلام ومسلكه :

لم يتزوج سيدنا عيسى عليه السلام وكذا صار الزواج عملاً غير مستساغ عند النصرانيين واعتبروا العزوبة منتهى الروحانية .

ولكن مع كل ذلك فقد ورد قول سيدنا عيسى عليه السلام فى انجيل متى باب ٢٥ حينما أخبر عن بعثته أنه عليه السلام أخبر عن عشر أبكار . « تزوجت خمس منهن بعريس واحد وذهبن الى بيتهن ، أما الخمس الأخريات فتخلفن ولم يفتح لهن الباب » .

وهذه الجملة الواحدة تدل بكل وضوح على أن سيدنا عيسى عليه السلام كان يجيز تعدد الزوجات . فقد أول بعض القسيسين هذه الجملة قائلين أن المسيح قد تكلم بأسلوب تمثيلى . نعم : ولو كان كذلك : الحق أنه لايمكن لنبى أن يقول شيئاً بأسلوب تمثيلى عن أمر ما إلا إذا كان ذلك الأمر مرغوباً لديه .

ولهذا السبب كان « ملتن » الشاعر الانجليزى الشهير يقول بتعدد الزوجات . وجدير بالذكر أن نابليون ملك فرنسا قد استدل على ذلك وتزوج ثانية فى حضور البابا ولم يعترض البابا وصدقت أوربا على صحة هذا الزواج . وهناك أحداث كثيرة مماثلة .

تعــدد الزوجات فى المذهب الهندوكى :

والآن نتقدم الى ما ورد فى المذهب الهندوكى . والمهم أن الهندوكيين لا يوجد لديهم نظام تعدد الزوجات فى العصر الحاضر وقد اعترضوا على تعدد زواج الرسول ﷺ لنفس الأسباب السابقة .

وأهم شخصية فى المذهب الهندوكى ، هو شرى رام جندرجى . انهم يحلونه محل الآلهة . ومن المعروف والمعلوم عند كل هندوكى أنه كانت لوالد شرى رام جندرجى (راجه وسرت ، ملك من ملوك الهند) ثلاث زوجات فى آن واحد وأسماؤهن كما يلى :

١ ـ ملكة كوشليا وهى أم شرى رام جندرجى .
٢ ـ ملكة سمترا وهى أم لجمن جى .
٣ ـ ملكة كيكنى وهى أم برت جى .

وقصة المخاصمات بينهن معروفة جداً عند الهندوكيين وهم يمثلون وقائع هذه المخاصمات كل عام فى صورة حفلات عظيمة .

وشرى رام جندرجى هومؤسس المذهب الهندوكى ، وكان له ثمانى عشرة زوجة حسبما ذكر عالمهم الكبير « لاله لا جبت رائى » فى مؤلفه « كرشن جتر » .

وهناك شخصية هامة أخرى وهى الجد الأعلى للهندوكيين لاسيما الباندوكيين واسمه الملك باندو . ومن المعروف أنه كانت له زوجتان واسمهما : « بنتى » و« مادرى » ، وكذلك هناك شخصية بارزة من بين مؤسسى الهندوكية وهى الملك شنتن الذى كانت له زوجتان واسمهما : « جنجا » و« سيتاوتى » .

وهكذا كانت لسيد بجترايرج زوجتان وأمة .

ولا يسعنى لضيق المكان أن أعرض بالتفصيل تعدد الزوجات عند مؤسسى الهندوكية وكل شخصياتهم البارزة ـ ولكن أود أن ألتمس من الكتاب الهندوكيين أن يطالعوا كتبهم المقدسة قبل أن يكتبوا كتباً دنيئة مثل « الرسول الشهوانى » ان كان لديهم شىء من الحياء والخجل .

حكمة زواج النبى ﷺ بكل واحدة من أزواجه الطاهرات :

والآن أحاول أن أبين الحكمة وراء كل زيجة من زيجات النبى ﷺ وفقاً للترتيب الزمنى لزواجه ﷺ :

١ ـ السيدة خديجة رضى الله عنها :

السيدة خديجة هى أولى زوجاته ﷺ وهى أرملة وكان عمرها وقت الزواج أربعين سنة وعمر النبى ﷺ خمسا وعشرين سنة . فعاشا معاً لخمس وعشرين سنة بعد زواجهما الى أن توفيت السيدة خديجة وهى فى الخامسة والستين من عمرها بينما كان النبى ﷺ فى الخمسين من عمره . وجدير بالذكر أن النبى ﷺ لم يتزوج أية امرأة أخرى فى حياتها .

ومات أبوطالب عم النبى ﷺ فى نفس السنة وسمى هذا العام بعام الحزن . ذلك لأن النبى ﷺ فقد شخصيتين هامتين ألا وهما : السيدة خديجة وأبا طالب اللذين كانا يشدان من أزر النبى ﷺ ويحنوان عليه .
وهكذا صار النبى ﷺ وحيداً لا ناصر له ولا معين من ناحية أسرته .

السيدة سودة رضى الله عنها :

وكانت هذه المرحلة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم مرحلة الشدائد والابتلاء وهو فى حاجة ماسة الى من يسكن اليها لذلك فهو يتزوج السيدة سودة البالغ عمرها وقتئذ خمس وخمسون سنة .

وعليكم أيها القراء أن تنتبهوا الى عمر أزواج النبى ﷺ ، ولكى ندرك مدى بطلان الافتراءات التى يثيرها أعداء الإسلام ضد الرسول ﷺ واتهامهم له بالشهوانية والأنانية . علينا أن نتساءل : ماهى الخلفية وراء زيجاته : ما هو عمر أزواجه ؟ ولماذا يتزوجهن ؟

كانت السيدة سودة أرملة سكران بن عمرو وهى من المؤمنات المهاجرات . توفى عنها زوجها بعد الرجوع من الهجرة الثانية الى الحبشة فأصبحت وحيدة لا ناصر لها ولا معين . ولو رجعت الى أهلها الكفار لعذبوها ولحاولوا ردها الى الشرك قسراً . وما كان هناك أى شخص يمكن أن يقوم بكفالتها والمحافظة على اسلامها .

فاختار النبى ﷺ كفالة هذه الأرملة الوحيدة الحزينة المسكينة المسنة فتزوجها وفى هذا تشريع الزواج بالأرامل اللائى ينظر اليهن نظرة سوداء فى الملل والأديان الأخرى كالهندوكية . فالرسول ﷺ أرسل للبشر كافة ولم يرسل لأمة بعينها كغيره من الأنبياء ، لذا فسن زواجه لابطال كل ما فى الأديان المحرفة والملل الأخرى من خرافات وامتهان للنساء وبخاصة المزدريات منهن فى مجتمعاتهن كالأرامل والمطلقات وتشريفهن بزواجه منهن وهو أشرف البشر فيمتثل به المؤمنون كافة .

٣ ـ السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما :

وهى الوحيدة من بين أزواجه الطاهرات التى كانت بكراً . وكان النبى ﷺ قد قضى على نظام التبنى بزواجه السيدة زينب بنت جحش ، فيمكننا القول أنه ﷺ قد قضى على نظام آخر بهذا الزواج وهو نظام التآخى الجاهلى إذ كانت العادة قد جرت عند بعض العرب أن يؤاخى بعضهم بعضاً وكانت هذه المؤاخاة تتساوى مع الأخوة الحقيقية القائمة على صلة الدم ، وكانوا يحرمون على أنفسهم الزواج بابنة أخيهم المزعوم .

فقضى النبى ﷺ على هذه العادة الجاهلية بزواجه بالسيدة عائشة رضى الله عنها وكان عمرها تسع سنوات وقت الزواج وبقيت على قيد الحياة ثمانيا وأربعين سنة بعد وفاة

النبى ﷺ ولعل هذا هو السر وراء هذا الزواج . وظلت تنشر الدين وتبلغه الى النساء والرجال .

ونرى أثر ذلك حتى اليوم كلما ذهبنا الى الروضة فى المسجد النبوى الشريف فنجد هناك عموداً (قائماً) يسمى « اسطوانة عائشة » . وكان الصحابة يجلسون بقرب هذه الاسطوانة بعد وفاة النبى ﷺ ويستفتونها فى الأمور الدينية وكانت السيدة عائشة تفتى وتدرس وتبلغ وهى جالسة فى حجرتها التى فيها قبر النبى ﷺ .

واذا استشكل أبوها سيدنا أبو بكر وغيره من الصحابة الكبار مثل سيدنا عمر الفاروق وسيدنا عثمان بن عفان فى أى أمر هام رجعوا الى السيدة عائشة لحل تلك المشكلة .

وقد ذكر العلماء المؤرخون أنه قد انتقل ربع الأحكام الشرعية الى الأمة المسلمة بعد وفاة النبى ﷺ من خلال توجيهات السيدة عائشة وجهودها التى استمرت ٤٨ سنة بعد وفاته ﷺ وظلت تسكن نفس الحجرة التى دفن فيها الرسول الى أن توفى سيدنا عمر ودفن بجوار قبر رسول الله ﷺ فانتقلت من تلك الحجرة قائلة « اننى أستحى الآن أن أبقى هنا » .

وظلت السيدة عائشة توجه الصحابة فى كثير من الأمور العامة وتنبههم الى بعض أخطائهم الفقهية العلمية وهناك الصحابة الكبار أيضاً الذين تنبهوا الى بعض أخطائهم نتيجة لتوجيهاتها فقد ألف العلامة السيوطى رحمه الله رسالة مستقلة فى هذا الموضوع وأوضح كيف صححت السيدة عائشة أخطاء الصحابة وذكر تلك الفتاوى فى رسالته التى سماها « عين الاصابة فيما استدركته عائشة على الصحابة » .

وأذكر مثالاً لذلك هو أن سيدنا أبا هريرة أفتى ذات يوم أنه لايجوز الصوم فى حالة الجنابة فراجعته السيدة عائشة والسيدة أم سلمة وأخبراه أنه يجوز وكان النبى ﷺ يغتسل من الجنابة بعد تناول السحور أحيانا .

وقد روى عن أبى موسى الأشعرى : « ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ حديث قط فسألنا عائشة الا وجدنا عندها منه علماً »

(جامع الترمذى)

ويقول الامام الزهرى التابعى :

« كانت عائشة أعلم الناس يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ » .

(طبقات ابن سعد ج ٢ ، قسم ٢ ص ٢٦)

ويقول عروة بن الزبير رضى الله عنهما : « ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بفقه ولا بشعر ولا بطب ولا بحديث العرب ولا نسب من عائشة » .

(سير الصحابيات للشيخ عبد السلام الندوى ص ٤٣)

وقد روى عن موسى بن طلحة قوله : « ما رأيت أفصح من عائشة » .

(مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٩١)

والمعروف أنه قد روى عنها ٢٢١٠ حديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ وقد اتفق الشيخان على ١٧٤ حديثا منها وقد انفرد الامام البخارى بتخريج ٥٨ حديثاً كما انفرد الامام المسلم بتخريج ٦٨ حديثاً منها .

٤ ـ السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما :

وهى أرملة سيدنا خنيس بن حذافة الذى استشهد فى غزوة بدر وفى تلك الأثناء توفيت السيدة رقية زوج عثمان بن عفان وبنت رسول الله ﷺ فعرض سيدنا عمر ابنته على عثمان للزواج كما أخرج البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال فقال عثمان « سأنظر فى أمرى » فلبث ليالى ، ثم قال : « لقد بدا لى أن لا أتزوج » قال عمر لأبى بكر : ان شئت أنكحك حفصة ، فصمت ، فكنت عليه أوجد منى على عثمان ، فلبث ليالى ثم خطبها النبى ﷺ فأنكحتها اياه : فلقينى أبوبكر فقال : لعلك وجدت على حين عرضت على حفصة . فلم أرجع اليك شيئاً ؟ قلت : نعم قال : انه لم يمنعنى أن أرجع اليك الا أننى علمت أن النبى ﷺ ذكرها ، فلم أكن لأفشى سره ، ولو تركها لقبلتها » .

ولا يفوتنا هذا الأمر الهام أن زواجه ﷺ بالسيدة عائشة والسيدة حفصة له أهمية كبيرة من الناحية الاجتماعية لأنه كان سبب ربط قوى بينه وبين سيدنا أبى بكر وسيدنا عمر وهما اللذان قاما بخدمات جليلة للإسلام وضحيا بكل مرتخص وغال فى سبيل الله وحب رسوله .

٥ ـ السيدة زينب بنت خزيمة رضى الله عنها :

وهى أرملة عبيدة بن الحارث رضى الله عنه ، البطل الذى استشهد فى أول المبارزة فى غزوة بدر وهى أيضاً من النساء المؤمنات اللاتى ضحين بالنفس والنفيس فى سبيل الله ، وكانت حين استشهاد زوجها تقوم بواجبها فى اسعاف الجرحى وصبرت على استشهاد زوجها ولم تتخل عن واجبها حتى بعد وفاة زوجها الى أن جاء النصر وهزم المشركون وكانت تناهز الستين من عمرها ، ولم يكن هناك من يعولها فكانت بحاجة ماسة إلى الرعاية .

فلما علم الرسول ﷺ بحالتها وصبرها وجهادها واخلاصها خطبها لنفسه وكان عمره ﷺ آنذاك يناهز الخامسة والخمسين وظلت السيدة زينب بنت خزيمة على قيد الحياة بعد زواجها من النبى ﷺ عامين اثنين ثم انتقلت الى رحمة الله رضى الله عليها ورضت عنه تعالى .

فلما رأى هؤلاء الأفاكين المغرضين الذين يتقولون على الرسول (ﷺ) ويتهمونه بالشهوانية والأنانية فى هذا الزواج الشريف الذى لا يهدف إلا إلى غاية نبيلة كريمة والذي يعبر عن المروءة والشهامة التى كان يتحلى بها الرسول الكريم (ﷺ) .

٦ ـ السيدة أم سلمة هند المخزومية رضى الله عنها :

وهى أرملة عبد الله بن عبد الأسد من الأولين السابقين الى الإسلام . كان قد هاجر الى الحبشة ومعه زوجته السيدة أم سلمة التى خرجت فراراً بدينها . واستشهد زوجها البطل فى غزوة أحد مخلفاً لها أيتامها الأربعة : ابنان صغيران وبنتان صغيرتان وكانوا بلا كفيل ولا معين . وكان عمر السيدة أم سلمة حينئذ بين خمس وخمسين وستين سنة .

فقدر النبى ﷺ ظروفها الصعبة وحاجة العائلة الى من يكفلها ويرعاها فخطبها ولكنها اعتذرت فى بداية الأمر وقالت : انى مسنة . وانى أم أيتام ، واننى شديدة الغيرة . فرد عليها النبى ﷺ وأرسل لها يقول بها معناه : أنا لاأعبأ بالسن ، أما الأيتام فأضمهم الى ، وانى أدعو الله سبحانه أن يذهب عن قلبك الغيرة .

واستجاب الله لدعاء النبى فذهبت عن قلبها الغيرة ووافقت على الزواج فتزوجها عليه السلام وتربى أيتامها تربية حسنة وأحبهم عليه الصلاة والسلام حباً أكثر مما أحبهم أبوهم .

هذه هى السيدة أم سلمة التى صححت خطأ أبى هريرة وأفتت مع السيدة عائشة أن الصوم يجوز فى حالة الجنابة .

٧ ـ السيدة زينب بنت جحش :

هى ابنة عم رسول الله ﷺ وأخت عبد الله بن جحش البطل الذى استشهد فى غزوة أحد .

كان قد زوجها الرسول ﷺ بزيد بن حارثة متبناه وكان يعرف بزيد بن محمد ولكنها رأت أنها أشرف من زيد بسبب حسبها ونسبها وأن زيداً كان عبداً مملوكاً قبل أن يتبناه الرسول ﷺ . وهكذا ساءت العلاقات بينهما وكما ورد فى بعض الروايات أنها كانت تغلظ له فى القول . فشكا زيد الى الرسول ﷺ وأراد أن يطلقها ولكن رسول الله ﷺ منعه من الطلاق ونصحه قائلاً : « أمسك عليك زوجك » ولكن ظل الخلاف بينهما يزداد حتى طلقها زيد .

فى تلك الآونة أراد الله سبحانه وتعالى أن يقضى الرسول ﷺ على نظام التبنى الذى كان سائداً منذ أيام الجاهلية . وتحت هذا النظام كان العربى يتبنى ولد غيره فيقول له : « أنت ابنى ، أرثك وترثنى » .

وكان يصبح هذا الولد بمثابة ابنه الحقيقى فى الأمور كلها حتى فيما يتصل بتحريم علاقة الزواج وماكان لله سبحانه أن يبقيهم ويقرهم على مثل تلك العادات التى كانت سائدة فى الجاهلية كنظام التبنى . فأبطل الله سبحانه وتعالى هذا النظام كما ورد فى صحيح البخارى وصحيح مسلم .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال :

« ان زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه الازيد بن محمد ، حتى نزل القرآن ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ فقال النبى ﷺ : « أنت زيد بن حارثة بن شرحيل » .

وبعد أن طلق زيد زينب ، أمر الله سبحانه رسوله أن يتزوجها لابطال نظام التبنى ابطالاً كاملاً .

ويشهد القرآن الكريم أن النبى ﷺ كان يخشى من ألسنة الناس أن يقولوا : تزوج محمد امرأة ابنه فقد جاء فى القرآن الكريم ﴿ وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً ، وكان أمر الله مفعولاً ﴾ [سورة الأحزاب] .

ومع هذا الحكم القطعى نزلت آية أخرى تبين بوضوح أنه لن يأتى نبى بعد محمد ﷺ وهى :

﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليماً** ﴾

وعلينا أن نتأمل الآن بهدوء :

أنه ليس هناك نبى بعد محمد ﷺ ومحمد ﷺ يخشى من ألسنة الناس اذا تزوج امرأة متبناه لأنه أمر خطير جداً ، فلا قدر الله ان لم يتمكن محمد ﷺ وهو آخر الأنبياء من ابطال نظام التبنى والقضاء عليه فمن ذا الذى يأتى بعده للقضاء على هذه البدعة؟ .

اذا خشى النبى ﷺ والعياذ بالله من ألسنة الناس وترك هذا الأمر وأخفق فى القضاء على هذا النظام فكيف يتسنى لآخر أن يكون أجرأ وأشجع من النبى ﷺ ؟ هذه نقطة على جانب كبير من الأهمية وعلينا أن نفهم هذا الوضع جيداً .

وقد ورد نص صريح فى القرآن الكريم « زوجناكها » وهم يحتم عليه ﷺ أن يتزوج من مطلقة متبناه زيد والحكمة من وراء ذلك هو القضاء على هذه البدعة ، بدعة التبنى وكان لابد للنبى ﷺ أن يرسم المنهاج أمام المؤمنين ، لأنه ان لم يفعل بنفسه فمن ذا الذى يستطيعه غيره ؟ لاسيما أنه لن يجيء بعد الرسول الخاتم ، نبى آخر .

كانت هذه هى الظروف والملابسات وراء هذا الزواج وحكمته التشريعية الكبرى .

أما ما يردده الأفاكون المغرضون فعلينا أن نقف عليه أيضاً قليلاً كى ندرك مدىء افتراءهم وحقدهم على النبى ﷺ .

ان أعداء الإسلام قد استغلوا بعض الروايات المذكورة فى بعض كتب التفسير وفى الحقيقة ، ليس هناك أى سند لهذه الروايات من ناحية العقل والرواية وهى مستحيلة من ناحية العقل والدراية .

انهم يزعمون أن النبى ﷺ مر ببيت زيد ذات يوم وهو غائب ، فرأى زينب فوقعت فى قلبه فأحبها ، فقال : « سبحان مقلب القلوب » سمعت زينب ذلك فأخبرت زوجها بما سمعت من الرسول ﷺ فلما علم زيد أن زينب وقعت فى نفس رسول الله ﷺ أتاه يريد طلاقها فقال له الرسول ﷺ : « أمسك عليك زوجك » وفى قلبه غير ذلك ، فطلقها زيد كى يتزوج بها الرسول ﷺ .

وجدير بالذكر أن الذى يروج لهذا الافتراء لا يذكر عامداً متعمداً أمرين هامين فى هذه القضية وهما :

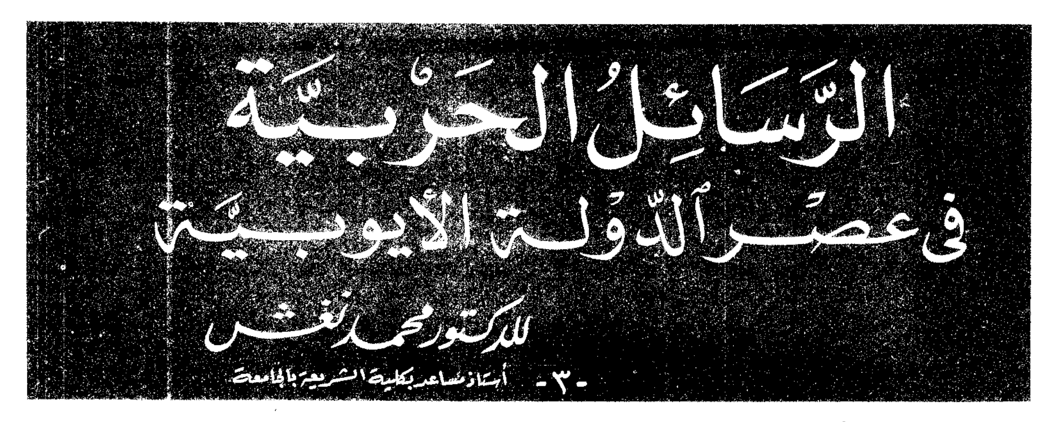
١ ـ أن زينب بنت جحش رضى الله عنها هى ابنة عم رسول الله ﷺ وقد ظلت تسكن مع الرسول ﷺ منذ طفولتها حتى وقت زواجها بزيد ولم يكن هناك حينئذ حجاب .

٢ ـ أن النبى ﷺ زوجها بزيد على الرغم مما تتمتع به من حسب ونسب .

والآن لنسأل الضالين المضلين الذين يروجون لهذا البهتان : هل من الممكن لامرأة نشأت وترعرعت مع النبى ﷺ حتى بلغت مبلغ النساء ألا تقع فى قلبه وهى بكر فإذا ما صارت ثيباً ومتزوجة بشاب آخر صادفت هوى فى نفسه ؟
ألم يكن من الممكن للنبى ﷺ أن يتزوجها وهى لم تزل بعد فى دار معه ؟ لماذا أجبرها على الزواج بمتبناه اذا كان يحبها ؟ هل كان ثمة ما يحول دون ذلك؟ .

يفترض الأفاكون أن النبى ﷺ رآها أول مرة فى بيت زيد فوقعت فى قلبه ـ ان هذا هو الافتراء بعينه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

إن من أهم مآثر الإسلام ، تلك المآثر التى تميزه عن سائر النظم المطلقه ، وهى التوفيق التام بين الناحية الخلقية والناحية المادية من الإنسانية ... وهذا سبب من الأسباب التى عملت على ظفر الإسلام اينما حل ، لقد أتى الإسلام بالرسالة الجديدة التى لا تجعل احتكار الدنيا شرطاً للنجاة في الآخرة ... هذه الخاصية الظاهرة في الإسلام تجلوا الحقيقة الدالة على أن النبى ـ صلىالله عليه وسلم ـ كان شديد الاهتمام بالحياة الإنسانية ، في المظهر الروحى والمظهر المادى ...
(ليوبولد فابس)



رسائل بشأن حصنى الكرك والشوبك في عهد الملك العزيز :

وكما كتب القاضى الفاضل عن الكرك والشوبك في عهد السلطان صلاح الدين فكذلك نراه يكتب في عهد الملك العزيز ثلاث رسائل ، الأولى عن الكرك والثانية عن الشوبك ، والثالثة يرسلها عن طريق أحد العاملين في الديوان ·

فأما الأولى فيستهلها بدعاء طويل يستغرق نصف الرسالة تقريبا ، ثم يزف إليه بشرى دنو النصر · وينتقل بعدها إلى الغرض من الرسالة ، وهو وصف المعركة الحربية ·

فالمنجنيقات تهدم الأبراج المشيدة ، وتدمر الأسوار الغليظة ، التى يشبهها بالسكارى في انهيارها ، فقد أعطتها المنجنيقات بكفها الخمر التى فيها هلاكها ، فلم تبق الحجارة الطائرة من هذه المنجنيقات حجارة قائمة في هذا الحصن ، فقد انهدمت قواعده وأركانه ·

ثم يصف السبب الذى من أجله فتح الحصن فيقول : ولولا الخندق الذى ... هو واد من الأودية واسع عميق ، لما تعذر الزحف إليهم والهجوم عليهم ، ونرجو من الله الكريم ، تسهيل هذا الحصن العظيم ، وفتحه إنه جواد كريم (١) ·

وأما رسالة الشوبك ، فالظاهر أنها قد تلت رسالة الكرك ، إذ أنها تعد مكملة لها ، ولذا لم تستهل بالدعاء كسالفتها ، واستفتحت هكذا : « قد صدرت هذه المكاتبة إلى الحضرة ، دالة على ما نحن فيه من نعم الله تعالى مغتبطون ، وإنا بحمد الله مستظهرون ، وبنصره مستبشرون ، ولآلائه حامدون ، ولأعدائه مجاهدون ، فأعمالنا لله بنيات خالصة ، وعزائمنا في سبيله مقدمه غير ناكصة » (٢) ·

ثم يعود ثانية إلى وصف الحصن الذى يحاصرونه ، فقد هدموه وقتلوا الكثير ممن فيه ، إلا أنه يبقى أمامهم عملية ردم الخندق ، الذى كانوا يلجأون إليه وتسويته بالأرض ، حتى يمكن الأخذ من العدو بالمخنق ·

---

(١) من ترسل القاضى الفاضل اللوحة ٣٤ ·

(٢) ناكصة : محجمة ، يقال نكص على عقبيه أى رجع ·

ويختتم الرسالة بتصوير نهائى للموقف من القتال ، فيقول : « فإن أبطأ العدو عن النجدة فالنصر سريع ، والحصن ومن فيه صريع ، والقلوب وارفة بحصول النجح ، وقد علم كل منا أن متجره قد فاز بالربح ، فما يسمع منا بحمد الله ملل ولا ضجر ، ولا تسفر هذه النوبة إلا عن نجح وظفر (١) ٠

يبدأ القاضى الفاضل رسالته الثالثة بمقدمة قصيرة ، وهى : أدام الله أيام المجلس ، ولازالت مناقبه لزهر السماء مخجلة ، ومكارمه في درجات المحامد متوغلة ، وفواضله على أوليائه مفضلة ، وسطواته بأعدائه منكلة (٢) ٠

ثم يصف عمل المجانيق في الحصن في أسلوب من الجناس هكذا : « هدمت وهدت ، وشدخت وسدت ، ورضخت ورضت ، وقوضت وأفضت ، وقدحت وفدحت ، ومحقت ومحت (٣) ٠

ويضيف وصفا تفصيليا لما أصاب الأعداء في أثناء تهدم الحصن ، إذ يقول : « قد جمعت الحجارة في الإسقاط بين رؤوس الأبراج ، ورؤوس الأعلاج ، فرمت الشرار في الواقفين عليها لحمايتها ، وأرت الفرنج باهتدائها إلى إرادتها غاية غوايتها ، فما أخرج أحد منهم رأسا إلا دخل في عينه نصل ، وما هجر قراب الإسلام سيف إلا وله مع رقاب الكفر عند قطعها وصل ، وما على الحجر في الإسراف والتبذير حجر ، والكل ليله من نقع الحوافر من سناء الأسنة فجر ، ولقد اخذنا من القوم بالمخنق ، وشرعنا في طم الخندق (٤) ٠

والنصر أشهر من نار على علم   والحرب أقوم من ساق على قدم

والقلعة سماء تمطر بحجارتها ، وترمى شياطينها رجوم قوارير (٥) النفط بشرارها (٦) ٠

لم ترد الرسائل السالفة في المصادر التاريخية التى بين أيدينا ، ولذا لم نستطع تحديد تاريخ حدوثها ، كما أن القاضى الفاضل لم يشر إلى تواريخها كما يفعل في بعض رسائله من هذا النوع ٠

---

(١) من ترسل القاضى الفاضل اللوحة ٣٥ ٠

(٢ ـ ٣) نفس المرجع السابق ٠

(٤) طم الخندق : ردمه وتسويته بالأرض ٠

(٥) القوارير : الأوعية ٠

(٦) من ترسل القاضى الفاضل اللوحة ٣٥ ٠

ونلاحظ أن مقدمات الرسائل تختلف من حيث الطول والقصر طبقا للمناسبة التى ترد فيها ، فالقاضى الفاضل يطيل الدعاء في رسالته الأولى بينما لا يذكره في الثانية ، وفي الثالثة يأتى به كلمات مقتضبة ·

والرسائل الثلاث تكمل بعضها حتى تكاد تكون رسالة واحدة ذات هدف واحد ، وتتسم رسائل التهنئة في عهد الملك العزيز بقوة العبارة ، واستخدام المحسنات البديعية ، وعلى قمتها الجناس والاستعارة والسجع ، كما أن الألفاظ منتقاة ، فيها جزالة وفخامة تناسب موقف النصر وجو المعارك الحربية ، وهى لا تختلف عن الرسائل التى كتبت للتهنئة في عهد السلطان صلاح الدين ، فالكاتب واحد والأسلوب لم يتغير ·

كتاب المعظم توران شاه إلى جمال الدين يغمور نائب الشام بعد هزيمة الفرنج لدي المنصور سنة ٦٨٤ هـ : ١٢٥١ م :

جاء في هذا الكتاب : « الحمد الله الذى أذهب عنا الحزن » (١) « وما النصر إلا من عند الله » · « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » (٣) · « وأما بنعمة ربك فحدث » (٤) · « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (٥) ·

نبشر المجلس السامى الجمالى ، بل نبشر الإسلام كافة ، بما من الله به على المسلمين ، من الظفر بعدو الدين ، فإنه كان قد استفحل أمره ، واستحكم شره ، ويئس العباد من البلاد ، والأهل والأولاد ، فنودوا : « لا تيئسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » (٦) ·

ولما كان يوم الأربعاء مستهل السنة المباركة ، تم الله على الإسلام بركتها ، فتحنا الخزائن وبذلنا الأموال ، وفرقنا السلاح ، وجمعنا العربان والمطوعة ، واجتمع خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى ، فجاءوا من كل فج عميق ، ومن كل مكان بعيد سحيق ·

ولما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع عليه الاتفاق بينهم وبين الملك العادل أبى بكر ، فأبينا ، ولما كان في الليل تركوا خيامهم وأثقالهم وأموالهم ، وقصدوا دمياط

---

(١) سورة فاطر : آية ٣٤ ·

(٢) سورة الأنفال : آية ١٠ ·

(٣) سورة الروم : آية ٤ ، ٥ ·

(٤) سورة الضحى : آية ١١ ·

(٥) سورة إبراهيم : آية ٣٤ ·

(٦) سورة يوسف : آية ٨٧ ·

هاربين ، فسرنا في آثارهم طالبين ، ومازال السيف يعمل فيهم عامة الليل ، ويدخل فيهم الخزى والعار ٠

فلما أصبحنا نهار الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا ، غير من ألقى نفسه في اللجج ٠ وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج ، والتجأ الفرنسيس إلى المنية ، وطلب الأمان فأمناه ، وأخذناه ، وأكرمناه ، وتسلمنا دمياط بعونه وقوته وجلاله وعظمته (١) ٠

هذا الكتاب هو آخر كتب التهنئة التى بين أيدينا عن العصر الأيوبى، والظاهر أنه كتب بقلم الملك المعظم ، ولم يلتزم فيه السجع ولا المحسنات البديعية ، ولكنه اقتبس من القرآن الكريم في افتتاح كتابه ، حيث ذكر خمس آيات متتاليات ، وكذلك ذكر آية سادسة في ثنايا كتابه ، وتمتاز هذه الرسالة بأنها تسرد الوقائع في أسلوب تاريخى ، الغرض الأول منه هو إثبات الحقائق في سهولة ويسر ٠

كتب الاستغاثة :

كتب السلطان صلاح الدين إلى الخليفة الموحدى بالمغرب :

أرسل السلطان صلاح الدين إلى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، الخليفة الموحدى بالمغرب ، ثلاث رسائل المقصود منها جميعها ، إستنجاد صلاح الدين بجيوش الخليفة في الحرب ضد الصليبيين ، وفي أثناء قتاله معهم حول عكا ٠

إثنتان من هذه الرسائل بقلم القاضى الفاضل ، الأولى منها سنة ست وثمانين وخمسمائة ٠ (١١٩١ م) ، ثم أرسل الرسالة الثالثة في نفس السنة ، ولكن هذه المرة لم تكن برأى القاضى الفاضل مما جعله يحرر رسالة إلى السلطان صلاح الدين بشأنها ، ويبين ما لا يرتضيه فيها ٠

ويعقب هذه الرسائل رسالة بقلم القاضى الفاضل ، مرسلة من السلطان صلاح الدين إلى شمس الدولة بن منقذ ، سفيره إلى الخليفة الموحدى بالمغرب ينهى إليه أخبار القتال حول عكا ٠

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٦ ، ٣٦٧ ٠

الرسالة الأولى :

يبدأ القاضي الفاضل الرسالة بالدعاء للخليفةالموحدى ، وينعته بسيدنا أمير المؤمنين ، وسيد العالمين ، وقسيم الدنيا والدين ·

ثم يبين السلطان صلاح الدين غرضه منها ، وهو أن يشترك الخليفة الموحدى معه في الجهاد ، ويفتخر بأمجاده في تطهير الأرضين المصرية واليمنية من الضلالة وكذلك تطهيره بيت المقدس من الصليبيين الذين كانوا يحتلونه ، ويدنسون أرضه ·

فهناك غلب الشرك ، وانقلب صاغرا ، واستجاش كافر من أهله كافرا ، واستغضب أنفاره النافرة ، واستصرخ نصرانيته المتناصرة (١) ·

فهم يجودون بأنفسهم وأولادهم ، ويمدون الحملة الصليبية بأموالهم ، كل خرج متطوعا ، وأهطع مسرعا ، وأتى متبرعا ، ودعا نفسه قبل أن يستدعى ، وسعى إلى حتفها قبل أن يستسعى ، حتى ظننا أن في البحر طريقا يبسا ، وحتى تيقنا أن ما وراء البحر قد خلا وعسا (٢) ·

وهنا يهجم عليهم جيش السلطان صلاح الدين ويفتك بهم ، ويضطرهم إلى اللجوء إلى الخنادق ، وإلى نصب الستائر ، ولكنه كل ما قتل منهم مائة ، وصلت النجدة بألف ·

ثم يصف السلطان صلاح الدين خوفه من تكاثر الإمدادات لهم من البلاد الغربية ، فيقول : « لا يؤمن على ثغور المسلمين أن يتطرق العدو إليهم وإليها ، ويفرغ لها ويتسلط عليها والله من ورائهم محيط ·

وإذا قسمت القوة على تلقى القادم وتوقى المقيم ، فربما أضر بالإسلام انقسامها ، وثلمه والعياذ بالله انثلامها » (٣) ·

وهو يمجد قوة المغرب البحرية ، فمن ذلك قوله : « فلو برقت فيهم بازقة غربية لأغرقهم طوفانها ، ولو طلعت عليهم جارية بحرية ، لنعقت فيهم بالشتات غربانها (٤) ·

وفي نهاية هذه الرسالة يمجد السلطان صلاح الدين الخليفة المغربى ، ويستثير العاطفة الدينية فيه ، ويعقد مقارنة بين أسطول المسلمين وأسطول الصليبيين ، وهو يخشى أن ينتصر الكفر على الإسلام ، ويدعو الله أن ينصر المسلمين بما يمدهم الخليفة المغربى من أسطوله البحرى ، ومدده العسكرى ·

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٦ ص ٥٢٦ ·

(٢) نفس المرجع ص ٥٢٧ ·

(٣) انثلامها : انكسارها « القاموس المحيط » ·

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى جـ٦ ص ٥٢٦ : ٥٣٠ ·

الرسالة الثانية :

يكرر القول فيها عن أمجاده السالفة الذكر ، ولكن ببعض الإسهاب من أول وصوله إلى مصر ، واقامة الجمعة وعقد الجماعة فيها ، وغزواته في مصر ، التى كانت مقدمة لملك الشام الإسلامى باجتماع الكلمة عليه ، ومقدمة لملك الشام الفرنجى بانقياد المسلمين له ، واتفاق الملوك المجاورين على طاعته ، وكذلك تفصيل غزواته ضد الفرنج وكسرهم الكسرة الكبرى في بيت المقدس ، إلى غير ذلك من أخذ الثغور ، وافتتاح البلاد ، واثخان القتل فيهم والأسر لهم .

ثم يصف خروج النجدات الصليبية في كثرتها وقوتها ومنعتها ، وغناها ومسارعتها ومبادرتها ، وأنه لا يمضى يوم إلا مع قوة تتجدد ، وميرة تصل ، وأموال واسعة تخرج ، ومعونات كثيرة تحمل .

ويشير إلى أنهم حفروا خندقا حول معسكرهم من البحر إلى البحر ، وأداروا حولهم ومن وراء الخندق سورا مستوراً بالستائر ، ورتبوا على أبواب هذا السور جماعات مزودة بأدوات الحصار التى أخرجوها من مراكبهم (١) .

وأنهم اغتنموا أوقاتا لم تكن العساكر فيها مجموعة وارتادوا ساعات لم تكن الأُهَبُ فيها مأخوذة (٢) ، فقد انتقل معظم الجيش الصلاحى إلى الخروبة في ٣ رمضان سنة ٥٨٥ هـ = ١٥ اكتوبر ١١٨٩ م بقصد إعادة ترتيب الجيش وتنظيمه وتقويته ، أو لحلول رمضان شهر الصيام ، أو لمجىء الشتاء بأمطاره وبرده ، أو لغيبة الملك العادل بعساكره المصرية ، أو للحمى التى أصابت السلطان صلاح الدين (٣) .

ثم يحكى للخليفة الموحدى أن أمر العدو قد تطاول ، وأن خطبه قد تمادى لوصول النجدات المستمرة إليه ، ومنها الحملة التى وفد على رأسها ملك الألمان في حشود كبيرة وأموال كثيرة .

وبعدها يبين له حاجته إليه في تطويق العدو والقضاء عليه فيقول : « إن هذا العدو لو أرسل الله عليه أسطولا قويا مستعدا يقطع بحره ، ويمنع ملكه لأخذنا العدو إما بالجوع والحصر ، أو برز فأخذناه بيد الله تعالى التى بها النصر » (٤) .

والسلطان صلاح الدين يطلب منه المساعدة إما بالرجال أو بالمال إذا تعذرت المساعدة بالأسطول فيقول : « وإن كانت دون الأسطول موانع : إما من قلة عدة ، أو من شغل هناك

---

(١) العماد الأصفهانى : الفيح القسى في الفتح القدسى ص ١٧٩ .

(٢) أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ١٧٠ .

(٣) العماد الأصفهانى : الفيح القسى في الفتح القدسى ص ١٧٩ .

(٤) أبو شامة : الروضتين : جـ ٢ ص ١٧١ .

بمهمة ، أو بمباشرة عدو ، ما تحصن منه العورة أو قد لاحت منه الفرصة ، فالمعونة ما طريقها واحدة ، ولا سبيلها مسدودة ، ولا أنواعها ، محصورة تكون تارة بالرجال وتارة بالمال (١) ·

ويلى ذلك تمجيد للخليفة الموحدى ، ويستثير فيه حمية الإسلام ، ويعقد مقارنة بين الكفار في حربهم لنصرة الكفر ، والمسلمين في حربهم لنصرة الإسلام ، وأن أهل الجنة أولى بقتال أهل النار ، وأنه يطلب نجدة مغربية بحرية ، لما للمغاربة في البحر من قوة ضاربة ·

وتختلف الرسالة الثانية عن الأولى في أن السلطان صلاح الدين يريد أن يزيل أسباب التوتر في العلاقات بين المغاربة والدولة الصلاحية ، وهو يوصى رسوله بأن يشرح للخليفة الموحدى براءة الدولة الصلاحية مما نسب إليها ، وقد سبق الإشارة اليه في الكلام عن الوصايا ·

الرسالة الثالثة :

جاء فيها بعد التحية التى زاد فيها السلطان صلاح الدين وأفاض ، تحديد ما فتحه من بلاد الشام ، كما حدد الباقى منها في يد الصليبيين وهى : ثغر طرابلس ، وصور ، ومدينة انطاكية ، وهو يرجو الله أن يفك أسرها ·

ثم يشير إلى النجدات التى لبت صرخة الصليبيين في الشام ، فأخرت فتح بقية البلاد التى في أيديهم ، ويذكر مجىء ملك الألمان اليهم في البر والبحر بأعداد مهولة ·

ويقول : إن عدة الأعداء مائة ألف أو يزيدون ، وأنه حاربهم بأصدق عزيمة ، حتى أصبحوا لا يستطيعون قتال الثغر ، لأنهم محصورون أشد الحصر ، غير أنهم خندقوا أو سوروا ·

وخرج ملك الألمان قاصدا الشام ، فبعث اليه صلاح الدين من يلقاه ، ويضطره إلى تغيير مساره ، سالكا مسلكا وعرا ، فأدركه الموت غرقا ، وبقى له ولد هو الآن المقدم والمؤخر ، وقائد الجمع المكسر ، فيعود إلى عكا في البحر تهيباً أن يسلك البر ·

وقبل أن ينهى صلاح الدين رسالته يقول : « كان المتوقع من تلك الدولة العالمية ، والعزمة الفادية ، مع القدرة الوافية ، والهمة المهدية الهادية ، أن يمد غرب الإسلام المسلمين بأكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين فيملأها عليهم جوارى كالأعلام ، ومدنا في اللجج سوائر كأنها الليالى مقلعة بالأيام ، تطلع علينا معشر الإسلام آمالا ، وتطلع على الكفار آجالا ·

---

(١) نفس المرجع السابق ·

وكان سفير السلطان صلاح الدين ، أو الممثل الشخصى له على حد قولنا الآن إلى ملك المغرب ، هو الأمير أبو العزم عبد الرحمن بن منقذ ، وقد وردت في الرسالة كلمة تشيد بمكانته ، وعلو منزلته ، مما سبق الإشارة اليه في الوصايا ، وصحبت هذه الرسالة هدية ، وفصلت محتوياتها (١) .

وتختم هذه الرسالة بخاتمة طويلة لم نعهد مثلها فيما قبل سواء في المكاتبات المرسلة إلى الخليفة العباسى أو الخليفة المغربى ، ونصها : « والسلام الصادر عن القلب السليم ، والود الصميم ، والعهد الكريم ، على حضرة الكرم العلية ، وشدة السيادة الجلية ، سلام مودة ما وفد الغرب قبلها مثلها ، ورسالة ما خطرت إلى أن نفذت وراءها المحبة رسلها ، وليصل السلام ورحمة الله وبركاته ، ورضوانه وتحياته ، إن شاء الله تعالى (٢) .

رسالة إلى سفير السلطان صلاح الدين في المغرب :

أرسل القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين إلى شمس الدين ابن منقذ في المغرب ينهى اليه أخبار القتال حول عكا .

فيخبره أن عدة من قتل على عكا من الفرنج تجاوز الخمسين ألفا ، وأن ملكى فرنسا وانجلترا وملوكا آخرين أسرعوا لنجدة الصليبيين في قوة هائلة ، فيها سفن الواحدة كأنها مدينة وفيها الخيول والخيالة .

ويصور له ثبات المقاتلين المسلمين أمام هذه الجيوش الكبيرة فيقول : « فما وهنًا لما أصابنا في سبيل الله وما ضعفنا ، ولا رجعنا وراءنا ولا انصرفنا ، بل نحن بمكاننا ننتظر أن يبرزوا فنبارزهم ، ويخرجوا فنناجزهم ، وينشروا فنطويهم ، وينبثوا فنزويهم ، وأقمنا على طرفهم ، وخيمنا على مخنقهم ، وأخذنا بأطراف خندقهم (٣) » ولكنه يريد منه أن يبلغ المغاربة أن الجيوش العربية في المشرق العربى في حاجة إلى نجدتهم ، حتى يقفوا في مواجهة هذه الدول المجتمعة على حربهم ، الراغبة في الاستيلاء على بلادهم .

ثم يقول في نهاية رسالته : « والأمير يبلغ ما بلغه من خطب الإسلام وخطوبه ، ويقوم في البلاغ يوم الجمعة مقام خطيبه » (٤) .

---

(١) أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ١٧١ ، ١٧٣ .
(٢) أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ١٧٣ .
(٣) أبو شامة : الروضتين جـ ٢ ص ١٨٨ .
(٤) نفس المرجع السابق ص ١٨٩ .

وهذه العبارة تدل على أن الدولة الأيوبية كانت تتبع أسلوب الاذاعة لقضاياها ليس في داخل البلاد فحسب ، بل على المستوى الخارجى ، وذلك بغرض الحصول على تأييد مادى ومعنوى من الشعوب الأخرى ، وعلى الصعيد الشعبى في خطبة يوم الجمعة ٠

رسالة إلى الخليفة العباسى بشأن ملك الألمان :

يبدأ القاضى الفاضل الرسالة بالدعاء كعادته ، وهو دعاء قصير ، جاء في نهايته « ولا زالت رايته السوداء بيضاء الخبر ، محمرة المخبر في العداة ، مسودة الأثر » (١) ٠ والراية السوداء كما نعرف كانت شعار الخلافة العباسية ، وهو هنا يطابق بين هذه الكلمة وكلمة بيضاء ، ويكنى في العبارة التالية عن الانتصار على الأعداء ٠

وينتقل إلى وصف كتاب الخليفة فيشبهه بالقرآن الكريم ، وأن السلطان يتقبله بالخشوع ، ويتلوه على أعوانه مسترهفا به لعزائمهم ، مستجزلا به لمغانمهم ، فهو بمثابة النور لهم يهديهم يوم نزال عدوهم ، ويشبه تأثيره بثلاث جمل مترادفة تؤدى معنى واحداً ، فأثر الكتاب فيهم ، كالاقتداح في الزند ، وكالانبجاس من الصلد ، وكالاستلال من الغمد (٢) ٠ ويعود إلى التشبيه ثانية فيقول : « وكأنما أعطوا كتابا من الدهر بالأمان ، أو سمعوا مناديا ينادى للإيمان » (٣) ٠ ثم يتبع ذلك بعدة استعارات وكنايات مترادفة يبين فيها محاذة أتباع السلطان في الجهاد في سبيل الله ورسوله وخليفته العباسى وفي آخر هذا الوصف يقول : « واذا رموا فأصابوا ، قالوا : ولكن الله رمى » (٤) ٠ محللا بذلك لآية من القرآن الكريم ٠

ثم هو يشكو للخليفة على لسان السلطان صلاح الدين من طول المدة والكلف الثقيلة التى يتكبدونها في قتالهم الشرس المرير ، ويكنى عن ذلك بهذه العبارات : « فالبرك قد أفضوه ، والسلاح قد أخفوه ، والدرهم قد أفنوه » (٥) ٠ ويستنجد بالخليفة فيقول : « والخادم يناشد الله المناشدة النبوية في الصيحة البدرية ، اللهم ان تهلك هذه العصابة ، ويخلص الدعاء ، ويرجو على يد أمير المؤمنين الإجابة » (٦) ٠

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٧ ص ١٢٧ ٠

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٧ ص ١٢٧ ٠

(٣) نفس المرجع السابق ٠

(٤) : نفس المرجع السابق ٠

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٧ ص ١٢٨ ٠

(٦) نفس المرجع السابق ٠

ونرى القاضى الفاضل يحل حديثا نبويا ، ليزيد عبارته حسنا في الاداء ، وجمالا في تأدية المطلوب ، بعقد مقارنة لطيفة بين دعاء النبى صلى الله عليه وسلم ، ودعاء السلطان صلاح الدين ٠

ثم يصف الكاتب موقف المسلمين تجاه هذا الحشد الجامع فيقول : « هذا والساحل قد تماسك ، وما تهالك ، وتجلد ، وما تبلد ، وشجعته مواعد النجدة الخارجية ، وأسلته عن مصارع العدة الدارجة ، فكيف به اذا خرج داعية الألمان ، وملوك الصلبان ، وجموع ما وراء البحر ، وحشود أجناس الكفر ؟ ٠ وقد حرم باباهم - لعنة الله عليهم وعليه - كل مباح ، واستخرج منهم كل مذخور ، وأغلق دونهم الكنائس ، ولبس وألبسهم الحداد ، وحكم عليهم أن لا يزالوا كذلك أو يستخلصوا المقبرة ، ويعيدوا القمامة أو « وإذ زين الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم » (١) ٠

ويستمر القاضى الفاضل في استخدام الكناية عن ثبات أتباعه ، ثم يعرج على وصف خروج ملك الألمان وملوك الصلبان ومن تبعهم ، وجمعهم الأموال الجمة في مظاهرة صليبية ذات صبغة دينية ، وهنا يقتبس القاضى الفاضل آية من القرآن الكريم ينهى بها هذه الفقرة ، وهى تدل على حسن الاختيار ٠

ويعقب بالدعاء على ملك الألمان بأن يخذله الله ، وأن ينصر المسلمين وما النصر إلا من عند الله ، وأن لا يكشف عجزهم أمام عدوهم اللعين ٠

وازاء هذا الموقف يعود القاضى الفاضل ثانية ليسهب فيه ، فهذه الحملة الصليبية جاءت طامعة في حشود كثيرة ، مما يستفرغ عزائم المسلمين ، ويستنفد خزائنهم ، وأن من واجب الخليفة بصفته الدينية أن يحفظ على الأمة الإسلامية قبلتها ، وأن ينزل بالصليب الهزيمة وأنه لولا اتخاذ الخليفة الكلام على محمل التجريح لأفاض القاضى الفاضل فقال : « ما يبكى العيون ، وينكى القلوب ، وتنشق له المرائر ، وتشق له الجيوب » (٢) ٠ وهو يشير بذلك إلى الحالة السيئة التى آل اليها الأمر ، والتى تستوجب إثارة النزعة الدينية لدى الخليفة العباسـى ٠

ثم يصف موقف السلطان صلاح الدين البطولى هو وأخيه وأولاده ، وأنه يفوض أمره إلى الله ، ثم يعود إلى طلب النجدة من الخليفة ، فيقول : « إن لم يشتك الدين إلى ناصره والحق إلى من قام بأوله وإلى اليوم الآخر يقوم بآخره ، فإلى من يشتكى البث ، وعند من

---

(١) سورة الانفال : آية ٤٨ ، والفقرة عن القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٧ ص ١٢٨ ٠

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٧ ص ١٢٩ ٠

يتفرج بالنفث ؟ . ومنفعة الغوث قبل العطب ، والنجاة قبل أن يصل الحزام (الطبيين) والبلاغ يقبل أن يصل السيل الزبى » (١) . وفي نهاية هذه الفقرة يستخدم القاضى الفاضل مثلين معروفين لتوضيح كلامه .

وقبل أن يختم رسالته يخبر السلطان الخليفة أنه كان يود أن يأتى له ، ولكنه خاف أن يقول عنه عدو الله : أنه فر ، ولذا يريد من الخليفة أن يعده قد حضر بنفسه ، وكأنه قد وقف بباب الخليفة ضارعا ، وناجى بالقول صادعا .

والسلطان صلاح الدين على الرغم من عض الزمان له ، لا يزال قائما حتى ينصر أو يعذر ، وأنه لا يصل العدو إلى حرم ذرية أحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن ذرية أيوب وأحد يذكر .

ويختم القاضى الفاضل رسالته بالدعاء للخليفة هكذا : « أنجز الله . لأمير المؤمنين مواعد نصره : وتم مساعدة دهره : وأصفى موارد احسانه ! وأرسى قواعد سلطانه ! وحفظه وحفظ به . فهو خير حافظا ، ونصره ونصر على يديه . فهو أقوى ناصرا. إن شاء الله » (٢) .

مكاتبات من القاضى الفاضل إلى الملك العادل بدمشق في الجهاد في سبيل الله :

في سنة ٥٩٣ هـ : ١١٩٧ م أرسل القاضى الفاضل رسالة إلى الملك العادل بدمشق يحثه على قتال الفرنج ، ويشكره على ماهو بصدده من محاربتهم ، وحفظ حوزة الإسلام ، فمن ذلك قوله في بعض تلك الكتب : « هذه الأوقات التى أنتم فيها عرائس الأعمار ، وهذه النفقات التى تجرى على أيديكم مهور الحور في دار القرار ، وما أسعد من أودع يد الله ما في يديه ، فتلك نعم الله عليه ، وتوفيقه الذى ما كل من طلبه وصل اليه ، وسواد العجاج في هذه المواقف بباطن ما سودته الذنوب من الصحائف ، فما أسعد تلك الوقفات ، وما أعود بالطمأنينة تلك الرجعات » .

وكتب أيضا في تلك السنة : « أدام الله ذلك الاسم تاجاً على مفارق المنابر والطروس ، وحياة للدنيا وما فيها من الأجساد والنفوس ، وعرف الملوك من الأمر الذي اقتضته المشاهدة ، وجرت به المعاقبة في سرور » .

ولو كان فيها تدبير لكان مولانا سبق إليه ، ومن قلم من الاصبع ظفرا فقد جلب بنعله نفعا ، ودفع عنه ضررا ، وتجشم المكروه ليس بضائر ، إذاكان ما جلبه سبباً إلى المحمود وآخر سنوه أول كل غزوة ، فلا يسأم مولانا نية الرباط وفعلها وتجشم الكلف وعملها ، فهو إذا

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٧ ص ١٢٩ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٧ ص ١٣٠ .

صرف وجهه إٍ وجه واحد ، وهو وجه الله ، صرف الوجوه إليه كلها (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » (١) (٢) ٠

صدرت المكاتبتان المذكورتان في عهد الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين ، وهو يستنجد بالملك العادل الذى تولى حكم الشام سنة ٥٩٢ هـ : ١١٩٦ م ، والقاضى الفاضل يذكره بالثواب العظيم في الدنيا والآخرة ، فالجهاد هو مهور الحور في دار القرار ، وفي الدنيا نتيجته محمودة وخيره عميم ، فالمجاهد إذا قصد وجه الله الواحد ، فوجوه البرية تتجه إليه بأسرها ٠

ويختم كتابه الثانى بآية من القرآن الكريم تناسب ما ورد في المكاتبتين ، بل إن هذه الآية وحدها ، فيها إشارة إلى كل ما جاء في الرسالتين ٠

اندونيسيا في أرقام

- يبلغ عدد سكانها : ١٣٩ مليونا ، منهم ٩٠٪ مسلمون ، ٦٪ نصارى ، ٤٪ هنادكة و بوذيون و وثنيون .
- مساحتها ٧٣٥,٠٠٠ ميلا مربعا ، وعدد جزرها ١٣,٥٧٧ جزيرة منها ٦٠٠٠ جزيرة عامرة بالسكان .
- دخلها الإسلام في القرن الأول الهجرى على يد التجار ..
- عاشت في ظل الإسلام حوالى عشرة قرون ، ثم خضعت للاستعمار الهولندى (٣٥٠) عاما ، و تحررت منه عام ١٩٤٥ م
- عاصمتها جاكرتا ، وأهم جزرها سومطره ، جاوه ، كاليمنتان ، ولاويسي ، ايريان ، و نظام الحكم فيها جمهورى .
- في جاكرتا ١٣٥٤ مسجدا بالإضافة إلى ٤٠٠٠ مصلى عدا ٢٨٩٨ مجلسا تعلميا و ٢٠٠ مكتبة إسلامية .
- يبلغ عدد المساجد في اندونيسيا ٩٢٠٠٧ مسجدا و ٣١٢٥٦٥ مصلى .
- فيها ١٠٠٦٩ كنيسة ٢٧٤٢٤ مبشرا بالإضافة إلى مئات المدارس والمؤسسات التبشيرية .

(١) سورة العنكبوت : آية ٦٩ ٠

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٤ ٠

مذابح بشرية جماعية للمسلمين

للشيخ محمود محمد سالم

مدرس بكلية الدعوة وأصول الدين

إن بشاعة المجزرة البشرية الرهيبة التى تعرض لها آلاف المسلمين في ولاية آسام شمال شرقىّ الهند من القبائل الآسامية الذين يدينون بالهندوسية خلال الأسابيع الثلاثة الأخيرة من شهر فبراير من هذا العام تفوق كل قدرات العقل على التصور وكل قدرات اللغة على التصوير والتعبير. لأن حقائقها الفظيعة المروعة فوق التخييل والتصوير، ولكنها في نفس الوقت - تضيف واحدة من عشرات بل مئات المآسي والمجازر البشرية التى تعرَّض - ويتعرض لأمثالها جماعات كثيرة من المسلمين في كثير من بقاع الأرض.

إن وكالات الأنباء العالمية أخذت تتناقل أخبار هذه المذابح المروعة يوما بعد يوم خلال أكثر من ثلاثة أسابيع. وهى تقرر أن أعداد الضحايا المسلمين الذين سقطوا صرعى في موجة العنف الطائفى التى اجتاحت ولاية آسام الهندية لا يمكن حصرها. إذ ينقل شهود العيان من رجال الإعلام أنهم شاهدوا الجثث والأشلاء متناثرة عبر عشرات القرى في هذه الولاية.

ونقلت بعض التقارير الصحفية عن بعض المصادر أن عدد من تم إحصاؤهم من القتلى والمذبوحين قد بلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة قتيل أغلبهم من النساء والأطفال والشيوخ. وعدد الجرحى يربو على عشرة آلاف جريح أكثرهم بين الحياة والموت. وأن أعداد الفارين من وجه هذا العنف تزيد على مائتى ألف مهاجر تكوَّنَتْ منهم مشكلة لاجئين ضخمة. وتنقل التقارير الصحفية أن المسئولين في الولاية والحكومة المركزية يتكتمون على حقيقة التقديرات الصحيحة للضحايا. وإخفاء المسئولين للتقديرات الصحيحة يخفى وراءه مأساة مروعة إذ تبرز حقيقة واضحة وهى أن ضحايا هذه المأساة يفوق عد العادين وتقدير الحاسبين..

أنه شيء مروع رهيب.. أن يندفع رجال القبائل الآسامية الذين يدينون بالهندوسية في شكل عصابات جماعية مسلحة بالحراب وأسنة الغاب واللهب والأسلحة النارية والقنابل اليدوية إلى القرى التى يسكنها كثير من المسلمين الذين ينتمون إلى أصل بنغالى. ويندفعون نحو السكان المسلمين يقتلون ويذبحون ويحرقون.. لا يفرقون بين الشيوخ والرجال والنساء

والأطفال . لقد فرَّ الرجال هرباً من الموت وطلباً للنجاة في زعمهم تاركين النساء والأطفال والشيوخ ظناً منهم أن المقاتلين لا يمسونهم بسوء ، توهماً .

إن كل قوانين العالم قديمه وحديثه تحرم قتل العجزة من الصبية والنساء والكبار . ولكن أنَّى يتأتى للوحوش الضارية أن تفرق بين صغير وكبير ، وقوى وضعيف .

إن هؤلاء القتلة ليسوا مقاتلين شرفاء يقاتلون ويقتلون دفاعاً عن حق مسلوب أو انتصاراً لمبدأ أو واجب أو دفعاً لمذلة وهوان . وإنما هم إلى وحوش الغاب أقرب ..

إنها لإحدى مهازل هذا العصر الذى ما يزال يتشوق فيه بعض الأدعياء أنه عصر الحريات وعصر حماية حقوق الإنسان وأنه عصر العلم والتكنولوجيا التى ذللت سبل العيش . ويسرت وسائل الحياة للإنسان وتبّاً له من عصر أصبحت فيه القوة الطاغية الباغية هى القانون الذى يتحكم في مصاير الملايين من البشر ، ويعترف بها ويخضع لها أولئك المغلوبون المقهورون الذين يكادون ولا يكيدون ، وتنتقص أقدارهم وتسلب أعمارهم فلا يجزعون ولا يأبهون . ولا يمتعضون . لأنهم عن قوانين الأرض وقوانين السماء غافلون ساهون .

ولكن لابد للمتتبع لأحداث العنف الطائفى في ولاية آسام الهندية من أن يسجل مجموعة من الحقائق المجردة عن عواطف الرحمة وأحاسيس الالم والإحباط .

ومن هذه الحقائق :

أن هؤلاء المسلمين الذين تعرضوا للقتل والتشريد والتحريق والذبح ينتمون إلى أصل بنغالى ولكنهم مستقرون في هذه الولاية منذ عشرات السنين . فمنهم من استوطن هذه الولاية منذ ما يزيد على سبعين عاما وبالتحديد من ١٩١١ م ، استوطنوا هذه الولاية إبان الفتن الطائفية بين المسلمين والهندوس في مناطق مختلفة من شبه القارة الهندية . ومنهم من لجأ إلى هذه الولاية فراراً من المذابح الجماعية التى راح ضحيتها آلاف من المسلمين في فترة انفصال باكستان الشرقية التى أصبحت تسمى دولة بنجلاديش ، والتى ساعدت الهند على قيامها لما كان يمثله اتحاد باكستان بشقيها من قوة للإسلام والمسلمين التى كانت الهند تخشى بأسها وتخاف بقاءها .

وقد بقى هؤلاء المسلمون البنغاليون في هذه الولاية وتكون منهم ما يمثل أغلبية سكان الولاية ولكن الأقلية الهندوسية سكان البلاد الأصليين تنظر إلى هذه الأغلبيةعلى أنهم مهاجرون أجانب يمارسون أعمالهم في سهولة وإذعان لما يؤمرون به فيأتمرون ومع مرور الوقت نشط أغلب هؤلاء المهاجرين ساعين إلى مراكز السلطة في الولاية وفي الحكومة المركزية ..

وفي معركة الانتخابات المحلية التى بدأت يوم ٢ فبراير تفجرت أحداث هذا العنف الطائفى الرهيب نتيجة للفشل في الوفاق بين أحزاب المعارضة الهندية وحزب المؤتمر الحاكم

فقد وجد في قوائم الناخبين أكثر من خمسين ألفا يعدهم السكان الأصليون أجانب مهاجرين وكانوا يرون أن تستبعدهم الحكومة القائمة من قوائم الناخبين ولكن الحكومة رفضت الاستجابة لمطالب المعارضة بحجة الصعوبة في التمييز بين السكان الأصليين والمهاجرين لأن كثيرا من هؤلاء المهاجرين استقروا في الولاية منذ أمد بعيد ٠

لقد كان من الممكن أن تحل هذه المشكلة بين الحكومة وأحزاب المعارضة عن طريق التفاهم في مخرج من هذا الخلاف ولكنه ترك بدون حل حتى تفاقمت الخلافات وتفجرت الأزمة الأمر الذى أدى إلى قيام المظاهرات الطلابية والشعبية من سكان آسام الهندوسية تطالب بطرد هؤلاء الأجانب فلما لم تستجب الحكومة لهذه المطالب وألقت القبض على مجموعة من زعماء الآساميين بعد فشل المفاوضات بين الجانبين ٠ تفجر العنف واندفعت العصابات المسلحة من الهندوس تقتل المسلمين المهاجرين الذين رفضت حكومة الحزب الحاكم استبعادهم من قوائم الانتخابات ٠ ويظهر من هذه الحقائق أن هؤلاء المسلمين وقعوا ضحايا وفرائس للخلاف بين الهنادكة أنفسهم وبين المعارضة والحزب الحاكم وهو خلاف لا ناقة للمسلمين فيها ولا جمـــل ٠٠

إن المشكلة لا تقف عند هذا الحد فقد عمت الفوضى كل أنحاء الولاية ٠ الأمر الذى دفع بالحكومة المركزية إلى إنزال سبعين ألف جندى من الجيش للسيطرة على حوادث العنف التى تتكرر كل يوم وتشتمل على إحراق القرى والمنازل والقتل وتقطيع أوصال الأطفال والنساء ٠ واندفعت الآلاف طلباً للنجاة ٠ وهذا العنف يقع ضحيته المسلمون البنغاليون ٠ وتنقل بعض وكالات الأنباء أن كثيراً من هذه المناطق ما يزال متوترا ٠ وتقع فيها حوادث متفرقة ويكتشف كل يوم الجديد من الضحايا ٠

وبعـد ٠ فهل كانت معركة الانتخابات هى الدافع الحقيقى وراء هذه المذابح ... ؟ إن استقراء العلاقات التاريخية بين المسلمين والهندوس في شبه القارة الهندية وبخاصة منذ مطلع هذا القرن وتحت ظل الاستعمار الإنجليزى ٠ يجعلنا نرى وراء هذه الأحداث دافعاً واحداً حقيقياً هو الحقد الدفين في نفوس الهندوس ضد الإسلام والمسلمين مصداقاً لقوله تعالى « **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** » وهو دافع يفسر كل علاقة بين المسلمين وأعدائهم من الوثنيين والصليبيين واليهود والملحدين في كل زمان ومكان وفي كل حادثة يقع فيها التصادم بين جماعة من المسلمين وغيرهم من أعداء الإسلام ٠

وإن لمسلمى الهند ـ في كل صُقع من شبه القارة الهندية حقاً ودَيْناً في عنق كل مسلم في قلب العالم الإسلامى ٠ وهم يتطلعون إلى إخوانهم المسلمين ويتابعون قضايا الإسلام

والمسلمين ويتفاعلون معها تفاعلاً ايجابياً قوياً له أثره في كل القضايا الإسلامية . وإن أحداث العنف التى وقعت في آسام ليست أول الأحداث ولا آخرها بل إنهم معرضون لأمثالها في كثير من مناطق شبه القارة الهندية . وللهند حكومة وشعباً مصالح حيوية مع العالم الإسلامى . ويستطيع العالم الإسلامى عمل الكثير لحماية إخوانهم المسلمين من خلال تهديد أو حماية مصالح الهند في العالم الإسلامى .. ولا تكفى صرخات الإنكار أو الاحتجاجات الشفوية أو المكتوبة .

إن السياسة في هذا العصر لا تخضع إلّا لاعتبار حماية المصالح أو ضربها . فهل يقوم المسلمون في قلب هذا العالم بواجبهم نحو مسلمى الهنـد ..؟ وهو الواجب الذى يمليه مبدأ الإخاء بين المسلم والمسلم لا يظلمه . ولا يخذله ولا يُسلمه ..؟ وإن المسلمين يَدٌ على من سواهم .. ؟ أتراهم يقومون بما يوجبه الإسلام أم تراهم يكتفون بالاحتجاجات التى لا يأبه بها أعداء الإسلام في هذا العصر .. ؟ وإننـا لمنتظـــرون ...

أغـــرب ولادة

لوس انجلوس ـ اغرب حادث ولادة تم في ولاية لوس انجلوس الامريكية في الولايات المتحدة هو ولادة طفل بعد وفاة امه بتسعة اسابيع فقد توقف عقل الأم عن العمل وان ظل قلبها ينبض عن طريق ضخ الدم والأكسجين صناعيا ..

وقد اصر الأطباء على ان ينمو الجنين داخل رحم الأم اطول فترة ممكنة حتى ينمو طبيعيا وولد الطفل بعملية قيصرية وبعد الولادة مباشرة اوقف الأطباء الضخ الصناعى للقلب واعلنوا عن وفاة الأم .

وأكد الأطباء ان هذه هى اطول فترة يعيشها جنين داخل رحم الأم بعد وفاتها اكلينيكيا حيث كانت اطول فترة سجلت من قبل هى ثلاثة اسابيع ..

(الندوة)

نصائح

للشيخ ابراهيم الراشد الحديثي
رئيس محاكم منطقة عسير

الحمد لله رب العالمين القائل (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) والصلاة والسلام على عبده ورسوله خاتم النبيين الذي أرسله الله رحمة للعالمين فبلغ الرسالة وأدي الامانة ونصح الأمة فصلوات الله وسلامه عليه صلاة دائمة الى يوم الدين : أما بعد ٠

فقد أطلعتنا الصحف على ما كتبه بعض الأدباء والمفكرين جزاهم الله خيرا في الوضع الذي ولد فيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينبغى لأحد ممن ينتسب إلى العلم أن يجهل أحواله ويجب على كل مسلم أن يعرف نسبه وسيرته وهديه لأنه صلوات الله وسلامه عليه هو سيد ولد آدم وهو (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن مضر بن نزار بن سعد بن بن عدنان خيرة رب العالمين من خلقه وخاتم النبيين ٠

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، حملت به في شعب أبى طالب وولد في مكة بدار تعرف بدار ابن يوسف في شعب بنى هاشم المعروف بوضعه حتى اليوم ٠ ولا يخفى على أحد يوم الاثنين لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول بعد أن حملته تسعة أشهر وذلك عام الفيل بعد قدوم الفيل بخمسين يوماً على الصحيح ٠ ولما ولد تركوا عليه جفنة فانفلقت فلقتين فكان ذلك من مباديء أمارات النبوة ، فأعجب ذلك جده عبد المطلب وقال ليكون لابنى هذا شأن ، وختنه جده يوم سابعه ، ومات أبوه وهو حمل في بطن أمه بين مكة والمدينة وأرضعته أمه سبعة أيام ثم أرضعته ثوية مولاة أبى لهب بلبن ابنها مروح ، وقد أرضعت قبله عمه حمزة بن عبد المطلب ، ثم أرضعته حليمة بنت أبى ذويب بن عبد الله بن الحارث بن جابر بن سعد من هوزان السعدية بلبن زوجها الحارث ابن عبد العزي ، فأقام صلى الله عليه وسلم عند حليمة عند بكر بهوزان نحو أربع سنين ،

فشق فؤاده هناك وملىء حكمة وايماناً ثم ردته حليمة إلى أمه وهو ابن خمس سنين وشهر ، ثم خرجت به إلى المدينة تزور أخوالها فماتت بالأبواء بين مكة والمدينة ، وله ست سنين وثلاثة أشهر ، فكفله جده عبد المطلب وكان يري فيه ما يسره فيدنيه ، حتى كان يدخل عليه إذا خلا ويجلس على فراشه وحضنته بعد أمه أم أيمن بركة الحبشية مولاة أبيه ٠ ومات عبد المطلب وله من العمر ثمان سنين وأوصى به إلى ابنه أبى طالب وكان أخا عبد الله من أمه فكفله عمه أبو طالب ٠

وكان أكثر أيامه يأتى زمزم ليشرب منها ، وخرج إلى الشام في تجارة وهو ابن اثنى عشرة سنة فرأي أبو طالب من آيات نبوته ما زاد في الوصايا والحرص عليه من تظليل الشجرة بظلها عليه ، وكان حكيم بن حزام قد رآه في سوق حباشة وشري منه بزاً من بز تهامة وطلبت منه خديجة أن يخرج في تجارة إلى سوق حباشة وبعثت معه غلامها ميسرة فخرج فابتاعا بزاً ورجعا إلى مكة فربحا ربحا حسناً وكان بعد ذلك يرعى غنماً لأهل مكة بقراريط كل شاه بقيراط شهد حرب الفجار وكان يناول عمه النبل وكان عمره يومئذ

عشرين سنة ثم أجر نفسه من خديجة سفرتين بقلوصين ، وخرج ثانية إلى الشام في تجارة ومعه غلامها ميسرة حتى أتى بصرى ، فرآه الراهب وبشر بنبوته فرغبت خديجة أن يتزوجها لما ربحت ، فتزوجها بعد شهرين ولها من العمر أربعون سنة وعمره خمس وعشرون سنة على الصحيح وكان الذي سفر بينهما نفيسة بنت أمية أخت يعلة بن أمية وكان الذي زوج خديجة من النبى عمها عمر بن أسد بن عبد عزي وشهد النبى مع أعمامه حلف الفضول في دار عبد الله بن جدعان ، وكان الله قد أعانه وبرأه وحماه من دنس الجاهلين حتى كان يسمى بين قومه (بالأمين) لما اشتهر بين قومه من صدق حديثه ٠ ولما بنيت الكعبة بعد هدم قريش لها سنة ٣٥ من عمره ووصلوا إلى موضع الحجر الأسود اشتجروا فيمن يضع الحجر الأسود مكانه وأرادت كل قبيلة أن تضعه ، واستعدوا للقتال وتحالفوا على الموت ومكثوا على ذلك أربع ليال ، فأشار عليهم أبو حذيفة بن المغيرة أن يجعلوا بينهم حكماً أول من يدخل من باب المسجد ٠

فكان أول من دخل رسول الله فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا ، وأخبروه ، فقال إلى بثوب ، فأتى بكساء من الشام كان له صلى الله عليه وسلم فأخذ الحجر فوضعه بيده فيه وقال ليأخذ كل واحد بطرف من الثوب وليرفعوه ، ففعلوا ٠ فصلوات الله وسلامه عليه ٠ هذا ما أحببت جمعه لإخوانى وأرجو الله أن يكون خالصاً لوجهه الكريم وبضاعتى مُزجاة ، ولست من فرسان هذا الميدان ···· والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ····

(٢)

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد خاتم النبيين الذي أرسله الله رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه والتابعين : أما بعد ...

قلما من الله على عباده بإرسال بعثة محمد ، كان لا يري رؤية إلا جاءت مثل فلق الصبح وحبب إليه الخلوة ، فكان يخلو بغار حراء فيقيم به الليالى ذوات العدد ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها وبينما هو بغار حراء يوم الاثنين لاثنتى عشرة خلت من رمضان وله من العمر أربعون سنه جاءه جبريل فقال له ، أقرأ فقال ، لست بقاريء فضمه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال اقرأ قال لست بقاريء فعل ذلك به ثلاث مرات ثم قال (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم) فأخبر بذلك خديجة رضى الله عنها وقال قد خشيت على عقلى ، فثبتته وقالت أبشر كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكلّ وتعين على نوائب الدهر ، في أوصاف جميلة عددتها من أخلاقه الكريمة تصديقا له فهى أول صديقة من النساء آمنت ٠ ثم تبدي له الملك بين السماء والأرض على كرسى وثبته وبشره أنه رسول الله حقاً فلما رآه مرق منه وذهب إلى خديجة رضى الله عنها فقال زملونى زملونى دثرونى دثرونى فأنزل الله (يأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر) ٠

ثم أمره الله تعالى أن ينذر قومه ويدعوهم إلى الله عز وجل فشمر صلى الله عليه وسلم عن ساق الجد والاجتهاد وقام في طاعة الله أتم قيام يدعو الى الله تعالى الكبير والصغير والأبيض والأحمر ٠ والنساء ٠ والأسود ٠

وكان حائز قصب السبق ، عبد الله أبو بكر بن قحافه فآزره وصدقه فيما جاء به ودعا معه إلى الله بصيره فاستجاب لأبى بكر جماعة منهم ، عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وكان صلى الله عليه وسلم يأتى إلى الكعبة أول النهار فيصلى صلاة الضحى وكانت صلاة لا تنكرها قريش ، وكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذا جاء وقت العصر تفرقوا في الشعاب فرادي ومثنى لصلاة العصر ثم نزلت الصلوات الخمس ٠

فقد أسلم على بن أبى طالب وزيد بن حارثة بن شرحبيل والعشى وورقه بن نوفل

وتمنى لو كان جذعا وكانت قريش لما بلغهم ما أكرم الله به رسوله راعهم ذلك وكبر عليهم فأبغضوه عند ذلك وعادوه ، وتعرضوا لمن آمن به فأخذهم سفهاء أهل مكة بالأذي والعقوبة وصان الله رسوله بعمه أبى طالب لأنه كان شريفاً مطاعاً في قومه لا يتجاسرون على

مفاجأته بشيء ، وكان من حكمة الله تعالى بقاء أبى طالب على دين قومه لما في ذلك من المصلحة ورسول الله يدعو إلى الله ليلًا ونهاراً سراً وجهاراً لا تأخذه في الله لومة لائم ٠

واشتد أذي قريش للذين آمنوا وكانوا يلقونهم في الحر ويضعون الصخرة الشديدة الحر على صدر أحدهم ، ومر أبو جهل الخبيث بسمية أم عمار بن ياسر بن مالك وهى تعذب في الله هى وزوجها ياسر وابنها عمار فطعنها بحربة في فرجها فقتلها ٠ وكان أبو بكر إذا مر بأحد الموالى وهو يعذب في الله اشتراه وأعتقه منهم بلال وأم حمامه ٠ وعامر بن فهيره وغيرهم ٠

وقد اشتد أذي قريش لرسول الله وهموا بقتله فحماه الله ، فهموا أن يقتلوه في الزحمة وأحاطوا به وهو يطوف بالبيت ويصلى ، فصاح أبو بكر (اتقتلون رجلًا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) هذا ما أحببت جمعه لإخوانى من صفة مبعث محمد صلي الله عليه وسلم الذي كانت سببا لهداية البشريه وإنقاذها من ظلمات الجهل والظلم والطغيان والوثنية ٠ وأرجو الله أن ينفع بها من قرأها وسمعها وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا إلى يوم الدين ...

والبيت لا يُبتَنَى إلا على عُمد	ولا عِمادَ إذا لم تُرسَ أوتادُ
فإن تـــجـــمَّـــعَ أوتادٌ وأعـــمدةٌ	يوماً فقد بلغوا الأمر الذي كادُوا
لا يصلحُ الناسُ فوضى لاسَرَاةَ لهم	ولا سَراَة إذا جُهَّالُهُمْ سَادُوا
تهدي الأمور بأهل الرأي ما صلحت	وإن تولــتْ فــبالأشرارِ تـــنـــقادُ

سمع الاذان في القاهرة :

فقال سمعت هذا فوق القمر

رائد الفضاء الأمريكى (نيل أرمسترونج) أول من هبط على سطح القمر أشهر إسلامه . نشرت ذلك الجرائد الماليزية ونقلته عنها بعض الصحف التى تصدر في سـيلان .

ذكرت هذه الصحف إن مصر وراء إسلام رائد الفضاء الأمريكى .

وقصة هذا الخبر تعود بدايتها إلى عدة سنوات عندما كان في زيارة للقاهرة ضمن جولة له حول العالم . وبينما كان رائد الفضاء (نيل أرمسترونج) يتجول في احياء القاهرة الشعبية سمع أذان الظهر ينطلق من الجوامع ، فأصابه الذهول وتساءل وسط دهشته البالغة عن هذا الصوت ، فأجابه مرافقوه وهم متعجبون من ذهوله : إنه الأذان الذي ينبه المسلمين إلى الصلاة ولم يجب عليهم رائد الفضاء الأمريكى ، واستمر في ذهوله الشديد وسط دهشة المرافقين له . وبعد أيام قليلة ألقى بقنبلة وأعلن لكل من حوله في صراحة ودون تردد أن كلمات الأذان التى رنت في أذانه دون أن يفهمها هى نفس الكلمات التى سمعها عند هبوط أقدامه لأول مرة على سطح القمر ...

وعقب عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عكف على دراسة الدين الإسلامى دراسة كاملة ، وعرف قواعد الدين بالتفصيل . وفي النهاية أعلن إسلامه . وكان من نتيجة هذا الموقف الذي أعلنه رائد الفضاء الأمريكى واعتناقه للإسلام أن تم فصله من عمله في مركز الفضاء ولكنه قال في قوة : **فقدت وظيفتى ولكننى وجدت الله ...**

(الاخبار المصرية)


سيرة
و
تاريخ

الكعبة البيت الحرام

وتطبيقات رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم

للدكتور عبد العظيم حامد خطاب
أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

قال الله تعالى : « **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدي للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** » (آل عمران : ٩٦ ، ٩٧) وقال : « **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً . واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى . وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود . وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمنا وارزق أهله من الثمرات** » (البقرة : ١٢٥ ـ ١٢٦)

وقال : « **قد نري تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها . فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** » (البقرة ١٤٤) .

حَرَّم الله بيته منذ خلق السموات والأرض . وجعله مثابة للناس وأمنا . ومن دخله كان آمناً وحفظه من الآفات . ووضع له الجلالة والقداسة في قلوب الناس . وجعلهم على مختلف العصور يهتمون بأمره ويعنون بشأنه . وفي حرمه ولد خاتم المرسلين . وصارت مكة مهبط الوحى الأمين لآخر الأنبياء . وصار هذا الحرم متجه المسلمين في صلاة آخر الأمم ، وخير البشر . وقد عرف نبى الإسلام لهذا البيت قدره فعظمه واعطاه حقه من الإجلال والخشوع . وطهره حق التطهير وهو آخر الانبياء الذي يعلن من فوقه توحيد الإله الخالق المستحق للعبادة لتكون مكة أخيراً دار الإسلام وقبلة آخر الأمم . كما سبق لإ براهيم وإسماعيل عليهما السلام أن أمرا بتطهير البيت والصلاة فيه . ليجمع الله لمصطفاه من البشر بين البداية والنهاية . فهو أول بيت لله . وآخر قبلة في الصلاة . أمرنا بالتوجه إليه إخلاصاً لعبادة الله . وإذا كنا نفخر أن الله هدانا إلى يوم الجمعة ليكون عيداً للمسلمين قبل أيام الأمم السابقة. فإن الله بوأ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم الكعبة ليتخذها مصلى وقبلة للإسلام دون الأمم .

فلله الحمد أن جعلنا مسلمين . ومن هذه الصفوة التى تابعت هذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم .

الكعبة : المسلمون مطالبون في الصلاة أن يتجهوا نحو جهة مكة · وأهل مكة مطالبون بالاتجاه صوب المسجد الحرام · ومن في داخل المسجد المتعين عليهم استقبال الكعبة ذاتها · يلتفون حولها حلقاً إحاطة السوار بالمعصم · وجعلت سنة دخول المسجد الحرام الطواف سبعة أشواط حول الكعبة ·

والكعبة قديمة سابقه على أسفار العهد القديم والتوراة ·وقد توارث العرب أن أول من رفع قواعدها إبراهيم عليه السلام · والكعبة البيت المربع ، وجمعه كعاب · كما ذكر ذلك ابن منظور في لسان العرب وقيل سمى البيت كعبة لارتفاعه · وكل بيت مربع فهو عند العرب كعبة · قال ابن سيده : أراه لتربعها (١) وذكر الزبيدي في تاج العروس أن الكعبةالبيت الحرام سمى كعبة لارتفاعه وتربعه · إذ الكعب كل مفصل للعظام ناشز فوق القدم (٢) وقيل كعبة لانها مكعبة الاضلاع · وكان الناس يبنون بيوتهم مدورة تعظيما للكعبة ، وأول من بنى بيتا مربعا حميد بن زهير فقالت قريش : ربع حميد بن زهير بيتا إما حياة وإما موتا (٣) ·

وذكر البتانونى في الرحلة الحجازية : البيت هو الكعبة المكرمة على شكل مربع زواياه إلى الجهات الاربع حتى تتكسر عليها تيارات الهواء لكيلا يؤثر ضغط الرياح على كتلتها · وهذه بعينها القاعدةالتى بنيت عليها اهرامات مصر ، وصارت محل اعجاب علماء العمارة إلى الآن (٤) وقالوا : « بكة » موضع البيت ومكة القرية أو الحرم كله · ومن أسماء مكة : مكة وبكة وأم رحم · وأم القري · والبلد الأمين · والباسّة والبيت العتيق · والحاطمة والناسّة (٥) ·

الجانب التاريخى للحرم : أما بداية بناء الكعبة فغير معروف على التحقيق غير أن هناك روايات تبين أن الكعبة ترجع تاريخياً إلى آدم · أو ربما إلى ما قبل آدم أبو البشر · فقد ذكر الازرقى رواية عن محمد بن على بن الحسين يذكر فيها : إن الله جعل تحت العرش البيت المعمور ، فطافت به الملائكة ، وبعث الله الملائكة · فقال : ابنوا لى بيتاً في الأرض بمثاله وقدره · فأمر الله تعالى من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور (٦) فتكون الملائكة هى التى بنت البيت الحرام وأنها طافت به قبل آدم · فقد ذكر المسعودي المؤرخ أنه قيل لآدم ايت الكعبة فطف بها ، فمشى

---

(١) ابن منظور : لسان العرب (المطبعة الأميرية) جـ ٢ ص ٢١٣ ·

(٢) الزبيدى ، محمد مرتضى : تاج العروس من جواهر القاموس جـ ١ ص ٤٥٧ ·

(٣) النويرى : نهاية الأرب في فنون الأدب جـ ١ ص ٣١٣ ، محمود الألوسى : بلوغ الأرب جـ ١ ص ٣١٣ ·

(٤) البتانونى : الرحلة الحجازية ص ١٠٢ ·

(٥) النويرى : نهاية الأرب في فنون الأدب جـ ١ ص ٣١٤ ، محمود الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب جـ ١ ص ٢٢٧ ··

(٦) الأزرقى : أخبار مكه جـ ١ ص ٣٤ (الطبعة الثالثة) ، الألوسى : بلوغ الأرب جـ ١ ص ٢٢٩ ·

إليها فتلقته الملائكة بالابطح فقالوا له : حياك الله ياآدم ، لقد طفنا قبلك هذا البيت بالفى عام (١) وبعض الروايات الأخري تذكر أن آدم أول من طاف بالبيت لأنه هو الذي بناه أولا بمعونة الملائكة ٠ فقد ذكر الازرقى في رواية عن ابن عباس : أول من أسس البيت وصلى فيه وطاف به آدم ٠ وأن آدم بناه من خمسة أجبل بمعونة الملائكة ٠ وساق رواية أخري عن ابن عباس أيضا أنه لما أهبط الله عز وجل آدم عليه السلام إلى الأرض من الجنة ، كان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض فطأطأ الله عز وجل منه إلى الأرض ستين زراعاً ٠ فقال : يارب ٠ مالى لا أسمع أصوات الملائكة ولا حسهم ٠ قال : خطيئتك ياآدم ٠ ولكن إذهب فابن لى بيتاً

فطف به واذكرنى حوله كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى ٠ فأنتهى إلى مكة وبنى البيت الحرام وأن جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الأرض فابرز عن أس ثابت في الارض السفلى فقذفت الملائكة الصخر وما يطيق الصخرة ثلاثون رجلا ٠ وبهذا يكون من أسس البيت وصلى فيه آدم عليهُ السلام (٢) ٠

وإذا وضعنا في الاعتبار قول الله تعالى : « **وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون** » فلابد أن يكون لهم قبلة يتجهون إليها في عبادتهم لله وحده ٠ من أول يوم على الأرض ٠ ولا نتصور عبادة بلا اتجاه أو بيت معبود ٠

وذكر اليعقوبى في تاريخه أن آدم لما أهبط إلى الأرض تلقى من ربه كلمات فتاب عليه وهدي ٠ واجتباه وأمره أن يبنى له بيتاً ٠ فصار إلى مكة وبنى البيت (٣) وروي عبد الملك بن هشام عن وهب بن منبه : إن آدم عندما تاب الله عليه ، أنزل عليه صحيفة نزل بها جبريل يأمره بالمسير إلى البلد الحرام ، ويبنى البيت العتيق ، وأن جبريل دَلَّه على المكان فبنى آدم البيت وتعينه حواء ٠ وقال : هذا منسك لك ولولدك من بعدك ، فاول أثر على وجه الأرض مكة والبيت قال الله تعالى : « **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا** » ثم أمره بالمسير إلى البلد المقدس فأراه جبريل كيف يبنى بيت المقدس فعاونه أبناؤه في بنائه (٤) ٠

ولم تزل العرب تعظم موضع البيت بعد أن ازاله الطوفان وصار موضعه أكمة حمراء (٥) ٠

---

(١) المسعودى : أخبار الزمان ومن اباده الحدثان ص ٧٣ ٠

(٢) النويرى : نهاية الأرب جـ ١ ص ٣٠١ ، الأزرقى : أخبار مكة جـ ١ ص ٣٦ ، ٣٧ ٠

(٣) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى جـ ١ ص ٦ ٠

(٤) دهب بن مبنه : كتاب التيجان في ملوك حمير ص ٩ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٥٤ ٠

(٥) المسعودى : اخبار الزمان ومن اباده الحدثان ص ١٠٥

وذكر الطبري في تفسيره عن قتادة قال : ذكر لنا أن البيت أهبط مع آدم حين هبط إذ قال الله له : أهبط معك بيتى يُطاف حوله كما يطاف حول عرشى · فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين · حتى إذا كان زمان الطوفان حين اغرق الله قوم نوح رفعه وطهره ولم تصبه عقوبة أهل الأرض · فتتبع منه إبراهيم أثراً فبناه على أساس قديم كان قبله (١) كما ذكر الطبري أيضاً في تاريخه : ان البيت حين اغرق الله قوم نوح رفعه وبقى أساسه فبوأه الله عز وجل لإبراهيم فبناه (٢) ·

أما الاختلاف في أول من بنى الكعبة فيوضحه البدر العينى فقال : أول من بناها الملائكة · وقيل آدم ذكره ابن اسحق وقيل أول من بناها شيث عليه السلام وكان في عهد آدم البيت المعمور فرفع · وقيل بل رفع وقت الطوفان (٥) ثم أورد العينى رواية البخاري عن إبراهيم التيمى عن أبيه قال : سمعت أباذر رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول · قال : المسجد الحرام ·قلت : ثم أي · قال : المسجد الاقصى · قلت : كم بينهما · ؟ ·· قال : أربعون سنة · ثم اينما ادركتك الصلاة بعد فصل فإن الفضل فيه (٤) · قال ابن الجوزي : فيه إشكال لان إبراهيم بنى الكعبة وسليمان بنى بيت المقدس وبينهما أكثر من الف سنة · والجواب عنه ما قاله القرطبى : إن الآية الكريمة « **إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت** » والحديث السابق لايَدُلّان على أن إبراهيم وسليمان عليهما السلام أبتدأ وضعهما بل كان تجديداً لما أسس غيرهما · وقد روي : أول من بنى البيت آدم وعلى هذا فيجوز أن يكون غيره من ولده رفع بيت المقدس بعده بأربعين عاما ·ويوضحه ما ذكره ابن هشام في كتاب التيجان أن آدم لما بنى البيت أمره جبريل عليه السلام بالمسير إلى بيت المقدس وأن يبنيه فبناه ونسك فيه · قال ابن كثير : أول ما جعله مسجدا إسرائيل (يعقوب) وإنما أمر سليمان بتجديده واحكامه لا أنه أول من بنى (٥) ·

إبراهيم وبناء البيت : يشهد القرآن الكريم بأن إبراهيم حين اسكن ذريته في مكة قال : « **ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم · ربنا ليقيموا الصلاة** » (سورة إبراهيم : ٣٧) وذلك قبل بناء الكعبة على يديه وإسماعيل عليهما السلام عندما بلغ إسماعيل الثلاثين · كما تذكر الروايات التاريخية · ويذكر الله تعال

---

(١) الطبرى : جامع البيان في تفسير القرآن · تحقيق محمود شاكر جـ ٣ ص ٤٥ ·

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ١ ص ١٣٢ ·

(٣) الغينى : عمدة القارىء شرح صحيح البخارى جـ ١٦ ص ٢٨٨ ، الطبرى : جامع البيان جـ ٤ ص ٠٧

(٤) العينى : عمدة القارىء شرح صحيح البخارى جـ ١٥ ص ٢٦١ ·

(٥) العينى : عمدة القارىء جـ ١٥ ص ٢٦٢ ·

بناء إبراهيم للكعبة بقوله : « **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** » والقواعد جمع قاعدة . وقواعد البيت أساسه .

وقد اختلف أهل التأويل في القواعد أهما أحدثا ذلك . أم هى قواعد كانت قبلهما ؟. وعن ابن عباس أنها كانت قواعد البيت قبل ذلك (١) والبعض يقول بانه بنى البيت ابتداء . ويعلل لنا الازرقى هذا الاختلاف بأن مكان البيت القديم كان قد خفى واندرس من الغرق الذي جاء به الطوفان فيما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام . ولكن كان موضعه أكمة حمراء لا تعلوها السيول . غير أن الناس يعلمون أن موضع البيت فيما هنالك . ولكنهم لا يتثبتون موضعه (٢) وتأييداً لهذا ذكر المسعودي أنه كان في موضع البيت ربوة حمراء أمر إبراهيم عليه السلام هاجر أن تتخذ عليه عريشا يكون مسكناً لها (٣) ثم أمر الله إبراهيم أن يبنى الكعبة . ويؤذن في الناس بالحج . ويريهم مناسكهم . فبنى إبراهيم حتى انتهى إلى موضع الحجر فنادي إبراهيمَ أبو قبيس : إن لك عندي وديعة فأعطاه الحجر الأسود فوضعه وأذن في الناس بالحج (٤) .

وكان إبراهيم عليه السلام منذ أسكن ذريته في هذا الموضع يزور ابنه إسماعيل . فلما شاهد اجتماع الناس بنى البيت بأمر الله له . ولما شهد قيام البلد الذي كان يرجو قيامه حول البيت واطمأن إلى أن عمله قد آتى ثماره قال : **رب اجعل هذا البلد آمناً . واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ... (٥) .**

وعامة كتب التاريخ والتفاسير تشير إلى بناء إبراهيم للبيت وتفصيله فلا حاجة إلى ايراد مثل تلك التفصيلات ولكن لا بأس بايراد رواية الطبري المختصرة فقد ذكر ان إبراهيم عليه السلام لما جاء المرة الثالثة لإسماعيل في مكة كان إسماعيل يصلح نبلًا له من وراء زمزم . فقال إبراهيم : ياإسماعيل إن ربك قد امرنى ان أبنى له بيتاً . فقال له إسماعيل : فأطع ربك فيما أمرك . فقال إبراهيم : قد أمرك أن تعيننى . فقال : إذاً أفعل . فقام معه فجعل إبراهيم يبنيه وإسماعيل يناوله الحجر . ويقولان : **ربنا تقبل منا انك انت السميع**

---

(١) الطبرى : جامع البيان في تفسير القرآن جـ ٣ ص ٥٧ ، ٥٨ .
(٢) الازرقى : أخبار مكــة ص ٥٢ ، ٥٣ .
(٣) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر جـ ١ ص ٣٥٧ ، اخبار الزمان ١٠٥ : الطبري : جامع البيان ٣ / ٦٢ .
(٤) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى جـ ١ ص ٢٧ .
(٥) سورة ابراهيم آية ٣٥ .

العليم • فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر وهو مقام إبراهيم فجعل اسماعيل يناوله الحجر فلما فرغ ابراهيم أمره الله عز وجل أن يؤذن في الناس بالحج (١)

قضية تحريم مكة : كانت مكة محرمة منذ خلق الله السموات والأرض • ولكن قال بعض المفسرين : كان الحرم المحيط بمكة حلالاً • قبل دعوة إبراهيم عليه السلام كسائر البلاد • وانما صار حرما بتحريم إبراهيم « **رب اجعل هذا بلداً آمنا وارزق أهله من الثمرات** » كما كانت مدينة الرسول حلالاً قبل تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم • وتحريم المدينة انما كان قبل توجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بدر فقد صلى عند بيوت السقيا ودعا يومئذ لأهل المدينة فقال : **اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لأهل مكة وانى محمد عبدك ونبيك ادعوك لأهل المدينة ان تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم • اللهم حبب الينا المدينة واجعل ما بها من الوباء بُخمْ • اللهم انى حرمت ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم خليلك مكة (٢) •**

قال ابن جرير الطبري : الصواب ان الله تعالى ذكره • جعل مكة حراماً حين خلقها وأنشأها كما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم في خطبته عند فتح مكه كما سوف نفصله إن شاء الله • وأن مكه حرمها الله يوم خلق السموات والأرض بغير تحريم منه لها على لسان أحد من أنبيائه ورسله .. فلم تزل كذلك أمرها حتى بوأها الله إبراهيم خليله • وأسكن بها أهله وولده إسماعيل • فسأل حينئذ إبراهيم الله ايجاب فرض تحريمها على عباده على لسانه أو لأن إبراهيم علم تحريمها (٣) وقد أورد ابن كثير قولا في هذا الإتجاه أن أبا شريح الخزاعى قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ، سمعته اذناي ووعاه قلبى حين تكلم به انه حمد الله وأثنى عليه وقال : ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ... (٤) •

فالبقعة حرام مافي ذلك شك • والتبرير الذي ساقه الطبري مقبول • فالمكان كان يأتيه المظلوم والمتعوذ من أقطار الأرض • ويدعو عنده المكروب • فقلَّ من دعا هنالك الا استجيب له • وكان الناس يحجون موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لإبراهيم لمّا أراد عمارة بيته واظهار دينه وشرائعه • فلم يزل المكان منذ أهبط الله آدم إلى الأرض معظما محرما (٥) •

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ١ ص ١٣١ ، النويري : نهاية الارب جـ ١ ص ٢٩٩ •
(٢) المقريزي : امتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والاموال والحفدة والمتاع جـ ١ ص ٦٣ •
(٣) الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن جـ ١ ص ٥٠ •
(٤) أبن كثير : البداية والنهاية جـ ٨ ص ١٤٨ •
(٥) الأزرقى : اخبار مكـــة ص ٥٣ •

وقد ذكر النويري أن النبى من الأنبياء إذا هلكت أمته لحق بمكة فتعبد بها ومن معه من المؤمنين حتى يموت ٠ فمات بها نوح وهود وصالح وشعيب وقبورهم بين زمزم والحجر ٠ وعن مجاهد : حج موسى النبى على جمل أحمر فمرّ بالروحاء عليه عباءتان قطوانيتان متزر باحداهما مرتديا بالأخري ٠ فطاف بالبيت ثم سعى بين الصفا والمروة ٠

وعن ابن عباس رضى الله عنهما لقد سلك فَجّ الروحاء سبعون نبيا حجاجا عليهم لباس الصوف مخطمى ابلهم بحبال الصوف ٠ ولقد صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا : وعنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم لقد مر بهذا الفَجّ (فج الروحاء) سبعون نبيا على نوق حمر خطمها الليف لبوسهم العباء وتلبيتهم شتى (١) ٠

وروي الحافظ أبو يعلى عن ابن عباس قال : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتى وادى عسفان قال : ياأبا بكر ، أى واد هذا ٠ قال : هذا وادى عسفان ٠ قال : لقد مر بهذا الوادى نوح وهود وإبراهيم على بكرات لهم حمر ، خطمهم الليف وأزرهم العباء وأرديتهم النمار يحجون البيت العتيق (٢) ٠ ومعروف أن نوحاً وهودا كانا قبل إبراهيم عليهم السلام ٠ ويذكر ابن كثير أن قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام وليس في كرك نوح بالشام كما يقال (٣) ٠

ومن هنا يمكن القول بأن البيت الحرام كان موجودا قبل بنائه على يد إبراهيم خليل الرحمن ٠ وأن هذا البيت كان قد جرت عليه أحداث غيرت من طبيعته ٠ وأخفت مكانه فكان من رحمة الله بعباده أن أمر خليله ببناء البيت ورفع قواعده ٠ وظلت قداسة البيت أمرا مسلما به لا خلاف عليه من أهل مكة وأهل البادية ٠ ورغم تفشى عبادة الأوثان في سواد القبائل العربية المحيطة بمكة ٠ فانه لم يرد عنهم أنهم عبدوا هيكل الكعبة ٠ ولم يعبدوا الحجر الأسود رغم تسليمهم بقدسيته واحترامه ومكانته حتى كادوا يقتتلون على من هو أولى بوضعه في مكانه ٠ حين تدخل الرسول قبل البعثة فأقترح وضعاً حقن برأيه هذا الدماء فأشرك القبائل في شرف حمله ووضعه صلى الله عليه وسلم في مكانه ٠

وكانت العرب لا تقسم بالكعبة أو بالحجر الأسود ٠ وانما تقسم برب الكعبة ٠ وهكذا استجاب الله لخليله حين دعاه بقوله : « **واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام** » لم يتخذ

---

(١) النويري : نهاية الارب في فنون الادب جـ ١ ص ٣٠٩ ، ٣١٠ ٠

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١ ص ١١٩ ٠

(٣) ابن كثير : المرجع السابق جـ ١ ص ١٢٠ وكرك نوح قرية كبيرة قرب بعلبك ٠ راجع : ياقوت : معجم البلدان ٠

البيت عمارة إبراهيم وإسماعيل صنما يعبدونه وظلت مكانته مرموقة فأعاد قصى بن كلاب في القرن الثانى قبل الهجرة بناءه وبنته قريش قبل المبعث واشترك الرسول في أمره (١) .

الرسول يراعى حرمة مكــة : ظلت الدعوة في مكة . كان الرسول خلال ثلاثة عشر عاما يؤمر بالصبر . قال الله تعالى له : « **فأصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم** » (الاحقاف : ٣٥) ولم يشرع القتال في مكة لمقامها الذي يعرفه من حرمها من أول يوم . حتى أن الرسول بعد بيعة العقبة الثانية أنذر به الشيطان (هل لكم في مذمم والصبأة معه قد إجتمعوا على حربكم) قال الرسول لمن بايعوه تلك البيعة الأخيرة (أرفضوا إلى رحالكم) . قال العباس بن عبادة بن نضلة : والله الذي بعثك بالحق : ان شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا ؟. قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : لم نؤمر بهذا ، ولكن إرجعوا إلى رحالكم (٢) .

ولما استقر الإسلام في المدينة وأذن الله بالقتال للمسلمين بقوله تعالى « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير** » وقوله : (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنه ويكون الدين لله** » (البقرة : ١٩٣) حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على قتال قريش خارج الحرم فرسول الله أعلم بالله وبحدوده وبما أحل وما حرم . علم قدر مكة فلم يأتها غازيا . مكة التى شنت الحرب عليه ثلاث مرات بدر واحد والخندق والتى ألّبت عليه وعلى المسلمين فأصاب المسلمين خلال ذلك ما أصابهم فلم يورثه ذلك ثورة على مكة ولا ضغينة على حرمها . وإنما قدرها . نلمس ذلك من مواقف في سيرته صلى الله عليه وسلم . نذكر منها على سبيل الاختصار : ـ

١ ـ **تعظيم أمر مكة في الحديبية :** خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة بمن معه هلال ذى القعدة من السنة السادسة . وحرص أن لا يكون معه الإ سلاح المسافر السيوف في القرب (٣) وساق هديه . يقول ابن هشام : خرج معتمرا لا يريد حربا وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وساق الهدي واحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظما له (٤) .

---

(١) الألوسى : بلوغ الارب في معرفة احوال العرب جـ ١ ص ٢٣٢ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية لابن هشام . ط الحلبى . جـ ١ ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

(٣) الواقدي : كتاب المغاري . تحقيق مارسون جونس ص ٥٧٢ ، النويري : نهاية الارب جـ ١٧ ص ٢١٨ .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٣٠٨ .

وفي رواية عن عروة بن الزبير ٠ عن مسور ابن مخرمة ٠ ومروان بن الحكم ٠ أنهما حدثاه فقالا : خرج رسول الله عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا (١) وكما ساق الهدى ساق أهل القوة الهدى ، أبو بكر الصديق وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن عبادة ساقوا جميعا هديا مع هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

ولما كان بعض الصحابة والعرب يخشون قريشا ويخافون أن يقاتلوا المسلمين قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : اتخشى يارسول الله علينا من أبى سفيان بن حرب وأصحابه ولم نأخذ للحرب عدتها ؟ فقال الرسول : ما أدري ٠ ولست أحب حمل السلاح معتمراً ٠ وقال سعد بن عبادة : يا رسول الله لو حملنا السلاح معنا ، فإن رابنا من القوم ريب كنا معدين لهم ٠ فقال رسول الله : لست أحمل السلاح إنما خرجت معتمراً (٢) ٠

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذى الحليفة بسر بن سفيان الكعبى الخزاعى ٠ وقال له : أن قريشا قد بلغها انى أريد العمرة ٠ فخَبّر لى خبرهم ثم القنى بما يكون منهم (٣) ٠ وكان صلى الله عليه وسلم يأمل أن تستجيب قريش للاتجاه السلمى فلا يعرضوا له بسوء أو بقتال رعاية لحرمة مكة ، التى لا يريد فيها قتالا بل سلاما وأمنا ٠ وتقدم أمامهم بسر بن سفيان حتى دخل مكة فسمع من كلامهم ورأى ما رأى منهم ثم رجع فلقى رسول الله بغدير الاشطاط من وراء عسفان فلما رآه الرسول قال : (يا بسر ما وراءك) قال : يارسول الله تركت قومك ، كعب بن لؤى وعامر بن لؤى قد سمعوا بمسيرك ففزعوا ، وهابوا أن تدخل عليهم عنوة ٠ وقد استنفروا الأحابيش ومن أطاعهم ، معهم العُوذ المطافيل (٤) ٠ وقد لبسوا لك جلود النمور ليصدوك عن المسجد الحرام ، وقد خرجوا إلى بلدح وضربوا بها الأبنية وتركت عمادهم يطعمون الجزر أحابيشهم ومن ضوى اليهم في دورهم ٠ وقدموا الخيل عليها خالد بن الوليد في مائتى فارس ٠ وهذه خيلهم بالغميم وقد وضعوا العيون على الجبال ووضعوا الارصاد (٥) ٠

ورغم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم تصلب قريش واصرارهم على حميتهم الجاهلية وتماديهم في باطلهم إلا أنه رأى أن يظهر السلم فيتحول عن طريق طليعة المشركين

---

(١) ابن هشام : المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٠٩ ٠

(٢) الواقدي : كتاب المغازي جـ ٢ ص ٥٧٣ ٠

(٣) المرجع السابق : الجزء والصفحة ٠

(٤) كناية عن النساء والأطفال حتى لا يعودوا لأهلهم ٠

(٥) الواقدي : كتاب المغازي جـ ٢ ص ٥٨٠ ٠

قائلا : ياويح قريش قد أكلتهم الحرب وماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب • ثم قال : فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة أى صفحه عنقه صلى الله عليه وسلم (١) • كما قال أيضا : (أنا لم نجيىء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وإن قريشا قد أنهكتهم الحرب فاضرت بهم فإن شئت ماددتهم مدة ويخلوا بينى وبين الناس (٢) •

ثم قال الرسول : هل من رجل يخرج بنا على غير طريقهم فسلك بهم رجل من أسلم طريقا وعرا أجرلّ بين شعاب (٣) إنتهى إلى أرض سهلة حتى إذا سلك ثنية المُرّار وقفت يدا راحلته صلى الله عليه وسلم على ثنية تهبط على غائط القوم فبركت ناقته (٤) فقال الناس : خَلأت القصواء • قال الرسول : (ما خَلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة • والذي نفسى بيده لا تدعونى قريش إلى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم الآ أعطيتهم إياها) (٥) وذكر ابن حجر أن من تعظيم الحرمة ترك القتال (٦) •

ولو أن بعض الآراء تذهب إلى أن هذا القول معناه أنى ان دخلت مكة على رغم قريش وقع قتال أفضى إلى سفك الدماء • إذ علم الله انه سيدخل في الإسلام منهم خلق ويستخرج من أصلابهم ناس يجاهدون في سبيل الله (٧) إلا أننا يمكن أن نضيف أمراً هاما فإذا نظرنا إلى الربط بين حبس الفيل وحرمة البيت • ثم حبس الناقة لحرمة البيت انتهينا إلى أن هذا مقصوده • ثم إبداء هذه صراحة من الرسول بأنه يرضى باى خطة فيها تعظيم أمر مكة وحرمها وإجلال البيت وحفظ مهابته • ومنع القتال فيه • وقيل أن منع أصحاب الفيل ومنع أصحاب الناقة مع اختلاف مقاصدهما هدفه منع القتال مطلقا (٨) ومن ثم يظهر لنا الرسول صلى الله عليه وسلم إنما تعمد عدم حمل السلاح معه حتى لا يتمادى الامر ، رغبة في السلم وايثاره • صحيح أن الرسول لما اشيع مقتل عثمان بن عفان الذي بعثه ليعلن لهم إحترام الرسول لمكة ومسالمته لها ، ومقتل من دخل مكة من المسلمين • أخذ البيعة على أصحابه بأن لا يفروا واعد نفسه للقتال الذي لا مناص منه إذا اضطرته قريش إلى ذلك بقتل هؤلاء• ولكن

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٣٠٩ •

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ١٩٧ •

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٣٠٩ •

(٤) النويري : نهاية الأرب في فنون الادب جـ ١٧ ص ٢١٩ •

(٥) الواقدى : كتاب المغازي جـ ٢ ص ٥٨٧ •

(٦) ابن حجر العسقلانى : فتح الباري جـ ٥ ص ٣٣٦ •

(٧) القسطلانى : المواهب اللدنية جـ ١ ص ١٢٦ •

(٨) ابن حجر العسقلانى : فتح الباري جـ ٥ ص ٣٣٦ •

سرعان ما تحول عن رغبته في المقاتله عند البيت لما علم بكذب هذه الاشاعة ٠ فحفظ للبيت حرمته التى جعلها الله له ٠

ولدينا دليل آخر من حفظ الحرمة ورعاية مكة ، أنه أمر باطلاق من حاولوا الاعتداء على معسكر المسلمين ٠ وكانت قريش قد بعثت نحواً من أربعين أو خمسين رجلا ليطيفوا بمعسكر المسلمين رجاء أن يصيبوا منهم أحداً ، أو يصيبوا منهم غِرّة فأخذهم محمد بن مسلمة وأصحا به من حراس معسكر المسلمين ٠ فجاء بهم إلى الرسول فعفا عنهم وخلى سبيلهم (١) ٠

وقد مَنّ الله على نبيه لهذه الحادثة فقال تعالى : « **وَعدكم الله مغانِمَ كثيرةً تأخُذونها ، فعجّل لكم هذه وكفَّ أيدىَ الناس عنكم ٠ ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صِراطاً مستقيما** » **ثم قال** « **وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا** » (الفتح : ٢٠ ، ٢٤) أى أن الله كف الايدى عن القتال في الحرم ٠ وصان الفريقين بأن أوجد صلحا ٠ ولذا قال الرسول حين أمر باطلاق المعتدين : ارسلوهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه (٢) ٠ قال الشوكانى : كف أيدى الناس عنكم يعنى منع أهل مكة أن يستحلوا حرم الله أو يستحل بكم وانتم حُرُمْ ولتكون آية للمؤمنين أى سنة لمن بعدكم (٣) اى لمراعاة حرمة مكة والبيت ٠

فلما قدم سهيل بن عمرو ٠ واصطلح مع رسول الله على صلح الحديبية مع ما فيه من شروط ظاهرها قاس على المسلمين : ومنه أن لا يعتمروا ذلك العام والحرم على مَدّ البصر ٠ ومن يأتى إلى المسلمين بغير اذن وليه أعادوه لقريش ٠ ورفض سهيل أن يوافق على كتابة بسم الله الرحمن الرحيم أو محمد رسول الله ٠ وانما كتب باسمك اللهم ومحمد بن عبد الله وثب عمر بن الخطاب ٠ فقال : يارسول الله ألسنا بالمسلمين ؟ ٠ قال رسول الله : بلى قال فعلام نعطى الدنية في ديننا : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعنى ٠ فلما سمع منه أبو بكر مقالته قال : ياعمر الزم غَرْزَه - أى أتبع أمره - فانى أشهد أنه رسول الله وأن الحق ما أمر به ولن يخالف أمر الله ولن يضيعه الله (٤) ٠

فرسول الله نظر إلى حرمات الله وتعظيم مكة والكعبة ولم يرد أن يسفك دما وقَبِلَ ما كان يعتبر في نظر المسلمين قاسيا شديدا ٠ ولكن ظهر أن ذلك الصلح كان خيرا وبركة

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٣١٤ ، الواقدى : المغازى جـ ٢ ص ٦٠٤ ٠

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ١٩٢ ٠

(٣) الشوكانى : فتح القدير الجامع بين فنى الدراية والرواية في التفسير ٠ جـ ٥ ص ٥٢ ٠

(٤) الواقدي : كتاب المغازي جـ ٢ ص ٦٠٦ ٠

على المسلمين وكان فتحا مبينا ٠ وأن الأمر أمر تعظيم حرمات الله وأن النصر بيد الله فطابت نفوس المسلمين جميعا ٠

ب ـ في عمرة القضـــاء : كانت هذه العمرة قصاصاً لعمرة الحديبية التى حال المشركون دون إتمامها وتطبيقا لشروط صلح الحديبية وهى أن لا يدخل مكة عامه هذا فإذا كان عام قابل دخل فيقيم بمكة ثلاثة أيام ليس معه إلا سلاح الراكب ، السيوف في القُرُب ٠ وقد وفى صلى الله عليه وسلم بشرطه لهم فلم يدخل عليهم السلاح الذي أحضره معه تنبيها للسفهاء ومن ينقضون عهدهم فأبقاه ببطن يأجج مخافة الغدر (١) ٠ ولكن قريشاً بلغها ضعف المسلمين أو هكذا تفشت قالة السوء بأن المسلمين أو هنتهم حمى يثرب ٠ وبدأ فيهم الضعف ٠ علم ذلك رسول الله فأراد أن يسد هذه الثغرة ، فلعل ضعاف النفوس ينتهزون فرصة للقتال داخل الحرم ٠ فلما أقبل ودخل المسجد ٠ وقفت قريش تنظر قوة المسلمين ٠ فأضطبع الرسول بردائه ٠ ثم قال لا يرى القوم فيكم غميزة (٢) ٠ وذكر ابن هشام أنهم صفوا له عند دار الندوة لينظروا اليه وإلى أصحابه فلما دخل رسول الله إضطبع بردائه وأخرج عَضُدَه اليمنى ثم قال ، رحم الله أمراً أراهم اليوم من نفسه قوة ٠ ثم استلم الركن ثم خرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى إذا وآراه البيت منهم واستلم الركن اليمانى مشى حتى يستلم الركن الأسود ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرها ٠ ثم مضت السُنة على ذلك ٠(٣) ٠وذكر ابن كثير عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين معه ، ارمُلوا (٤) ليرى المشركون قوتكم ٠٠ كما قال ، اكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف ليرى المشركون جلدهم وقوتهم ٠٠٠ يقول ابن عباس ، وكان يكايدهم صلى الله عليه وسلم بكل ما استطاع فاستكف أهل مكة (٥) ٠

فكان اظهار القوة والجلد والحركة سببا لعزة المسلمين ومنعتهم فلم يجرؤ أى قرشى أن يعرض لهم بسوء ٠ وقالت قريش ما يرضون بالمشى أما انهم لينفرون نَفْرَ الظباء (٦) ٠ فكأن الرسول أراد باظهار القوة سد الذريعة حتى تنفذ قريش شروط الامان في بلد الله الحرام ٠ وحذرهم بما اعد من قوة وسلاح من التعرض له ودعاهم بلسان الحال إلى الكف عما ينتوونه من سوء الفعل وهو التعرض لحرمة البيت الآمن ٠

---

(١) الواقدي ، كتاب المغازي جـ ٢ ص ٧٣٤ ٠

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية جـ ٤ ص ٢٣١ والغميزة العيب والضعف في العمل ، المعجم الوسيط ٢ ص ٦٦٨ ٠

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية جـ ٢ ص ٣٧١ ٠

(٤) الرَمَلُ ، هو الاسراع في المشى وهز المنكبين ، ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث والاثرجـ ٢ ص ٢٦٥ ٠

(٥) ابن كثير ، السيرة النبوية جـ ٣ ص ٤٣٢ ٠

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية جـ ٤ ص ٢٣٢ ٠ وينفرون اى يسرعون ويشردون ، الفيروزبادى ، القاموس المحيط جـ ٢ ص ١٥١ ٠

وبقى الرسول بمكة فلما كان عند ظهر يوم الرابع أتى سهيل بن عمرو وحويطب ابن عبد العزى ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس من مجالس الانصار يتحدث مع سعد بن عبادة ، فصاح حويطب قد أنقضى أجلك فاخرج عنا . فقال النبى : وما عليكم لو تركتمونى فاعرست بين أظهرُكم (١) . فصنعت لكم طعاما ؟ . فقالا : لا حاجة لنا في طعامك أخرج عنا . ننشدك الله يامحمد والعهد الذى بيننا وبينك إلا خرجت من أرضنا فهذه الثلاث قد مضت . فغضب سعد بن عبادة لما رأى من غلظة كلامهم للنبى صلى الله عليه وسلم . فقال لحويطب : كذبت لا أم لك ، ليست بارضك ولا أرض أبيك والله لا يبرح الا طائعا راضيا . فتبسم رسول الله . ثم قال : يأسعد لا تؤذ قوما زارونا في رحالنا . وأسْكت الرجلان عن سعد ثم أمر صلى الله عليه وسلم أبا رافع بالرحيل قائلا : لا يمسين بها أحد من المسلمين (٢) .

هكذا ضبط النبى صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين والتزم بعهده وعقده شأنه دائما . وأقر الأمن والأمان بمكة ليكون دليلا آخر على معرفته ما لهذا الحرم من جليل القدر .

جـ - في فتح مكـة : إذا أردنا أن نلخص مسلك النبى صلى الله عليه وسلم عندما رغب في فتح مكة لمعرفة مدى احترامه لحرمة هذا البلد وجدنا أنه ما جاء اليها إلا بعد أن نقضت عهدها ، بأن أعدت عدوانا غاشما من بنى بكر على بنى كعب من خزاعة . بتعضيد من كبار القرشيين . فلما استُنْصر صلى الله عليه وسلم وعد بالنصر وبدأ يستعد . ولكنه حرص على إخفاء وجهته . ثم وضع الحرس على انقاب المدينة حتى لا تشعر قريش باستعداده لها . فلما نزل بقرب مكة وأخذ أبو سفيان ورفقته . طلب أبو سفيان الأمان لأهل مكة فأعطاه الأمان العام . ونودى به في أنحاء مكة . كل ذلك حرصا على أن لا تكون هناك مجابهة ولا يقع قتال . وقد كان .

فاذا انتهينا من التلخيص إلى التفصيل وضح لنا حقيقة التعظيم لحرمة مكة فحين عزم على المسير لقريش دعا ربه فقال : (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها) أو قال : (اللهم خذ على قريش أبصارهم فلا يرونى الا بغتة ولا يسمعون بى الا فجأة) (٣) ثم أمر أهله ان يجهزوه وان تخفى جهازه (٤) . فدخل أبو بكر رضى الله عنه على عائشة وهى تعمل قمحا سويقا ودقيقا وتعد تمراً . قال : أى بنية أأمركم رسول الله أن

---

(١) كان الرسول قد خطب ميمونه بنت الحارث الهلالية فجعلت امرها الى العباس بن عبد المطلب فزوجها للرسول صلى الله عليه وسلم . وبنى بها في طريقه نحو المدينة عن سَرف . (الواقدى : المغازي جـ ٢ . ٧٣٨ - ٧٤١) . وسرف بعد التنعيم . انظر الازرقى في اخبار مكه جـ ١ ص ١٨٥ خانة ٦ .

(٢) الواقدى : كتاب المغازي جـ ٢ ص ٧٤٠ .

(٣) الواقدى : كتاب المغازى جـ ٢ ص ٧٩٦ ، ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٣٩٧ .

(٤) ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٣ ص ٥٣٤ .

تجهزوه · قالت : نعم فتجهز · قال : فاين ترين يريد · قال : لا والله ما أدرى · فلما دخل صلى الله عليه وسلم قال له : أين تريد يارسول الله · قال : قريشا · وأخْفِ ذلك ياابا بكر · قال : أو ليس بيننا وبينهم مدة (١) · قال : أنهم غدروا ونقضوا العهد فأنا غازيهم · ألم يبلغك ما صنعوا ببنى كعب ؟ · ثم قال له : واطو ما ذكرت لك (٢) ·

ثم ان الرسول أعلم الناس انه سائر إلى مكة وامرهم بالجد والتهيؤ (٣) · وأخذ رسول الله بالانقاب (٤) · فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف على الانقاب قَيِّمًا لهم يقول : لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه الا رددتموه · وكانت الانقاب مُسَلَّمة الأمَنْ سلك إلى مكة أو ناحيتها فإنه يتحفظ به ويُسأل عنه (٥) · وعندما كتب حاطب بن أبى بلتعة إلى قريش يخبرها بأمر الرسول وأعطى كتابه لامرأة من مزينة قال لها اخفيه ما استطعت فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها · ثم قال لها لا تمرى على الطريق فان عليها حرسا فسلكت على غير نقب حتى لقيت الطريق بالعقيق (٦) · وأتى رسول الله الخبر من السماء بما صنع حاطب فأمر على بن ابى طالب والزبير بن العوام ان يدركا المرأة فادركاها بروضة خاخ (٧) · فاستخرجا منها الكتاب وعادا به · ورغم أن الرسول قبل إعتذار حاطب فإن القرآن نزل ينبه على هذا بقوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة** » (٨) · ومما يدل على شدة التحذيرمن إبلاغ قريش استئذان عمر بن الحطاب الرسول في قتل حاطب لمخالفته فلم يأذن له لأنه من أهل « بدر » وهم من غفر الله لهم (٩) ·

والهدف من الدعاء والاخفاء أن لا يصل إلى قريش أنباء الاستعداد وقدوم المسلمين إليهم فَيُعِدوا للأمر عدته من الرجال والسلاح فيشتد الأمر وتقع ضحايا من الفريقين فتتأثر بذلك حرمة مكة · فكأن الرسول يريد بذلك تقليل الخسائر إلى أدنى حد · وحتى تضطر قريش إلى التسليم فيحقق الرسول مراده ·

---

(١) المدة : هى هدنة تضع الحرب بموجب شروط الحديبية عشر سنين ·

(٢) الواقدى : كتاب المغازى جـ ٢ ص ٧٩٦ ، ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٣ ص ٥٣٥ ·

(٣) الانقاب : جمع نقب وهو الطريق بين جبلين : ابن الاثير : النهاية في غريب الحديث والاثر جـ ٥ ص ١٠٣ ·

(٤) الواقدى : كتاب المغازي جـ ٢ ص ٧٩٦ ·

(٥) الواقدي كتاب المغازي جـ ٧٩٦٢ ·

(٦) الواقدى : كتاب المغازى جـ ٢ ص ٧٩٩ ·

(٧) روضة خاخ : موضع على اثنى عشر ميلا من المدينة قرب حمراء الاسد : العباسى : احمد بن عبد الحميد : عمدة الأخبار ٣١٦ ·

(٨) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٣٩٩ ، ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٣ ص ٥٣٧ · والآية أول سورة المتحنة ·

(٩) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٢٩٩ · ابن كثير : السيرة جـ ٣ ص ٥٣٨ ·

وقد حدثت المفاجأة باقتراب الرسول صلى الله عليه وسلم وكثرة من معه من الرجال والسلاح حتى بلغ مَرَّ الظهران (١) . ولم يكن قد وصل عن مسير رسول الله إلى قريش شيء . فأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يوقدوا نارا فأوقِدَت عشرة آلاف نار لتحدث المفاجأة والمباغتة فيرهبهم ويخوفهم بالكثرة . وكان الرعب قد سيطر على قريش منذ خابت وساطة أبى سفيان ليشفع عند الرسول في منع الحرب فأجمعوا أن يبعثوا أبا سفيان نحو المدينة فلعله يلقاه . وقالوا له : أن لقيت محمداً فخذ لنا جوارا إلا أن ترى رقة في اصحابه فآذنه بالحرب ، وهم يظنون ان لديهم من الوقت ما يسمح بالاستعداد . وفيما كان أبو سفيان يسير بالقرب من مكه ومعه رفقه له اذا هم يرون عشرة آلاف نار في فحمة الليل وكثرة الابنية والعسكر . وسمعوا صهيل الخيل ورغاء الابل ففزعوا وبينما هم كذلك اذا بالعباس بن عبد المطلب ينادى أبا سفيان : يا أبا حنظلة . فقال أبو سفيان : لبيك أبا الفضل ما وراءك . قال العباس : هذا رسول الله في عشرة آلاف من المسلمين . لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى أستأمنه لك (٢) . وأخَذَ رفيقيه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فأنتهى بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اسلامهم (٣) . فلما طلب العباس أن يجعل الرسول لأبى سفيان شيئا يفخر به على الناس بمكة . قال : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن . ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن (٤) . وعفا رسول الله عن أهل مكة وأعلن لهم الأمان الذى طلبوا بعد أن حاربوه وألّبوا عليه فلما قدر عليهم أعلن امان الله في حرم الله . لما يعرف لهذا البلد من الحرمة . وود أن لا يقع قتال . فاراد قبل ان ينصرف أبو سفيان إلى أهل مكة ليبلغهم أمان الله ليكون على ثقة بعدم جدوى المقاومة أو رفع السلاح . أراد الرسول أن يُرى أبا سفيان خيل الله وعدة المسلمين وعددهم وراياتهم فأمر العباس أن يحبس أبا سفيان في مضيق الوادى حتى تمر به جنود الإسلام فيراها (٥) . فلما لحق به العباس وحبسه عن المسير في المضيق قال أبو سفيان : أغدرا بنى هاشم . فقال العباس : إن أهل النبوة لا يغدرون ولكن لى إليك حاجة . فقال ابو سفيان : فهلا بدأت بها أولا ؟. قال العباس : لم أكن أراك تذهب هذا المذهب حتى ترى جند الله (٦) .

---

(١) مر الظهران : يعرف الآن بوادى فاطمة بقرب مكة : الازرقى : اخبار مكة جـ ١ ص ١٨٥ حاشيه ٦ .

(٢) ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٣ ص ٥٤٧ .

(٣) الواقدى : كتاب المغازى جـ ٢ ص ٨١٥ .

(٤) ابن هشام السيرة النبوية جـ ٢ ص ٤٠٣ .

(٥) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٤٠٣ .

(٦) الواقدى : كتاب المغازى جـ ٢ ص ٨١٨ .

ومرت القبائل المسلمة على راياتها ومر رسول الله في كتيبته الخضراء . فقال أبو سفيان : ما رأيت مثل هذه الكتيبة قط ولا خَبّرنيه مُخبرٌ . سبحان الله ما لأحد . بهذا طاقة ولا يدان . ثم قال للعباس : لقد اصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما . قال العباس : ويحك يا أبا سفيان ليس بملك ولكنها نبوه . قال : نعم .. ثم قال العباس فادرك قومك قبل أن يدخل عليهم . فتقدم أبو سفيان الناس كلهم فدخل مكة فأعلن في أرجائها : هذا محمد في عشرة آلاف عليهم الحديد وقد جعل لى : من دخل دارى فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن طرح السلاح فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن . وجعل يصرخ في مكه . يا معشر قريش إنه جاءكم بما لا قِبلَ لكم به . رأيت الرجال والكراع والسلاح فلا لأحد بهذا طاقه (١) .

ونظم رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشه ليدخل مكه من كل أقطارها ودخل هو من أذاخر حتى نزل باعلى مكة (٢) . لا فخرَ ولا زهوَ ولا خيلاء وقد أعلى الله كلمة الإسلام وصارت مكة بين يديه خاضعة لأمره . روى أنه صلى الله عليه وسلم وضع رأسه تواضعا لله ، لما رأى من اكرام الله به من الفتح . حتى أن رأسه لتكاد تمس رحله شكرا لله . وخضوعا لعظمته أن أحل الله له بلده . ولم تحل لأحد قبله ولا لأحد بعده (٣) . ومع ما أحل له ، رفض قولة سعد بن عبادة لأبى سفيان : اليوم يوم الملحمة اليوم تُسْتَحل الحرمة (٤) . فقال الرسول : اليوم يوم المرحمة اليوم يُعَزُ الله قريشا (٥) . وفي رواية أخرى كذب سعد : هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة (٦) .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من يقاتلهم . غير أنه أهدر دم نفر سماهم (٧) . فلما دخل نظر صلى الله عليه وسلم إلى البارقة فقال : ما هذا ..؟ وقد نهيت عن القتال . فقالوا : إن خالدا قوتل وبُدىء بالقتال فلم يكن بُدٌّ من أن يقاتلهم . وبعد أن اطمأن الرسول قال لخالد : لِمَ قاتلت وقد نهيتك عن القتال ؟. فقال : هم بدؤنا بالقتال وقد كففت يدى ما استطعت . فقال الرسول : قضاء الله خير (٨) . وقال صلى

---

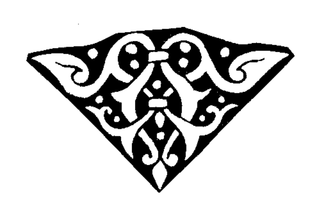
(١) الواقدى : المرجع السابق جـ ٢ ص ٨٢٢ ، ٨٢٣ .
(٢) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٤٠٧ .
(٣) القسطلانى : المواهب اللدنية جـ ١ ص ١٥٤ .
(٤) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٤٠٦ .
(٥) القسطلانى : المواهب اللدنيه جـ ١ ص ١٥١ .
(٦) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٤ ص ٢٩١ .
(٧) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٤ ص ٢٩٧ ، السيرة النبوية جـ ٣ ص ٥٦٥ .
(٨) القسطلانى : المواهب اللدنية جـ ١ ص ١٥٢ .

الله عليه وسلم مبينا حرمة مكة وحرمها : إن أعدى الناس على الله من قَتَل في الحرم . وقال أيضا يوم فتح مكة : لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة (١) .

ثم طهر رسول الله بيت الله مما شابه من أوثان وأصنام إذ جعل يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول : « **جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا** » فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ولا أشار إلى قفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم الا وقع . وعلا « بلال بن رباح » البيت فأذن بكلمة التوحيد وأعلن الإسلام (٢) .

فلما كان غداة يوم الفتح قام رسول الله خطيبا فقال : « يأأيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض . فهى حرام من حرام إلى يوم القيامة . فلا يحل لإمرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ولا يعضد فيها شجرا . لم تْحلل لأحد كان قبلى ولا تحِل لأحد يكون بعدى . ولم تحْللَ لى إلا هذه الساعة غضبا على أهلها . ألا ثم رجعت كحرمتها بالامس . فليبلغ الشاهد منكم الغائب . فمن قال لكم أن رسول الله قد قاتل فيها فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ولم يُحْللها لكم (٣) .

وهكذا عرف النبى صلى الله عليه وسلم للبيت حقه وحرمته فعظمه وطهره من الصور والأصنام وأعلن الأمان لكل من دخله . وعفا عن مجاوريه من أهل مكة فقال لهم : (ما ترون أنى فاعل بكم ؟. قالوا خيرا . أخ كريم وابن أخ كريم . قال إذهبوا فانتم الطلقاء) وعادت حرمة مكة إلى الأبد وحتى يرث الله الأرض ومن عليها . **والحمد لله رب العالمين** .



(١) ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٣ ص ٥٨٠ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٤١٧ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٤١٥ ، ٤١٦ ، القسطلانى : المواهب اللدنية جـ ١ ص ١٥٥ ، ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٣ ص ٥٧٨ . وانظر ايضا : البخارى : صحيح البخارى جـ ٢ ص ١٨ (ط الحلبى) .

جهاد المسلمين ضد الصليبيين

للدكتور جاد محمد أحمد رمضان
كلية الدعوة وأصول الدين

إن المسلمين اليوم فى أشد الحاجة إلى اتحاد الكلمة ووحدة الصف لحماية بلادهم من أطماع الطامعين وكيد الكائدين والقدوة بأسلافهم الذين ردوا كيد أعدائهم وحموا بلادهم من أطماعهم .

ففى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) تدفقت على الشرق الإسلامى جموع من الأوربيين النصارى وشنت عليه حروبا عرفت فى التاريخ بالحروب الصليبية نسبة الى الصليب الذى اتخذه المحاربون شارة لهم .

والأسباب التى تذرع بها هؤلاء المعتدون هى تمكين الحجاج النصارى من الحج إلى بيت المقدس وحمايتهم من مضايقة المسلمين لهم وهى أسباب غير صحيحة لأن تعاليم الإسلام كفلت لأهل الأديان الأخرى الحرية التامة فى مزاولة شعائر دينهم ونهت عن التعرض لهم بسوء ما داموا مسالمين ولا نظن أن مسلمى هذا العصر كانوا يجهلون ذلك .

وكان الذى أثار هذه الشائعات هو بطرس الناسك الذى حج الى بيت المقدس وعز عليه أن يراه ملكاً للمسلمين وهو المكان المقدس لدى النصارى وقد طاف بطرس الناسك جميع البلاد الأوربية وأخذ يحرض النصارى على تخليص بيت المقدس من يد المسلمين .

وفى أواخر سنة ٤٦٣ هـ انهزم البيزنطيون أمام المسلمين فى موقعة (ملاذ كرد) فاستنجد الأمبراطور البيزنطى بالبابا (إريان الثانى) بطريرك الكنيسة الغربية وقد صادف هذا الاستنجاد هوى من نفس البابا الذى كان يطمع فى ضم الكنيسة الشرقية الى الكنيسة الغربية فأقام أوربا وأقعدها وأثار تلك الضجة العالمية التى تعتبر من أهم أحداث التاريخ .

وفى العام التالى لهذا الاستنجاد ألقى البابا خطبة فى مدينة (كليرمنت) فى الجنوب الشرقى لفرنسا حث فيها النصارى على أن يسلكوا سبيلهم الى القبر المقدس ويأخذوه عنوة من ذلك الشعب الملعون ويخضعوه لأنفسهم (١) .

---

(١) فيليب حتى : تاريخ العرب ترجمة الأستاذ مبروك نافع جـ٢ ص ٨٢٢ .

ولقد أشعلت هذه الخطبة جذوة الحماسة فى نفوس الجماهير النصرانية شريفهم وضعيفهم على السواء فهبوا عن بكرة أبيهم حتى بلغ عدد المتطوعين مائة وخمسين ألفا من النورمانديين والفرنج ولم يكن الحماس الدينى وحده هو الذى دفع هذه الجماهير إلى شن الغارة على الشرق الإسلامى بل إن كثيراً من الأمراء ومن بينهم « بوهيمند » خرجوا استجابة لأطماعهم فى تكوين إمارات لهم فى الشرق الأوسط كما كانت المصالح الإقتصادية هدف تجار البندقية وبيزه وجنوة .

وكان من بين تلك الجماهير أرقاء الأرض الذين وجدوا فى التطوع لهذه الحروب فرصة للتخلص من أمراء الإقطاع وكذلك الفقراء الذين ّملوا فى أن يجدوا لهم مصدر رزق فى الشرق والمجرمون الذين وجدوا فى الحروب من أجل تخليص بيت المقدس تكفيراً عن ذنوبهم(١) .

تلاحقت الجيوش التى تكونت منها الحملة الصليبية الأولى فى القسطنطينية ثم عبرت منها الى آسيا الصغرى سنة ٤٩٠ هـ واشتبكت بجيوش السلطان «قليج أرسلان» السلجوقى عند مدينة «قونية» فهزمتها واستولت على المدينة ثم واصلت سيرها الى مدينة «أسكى شهر» وفتحتها(٢) .

ثم عبر الصليبيون جبال طوروس واتجهت فرقة منهم تحت قيادة « بلدوين » واستولت على « الرها » فى أوائل سنة ٤٩١ هـ أما بقية الصليبيين فقد واصلوا سيرهم نحو الجنوب وضربوا الحصار على مدينة « أنطاكية » التى كان يحكمها أمير تركى منذ عهد « ملكشاه » يدعى « ياغى سيان » . وبعد تسعة أشهر تمكنوا من فتحها .

استراح الصليبيون فترة ثم اتجهوا الى مدينة بيت المقدس التى كانت قد عادت الى حكم الفاطميين منذ بضعة أشهر فقط وكان يحكمها من قِبل الخليفة الفاطمى « المستعلى بالله » أمير يسمى « افتخار الدولة » تؤيده حامية لا تتجاوز ألف جندى . ومع ذلك صمد لحصار الصليبيين نحو أربعين يوماً تمكنوا بعدها من فتح المدينة سنة ٤٩٢ هـ وارتكبوا من ضروب الوحشية ما تقشعر منه الأبدان وتنكره الشرائع وقتلوا من سكانها سبعين ألفاً بغير ذنب .

أنشأ حماة الصليب ثلاث امارات فى المشرق : امارة الرها وأميرها « بلدوين » وامارة أنطاكية وأميرها « بوهيمند » وأمارة بيت المقدس وأميرها « جودفرى » . وقد تكونت من هذة الامارات الثلاث المملكة اللاتينية فى الشرق أختير « جودفرى » ملكاً لها ولقب « بارون وحامى حمى القبر المقدس » .

---

(١) المصدر السابق جـ ٢ ص ٨٢٣ .

(٢) ابن القلانى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٢ .

ولما كان لابد لتأييد مركز الصليبيين فى الشام وتأمين طريقهم الى أوروبا من احتلال مدن الساحل شرع جودفرى فى احتلالها بمساعدة السفن الايطالية التى بذل أصحابها المعونة ليجعلوا من هذه الثغور أسواقاً جديدة لتجارتهم . وكان معظم تلك الثغور تابعاً للدولة الفاطمية . ومن بينها مدينة طرابلس فطمع الكونت « رايموند » فى فتحها وحاصرها سنة ٤٩٤ هـ ولكنه لم يتمكن من فتحها ومات قبل أن تتحقق أمنيته ولكن ابنه « برتراند » حقق هذه الأمنية فى أواخر سنة ٥٠٢ هـ حيث استولى على المدينة بمساعدة أسطول جنوى[١] . وبذلك تكونت امارة صليبية رابعة تبعت بيت المقدس .

وكانت امارة بيت المقدس وما يتبعها من الامارات الثلاث : الرها وأنطاكية وطرابلس هى الامارات اللاتينية الوحيدة التى قامت على أرض اسلامية لذلك كانت أملاك الصليبيين قاصرة على مساحة ضيقة من إقليم الجزيرة وبعض أجزاء الشام الشمالية والسهل الساحلى الضيق . أما المدن الداخلية كحلب وشيزر وحماه وحمص وبعلبك ودمشق فانها لم تدخل فى حوزة الصليبيين .

من المسئول عن هذه المأساة :

إن المساحة التى اقتطعها الصليبيون من أرض المسلمين وأنشأوا عليها مملكتهم كان الجزء الشمالى منها تابعاً للدولة العباسية والجزء الجنوبى تابعاً للفاطميين . وكان مسرح نزاع على النفوذ والسيطرة بين الدولتين لعدة سنوات قبل مجيء الصليبيين اليها .

أما العباسيون فإن دولتهم كان قد تجدد شبابها على يد سلاطين السلاجقة الثلاثة الأول : طغرل بك وألب أرسلان وملكشاة (٤٤٧ ـ ٤٨٥)هـ ولكن خلفاءها لم يكم لهم من الأمر شيء وكان النفوذ والسلطان للسلاجقة فلما توفى السلطان ملكشاه الذى جاء الصليبيون الى الشرق بعد موته بسنوات معدودة تنازع أبناؤه على السلطنة فضعف أمرهم وانشغلوا بالنزاع فيما بينهم واستغل الخلفاء هذا النزاع ليستعيدوا سلطتهم وشغلوا بذلك عما يجرى فى الشام من أحداث[٢] . وتركوا الصليبيين يبنون لهم ملكاً فى أحشاء العالم الإسلامى ويشيدونه ولم يفكروا فى دعوة المسلمين إلى الجهاد ويخرجوا بأنفسهم على رأس المجاهدين ليصدوا هؤلاء المغيرين عن بلاد الإسلام .

ولو أن هؤلاء الخلفاء أعلنوا النفير العام وحاولوا ايقاظ شعور العالم الإسلامى واشعال الحماس الدينى فى نفوس المسلمين ـ كما فعل البابوات فى أوروبا ـ لأحرزوا بعض النجاح إن لم يحرزوه كله واستطاعوا أن يعطلوا سير الصليبيين إن لم يستطيعوا أن يردوهم على أعقابهم الى أوروبا .

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٢ .
(٢) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ١ ص ٣١ .

ولم يهتم السلاجقة كذلك بجهاد الصليبيين بل كانوا فى شغل شاغل بالتنافس على كرسى السلطنة فيما بينهم ومراقبة الخلفاء حتى لايتمكنوا من استرداد سلطانهم [1] وهكذا شغل هؤلاء وهؤلاء بمصلحتهم الشخصية عن الواجب الدينى الذى فرضه الله على المسلمين .

وقد كان من الواجب على هؤلاء السلاطين الذين كانوا يحملون ألقاب « غياث الدنيا والدين وحامى حمى المسلمين » كان الواجب عليهم أن يعملوا بمقتضى ما منحوه من ألقاب وأن يوجهوا همتهم للدفاع عن بلاد الشام والجزيرة التى كانت موطىء أقدام الغزاة الصليبيين وألا يتركوا عبء الدفاع عنها على كواهل أمرائها الضعاف الذين لم يكن لديهم من الجيوش والمعدات ما يمكنهم من صد هؤلاء المغيرين ويساعده على الاحتفاظ بما تحت أيديهم من الإمارات وحمايتها من أطماع الصليبيين .

ومما يثير الدهشة أن وفداً من سكان بيت المقدس ذهب الى بغداد بعد سقوط مدينتهم فى يد الصليبيين يلتمس النجدة من أمير المؤمنين (المستظهر بالله ٤٨٧ ـ ٥١٢ هـ) فتأثر أهل بغداد لما حلّ باخوانهم تأثراً عميقاً وحزنوا لما أصابهم حزناً شديداً ولكنهم لم يهبوا لنصرتهم [2] ـ أما الخليفة فانه أحال الوفد على السلطان بركياروق بن ملكشاه ولكن السلطان لم يقدر المسئولية ولم يحقق ما عقد عليه من أمل ويهب على رأس جيش لنجدتهم [3] .

وهكذا تقاعس الخلفاء العباسيون والسلاطين السلاجقة عن الجهاد وحماية بلاد الإسلام حتى وطد الصليبيون أقدامهم فى جزء غال منها وتطلب إجلاؤهم عنه مجهوداً كبيراً ووقتاً طويلاً من أبطال الإسلام الذين كرسوا أنفسهم للجهاد فى سبيل الله أمثال عماد الدين زنكى وابنه نورالدين محمود وصلاح الدين يوسف بن أيوب ومن جاء بعدهم من الايوبيين والمماليك .

وكان الخلفاء الفاطميون قد ضعف شأنهم فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى وانتقلت السلطة من أيديهم الى أيدى وزرائهم وكان يتربع على كرسى الوزارة فى الوقت الذى غزا فيه الصليبيون بلاد الشام الوزير القدير الأفضل بن بدر الجمالى وكانت الدولة فى عهده تبسط يدها على كثير من مدن الشام الساحلية مثل صور وعكا وعسقلان ويافا وغزة وغيرها ، كما كانت تحتفظ بقوة برية وبحرية كبيرة ولكن هذا الوزير لم يتناس العداوة القديمة بين السلاجقة السنيين وبين الفاطميين الشيعة وظن أن فرسان الصليبيين

يمكن أن يناصروه على أعدائه السلاجقة ولم يدرك أنهم أعداء الطرفين إلا عندما استولوا على بيت المقدس واشتبكوا معه فى معركة طاحنة على مقربة من مدينة عسقلان بعد أن سقطت بيت المقدس فى أيديهم بأيام وهزموه هزيمة منكرة (١) .

ولقد تحمس الأفضل لجهاد الصليبيين وأرسل إلى ميادين القتال أبرع قواده ولم يبخل حتى بأولاده غير أنه لم يحرز نصراً ذا قيمة عليهم وسقط فى أيديهم ما كان فى حوزة الفاطميين من مدن الشام مدينة تلو الأخرى حتى طمعوا فى غزو مصر نفسها .

وهكذا تقع مسئولية ما حل بأهل البلاد التى اغتصبها الصليبيون من كوارث وما نزل بأهل البلاد التى هاجموها من مصائب على عاتق الخلفاء العباسيين الذين عاصروا تلك الحوادث وسلاطين السلاجقة الذين كانوا يديرون شئون دولتهم وعلى خلفاء الدولة الفاطمية الذين كانوا يجلسون على كرسى الخلافة فى مصر فى هذه الفترة والوزراء الذين حكموا بإسمهم .

عصر المقاومـــــة

بعد مضى ربع قرن على تأسيس مملكة الصليبيين فى الشرق ظهر زعيم إسلامى قوى هو عماد الدين زنكى أمير الموصل الذى استولى على إمارة حلب وحمل لواء الجهاد ضد الصليبيين وتمكن من انتزاع إمارة الرها من أيديهم (٢) .

ولقد روع سقوط الرها فى يد عماد الدين الصليبيين المقيمين فى الشرق فأرسلوا إلى أوروبا يستدعون حماة الصليب للدفاع عنهم وجاءت الحملة الصليبية المعروفة «بالحملة الثانية» ولكنها لم تحقق الغرض الذى جاءت من أجله وهو تخليص الرها بل حاصرت دمشق فاستنجد أميرها بابنى عماد الدين : سيف الدين غازى أمير الموصل ونور الدين محمود أمير حلب ودافع الأمراء الثلاثة عن المدينة فلم يتمكن الصليبيون من فتحها ورجعت الحملة الى أوروربا تجر أذيال الخيبة (٣) .

وكان عماد الدين زنكى قد توفى بعد استيلائه على الرها فحمل ابنه نور الدين محمود أمير حلب لواء الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين ووحّد بلاد الشام تحت حكمه وسبق معاصره الصليبى « عمورى الأول » الى فتح مصر .

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ١٠ ص ١٠٦ .

(٢) اسحاق ارملة : الحروب الصليبية فى الآثار السريانية ص ١٠٦ .

(٣) ميشو : تاريخ الحروب الصليبية جـ٢ ص ١٢٧ ـ ١٢٩ .

وبعد موت نور الدين سنة ٥٦٩ هـ حمل صلاح الدين الأيوبى راية الجهاد الاسلامى وفى السنة التى توفى فيها نور الدين مات عمورى الأول وخلفه على بيت المقدس ابنه «بلدوين الرابع» وكان أبرص (١) . وبموت عمورى فقد الصليبيون شخصية قوية كانت تسيطر على الإمارات الصليبية سيطرة قوية وتقرب فى الكفاءة الحربية من شخصية نور الدين بطل المسلمين .

صلاح الدين يخلف نور الدين فى زعامة العالم الإسلامى :

فى سنة ٥٦٩ هـ توفى السلطان نور الدين محمود ولم يترك من الذكور سوى الصالح اسماعيل وكان فى الحادية عشرة من عمره فاتفق أمراء الدولة على مبايعته بالسلطنة على أن يتولى الأمير شمس الدين بن المقدم الوصاية عليه (٢) .

ولقد خطب صلاح الدين فى مصر للملك الصالح اسماعيل وسك النقود باسمه وأعلن طاعته له ولكن أمراء دولة الملك الصالح تنافسوا فيما بينهم على السيطرة على السلطان الصغير وأعلن ابن عمه سيف الدين غازى الثانى استقلاله ببلاد الموصل .

ولما اشتد التنافس بين أمراء حلب وأمراء دمشق على السيطرة على السلطان الصغير أرسل شمس الدين بن المقدم الى صلاح الدين يدعوه للقدوم من مصر الى دمشق ليسلمها اليه وانتهز صلاح الدين هذه الفرصة وسار الى دمشق وتسلمها سنة ٥٧٠ هـ وأعلن أنه ليس خارجا على الملك الصالح وأنه انما جاء الى الشام ليحافظ على ملكه (٣) .

وفى سنة ٥٧٧ هـ توفى الصالح اسماعيل ولم يترك وارثاً للعرش وكان صلاح الدين بمصر فلما علم بوفاته إتجه الى الشام فدانت له حلب وخضع لسلطانه أكثر مدن الموصل . وبذلك انتهت دولة الأتابكة فى الشام التى كان قد أسسها عماد الدين زنكى سنة ٥٢٢ وشيد بنيانها ابنه نور الدين محمود بعد أن حملت لواء الجهاد ضد الصليبيين نحو نصف قرن حتى أنهكت قواهم وورثتها الدولة الأيوبية التى كانت ثمرة طيبة من ثمارها .

موقعة حطين :

لم تخل الفترة التى قضاها صلاح الدين فى توحيد القوى الإسلامية (٥٧٢ ـ ٥٨٢ هـ) من حروب بينه وبين الصليبيين . وفى سنة ٥٧٦ هـ عقدت هدنة بين صلاح الدين وبين

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ١٣٩ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ص ٥٨ .

(٣) ابن الأثير : تاريخ الأتابكة ص ٢٢ .

«بلدوين الـرابـع» ملك بيت المقـدس «ريمـونـد» أمـير طرابلس لمدة سنتـين ولكن أرنـاط «ريجينالد» أمير حصن الكرك الذى يتبع بيت المقدس لم يحترم تلك الهدنة ودأب على مهاجمة القـوافـل السـائرة بين دمشق والقاهرة وفى السنة التالية لعقد الهدنة عزم على توجيه حملة الى بلاد الحجـاز ولكن عزَّ الـدين فرخشـاه ابن أخى صلاح الدين ونائبه على دمشق علم بذلك فأغار على حصن الكرك وشغل أرناط عن تنفيذ ما عزم عليه (١) .

وفى العام التالى لهذه الحادثة اتجه أرناط على رأس حملة بحرية إلى شواطىء الحجاز يريد غزو مكة والمدينة . وكان صلاح الدين بالموصل وقتئذ ونائبه فى مصر أخوه العادل فأرسل العـادلا أسطـولاً التقى بأسطـول الصليبيـين شمال ينبع وهزمه هزيمة ساحقة وأسر كثيراً من بحارته وفرّ أرناط بمن بقى معه (٢) .

وعلى الـرغم من استنجـاد « رايمـوند » الثالث أمير طرابلس بصلاح الدين ليساعده على تولى ملك بيت المقدس الذى تولاه « جاى دى لوزينيان » بمساعدة أرناط فان صلاح الدين لم يشأ أن يتدخل فى شئون الصليبيين الداخلية تمسكاً بالأخلاق الإسلامية التى تدعو الى الوفاء بالعهد .

وفى سنة ٥٨٢ هـ هاجم أرناط قافلة من الحجاج المسلمين كانت تعبر بلاده فى طريقها الى مكة ونهبها وأسر كثيراً من أفرادها فأرسل اليه صلاح الدين يطلب إطلاق سراح الأسرى فلم يفعل فغضب صلاح الدين واستعد للحرب ونذر أن يذبح أرناط بيده إن أظفره الله به (٣) .

ولـما علم الصليبيـون باستعـداد صلاح الـدين لحربهم اجتمعوا فى بلدة صفورية على مقربة من عكا ليدرسوا الموقف ويقرروا الخطة التى يسيرون عليها إذا هاجمهم صلاح الدين فأشـارت الأقليـة ـ وعلى رأسهـا أرناط ـ بمهاجمة صلاح الدين ولكن الأكثرية ـ وعلى رأسها جان دى لوزينيـان ـ رأت أن يقف الصليبيـون موقف الـدفاع . غير أن أرناط أثر على الملك فانحـاز اليـه وتـرجحت كفة الداعين للهجوم وتقدم الجيش الصليبى وعسكر على تل قريب من قرية (حطين) .

أما صلاح الدين فأنه فتح مدينة طبرية سنة ٥٨٣ ولكن قلعتها لم تسلم ففك الحصار عنها واتجه نحو معسكر الجيش الصليبى وهاجمه هجوماً عنيفاً وأنزل بالصليبيين هزيمة ساحقة وقتل كثيراً منهم وأسر كثيراً من بينهم أرناط وجاى دى لوزينيان . وقتل السلطان أرناط بيده

---

(١) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البر جـ٣ ص٦٣ .

(٢) المقريزى : كتاب السلوك جـ١ ص ٧٦ ـ ٧٨ .

(٣) أبو الفدا : المختصر جـ٣ ص ٧١ .

وفـاء بنـذره . ولـما رأى ملك بيت المقدس ما حل بأرناط ارتعدت فرائصه ولكن صلاح الدين أمنه على حياته(١) .

أثـر الموقعـة :

أحرز صلاح الدين فى موقعة (حطين) نصراً بيناً على الصليبيين فأصبح من السهل عليه أن يوالى انتصاراته عليهم بعد أن أباد معظم جيشهم فى الموقعة فرجع الى طبرية وشدد الحصـار على قلعتهـا حتى سلمت ثم رحـل الى عكـا وضـرب الحصـار عليهـا حتى فتحها واستنقـذ منهـا أسـرى المسلمـين وكـانـوا زهاء أربعة آلاف . وخيّر أهلها من المسيحيين بين الرحيل عنها بأموالهم وما يستطيعون حمله من أمتعتهم وبين الإقامة بها على أن يدفعوا الجزية فاختـار معظمهم الـرحيـل خوفاً من أن يغدر بهم صلاح الدين . وتسلم السلطان المدينة ثم أخضع معظم المدن الساحلية مثل قيسارية وحيفا ويافا وصيدا وغيرها (٢) .

ثم حاصر السلطان مدينة عسقلان ووعد « جاى دى لوزينيان » باطلاق سراحه إن هو أقنـع أهلهـا بالتسليم فسلمـوا على الشـروط التى سلمت بها عكا من قبل وبرّ صلاح الدين بوعـده لملك بيت المقـدس فأطلق سراحـه بعـد سنـة من تسليم عسقلان وبعد أن أخذ عليه عهداً ألا يشترك فى حرب ضده ولكنه نقض العهد وحارب السلطان بعد ذلك (٣) .

وكان صلاح الدين قد قضى على زهرة الجيش الصليبى فى موقعة حطين واحتل المدن السـاحليـة القريبة من بيت المقدس وسيطر على الطرق المؤدية إليها وبذلك تهيأت الفرصة لفتحهـا فتقـدم إاليهـا وحـاصرها أسبوعا فاستسلمت حاميتها وطلب أهلها الصلح فأجابهم صلاح الـدين وأمهـل من أراد الجـلاء من أهلهـا أربعـين يومـاً وشرط عليهم أن يدفعوا قبل رحيلهم فدية مقدارها عشرة دنانير عن الرجل وخمسة عن المرأة وديناران عن الطفل ذكراً كان أو أنثى فمن دفـع سمـح له بالخـروج ومن لم يدفـع أخـذ أسـيراً وأعفى من الفـدية الشيوخ والعجزة والفقراء .

وتم تسليم المدينة فى أواخر رجب سنة **٥٨٣** هـ وخلّص صلاح الدين من كان فيها من أسرى المسلمين وكانوا زهاء ثلاثة آلاف (٤) .

---

(١) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٦٥ .
(٢) أبو الفدا : المختصر جـ٣ ص ٧١ - ٧٢ .
(٣) المقريزى : كتاب السلوك جـ١ ص ١٧٢ .
(٤) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٦٦ ، ٦٧ .

وكـان سقـوط مدينة بيت المقدس عاصمة المملكة الصليبية فى يد صلاح الدين ايذاناً بجلائهم عن الشرق ورجوعهم من حيث أتوا وقد سر المسلمون سروراً عظيماً لهذا النصر المبين .

ولما دخل صلاح الـدين المـدينة حافظ على ما بها من آثار وعمر ماتخرب منها فى أثناء الحصـار ثم أرسـل أخـاه العادل لفتح حصن الكرك ففتحه سنة ٥٨٤ هـ وتوجه هو على رأس بقيـة الجيش الى مدينـة صور وحـاصـرهـا وكـانت قد تجمعت بها فلول النـازحين من البلاد المفتوحة واحتموا بها فاستعصت عليه لأن الامدادات كانت تأتيها عن طريق البحر ففك عنها الحصار [١] .

الحملة الصليبية المعروفة (بالثالثة) سنة ٥٨٧ هـ :

لقد أثار سقوط بيت المقدس فى يد صلاح الدين أوروبا فتناسى ملوكها ما بينهم من عداوات وقـاد الجيـوش للثأر من المسلمـين كل من (فردريـك بربـروس) امـبراطـور ألمانيا ورتشـارد الأول (قلب الأسـد) ملك انجلترا وفيليب أغسطس ملك فرنسـا . وكـان هؤلاء الملوك الثلاثة أقوى ملوك أوروبا الغربية وكانت حملتهم أكثر الحملات الصليبية عدداً .

وكـان فردريـك أول من اتجـه إلى الشـرق سالكـاً الطريق البرى عبر أوروبا الشرقية وآسيـا الصغـرى ولكنـه غرق عنـدما كان يعبر أحد الأنهار فى كيليكيا فعاد معظم جيشه إلى ألمانيا [٢] .

أمـا ملكـا فرنسـا وانجلترا فانهـما ركبا البحر من مرسيليا ووصلا بجيوشهما إلى جزيرة صقلية واستراحا بها فترة ثم غادراها دون أن يتفقا على خطة معينة فتوجه فيليب أغسطس نحو عكا مباشرة وعرج ورتشارد على جزيرة قبرص واحتلها ليتخذها قاعدة لأسطوله يهاجم منها فلسطين .

اتفق الصليبيـون الـذين كانوا بالشام مع ملك فرنسا ومن وصل اليهم من بقايا جيش امبراطور ألمانيا على حصار عكا ونقض جاى ذى لوزينان ملك بيت المقدس عهده لصلاح الدين عندما فك أسره وحاصر المدينة سنة ٥٨٦ هـ وفى اليوم التالى لحصارها وصل صلاح

---

(١) أبو الفدا : المختصر جـ ٣ ص ٧٣ .

(٢) فيليب حتى : تاريخ العرب جـ٢ ص ٨٣٩ ، ٨٤٠ .

الـدين لانقـاذها وضرب خيامه فى مواجهة العدو واشتدت المعارك براً وبحراً بين المهاجمين والمدافعين . وبعـد فترة وصـل رتشارد بجيشه ففرح الصليبيون بقدومه وقوى جانبهم وقد استبسلت حامية المدينة فى الدفاع عنها وكانت أوامر صلاح الدين تصل الى الحامية بواسطة السبـاحـين وحمـام الزاجـل [1] . وقد استمر الحصار الى سنة ٥٨٧ هـ وساعد الفرنج على مداومته سيطرتهم على البحر .

ولمـا اشتـد الضيق بحـاميـة المـدينـة وعجـز صلاح الدين عن ارغام الفرنج على فك الحصار عنها سلمت على أن يفتدى أهلها أنفسهم بمائتى ألف دينار وألف وستمائة أسير من أســرى الفـرنـج من بينهم مائـة شخص طلب فداؤ هم بالـذات وأن يرد المسلمـون صليب الصلبوت الذى كانوا قد أخذوه عندما فتحوا مدينة بيت المقدس [2] .

أخـذ صلاح الـدين يجمـع المـال ليفتدى حامية عكا ولمـا انقضى شهر ولم يدفع الملك المبلغ المتفق عليـه أمـر رتشـارد بقتـل ألفـين وسبعـمائـة من أسرى المسلمين ولم يكن كريما فى معاملته للأسرى المسلمين كما فعل صلاح الدين بعد فتحه لبيت المقدس مع الأسرى الفرنج حيث أطلق آلافاً منهم عجزوا عن افتداء أنفسهم [3] .

وقـد أصبحت عكـا بعـد أن اسـتردها الصليبيون أهم مركز لدولة الفرنجة فى الشرق وحلت محل بيت المقـدس فى الـزعـامـة على المدن الصليبية الأخرى . وكان من المحتمل أن يكسب الصليبيـون انتصـارات أخـرى مهمـة على المسلمـين ولكن سرعـان ما دب دبيب الشقـاق بينهم ورجـع ملك فرنسـا الى بلاده وبقى (رتشـارد) واستولى على مدينتى أرسوف ويـافـا وعـزم على استرداد بيت المقدس فوجه صلاح الدين همته الى تحصين المدينة والدفاع عنها ورأى أنه من الخير الاحتفاظ بالمدن الداخلية ريثما تتاح له فرصة تكوين أسطول بحرى كبير يحمى به المدن الساحلية .

صلح الرملـة :

كان رتشـارد شديـد الـرغبـة فى فتـح بيت المقدس ولكنه لم يكن واثقاً من الظفر بأمنيته ففكر فى حيلة تحقق له بعض ما يتمناه وأقترح أن يزوج أخته من العادل أخى صلاح الدين

---

(١) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص١٢٠ .

(٢) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدين جـ٢ ص ١٨٩ .

(٣) فيليب حتى : تاريخ العرب جـ٢ ص ٨٤١ .

على أن يحكم الاثنان بيت المقدس ولكن هذا الاقتراح رفضه المسيحيون والمسلمون على السواء (١) .

ثم حدثت بعض المعارك بين جيش رتشارد وجيش المسلمين وكان رتشارد وصلاح الدين يتبادلان الهدايا والمكاتبات رغم الحرب الدائرة بينهما (٢) .

ولما سئم كل من الطرفين الحرب دخلا ثانية فى مفاوضات انتهت بعقد صلح الرملة سنة ٥٨٨ هـ على شروط أهمها ما يلى :

١ ـ أن تخرب مدينة عسقلاة التى كانت قد وقعت فى أيدى الصليبيين وكان بقاء هذه المدينة محصنة خطراً على بيت المقدس لأنها مفتاحه .

٢ ـ أن يستولى الصليبيون على المدن الساحلية من صور شمالا الى يافا جنوبا وأن تبقى المدن الساحلية الواقعة جنوب يافا فى أيدى المسلمين .

٣ ـ أن يمكن المسيحيون من الحج الى بيت المقدس وألّا يتعرض لهم المسلمون بأذى

هذا كل ما تمخضت عن الحملة الصليبية المعروفة (الثالثة) . يقول المؤرخ الانجليزى المعروف (فيشر) معلقا على فشل هذه الحملة ومن هذه النتيجة الضئيلة تتضح شناعة الخاتمة التى حلت بما عقد على تلك الحملة من آمال كما تتضح فداحة الدليل على عجز أوروبا عن توحيد المسيحية الغربية وتوجيهها نحو هدف عام (٣) .

الأيوبيون والمماليك يواصلون جهاد الصليبيين : ـ

لم يعمر صلاح الدين طويلا بعد صلح الرملة بل وافته منيته فى صفر سنة ٥٨٩ هـ ودفن بدمشق وتوارثت أسرته حكم الأمبراطورية التى أنشأها وحملت لواء الجهاد ضد الصليبيين وصدت كل ما وجهوه إلى الشام ومصر من هجوم وكان آخر أبطالهم المعظم توران شاه بن السلطان الصالح أيوب الذى أظهر بطولة نادرة فى حربه مع لويس التاسع ملك فرنسا وتغلب عليه وأسره مع كثير من أمراء دولته وجنده وقتل منهم سبعة آلاف فى المعركة (٤)

---

(١) أبو الفدا : المختصر : جـ٢ ص ٨٠ .
(٢) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٢٢٩ .
(٣) تلريخ أوروبا فى العصور الوسطى جـ٢ ص ١٨٨ .
(٤) المقريزى : كتاب السلوك جـ١ ص ٣٥٦ .

وكـان السلطـان الصـالـح أيـوب قد أكثـر من شراء المماليك ورقاهم إلى أعلى رتب الجيش وكـانـوا أطـوع له من بنـانـه وأكثـر النـاس ولاء له وقـد أبلوا بلاء حسنـا فى محاربـة الصليبيين وكانوا من أقوى العناصر التى ساعدت على هزيمتهم فقوى مركزهم وطمعوا فى انتزاع الملك من الأيوبيين بعد موته فلما أراد ابنه توران شاه أن يفرض عليهم نفوذه وسيطرته قتلوه بعد بضعة عشر يوما من انتصاره على الصليبيين وهو ما يزال فى أرض المعركة وقبل أن يعود الى القاهرة [١] .

وبعد قتل السلطان توران شاه نادى المماليك بشجرة الدر أم ولد السلطان نجم الدين أيـوب سلطـانـة على مصـر ومـا يتبعهـا من بلاد الشام ويعدها أكثر المؤرخين آخر سلاطين الدولة الأيوبية لأنها زوجة الصالح أيوب .

ولمـا علم الخليفـة العبـاسى المستعصم بالله بسلطنـة شجـرة الـدر أنكـر ذلك إنكارا شديداً [٢] ، فرأت أن بقاءها فى السلطنة غير ممكن فتزوجت من معز الدين أيبك التركمانى أحد أمراء المماليك وتنازلت له عن السلطنة وبذلك انتقل الملك من الأيوبيين إلى المماليك .

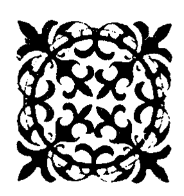
وقـد واصـل المـماليك الجهاد ضد الصليبيين ففتح الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ) كثيراً من مدنهم وأهمهـا قيسـاريـة وأرسـوف وصفـد وطـبر ية ويافا وأنطاكية وفتح المنصور قلاوون (٦٧٩ - ٦٨٩ هـ) طرابلس وعـزم على حصـار عكـا ولكن المنيـة عاجلتـه [٣] . وخلفـه ابنـه الأشـرف خليل (٦٨٩ - ٦٩٣ هـ) فحاصرها نحو شهر حتى فتحها سنة ٦٩٠ هـ . وكانت عكا آخر معقل للصليبيين فى بلاد الشام فلما تم فتحها سلم ما بقى من أيديهم من المدن فى ظرف شهرين دون مقاومة وقضى على دولتهم القضاء الأخير[٤] .

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة جـ٢ ص ٤٥ .
(٢) المرجع السابق جـ٢ ص ٤٦ .
(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٧ ص ٣٢١ - ٣٢٥ .
(٤) أبـو الفـدا : المختصـر جـ٤ ص ٢٤ ولأبى الفـدا أهمية خاصة فى تدوين هذه الوقائع لأنه اشترك فى المعارك التى دارت بين المسلمين وبين الصليبيين فى أواخر عهد قلاوون وعهد ابنه الأشرف خليل .

وهكذا واصل المسلمون الجهاد حتى استردوا ما اغتصبه الصليبيون من بلادهم ولم يهنوا امتثالاً لقول الله تعالى ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾(١) وواصلوا جهادهم واثقين بوعد الله للمجاهدين فى سبيله بالنصر حيث يقول جلّ شأنه ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾(٢)

فلعل المسلمين أن يقتدوا بأسلافهم ويُوحدوا جهودهم ليخلصوا بلادهم من الصهاينة كما فعل أسلافهم من قبل مع الصليبيين ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ (٣)



الشهادة على سمكة

حكى عبد الرحمن بن هارون المغربى. عند القزوينى - أنه ركب بحر المغرب فوصلنا إلى موضع يقال له البطرون وكان معنا غلام صقلى معه سنارة فألقاها فى البحر فصاد بها سمكة نحو البشر فنظرنا. فاذا خلف أذنها اليمنى مكتوب لا إله إلا الله وفى قفاها محمد وخلف أذنها اليسرى رسول الله .

القزوينى ص ١٧٧

(١) سورة الأعراف آية ١٣٩ .

(٢) سورة الحج آية ٤٠ .

(٣) سورة الروم آية ٥ .

لماذا كانت الهجرة إلى الحبشة ؟

للشيخ عبد الكريم عبد السلام
بالدراسات العليا بالجامعة

إن الهجرة في الإسلام ليست مجرد مجرد ترك الوطن أو الابتعاد عن الأهل والعشيرة ، أو الزهد في المال لأنها إذا كانت كذلك فلا ميزة لها ولا أهمية في الإسلام .

فالهجرة في الإسلام تحتوى على معان عظيمة وتهدف إلى تحقيق أهداف سامية ، فلها أهمية خاصة في نظر الإسلام ، ومعيار لقوة الإيمان وضعفه ، وفارقة بين الصادق المخلص والمدعى الخادع ، ووسيلة من وسائل نصرة العقيدة التى آمن بها المهاجر مهما كلفه ذلك من عناء ومشقة مضحيا في سبيل ذلك بكل ما يملك .

ولعلنا نستطيع أن نستشف ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم : « إن شأن الهجرة لشديد » (١) .فلم تكن الهجرة إلى الحبشة والطائف وكذلك الهجرة إلى المدينة إلا لأجل تحقيق المبادىء التى دعا المصطفى صلى الله عليه وسلم الناس إليها لتكون لهم عقيدة وسلوكاً . ولما انتهت دواعى ذلك ، أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » (٢) .

وسنرى فيما يأتى في ضوء هذه المقدمة ، ماهى الأهداف من الهجرة إلى الحبشة ؟ . وإلى أى مدى تحققت ؟ ...

قطعت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم مرحلتها السرية ، وشوطا من طورها الجهرى ، بعد مضى نحو خمس سنوات من بدايتها ، وقد سعت قريش بجميع عروضها المغرية ضد الرسول صلى الله عليه وسلم لتعطيل حركة الدعوة ، ووقف سيرها ، وهى تعلم أن ما تصبو إليه بعيد المنال ، فأكبت على المسلمين بضروب من العذاب وفنون من الأذى والنكال

---

(١) البخارى : الجامع الصحيح ، كتاب الأدب باب ما جاء في قول الرجل (ويلك) جـ ١ ص ٥٥١ ، رقم الحديث (٩١٦٥) ومسلم الجامع الصحيح ، كتاب الامارة ، باب المبايعة بعد فتح مكة على الاسلام والجهاد والخير جـ ١٣ ص ٩ .

(٢) البخارى ، الجامع الصحيح كتاب الجهاد ، باب وجوب النفير جـ ٦ ص ٣٧ ، رقم الحديث (٢٨٢٥) ومسلم ، المرجع السابق ص ٨ .

، مع قلة عددهم ، وضعف قوتهم المادية ، وأخذت تمارس الوانا من الايذاء الموجع ، والتعذيب المهلك ، ضد جماعة المؤمنين حتى بلغ أذاهم مبلغا يذيب الصخر ، ويفتت الجبال الراسيات ، فصبروا على هذا الابتلاء دون وهن ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في منعة من قومه ، وحماية عمه أبى طالب ، لا يصل اليه شيء يكرهه مما ينال أصحابه ، ولم يكن يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ٠

فرأى من حسن السياسة أن يبعد أصحابه عن مكة ليرتاحوا فترة من الزمن حتى يقضى الله بأمره ، ولم يكن ذلك الا بوحى من الله تعالى ، فالقرآن كان قد بدأ يهيىء نفوس المسلمين لترك الوطن والأهل والمال في سبيل الله ، بحيث لا تكون هذه الأشياء عقبة في سبيل نشر الدعوة وإقامة شعائرها ، فقال الله تعالى : « **قل ياعبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة ، فإياى فاعبدون ٠ كل نفس ذائقة الموت ، ثم الينا ترجعون ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبؤنهم من الجنة غرفا ، تجرى من تحتها الأنهار ، خالدين فيها ، نعم أجر العاملين ، الذين صبروا ، وعلى ربهم يتوكلون ، وكأين من دابة لاتحمل رزقها ، الله يرزقها وإياكم ، وهو السميع العليم** » (١) ٠ وقال : « **قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم ، للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ، وأرض الله واسعة ، إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** » (٢) ٠

بعد هذه التوجيهات والتلميحات قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه (٣) ٠ فخرجت (٤) عند ذلك جماعة من المسلمين في رجب من السنة الخامسة من البعثة الى أرض الحبشة ، فكانت أول هجرة في الإسلام ، إلا أنهم ـ بعد ثلاثة أشهر رجعوا إلى مكة لما بلغهم من إسلام أهلها ، حتى إذا دنوا منها ، عرفوا عدم صحة ما بلغهم من إسلام هؤلاء ، فلم يدخل فيها أحد منهم إلا بجوارٍ أو مستخفيا ، وعاد بعضهم الآخر إلى الحبشة ثانية (٥) ٠

---

(١) أنظر : الطبرى ، جامع البيان جـ ٢١ ص ٧ ، والقرطبى ، جامع أحكام القرآن جـ ١٣ ص ٣٥٧ ، وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ٤١٩ ، والألوسى ، روح المعانى جـ ٢١ ص ٩ ، والشوكانى ، فتح القدير جـ ٤ ص ٢١٠ ، وصديق حسن خان ، فتح البيان جـ ٧ ص ٢٢٣ ٠

(٢) أنظر : الطبرى ، جامع البيان جـ ٢٣ ص ١٣٠ ، وابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٤٧ ، وسيد قطب ، في ظلال القرآن جـ ٥ ص ٣٠٤٣ والمودودى ، تفهيم القرآن جـ ٤ ص ٣٦٣ ٠

(٣) ابن اسحاق : السيرة ص ١٩٤ ٠

(٤) أنظر : ابن الأثير ، الكامل جـ٢ ص ٧٧ ، وابن سعد ، الطبقات جـ ١ ص ٢٠٤ ، وابن كثير ، السيرة جـ ٢ ص ٣ ، وشبلى النعمانى ، السيرة جـ ١ ص ٢٧٣ ، والمودودى ، السيرة جـ ٢ ص ٥٦٧ ٠

(٥) أنظر : ابن هشام ، السيرة جـ ١ ص ٣٨٢ ، وابن سعد ، الطبقات جـ ١ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٦ ، وابن الأثير ، الكامل جـ ٢ ص ٧٧ ٠

ثم إن هؤلاء العائدين الى مكة ، لم يلقوا من قريش الا ما كانوا يواجهون من قبل من عنف وتعسف ، فأذن لهم النبى صلى الله عليه وسلم بالخروج مرة ثانية الى أرض الحبشة ، فخرج (١) هذه المرة حوالى ثمانين رجلًا وبضع عشرة نسوة . بعد مقارنة الروايات في هذا الصدد يبدو أن جميع المهاجرين الذين أقاموا في الحبشة ، يبلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلا ، وثمانى عشرة نسوة ، منهم احدى عشرة امرأة قرشية ، وسبع نسوة غير قرشية . ونزلوا جميعا في جوار النجاشى ، فكانوا في خير دار الى خير جار ، آمنين أحرارا على دينهم ، ولم يخشوا ظلما ولم يسمعوا مكروها ، بل كان لهم عنده منزلة ، وكان يرسل اليهم فيسألهم عما يريدون (٢) .

ولم تكن الهجرة الى الحبشة اعتباطا أو فرارا كما يظنه بعد الكتّاب - مؤولا ذلك الى الفرار بالدين ، ولكنها كما يبدو بعد إمعان النظر - وقعت بعد دراسة عميقة دقيقة قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم بوحى من الله تعالى . وقد دل تحقق النتائج التى توقعها النبى صلى الله عليه وسلم لهذه الهجرة على مدى عمق تفكيره ، وحسن تدبيره ، وإداركه الأمور ، واتخاذه اسلوبا حكيما مواطئا للظروف القائمة في نطاق وحى الله تعالى .

فالهجرة كانت ذات نتائج عظيمة ، ولم تكن مجرد فرار بالدين مخافة الفتنة ، أو طلبا للمأوى في الحبشة فحسب ، أو لم تكن أسبابها ما قاله المستشرقون كذبا وافتراء على الإسلام لاظهار ضعف أهله ، والتشكيك في نوايا دعاته .وخلاصة أقوالهم : أن تلك الهجرة كانت للأسباب التالية :

أولا : الهروب من الاضطهاد ...

ثانيا : البعد عن خطر الارتداد .

ثالثا : ممارسة النشاط التجارى .

رابعا : السعى للحصول على مساعدة عسكرية من الأحباش .

خامسا : نشوء اختلاف شديد بين المسلمين آنذاك .

ولم يكن كل من خرجوا في هذه الهجرة فقراء ، ليس لهم منعة ولا قوة ، بل كان أكثرهم ذوى شرف ومكانة في قومهم ، وأولى ثروة ومال ، وكان لهم من عصبتهم ما يدفع الأذى عنهم إلى حد كبير أمثال : عثمان بن عفان ، وابن عوف ، وجعفر بن أبى طالب رضى الله عنهم ممن هم في الذروة من النسب ، ولهم مكانة وجاه بين قريش . أما الموالى المستضعفون الذين لاقوا التعذيب فلم يهاجر منهم إلا قليل ، وقد كانوا أحق بالهجرة والنجاة من غيرهم ،

---

(١) ذلك في بداية السنة السادسة من النبوة . أنظر : المودودى ، السيرة جـ ٢ ص ٥٨١ .

(٢) اليعقوبى : التاريخ جـ ٢ ص ٢٩ .

فلماذا هاجر الأقوياء وبقى المستضعفون ، ان كان الفرار هو الهدف من الهجرة ؟ ... ولماذا هاجرت نساء من بين أشراف قريش كرقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، وأسماء بنت عميس رضى الله عنهن . ولم تتعرض احداهن لأذى أو فتنة ؟ (١) .

وعلى هذا يبدو أن إيذاء قريش للمسلمين لم يكن هو وحده السبب للهجرة ، بل كانت هناك عوامل أخرى سيأتى ذكرها .

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم هجرة المهاجرين إلى الحبشة مثل هجرة المهاجرين الى المدينة التى لا تخفى أهميتها على أحد ، حيث صرح بذلك حينما ذكرت له أسماء بنت عميس قال لها عمر : (سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله عنكم) . فقال صلى الله عليه وسلم : « ليس بأحق بى منكم ، له ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أصحاب السفينة هجرتان » .(٢) .

ولنوجز الأسباب الظاهرة التى من أجلها أذن النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة ، وخاصة إلى الحبشة ، وذلك فيما يلى :-

أولا : اشتد تعذيب قريش على المسلمين ، وطفحت كأس صبرهم ، حتى جاءوا يسألون النبى عليه الصلاة والسلام : متى يأتى نصر الله ؟ . فأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة صونا لدينهم ، وحماية لهم من أذى قريش . وتلك سنة من الله شرعها لمن ضيق عليه إلى يوم القيامة ، عند عجزه عن الظهور بدينه ، إذا منعه أهل الباطل من العمل به ، أو الدعوة إليه (٣) .

ثانيا : أراد الرسول صلى الله عليه وسلم انقاذ الدعوة من اجهاضها في أيامها الأولى ، ذلك لأن المسلمين كانوا يتزايدون كل يوم ، ولو بقوا كلهم بمكة ، لشعرت قريش بخطرهم عليها ، فتقوم بحرب استئصال لهم باسم الآلهة ، وربما أيدهم العرب في ذلك (٤) .

ثالثا : يبدو أنه كان من الممكن أن يترتب على هجرتهم اثارة العاطفة الجياشة إزاء الأهل والأقرباء واستغلالها أحسن استغلال ، فتراود قريش نفسها في أمر هؤلاء المهاجرين الذين تربطهم بهم رابطة الرحم ، فقد تمتنع عن ايذائهم .

---

(١) أنظر : عبد الرؤوف شلبى ، الدعوة الاسلامية في عهدها المكى ص ٣٣٧ .

(٢) البخارى : الجامع الصحيح ، كتاب المغازى ، باب غزوة خيبر ، رقم الحديث (٤٢٣٠ - ٤٢٣١) جـ ٧ ص ٤٨٥ ، ومسلم الجامع الصحيح ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل جعفر وأسماء وأهل السفينة جـ ١٦ ص ٦٥ .

(٣) أنظر : عبد العزيز بن راشد ، أصول السيرة المحمدية ص ٤٤ ، وظافر القاسمى ، نظام الحكم في الشريعة ص ٢٨ .

(٤) أنظر : محمد رواس قلعة جى ، التفسير السياسى للسيرة ص ٦٦ .

والحق أنه كان لذلك أثر كبير في قلوب القرشيين ، فلم تبق دار أو أسرة إلا وتأثرت بهذا الحادث الأليم ، إلا أن هذا التأثر كان مختلفا من بيت إلى آخر ، فمن هؤلاء من ازداد غيظا على المسلمين فزاد في تعذيبهم ومنهم من شعر أنه من الظلم اجبار الناس على مفارقة الأهل والوطن ، فرقت قلوبهم للمهاجرين ، وأصبح ذلك سببا إلى اعتناقهم الإسلام (١) ٠

ألا ترى لما خاب أمل الوفد المبعوث من قبل قريش إلى نجاشى الحبشة في اليوم الأول ، قال عمرو بن العاص أحد العضوين للوفد : (والله لآتينه غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم) ٠ فقال صاحبه عبد الله بن أبى ربيعة : (لا تفعل فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا) (٢) ٠ وان في خبر زوجة عامر بن ربيعة مع عمر بن الخطاب لأبلغ دليل على الأسف الذى داخل بعض قلوب الكفار من مغادرة ذوى أهلهم وهجرتهم الى الحبشة ٠ وذلك انه مر عمر بن الخطاب بأم عبد الله بن عامر وهى تستعد للرحيل الى الحبشة ، وكان زوجها قد خرج لقضاء بعض حاجاته ، فقال لها عمر : انه للانطلاق ياأم عبد الله ، فردت عليه وذكرته بالأذى والبلاء والاهانات التى يتعرضون لها ٠ وقالت : نعم والله لنخرجن في أرض الله ، آذيتونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجا ومخرجا ، فقال : صحبكم الله ٠ فأحست رقة في نبرات عمر لم تكن تعهدها من قبل وقد عرفت عنه قسوته على المسلمين ، فلما عاد زوجها أخبرته بما بدا على عمر ، وقالت : يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا ، قال : أطمعت في إسلامه ، قالت : نعم ٠ قال : فلا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب ٠

رابعا : ان في خروجهم إلى الحبشة إشارة إلى حقيقة كبرى ، وهى أن الدعوة الاسلامية لم تكن لتنحصر في مكة أو الجزيرة العربية أو أى بقعة خاصة في الأرض ، بل إنها موجهة إلى جميع العالم ، ولهذا لما وصل المهاجرون الى أرض الحبشة لم يكونوا صامتين ، أو قائمين بالشعائر في مجالسهم فقط ، أو عاكفين في بيوتهم فحسب ، بل أظهروا مظاهر الإسلام ٠ ومن نتائج واقعهم هذا قدوم وفد النصارى إلى النبى صلى الله عليه وسلم في مكة ، واسلام النجاشى حتى أصبح داعيا الى الإسلام ، فكان عمرو بن العاص من الذين أسلموا على يديه ، كل ذلك من نتائج جهود المسلمين المهاجرين وآثارها (٣) ٠

---

(١) أنظر : جلال مظهر ، محمد رسول الله سيرته وأثره في الحضارة ص ٦٤ ، المودودى ، السيرة جـ ٢ ص ٥٨٦ ، وأمين أحسن الاصلاحى ، الدعوة الى دين الله وأساليبها ص ٢١٥ ، والدكتور على حسنى الخربطلى ، الرسول في المدينة ص ٨١ ٠

(٢) ابن هشام : السيرة جـ ١ ص ٣٤٩ ، وابن كثير ، البداية والنهاية جـ ٣ ص ٧٤ ٠

(٣) أنظر : يحيى بن أبى بكر العامرى ، بهجة المحافل جـ ١ ص ٣٢٦ ، ومحمد اسماعيل ابراهيم ، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٨٠ ، وعطية محمد سالم ، معالم على طريق الهجرة ص ١٨ ٠

خامسا : ومن عواملها : أخذ التجربة لنشر الدعوة في موطن جديد ، مع الابقاء على ضعفة المسلمين ويؤيد هذا القول أن الهجرة جاءت بعد أن لم يستجب للدعوة الا قليل ، ويشهد لهذا ـ أيضا ـ ما سبقت الإشارة اليه من أنه لم يهاجر كل الضعفة المعذبين ، اذ ما كل مستضعف كان يلوذ بالفرار والهجرة بما يدل عليه ما جرى لعثمان بن مظعون الذى كان في جوار من الوليد بن المغيرة ٠

وذلك أنه لما رأى ما فيه أصحابه صلى الله عليه وسلم من البلاء ، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد ، فقال : هذا نقص كبير في نفسى ، فرد اليه جواره ٠ (أنظر : ابن هشام ، السيرة جـ ١ ص ٣٨٦) ٠

سادسا : وشيء آخر ذو بال يلمح من الهجرة الى الحبشة ، ألا وهو الجانب الاعلامى لأمر الدعوة الإسلامية بحيث ينتشر عند العرب وغيرهم أمر هؤلاء القوم الذين أتوا النجاشى وظفروا بحمايته ، من هم ؟ ولماذا جاءوا ؟ وبماذا جاءوا ؟ ٠ وتتناقل الألسنة هذا الخبر من مكان الى آخر ، فيصبح ذلك بمثابة الاعلام الناجح عن وجود هذه الدعوة الاسلامية ، فيترتب على ذلك انتشارها في اماكن مختلفة ، وهذا كسب عظيم ٠

وهذا الأمر زاد من قلق قريش ، فقد أشاعت هذه الهجرة في أهل مكة جوا من الخوف ، وزلزلة في القلوب ، حتى ترك رجال قريش حيارى لا يدرون ماذا يفعلون ؟ ٠

لقد أحس الملأ من قريش أن الزمام أخذ يفلت منهم ، وأن هؤلاء الذين احتموا بأرض الحبشة من المسلمين سيكونون ـ بلا ريب ـ دعاية حسنة لدعوة الاسلام ، فليس يبعد أن يتأثر الأحباش بدعوتهم فيسلموا ، وينتشر الإسلام ، فيصير المسلمون قوة وكثرة ، وتصبح لهم قاعدة اسلامية هناك ، ولقد أسقط في يد قريش عندما رجع رسولاها من عند النجاشى بدون جدوى ففى هذا الجو الغاضب الحائر قرروا أن يقاطعوا بنى هاشم وبنى عبد المطلب بالصحيفة الظالمة ٠

يقول أمين دويدار : (كانت هواجس الخوف من هجرة المسلمين الى الحبشة تقلق بال قريش ، وتزعج أمنها واستقرارها ، حتى تركتها في اضطراب دائم ، وبلبلة مستمرة ، وأغلقت منافذ التفكير على ذوى الرأى فيها ، وحرمتهم التوفيق في كل ما كانوا ياتون ، ويدعون من الأمر ، فكانوا يقدمون على شيء يظنون أن فيه النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله ، فينقلب عملهم خيرا له وشرا عليهم) (١) ٠

---

(١) صور من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ص ١٦٢ ٠

والحقيقة أن هذه الصحيفة كانت دعاية لصالح المسلمين بين الوافدين الى مكة ، وتبين الناس ظلم قريش وعدوانها ، حتى أدى ذلك الى شعورها بالخزى ·

وها أذكر الآن بعض الأسباب التى من أجلها اختار النبى صلى الله عليه وسلم أرض الحبشة لتكون هى المهجر الأول للمسلمين فيما يلى : ـ

أولا : اختارها لعدم وجود قبائل عربية مستقرة فيها ، فتتمكن قريش عن طريقها من النيل من المسلمين وتكون الهجرة سببا في إثارة المتاعب في وجوه المهاجرين ، أما الجزيرة العربية ـ إذ ذاك ـ فلم تكن مهيأة للهجرة إليها ، بل ربما كان من المحقق أن تجامل قريشا لمكانتها وعظمتها لديهم ، بسبب سدانتها البيت وسيادتها الدينية وكونها من ولد اسماعيل ·

أما العراق والشام فكان يعوزهما الاستقرار السياسى ، إذ كانت الحروب والاضطرابات مشتعلة فيها ، فالهجرة إليهما لا تحقق الغرض المقصود ، بل إنها تكون أشد خطراً من الاقامة في مكة نفسها ، فضلا عن أنه كانت هناك بينها وبين قريش علاقات تجارية قديمة وغير تجارية مما يجعل العراق والشام تبادران إلى إجابة مطالب قريش · كذلك كانت دولة الفرس قائمة وما كانت تدين بدين سماوى · فما كانت الهجرة كذلك تصلح لديهم ·

كل ذلك يدل على أن الهجرةإلى هذه الجهات كانت أمراً غير مأمون العواقب ، ثم إن المهاجرين لا يمكنهم اختراق شبه جزيرة العرب إلى هذه الجهات النائية دون التعرض للقرشيين وحلفائهم (١) ·

ثانيا : كان ملك الحبشة أصحمة النجاشى عالما بالتوراة والانجيل ، ومعروفا بحب العدل وتحرى الحق ، ولم يكن يخشى لديه ظلم أحد ـ كما قال عنه النبى صلى الله عليه وسلم : (لا يظلم عنده أحد) · وقد كان أهل مكة يعرفونه لصلاتهم التجارية بالحبشة ·

ثالثا : أنهم كانوا على شىء من دين المسيح عليه السلام ، وهم أقرب مودة وأقل عداوة من اليهود والمشركين وغيرهم ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الود فقال تعالى : **« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » (٢) ·**

---

(١) أنظر : أحمد عز الدين عبد الله خلف الله ، السيرة المحمدية الخالدة جـ ١ ص ١٧٦ ـ ١٧٧ ، وعلى حسنى الخربطلى ، الرسول في المدينة ص ١٩ ·

(٢) قد ذهب أهل التفاسير أنها نزلت في حق النجاشى · أنظر : الطبرى ، جامع البيان جـ ٧ ص ٢ ، والقرطبى ، الجامع لأحكام القرآن جـ ٦ ص ٢٥٥ ، وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٨٥ ·

رابعا : لجوء المسلمين المهاجرين إلى أرض آمنة ، يجدون فيها الراحة والحماية ـ الأمر الذى يشجع أهل مكة الخائفين من اعتناق الدين الاسلامى أن يعتنقوه ويلحقوا بهؤلاء المهاجرين ٠

وبعد هذه الدراسة يبدو ـ في الحقيقة ـ أن هجرة المسلمين الى الحبشة لم تكن لغرض دنيوى ولا اقتصادى ولا عسكرى ، ولم تكن لجوء سياسيا بحتا ، بل أنها كانت بمثابة أسلوب من أساليب الدعوة التى اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث كانت لها فوائد جمة وكانت نقلة كبرى ، وإنقلابا خطيرا في محيط المجتمع الذى يعيش فيه المسلمون في مكة المكرمة ٠

●●●●●●●●●●●●●●●●●●

هكذا كان حكام المسلمين

يروى التاريخ ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٠ كان يجتاز الطريق يوما ومعه الجارود العبدى فاذا امرأة تناديه وتقول : رويدك عمر حتى اكلمك كلمات قليلة ، ويلتفت عمر وراءه ثم يقف حتى تبلغه المرأة ٠ فتقول له وهو مصغ مبتسم : ياعمر عهدى بك وانت تسمى عميرا تصارع الفتيان في سوق عكاظ فلم تذهب الايام حتى سميت عمر ، ثم لم تذهب الايام حتى سميت امير المؤمنين ، فاتق الله في الرعية واعلم ان من خاف الموت خشى الفوت ٠ فقال لها الجارود العبدى : لقد اجترأت على امير المؤمنين ٠ فجذبه عمر من يده وهو يقول : دعها فانك لا تعرفها هذه خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها من فوق سبع سماوات وهى تجادل رسول الله في زوجها وتشتكى الى الله ٠ فعمر والله حرى ان يسمع كلامها ٠

موجز لتاريخ القدس حتى الفتح الإسلامي

للدكتور شفيق جاسر أحمد محمود
أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

بنى اليبوسيون ـ وهم عرب كنعانيون ـ مدينة القدس قبل الميلاد بحوالى ثلاثة آلاف سنة ، وأحاطوها بالأسوار مما زاد فى منعتها[1] . وقد كانت القدس فى ذلك العهد على طريق تربط مصر ببلاد الشام ، تبدأ من بحيرة التمساح ، مارة بسيناء ، وبئر السبع ، والخليل ، وبيت لحم ، والقدس ، والجيب ، وبيتين ، ونابلس ، وتعنك ، حيث تلتقى فى مجدّو مع الطريق الرئيسية الساحلية ، التى تصل بين مصر وبلاد الشام ، وكانت تتصل مع ساحل البحر الأبيض المتوسط عن طريق الجيب ، بيت عور التحتا ، يالو ، أبو شوشة ، عاقر ، وتتصل بالغور عن طريق مخماس ، أريحا .

والقدس من أقدم مدن الأرض ، وهى أقدم من بابل ونينوى ، وليس أقدم منها إلا «اون» أو «ايوتو»[2] أولى عواصم مصر فى فجر التاريخ و«منف» أو «ممفيس» ثانى عواصم مصر التى أنشئت حوالى سنة ٣٤٠٠ قبل الميلاد[3] .

لقد بنيت منازل القدس من الحجارة ، وكانت منازل صغيرة ، يتألف المنزل منها من طبقة واحدة ، له فى وسطه باحة ، وحولها الغرف ، والمدخل فى صدر الباحة ، وأحياناً يكون فى وسطها بئر تتجمع فيه مياه الأمطار .

وكانوا يأخذون حجارة البناء من الأحجار الكلسية البيضاء لليونتها ، وسهولة نحتها . ولوجود هذه الأحجار فى أعماق الصخور[4] ، تمكن اليبوسيون من حفر الأحواض والأنفاق الكثيرة ، مما كان له شأن فى تاريخ المدينة . وقد قدرت مساحة المدينة آنذاك ما بين ستة عشر إلى ثمانية عشر فدانا[5] .

كان أهل القدس فى البداية يكتفون بمياه الأمطار ، ولما كثر عددهم استفادوا من مياه عين أم الدراج . ولذلك بنوا حوالى عام ألفين قبل الميلاد نفقاً[6] يصل بين المدينة وهذه العين ، يسهل وصول السقاة للعين ، ويفيدهم أثناء الحصار . والنفق المذكور هو أقدم ما عثر عليه من ذكر لطريقة الحصول على المياه من العيون والآبار المجاورة للمدينة .

وكان ملكى صادق[٧] ملك اليبوسيين ورئيسهم الدينى من الموحدين ، لذلك تكون مدينة القدس أقدم بقعة فى الأرض آمنت بالله الواحد ، ونبتت فيها فكرة التوحيد كما نسب اليه أنه مؤسس القدس[٨] التى كانت قبل ذلك صحراء بين أودية وجبال ، فنزل ملكى صادق بكهف من جبالها للعبادة ، واشتهر أمره ، فجاءه ملوك الأرض الذين كانوا بالقرب من القدس ، وكانوا اثنى عشر ملكاً ، فسمعوا منه ، وساعدوه بالأموال على اقامة مدينة القدس ، ثم عينوه ملكاً عليهم وسموه « أبا الملوك » [٩] .

وقال مؤلفوا قاموس الكتاب المقدس « والظاهر أنه أى ـ ملكى صادق ـ كان محافظا على سنة الله بين شعب وثنى ، ولذلك كانت له الأسبقية على ابراهيم وعلى الكهنة الذين تسلسلوا منه »[١٠] .

وقد كان ملكى صادق قد اتخذ بقعة الحرم الشريف معبداً له يقدم ذبائحه على موضع الصخرة المشرفة[١١] . وبذلك يكون العرب الكنعانيون أقدم من قدس هذه البقعة وتعبد فيها ، وذلك قبل أن يقوم سليمان بن داود ببناء هيكله بما يقرب من ألف سنة [١٢] .

وهذا يفسر لنا ما أثبتته الحفريات وذكره المحدثون من أن بناء سليمان كان على أساس قديم ، فقال صاحب الأنس : «وهذه الأقوال تدل على أن بناء داود وسليمان اياه إنما كان على أساس قديم ، لا أنهما المؤسسان له بل مجددان »[١٣] . كما ذكر كعب الأحبار ـ الذىء كان من علماء اليهود ثم أسلم ـ « إن سليمان بنى هيكل بيت المقدس على أساس قديم »[١٤]

هذا وقد خضعت القدس للمصريين فى النصف الأول من القرن السادس عشر قبل الميلاد ، عندما طردوا الهكسوس من بلادهم . وفى عهد امنحتب الثالث سنة ١٤١١ ـ ١٣٧٥ ق . م تعرضت المدن الفلسطينية الى غارات البدو « الخابيرى » . وفى عهد امنحتب الرابع « أخناتون » ١٣٧٥ ـ ١٣٥٨ ق . م ، تمكن الخابير ومن بسط نفوذهم على معظم مدن فلسطين مما اضطر عبدي خيبا الوالى المصرى على القدس أن يناشد أخناتون المساعدة على صدهم ، ولكنه لم يتمكن ، فزال الحكم المصرى عنها ، ولم يعد إلا فى عهد سيتى الأول سنة ١٣١٧ ـ ١٣٠١ ق . م [١٥] .

لقد هاجم بنو اسرائيل فلسطين فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، وأطلقوا اسم « يبوس » على مدينة القدس ، نسبة لاسم زعيم القبيلة الكنعانية العربية التى كانت بها

منـذ القـدم . وكـان أصحابها اليبوسيون قد سموها أوروسالم أى مدينة إله السلام ، وحرف المصريون اسمها إلى يوشامام . وقد دخل سيدنا داود مدينة القدس سنة ٩٩٧ ق.م ، وقيل سنـة ١٠٠٠ ق.م وحـاول ازالـة طابعهـا اليبوسى ، وسمى المدينة باسمه « مدينة داود » ، وبنى بها قصراً وحصوناً ، وقد بقى بها بعض سكانها الكنعانيون ولم يغادروها . ثم خلفه ابنه سليمان بن داود ، الذى ولد ونشأ فيها ، وكانت مدة ملكه أربعين سنة من سنة ٩٦٣ ـ ٩٢٣ ق.م . وبنى فيها هيكله على المكان الذى كان يتعبد فيه ملكي صادق . ولكن هذا المعبد لم يكن لجميع بنى اسرائيل إلا فى عهد سليمان ، ثم أصبح بعده معبداً لأقلية منهم فى عهد ولده وخليفته رحيعام ، حيث انقسمت الدولة فى عهده إلى مملكة يهوذا فى الجنوب ومملكة اسرائيل فى الشـمال وعـاصمتهـا شكيم (نـابلس) وقد عاشت قرنين حتى قضى عليها سرجون الثانى الأشورى وسبى ٢٥ ألفاً من سكانها وهدم السامرة (شكيم ، نابلس) وأحل السحرة الذين أتى بهم من العراق أحلهم محل سكانها ، وهذا يؤكد على أن القدس لم تكن عاصمة للدولة الموحدة إلا لمدة ثلاثة وسبعين سنة فقط .

وفى عهد رحيعام أطلق اسم أورشليم على القدس ، بدلا من « مدينة داود » وذكرت بهذا الاسم لأول مرة فى سفر يشـوع[١٦] فى الاصحـاح العاشر . وأصبحت القدس عاصمة للمملكـة اليهـوديـة التى حكمها عشرون ملكاً فى ٣٣٧ سنة ، عم حكمهم الشر والثورات والحـروب ومـات أكثـر من نصفهم قتـلاً بأيـدى قومهم أوكان ألعـوبـة بأيـدى المصـريـين والعراقيين . وكانت هذه المملكة صغيرة المساحة حتى أن المسافر يستطيع أن يجتاز أى طرف منها فى يوم واحد[١٧] .

وفى نهاية عهدهم ، فى زمن « صدقيا بن يوشيا » ٥٩٧ ـ ٥٨٦ ق .م تمرد صدقيا على سيـده بختنصـر ، فحاصر بختنصر القدس واحتلها واخذ صدقيا أسيراً وأحرق الهيكل وأسر آلاف السكان ، وقد جعل القدس اكواما من الأنقاض وانتهت اسرة داود . ولكن كورشى الفـارسى تمكن من الاستيـلاء على بابـل سنة٥٣٩ ق .م ثم فتح بلاد الشام ، وأعاد بعض اليهـود إلى القـدس ، بتأثـير من زوجتـه استـز التى كانت من أصل يهودى ، فعاد بعضهم بقيادة زربابل[١٩] سنة ٥٣٨ ، وأخذ اليهود فى تعمير القدس وبناء هيكل جديد باسم هيكل زربـابـل سنـة ٥١٥ ق .م وقـد بقى هذا الهيكـل حتى سنة ٢٠ ق .م عندما بدأ هير ودوس الكبـير فى بنـاء الهيكـل الجـديـد . وقـد بقيت القـدس تحت الحكم الفـارسى حتى احتلها الاسكندر المكدونى[٢٠] سنة ٣٣٢ ق .م .

القدس فى العهد اليونانى ٣٣٢-٦٣ ق . م والرومانى ٦٣ ق . م - ٦٣٨م :

استولى الاسكندر المكدونى على القدس سنة **٣٣٢** ق . م . فاستقبله اليهود بالترحاب وتناسوا فضل الفرس عليهم كعادتهم فى نكران الجميل . لذلك لم يصب الاسكندر المدينة بسوء ، وبعد موته سنة **٣٣٢** ق . م خضعت القدس للبطالسة فى مصر ثم للسلوقيين فى سوريا سنة **١٩٨** ق . م . وقد عمتها خلال حكم اليونان فتن وقلاقل حتى احتلها الرومان سنة **٦٣** ق . م على يد بومبى ، وأصبحت جزءا من الامبراطورية الرومانية . وفى عام **٤٠** ق . م إستولى الفرس على القدس مرة أخرى ، ولكن الرومان استردوها عام **٣٨** ق . م وعينوا هير ودوس الأدومى ملكا عليها سنة **٣٧** ق . م ، ثم رجم هذا الهيكل فى زمن اغريباس الثانى سسنة **٦٤** م . ثم هدم على يدس تبطس الرومانى سنة **٧٠** م . الذى بنى القصر الملكى المعروف اليوم بالقلعة ، كما بنى سوراً حول القدس ، وفى أواخر ايامه أى هير ودس ولد السيد المسيح . ومن أشهر الولاة الرومان على القدس بيلاطس البنطى **٢٦ - ٣٦** م . الذى حدثت فى عهده حوادث السيد المسيح .

موقف اليهود من المسيحية :

عندما بلغ السيد المسيح الثلاثين من عمره ، أخذ يتجول فى فلسطين مبشراً برسالته ، وأخذت تعاليمه بالانتشار ، فأغاظ ذلك زعماء اليهود ، وكانت أن صب السيد المسيح غضبه على كهنة الهيكل . فقد جاء فى إنجيل لوقا **١٩ / ٤٥ - ٤٧** « ولما دخل الهيكل ابتدأ يخرج الذين يبيعون ويشترون فيه قائلاً لهم : مكتوب أى بيتى للصلاة ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » . لذلك قاومه الكهنة وسادة اليهود ، وحرضوا عليه السلطة الرومانية وقررت مجالس اليهود الدينية الحكم عليه بالموت ، وطالبوا الرومان بتنفيذ هذا الحكم . وجاءوا به إلى بيلاطس لمحاكمته ، وبعد المحاكمة اعترف بيلاطس ببراءته ، فقامت قيامة اليهود ، ونادوا : « اصلبه ، اصلبه ، دمه علينا وعلى أولادنا » فاضطر بيلاطس للاستجابة لطلبهم .

وفى زمن بيلاطس عبدت الطرق بين القدس وقيسارية وأريحا ، وسحبت اليها مياه العروب . وفى سنة **٦٦** م ، حدث فى القدس عصيان وشغب ، فقام فاسبيانوس وابنه تيطس فى محاربة اليهود ، ودخل تيطس القدس عام ٧٠م ، واعمل النهب والحرق والقتل ، وأحرق المعبد الذى بناه هير ودوس ، حتى لم يبق حجر على حجر ، وبيع كثير من الأسرى عبيداً . وخلد الرومان نصرهم على اليهود بالعبارة اللاتينية المشهورة ، التى ينادى بها عند

احراز نصر[٢٢] ، «هب : هب : هورا » . وهى مختصر عبارة « هير وسوليما است برديتا » أى سقطت أورشليم ، «الآن سقطت أورشليم» [٢٣] .

لقد جاء تدمير القدس على يد تيطس وفقاً لتحذير المسيح : « ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل ، فتقدم تلاميذه لكى يروه ابنية الهيكل ، فقال لهم يسوع : ما تنتظرون ! الحق أقول لكم إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض » [٢٤] .

وقد بقيت القدس خراباً مدة طويلة ، ليس بها إلا حامية رومانية ولكن بقايا اليهود ثاروا سنة ١١٥ م ثم ثاروا سنة ١٣٢ م . وتمكنوا من استرداد القدس ، إلا أن الامبراطور هيدريان تمكن سنة ١٣٥ م من إخماد ثورتهم ، ونكل بهم ، ودمر القدس ، وحرق موقعها ، وقتل وسبى عدداً كبيراً من اليهود ، ومنعهم من السكن فيها والدنو منها . وسمح للمسيحيين - ممن ليسوا من أصل يهودى - بالاقامة بها . وسمى المدينة « ايليا كابيتولينا » [٢٥] وهى مشتقة من إسم أسرة هدبيان المدعوة «ايليا» .

وقد ذكر ابن البطريق [٢٦] تدمير هيدريان للقدس ، وأشار إلى أنه كان اخر خراب للقدس ، فهرب اليهود إلى مصر ، وإلى الجبال والغور ، وتشتتوا فى أنحاء العالم . وأمر هيدريان ألا يسكن القدس يهودى ، وأن يقتل اليهود ويستأصل جنسهم ، وأن يسكنها اليونانيون فقط .

بهذا يكون الرومان قد دمروا القدس مرتين : الأولى سنة ٧٠ م على يد تيطس ، والثانية على يد هدريان سنة ١٣٥ م ، وبعد ذلك انقطع تواجد اليهود فى القدس لمدة ألف سنة ، لم يسكنها يهودى واحد . وخلال خمسة قرون أخرى تلتها لم يكن بالقدس أكثر من خمسين يهوديا [٢٧] .

هذا وقد بنى هيدريان هيكلا للمشترى على أنقاض هيكل هير ودوس ، كما بنى سوراً للقدس [٢٨] ، ولما اعتنق الامبراطور قسطنطين ٣٠٦ - ٣٣٧ م المسيحية ، جعلها الديانة الرسمية للدولة . وجاءت والدته هيلانه إلى القدس للبحث عن مواقع الحوادث المهمة التى حدثت للمسيحيين ، ولبناء كنائس تذكاراً لهذه الحوادث . فأمرت بهدم تمثال المشترى ، وقامت ببناء كنيسة القيامة سنة ٣٣٥ م [٢٩] . ومنذ ذلك التاريخ أخذ الحجاج المسيحيون يزورون القبر المقدس داخل كنيسة القيامة . وسمح قسطنطين لليهود بزيارة القدس مرة واحدة فى السنة ، واعاد إليها إسم أورشليم سنة ٣٣٢ ، إلا أن إسم ايليا بقى معروفا .

وعنـدمـا انقسم الـرومـان سنـة ٣٩٥ م إلى قسمـين ، كانت فلسطـين تابعة للدولة الشرقية ، وكانت القدس ضمن محافظة فلسطين التى كانت عاصمتها قيسارية [٣٠] . وساد الهدوء القدس ما بين ١٣٥ م - ٦١٤ م ، حين غزتها جيوش الفرس المؤيدة بخمسة وعشرين ألف يهودى ، فاحرقت كنيسة القيامة ، ونهبت وهدمت الأديرة والكنائس فى كل فلسطين ، وكان لليهود اليد الطولى فى النهب والدمار والفتن ، وقدر عدد القتلى المسيحيين فى القدس بأكثر من ستين ألفا ، ودفن خمسة آلاف منهم فى ماملا[٣١] .

ولكن هرقـل الـرومى انتصر على الفرس سنة ٦٢٧ م . واحتفل فى القدس فى الرابع عشـر من أيلول سنـة ٦٢٨ م برفـع الصليب الـذى كان قد استعـاده من الفـرس . ولا زال المسيحيون فى مختلف أنحاء الشام يعيدون عيد الصليب فى الرابع عشر من أيلول من كل عام[٣٢] .

ولم يطـل احتفـاظ الـروم هذه المـرة بالمـدينـة المقدسة حيث فتحها المسلمون فى السنة الخامسة عشرة للهجرة سنة ٦٣٨ م فأصبحت منذ ذلك التاريخ مدينة إسلامية وطوال تاريخ القـدس هذا لم ينقطـع تواجـد احفـاد اليبـوسيـين فيها وفى ما حولها سواء فى العهد الوثنى أو اليهودى أو النصرانى ، بل أنهم كانوا جلة سكانها لأن الآخرين كانوا محتلين طارئين عليها .

X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X= « **المراجـــع** » =X=X=+X=X=X=X=X==X=X=X=X=X

١ - أثبتت الحفريات الحديثة ، وجود سور يمكن ارجاعه إلى سنة ١٨٠٠ ق . م ، وهو السور اليبوسى الذى وقف فى وجه الغزو الاسرائيلى .

انظر الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٩ ، قسم ٢ . والعايدى : مأساة بيت المقدس ، ص ١٦٩ و ١٧٠ .

٢ - موقعها اليوم يعرف بإسم «هليوبوليس» شمال القاهرة ، سماها العرب « عين شمس » .

انظر الدباغ : بلادنا فلسطين ، جـ ٩ ، قسم ٢ ، ص ٢٤ .

٣ - موقعها اليوم « البدرشين » و « ميت رهينه » ، على مسافة ٢٢ كيلومتراً الى الجنوب من القاهرة .

انظر الدباغ : بلادنا فلسطين ، جـ ٩ ، قسم ٢ ، ص ٢٤ .

٤ - الدباغ ، بلادنا فلسطين ، جـ ، قسم ٢ ، ص ٢٤ .

٥ - الفدان يساوى ٠٫٤ من الهكتار ، ويساوى ٤ دونمات ، والدونم يساوى ١٠٠٠ متر مربع .

٦ ـ قاموس الكتاب المقدس ، ١ / ٢٧٩ ، « جلب الماء لبيت المقدس شكل قديم جرب الحصول عليه اليبوسيون ، والنبى سليمان ، والملك حزقيا ، وبيلاطس الرومانى ، وهيرودوس الكبير الادومى » .

٧ ـ ملكى صادق : اسم كنعانى معناه « ملك البر وسيد العدل » .

انظر الدباغ : بلادنا فلسطين ، جـ ٩ قسم ٢ ، ص ٢٥

٨ ـ ابن العربى ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١٤

٩ ـ مجير الدين : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ص ٦

١٠ ـ جورج يوسف : قاموس الكتاب المقدس ، جـ٢ ، ص ٩٢٢

١١ ـ الدباغ : بلادنا فلسطين ، جـ٩ ، قسم ٢ ، ص ٢٦

١٢ ـ جورج يوسف : قاموس الكتاب المقدس ، ١٧٤/١ « والمذابح كانت مست فى الأعصر الخالية ، وكانت معروفة منذ فجر التاريخ ، والمذبح : هو المكان المرتفع والمختص بتقديم الذبائح ، بقصد الاستعانة بالله ، وتقديم الشكر » .

١٣ ـ مجير الدين ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ص ٥

١٤ ـ الدباغ : بلادنا فلسطين ، جـ ٩ ، قسم ٢ ، ص ٢٧

١٥ ـ المصدر السابق .

١٦ ـ المصدر السابق ، ص ٤٠

١٧ ـ نفسه .

١٨ ـ استز : من أحفاد يهوياقيم ، الملك الثامن عشر ، من ملوك المملكة اليهودية .

انظر : قاموس الكتاب المقدس ، جـ ٢ ص ٥٣

١٩ ـ زريابل : أخ الملكة استز ، عينه كورش واليا على البلاد .

انظر : جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، جـ ٩ ص ٥٣

٢٠ ـ المصدر السابق ، ص ٥٤

٢١ ـ انجيل متى : ٣٧ / ٢٥

٢٢ ـ فؤاد حسن على : الأدب العبرى ، ص ١٠٤

٢٣ ـ Hep: Hep: Hora

Herosolyma est perdita

٢٤ ـ انجيل متى : ١/٢٤ ، ٢

٢٥ ـ (Alia - Capitolina) Alia - Capitolina

٢٦ ـ ابن البطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق .

٢٧ ـ أوراق عارف العارف ، المجموعة التاسعة ، ص ٧٩ .

انظر الدباغ ، جـ ٩ قسم ٢ ، ص ٧١

٢٨ ـ جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، جـ ١ ، ص ١٣٤ .

٢٩ ـ خليل طوطح وزميله : تاريخ القدس ودليلها ، ص ١٩ .

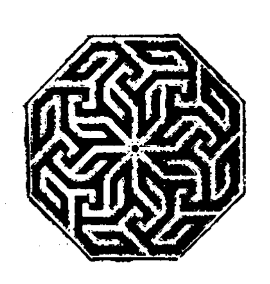
٣٠ ـ الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٩ ، قسم ٢ ، ص ٧٦ .

٣١ ـ الأب مرمرجى الدومنيكانى : بلدانية فلسطين ، ص ٢٠٣ .

٣٢ ـ حتى فيليب : تاريخ العرب ، ترجمة محمد مبروك نافع ، ج ٢ ، ص ٣ « وقيل أن أساس هذا الاحتفال كان عام ٣٢٦ م ، عندما وجدت هيلانة الصليب المقدس المدفون بالأرض ، فاعلنت النبأ لابنها الامبراطور قسطنطين عن طريق ايقاد المشاعل .

=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=

المراجـــــع :
- ابن البطريق : اوثيشوس الاسكندرى المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ١٩٠٤ م .
٢ - ابن العبرى غريغورس ، أبو الفرج بن هارون المولود سنة ٦٢٣ هـ : تاريخ مختصر الدول . بيروت ١٩٥٨ م .
٣ - جورج يوسف : قاموس الكتاب المقدس . بيروت ١٨٩٤ م .
٤ - حتى ، فيليب : تاريخ العرب ، ترجمة محمد مبروك نافع ، بيروت ١٩٥٧ م
٥ - خليل طوطح ورفيقه : تاريخ القدس ودليلها ، القدس ، بدون تاريخ .
٦ - الدباغ ، مصطفى مراد : بلادنا فلسطين ، ج ٩ ، قسم ٢ . بيروت ١٩٧٥ م .
٧ - العابدى ، محمود : مأساة بيت المقدس ، القاهرة ١٩٧٢ م .
٨ - عارف العارف : اوراق عارف العارف ، المجموعة التاسعة .
٩ - فؤاد حسن على : الأدب العبرى ، القاهرة ١٩٦٣ .
١٠ - قاموس الكتاب المقدس ، صدر عن مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى . بيروت ١٩٧١ م .
١١ - الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٦٣ .
١٢ - مجير الدين الحنبلى ، عبدالرحمن بن محمد عبدالرحمن بن محمد العليمى المقدسى (٨١٠-٩٢٧ هـ) ، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، عمان ١٩٧٧ م .
١٣ - الأب مرمرجى الدومنيكانى : بلدانية فلسطين ، القدس ، بدون تاريخ .



يوسف بن تاشفين

في الأندلس

للشيخ إبراهيم محمد حسن الجمل
المعهد الثانوي بالجامعة الإسلامية

أطلق العرب اسم «الأندلس» على الجزء الجنوبى من شبه جزيرة «أيبريا» الواقعة فى الجنوب الغربى من قارة أوربا، والتى تسمى الآن «أسبانيا».

وكانت الأندلس تمتد الى الشمال من الوادي الكبير، والى الجنوب والشرق منه حتى بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) تجاه بلاد المغرب الأقصى حيث يفصلها عن قارة افريقيه بحر الزقاق (مضيق جبل طارق).

واطلاق العرب اسم الأندلس مأخوذ عن قبائل الفندال الذين طردوا الرومان، وأسسوا على نهر الوادي الكبير مملكة سموها باسمهم (الفندال) ومنها جاءت كلمة فندلس التى نطق بها العرب «اندلس» واطلقوها على هذه البلاد.

.....

كان العرب يتطلعون الى فتح بلاد الأندلس منذ خلافة معاوية بن أبى سفيان الى أن ولى عقبة بن نافع بلاد البربر (شمال افريقيه) وأسس مدينة القيروان، واخذ يتوغل فى الفتح حتى وصل الى بحر الظلمات (المحيط).

ولم يستسلم البربر بسهولة فقد ظل المسلمون يقاتلون مايقرب من نصف قرن ولم يخضعوا الا بعد أن فهموا مبادىء الدين الاسلامى، وعرفوا أن المسلمين ليسوا قوما مستعمرين، وانما هم أصحاب عقيدة ومبادىء ثم لم يلبثوا أن اعتنقوا الاسلام، واطمأنوا الى العرب، وأصبحوا أمة واحدة.

وفى عام ٩١ هـ أمر الوالى موسى بن نصير قائده طارق بن زياد أن يكوّن جيشا من العرب والبربر، وأن يتجه بهم إلى الأندلس، فاستعد هو ومن معه، واخترقوا بحر الزقاق، ونزلوا على صخرة هناك سميت بعد ذلك بجبل طارق، وما زال بسكان البلاد (القوط) حتى هزمهم، وقتل ملكهم لذريق. ومنذ ذلك الحين دانت البلاد للمسلمين، واستولوا عليها شيئا فشيئا، والمسلمون يتقدمون في فتوحاتهم حتى اخترقوا جبال البرانس من الشرق إلى بلاد الغال (فرنسا الجنوبية) ووصلوا إلى مدينة بردو ونهر الرُّون.

وما أن استقر المسلمون في هذه البلاد حتى نزح العرب من كل قبيلة ، وهاجر إليها كثير من أهل المدن فى شرق البلاد وغربها ، واتصل كل هؤلاء بسكان البلاد الأصليين من قوط وغيرهم ، وقد أسلم كثير منهم من مسيحيين ويهود ، فصاروا مجتمعا واحدا ، ترفرف عليه المحبة والصداقة والأخوة ، فاندمج بعضهم في بعض بالتزاوج والمصاهرة ، فنشأ جيل جديد يجرى فى عروقه الدم العربى ، ويتصف بصفات العرب من غيرة وكرامة وصفاء فى القريحة فامتازوا بدقة الإدراك ، وسعة الخيال ، وقوة الفكر ، فكان شعبا جديدا ، ألبسه الإسلام ثوبا جديدا .

ولقد حكم هذه البلاد بعد الفتح أكثر من عشرين أميرا من الأمويين ، فتوغلوا فى البلاد ، وامتد سلطانهم عليها ، ولم يدخروا وسعهم فى اسعادها ، ومحاولة أن يجعلوا منها جنة الله فى أرضه .

ثم أتى عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك من الشرق ، واستولى على البلاد ، واستتب له الأمر عام ١٤١ هـ ، وجعل عاصمة ملكة قرطبة ، وأسس بها دولة بنى أمية التى زالت من المشرق بعد أن قوضها العباسيون .

كانت أعظم دول العرب هناك ، وعصرها أزهى عصور الحضارة الإسلامية بالأندلس وقد حكمها فى هذه المدة من بنى أمية تسع عشرة خليفة ، وكان من أعظم الخلفاء عبد الرحمن الثالث الذى حكم الأندلس من عام ٣٠٠ إلى ٣٥٠ هـ .

وهكذا فقد تولى حكمها خلفاء أمويون امتازوا بكل ما يمتاز به القادة من ذكاء وعلم وخبرة ومعرفة وبطولة ، وكانوا دائما فى جهاد وعلى أهبة واستعداد للقاء الأعداء فى خارج البلاد وداخلها ، فكانوا موضع إعجاب وتكريم واحترام غير المسلمين .

• • • • •

كان المسلمون يعيشون فى سعادة وهناء ، فالخير لا ينقطع ، ولا يقل بل يكثر ويزيد على مر السنين والأيام ، ثم انقطع الناس عن تعاليم الدين ، وانشغلوا باللهو والشهوات والنساء ، فابتعدوا بما عملوا عن الدين الحنيف ، وانصرفوا عن الجهاد ، ودبَّ فيهم الخلاف ، وما كاد القرن الرابع ينتهى حتى كانوا قد انهكوا ، وزاد الشقاق ، وأصبح المسلمون ينظر بعضهم إلى بعض ، وكأنهم هم الأعداء فهذا عربى وهذا بربرى وهذا مضرى وهذا قحطانى ، وبرزت العصبية الجاهلية ، وتكونت جماعة من الأفاقين والانتهازيين ، فتطلعت إلى الحكم والرياسة ، وانتهزوا فرصة ضعف الخليفة الأموى ، فعملوا على التخلص منه حتى يقسموا البلاد بينهم .

ولكى يتخلصوا من آخر الخلفاء الأمويين، حتى يسقطوا حق بنى أمية فى المطالبة بالملك، اجتمع المتآمرون فى مجلس يدعى مجلس الكبراء فى أواخر القرن الرابع الهجرى بدعوة من ابن جهور، وأخذوا يتناقشون، واستقر رأيهم على الغاء الخلافة .

ركبوا الخيل يحيط بهم الحراس والموالى، والكل مسلحون إلى قصر الخلافة، ونادوا آخر خلفاء بنى أمية هشاما الثالث، وطلبوا منه النزول من البرج، ثم حبسوه هو ونساؤه فى قبو مظلم، يرتعد من البرد الشديد، وقد اشتد الجوع بالجميع، وكان الخليفة يحتضن ابنته الصغيرة، وهى تصرخ من شدة الجوع، ولم يقدم لها أحد شيئا، فلما تكلموا فى التنازل عن الخلافة، قاطعهم الخليفة قائلا :

نعم نعم !! إنى سأخضع إلى حكمكم كيفما كان، ولكنى أسألكم بالله تعالى أن ترسلوا لى شيئا من الخبز. . . . . إن هذه الطفلة ستموت بين يدى من الجوع، فأمروا بإحضار الخبز .

ثم قالوا :

يامولانا إن المجلس قرر أن تؤخذ عند الفجر لتسجن فى قلعة كذا فأجاب الخليفة :

فليكن. . . وليس لى الآن إلا رجاء واحد، وهو أن تأمروا لنا بمصباح لأن ظلمة هذا المكان الموحش تزعجنا وتخيفنا .

وهكذا سمع الصليبيون فى أوربا ما يفعله المسلمون بخليفة المسلمين بالأندلس، خليفة يستجدى خبزا وشمعة تضىء له ولأهله وأطفاله السجن .

. . . . .

هكذا تخلصوا من الخليفة، وقسموا البلاد التى كانت دولة واحدة الى إمارات صغيرة، يحكمها انتهازيون مخادعون أفاقون، استولوا على البلاد ليوزعوها بينهم، وتغلب كل على جهة منها، وضبط كل متغلب منهم على ما استولى عليه بكل القوة والقسوة والظلم، ولم تمر أيام حتى اعتبر كل واحد منهم انه صاحب ملك حر التصرف فيه، واحاطوا أنفسهم بكل أنواع الملذات من الحياة، وجعلوا ولاية العهد فى أعقابهم، وتسموا بأسماء مختلفة فبعضهم تسمى بالمأمون والآخر تسمى بالمستعين والمقتدر والمعتصم والمعتمد والموفق والمتوكل .

مما يزهدنى فى أرض أندلس	أسماء مقتدر فيها ومعتصم
ألقاب مملكة فى غير موضعها	كالهِرِّ يحكى انتفاخا صورة الأسد

ثم توارثها الأبناء عن الآباء، بعيدين عن تعاليم الإسلام، غارقين فى الشهوات والفساد .

يسمى المؤرخون هؤلاء الحكام ملوك الطوائف واستمر هذا العصر البغيض أكثر من سبعين عاما، كانت كل ولاية مستقلة عن الأخرى، بل إن القوى كان يلتهم الضعيف، وما فعله المعتضد زمن حكمه ولاية أشبيلية وابنه المعتمد من بعده يدعو إلى الأسى والحزن العميق . وكان الحاكم منهم لا يرى بأسا فى أن يستعين بأعداء المسلمين على إخوانه بلا وازع ولا خوف .

وهكذا مهد هؤلاء القوم لظهور اتحاد الصليبيين من ايطاليا وفرنسا وأسبانيا مهمته التخلص من المسلمين المتناحرين، ورد البلاد إلى دينها الأول .

.....

بدأوا يلعبون بالحكام المسلمين، يستولون على أطراف البلاد، ويضمونها إليهم، والحكام يميلون إلى المسالمة، ويحسبون من جهلهم أنها نوع من بعد النظر، ثم يطلبون منهم الأموال فيسرعون إلى تلبيتهم، فيعطونهم أكثر مما يطلبون، ويعدون ذلك مأمناً لهم، ووثوقاً بهم، وفجأة وجدوا أنفسهم دخلوا فى دائرة الحكام النصارى، يطلب منهم ترك ثغر من الثغور فيستجيبون مسرعين، وكان آخرهم الفونسو السادس الذى أذاق حكام المسلمين الويل والذى قال عنه المؤرخون :

«كانت شخصيته بغيضة منفره، شديدة الجشع، مطبوعة على الإجرام نزاعة إلى القسوة والغدر والخيانة» .

هذا الفونسو أخبر مجالس الكنائس أن بلاد المسلمين فى قبضته، وأنها ستسقط بين لحظة وأخرى .

بدأها بالاستيلاء على طليطلة بمساعدة المعتمد بن عباد سنة ٤٧٨ هـ ، وخرجت من قبضة المسلمين بعد أن حكمها المسلمون ما يقرب من أربعمائة سنة .

كان لسقوطها دوى فى العالم الاسلامى مشرقه ومغربه بعامة وفى الأندلس بخاصة .

راح يلعب بالحكام، وكأنهم على لوحة شطرنج، حتى أدرك المسلمون أن الحياة فى الأندلس مستحيلة، وأن أيام المسلمين فيها معدودة، وأن النصارى لن يتراجعوا حتى يستولوا على البلاد .

راح الشعراء يتباكون، ويحثون الناس على الفرار بدينهم متخذين مما حل بطليطلة حجة ودليلا .

يا أهل أندلس حثوا مطيكم ... فما المقام بها إلا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى ... ثوب الجزيرة منسول من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا ... كيف الحياة مع الحيات فى سفط

هذا ما جرى بالعُدوة الأندلسية، أما ما كان يجرى بالعُدوة فى المغرب، فقد كان فيها حركة اسلامية سلفية رائدها إقامة الشعائر الاسلامية والجهاد، وكان هو الطريق الوحيد لتخليص البلاد من كل ما يبعدها عن الإسلام الصحيح وكان المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين قد قاموا بمجهود عظيم استطاعوا به أن يخلصوا المغرب من الفرقة والجهل بأمور الدين وأن يوحدوا صفوفه ويجعلوه تحت حكم واحد وقيادة واحدة بعد أن كان ولايات مختلفة متخاذلة، وكان يوسف قد علا صيته، وانتشرت أخباره فى أوربا والأندلس، وأصبح قوة يرهبه الجميع عندئذ فكر الفقهاء والعلماء فى دعوة المرابطين لنجدتهم، إذ هم الورقة الأخيرة التى فى يد المسلمين بالأندلس واتجهوا إلى الله أن يجعل النصر على أيدى تلك الفئة المؤمنة بالله القوية به والتى تستمد النصر بالتقرب إليه وتنفيذ أحكامه .

كتبوا إلى يوسف، يرجونه أن يأتى إليهم ليخلصهم مما أوقعهم فيه ملوك الطوائف، وحثوا الأمراء والحكام على أن يتصلوا بيوسف، وذهبت الوفود إلى المغرب باكية، لتذكر ما حصل وحل ببلاد الأندلس، وكان فى مقدمة الداعين أبو الوليد الباجى الذى طاف بالممالك المختلفة يدعو الملوك إلى جمع الكلمة والاستعداد للانخراط فى صفوف المجاهدين .

علا الصوت الذى ظل زمنا طويلا لا يجد المجال لإعلان رأيه، واتصل فقهاء الأندلس باخوانهم فقهاء المغرب، وراحوا يمهدون للقاء الجيوش المرابطة التى ستحل بالجزيرة لإنقاذ البلاد .

.....

استجاب يوسف بن تاشفين لدعوة الأندلسيين، ورأى أن فريضة الجهاد توجب عليه أن يسرع لتلبية إخوانه المسلمين، لا فى الأندلس وحدها بل فى أى مكان، فقد عرف حق الجهاد، وهو بما تعلمه من الاسلام، ومعرفته للجهاد لا يفكر إلا فيه، وكانت كلمة الجهاد لا تفارق لسانه فحينما عبر البحر، وسار إلى الجزيرة الخضراء، طلب منه ابن عباد أن يستريح فى عاصمة ملكة أشبيلية فقال له :

«إنما أتينا للجهاد» .

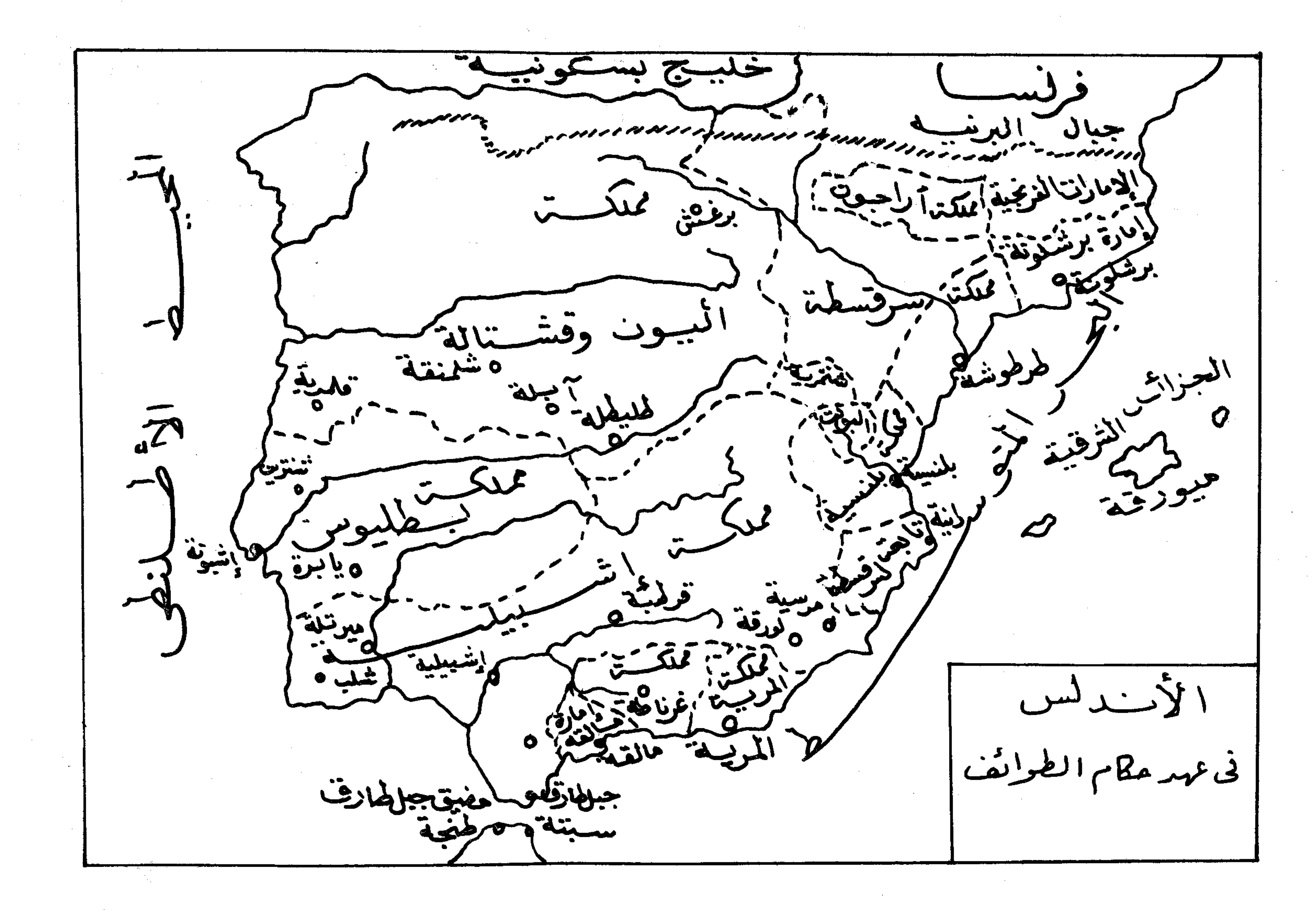
وحينما تقدم ملوك الطوائف إلى يوسف يشكو كل واحد الآخر قال لهم :

« لم نأت لهذا، والسلاطين أعلم بما يصنعون فى بلادهم !! » .

وهكذا لم يكن الدافع ليوسف إلا الجهاد، والجهاد وحده منفذا تعاليم الإمام والمربى عبد الله بن ياسين »[1] .

---

(١) راجع إن شئت كتابينا يوسف بن تاشفين وعبد الله بن ياسين .


الأندلس
في عهد حكام الطوائف
المحيط الأطلنطي
خليج بسكونية
فرنسا
جبال البرنيه
الإمارات الفرنجية
مملكة أراجون
إمارة برشلونة
برشلونة
مملكة سرقسطة
طرطوشة
مملكة ألبون وقشتالة
برغش
شلمنقة
آبلة
طليطلة
قلمرية
شنترين
مملكة بطليوس
إشبونة
يابرة
مملكة إشبيلية
ميرتلة
شلب
إشبيلية
قرطبة
مرسية
لورقة
مملكة غرناطة
غرناطة
مملكة المرية
المرية
مالقة
بلنسية
دانية
جبل طارق
مضيق جبل طارق
سبتة
طنجة
الجزائر الشرقية
ميورقة
البحر المتوسط

وبدأ الاستعداد العلمى السريع بحذر وحيطة وذكاء، فلقد انتقل من مراكش عاصمة ملكه فى قلب الصحراء إلى شاطىء البحر، وأشرف على السفن المعدة للإبحار إلى الجزيرة الخضراء مفتاح الأندلس، وتكلم مع قائده ابن عائشة، ووصاه بأن ينزل إلى الجزيرة، فيستولى عليها ويحصنها، ويراقب البحر والجبال والوديان حتى لا يؤخذ على غرة .

كان المعتمد بن عباد يعتقد - وقد استولى من قبل على الجزيرة عنوة من حاكمها المسلم - أنه سيشترك مع المرابطين فى التنظيم والإعداد إن لم يجعلوه قائدا على الجيوش، ولكنه وجد أن القوم مستقلون بأنفسهم وبأعمالهم، لا يرغبون أن يدخل بينهم إلا من هو من المرابطين .

توالت السفن تحمل العدة والعتاد والرجال من مدينة سبته المغربية - أعادها الله هى ومليلية إلى المسلمين[1] - وكان آخر جندى يركب السفينة القائد العبقرى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .

كان ذلك ضحى يوم الخميس منتصف ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمائة من الهجرة بعد أن اطمأن على عبور جيشه المبارك، وما كادت سفينة القائد العظيم تمخر عباب مضيق جبل طارق لتتجه إلى الجزيرة حتى اضطرب البحر، وتعالت الأمواج، فنهض الأمير واقفا وسط السفينة يستصرخ البارى سبحانه وتعالى وقد بسط يديه بالدعاء نحو السماء قائلا :

« اللهم إن كنت تعلم أن فى جوازنا هذا خيرا للمسلمين فسهل علينا جواز هذا البحر، وإن كان غير ذلك، فصعبه حتى لا أجوزه » .

فاستجاب الله الدعاء، فما كاد يتم كلامه - كما يقول ابن تاشفين - حتى سهل الله المركب، ووصل الطلب، وعبرت السفينة المضيق فى ريح طيبة وبحر هادىء، ووصل القائد إلى أرض الجزيرة بسلام .

.....

وما أن رأى الناس يوسف حتى دوت الأصوات بالتكبير والحمد لله، وتقدم إليه المعتمد بن عباد، ونزل عن فرسه، وأراد تقبيل يد يوسف، فمنعه من ذلك، وبادر إلى معانقته، وسأله عن حاله، وأطال معه الحديث .

وأراد المعتمد أن يأخذه إلى عاصمة ملكه ليستريح، فقال رحمه الله :

« إنما جئت ناويا الجهاد، فحيثما كان العدو توجهت » .

---

(1) سبته ومليلية مدينتان عظيمتان بأرض المغرب لا يزالان تحت السيطرة الأسبانية .

وكان يوسف قد كتب إلى سائر حكام الأندلس، فتوافدوا إليه سريعا، وكان معهم ابن بلقين حاكم غرناطه، وأخوه تميم حاكم مالقة، وعمر المتوكل صاحب بطليوس وغيرهم .

• • • • •

وصل الجميع إلى أرض المعركة فى مكان يسمى «الزلاقة» يقع على مقربة من حدود البرتغال غرب الأندلس، والذى استقر رأى أمير المسلمين على أن يعسكر فيه بعد أن أتته الأخبار بأن الفونسو يتجه بجيوشه إلى جهة الغرب من الأندلس .

فرق يوسف بين جيوش المرابطين، وجيوش الأندلس، وجعل الأولى مستقلة تماما عن غيرها بقيادته وقيادة أبى داود سليمان بن عائشة، ومعه فرسان البربر، والقائد البطل أبو بكر بن سير ومعه جيش للطوارىء ولما يستجد من أمور، وذلك حَسْب تخطيط بارع دل فيما بعد على عبقرية يوسف الحربية .

وكانت جيوش الأندلس تحت قيادة المعتمد بن عباد وابن الأفطس وأخذت مكانها فى المقدمة، بينما كانت جيوش المرابطين فى المؤخرة .

• • • • •

كانت الأخبار قد وصلت إلى الفونسو ملك قشتاله، وكان محاصراً لسرقسطة المسلمة يريد الاستيلاء عليها، ففك الحصار، وأرسل إلى جلاقة وليون وقشتاله، لترسل له الجيوش، وقد اتخذ من طليطلة مكانا للتجمع، وكذلك أرسل إلى فرنسا وايطاليا وغيرهما، وتحولت إلى حرب صليبية، رفع فيها القساوسة والرهبان والأساقفة الصلبان، ونشروا الأناجيل، ودعوا لقتال المسلمين .

وكتب الفونسو إلى المعتمد يقول :

« إن صاحبكم قد تعنى من بلاده، وخاض البحار، وأنا أكفيه العناء فيما بقى، ولا أكلفكم تعبا، أمضى إليكم، وألقاكم فى بلادكم رفقا، وتوفيرا عليكم » .

استعد الفونسو للمعركة، وقدرت جيوشه بثمانين ألف مقاتل، لأنه اعتقد أن هذه هى الضربة الأخيرة فى الأندلس، وبعدها سينتهى أمر المسلمين إلى الأبد. أرسل جواسيسه ليأتوه بالأخبار، فعرف أن جنوده أضعاف عدد المسلمين، فنظر إلى جموعه قائلا : « بهؤلاء أقاتل الجنَ والإنسَ وملائكة السماء » .

ونادى على كاتبه الذى يجيد العربية فأمره أن يكتب كتابا مطولا إلى يوسف يتوعد ويهدد وينذر .

فلما وصل الكتاب إلى أمير المسلمين أجاب مبتسما، واثقا من نصر الله قائلا: هذا كتاب مطول، اكتبوا على ظهره :

« الذى يكون ستراه » .

وأرسل إليه رسالة أخرى يخيره فيها بين الإسلام أو الجزية أو القتال . فلما وصل الكتاب إلى الفونسو، قال للرسول :

« قل لسيدك أنتم الذين تدفعون الجزية لى » .

مشيرا بذلك إلى أن معظم ملوك الطوائف كانوا يدفعون الأموال الطائلة للفونسو زيادة على ما يقتطع من الأرض والبلاد، وفى مقدمة هؤلاء الملوك المعتمد بن عباد الذى يعتبر أقوى هؤلاء الملوك .

. . . . .

أما من جهة القتال، قال الفونسو :

إن الجمعة للمسلمين، والسبت لليهود، والأحد للنصارى، وسنلتقى يوم الاثنين. وكان المعتمد يعرف غدر الفونسو، فأخبر يوسف بما ينطوى عليه الميعاد من غدر .

فقال يوسف :

« سنكون مستعدين لكل شىء » .

جاءت عيون جيش المسلمين تخبر ليلة الجمعة بالجلبة والحركة والضوضاء فى معسكر النصارى، فأخذ المسلمون أهبتهم متحفزين .

وما كاد يظهر ضوء صبح الجمعة الثانى عشر من رجب سنة تسع وسبعين واربعمائة من الهجرة حتى زحف النصارى، وبدأ القتال، وهجمت مقدمة القشتاليين والأرجوانيين بقيادة البارهانيس على القوات الأندلسية التى يقودها المعتمد بن عباد، وما كاد العدو يوجه ضربته إليهم حتى خارت قواهم ، وفروا ليعتصموا بأسوار بطليوس القريبة تاركين المرابطين وحدهم .

. . . . .

لعل خُطة الفونسو هى ضرب القوات الأندلسية، ثم القضاء على المرابطين وبهذا يتم له النصر، والاستيلاء على البلاد، وطرد المسلمين منها .

ولكن الله كان له بالمرصاد، والمولى سبحانه وتعالى هو الذى أعد يوسف لهذه الساعة، لتكون نذيرا للمسلمين كى يرجعوا إلى دينهم الحنيف .

. . . . .

كان يوسف يراقب تحركات العدو، ويأتيه المراقبون بالأخبار، ولقد ثبتت شرذمة قليلة كانت تحارب مع المعتمد بن عباد، الذى صمد أمام ضربات الأعداء، فاصدر يوسف أمره سريعا إلى قائده ابن عائشه بالاسراع إلى نجدة ابن عباد، ولكن هذه الفرقة لم تؤد الغرض الذى من أجله أرسلت، فقوات العدو الكثيرة تتقدم بسرعة، فأرسل إليهم قائده سير بن أبى بكر، ووقعت بين قوة العدو وبين القوتين معارك ضارية، وانشغل النصارى بقتال الفرقتين، ووجهوا كل اهتمامهم إلى هؤلاء، وهذا ما كان يهدف إليه القائد العبقرى، وهو ما عمد إليه يوسف، حتى يُظْهِر المفاجآت، والمفاجأة لها دخل كبير فى كسب الانتصار، وهذا ما عمد إليه يوسف، فقد نزل بنفسه إلى قلب المعركة بقوة لمتونية[1]، وبخطة لم تخطر على بال، فكانت المفاجأة الأولى، لقد انقض على جيوشهم من الخلف، وهجم على معسكراتهم، وكانت الحراسة ضعيفة، فاضرم فيها النيران التى قضت على كل ما فيها، ووثب على مؤخرة العدو، وأدار فيهم القتل .

وكانت المفاجأة الثانية وهى تحطيم الروح المعنوية فى جيش الأعداء فأمر فرق الطبول أن تضرب، فكان صوتها يشق عنان السماء، ووقع الرعب فى قلوبهم، فلم يتعودوا مثل هذا فى الحروب، وأصيبوا بزعر شديد حينما شاهدوا النيران تلتهم معسكراتهم .

ولما علم الفونسو بما حصل لمحل قيادته، إرتد على عقبيه، فاصطدم بمؤخرة المرابطين، ودارت معارك رهيبة، والقائد العبقرى العظيم فوق فرسه يتلو القرآن، ويحث جنوده على الثبات، ويرغبهم فى الاستشهاد، وصوت الطبول ما يزال يدوى فى الفضاء فيرهب الأعداء، فيولون منه الأدبار .

لقد تحكم المرابطون فى جبهة القتال، فأرسل القائد البطل أمره إلى الجنود بتغيير الخطة، وكانت المفاجأة الثالثة، فقد بدأ القتال فى صفوف متراصة متناسقة ثابتة، وهى خطة مبتكرة فى القتال لم يعهدها النصارى من قبل، أذهلت العدو، وأصبح ميدان الحرب وكأنه صالة عرض يلعب فيها المرابطون بالسيوف والرماح .

وكانت المفاجأة الرابعة، وهى الضربة الأخيرة، فقد أشار القائد المسلم العبقرى إلى القوات السودانية[2] بالنزول إلى قلب المعركة، وكان قوامها أربعة آلاف مقاتل بمزاريق الزان وسيوف الهند، فانقضوا على النصارى كالصاعقة واستطاع أحدهم أن يرسل إلى الفونسو طعنة بخنجر فى فخذه، إلا أنها لم تكن القاضية، ففر بجرحه .

---

(١) هى القبيلة البربرية التى ينتمى إليها يوسف وكانت معروفة بالشجاعة الفائقة فى القتال .

(٢) يطلقون كلمة السودانى على كل من هو من وسط أفريقية .

يقول امير المسلمين يوسف فى رسالته إلى مراكش العاصمة :

« وتسلل الفونسو تحت الظلام ، فاراً لا يهدى ولا ينام ، ومات من الخمسمائة فارس الذين كانوا معه بالطريق أربعمائة ، فلم يدخل اللعين طليطلة إلا فى مائة فارس » .

• • • • •

لقد كان نصرا مبينا ، أيده الله ورعاه ، وكان يوسف ومن معه أشداء على الكفار ، فقد وفقهم الله ، ليكونوا عظة وعبرة ، ودليلا على أن من استمسك بحبل الله فالله معاونه وناصره .

كانت الزلاقة كيوم القادسية واليرموك ، عمت بها الفرحة فى المشرق والمغرب ، ووصلت وفود المهنئين إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وأرسل الإمام الغزالى إلى يوسف يهنئه بنصر الله ويعده باللقاء ، فلقد اعتبره الأمير المثالى ، ورجا الله ودعاه أن ينصر الإسلام والمسلمين بابن تاشفين .

• • • • •

هدد الفونسو أهل الصليب بترك الأندلس للمسلمين إذا لم يساعدوه بكل ما يستطيعون فأرسلوا إليه آلاف المقاتلين ، فأخذ يستعد لقتال المسلمين ، وابتنى قرب مُرْسِية حصنا ضخما ليكون قاعدة للإغارة على تلك المناطق ، فى مكان اسمه لييط شحنه بالمقاتلة حتى بلغ حاميته ثلاثة عشر ألف مقاتل ، فيهم ألف فارس .

وبدل أن يتحد ملوك الطوائف ، ويواجهوا قوة الفونسو ومن معه ، أصبحوا يتواكلون على يوسف ، فنجد ابن عباد الذى اعتبر نفسه قائد الأندلس وحاميها ، يستعين بيوسف مرة ثانية ، فقد عبر بنفسه إلى المغرب ، والتقى بأمير المسلمين ، وعرض عليه الأمر ، فوعده يوسف خيرا ، واستعد للجواز الثانى وذلك فى عام ٤٨١ هـ .

وتوجه ومن معه من المرابطين إلى حصن لييط ، ولحق به عدد من ملوك الطوائف ومعهم قواتهم وضربوا حصارا حول الحصن دام أربعة أشهر ، والقوات من داخل الحصن تتساقط من الجوع والإعياء ، ورغم ذلك فقد كان من أهل الحصن ينقضون على المسلمين فينزلون بهم الخسران ، ثم يرجعون إلى الحصن .

ما الذى شجع أهل الحصن على ذلك؟ وهل يوجد خونة فى صفوف المسلمين؟ أو تخاذل البعض؟ الذى لا نشك فيه أن المسلمين لم يكونوا يدا واحدة !

لقد جمع يوسف كل ما يحتاج إليه من معلومات ، فقد رأى ملوك الطوائف وكيف يكيل بعضهم لبعض الاتهامات ، ويتهم بعضهم بالخيانة ، والتواطؤ مع الأعداء ، بل لقد علم أن

بعض الملوك كان على صلة بمن فى الحصن، وأنهم قدموا إليهم مساعدات أدت إلى مناعة الحصن، وأن بعضهم بدأ يخاف من قوة المرابطين المتسمة بالجد والعمل، وأن الناس فى الممالك لا حديث لهم إلا عن المرابطين، وضعف الملوك .

لقد خرج يوسف بنهاية مؤسفة من مخالطته لهؤلاء القوم وهى أنه ليس فى ملوك الطوائف من يستطيع أن يتحمل مسئولية الحكم والدفاع عن البلاد، وأنهم لا يرجى منهم نفع لا لأنفسهم ولا للمسلمين، وأنهم يتخبطون فى حياتهم ولا هم لهم إلا شيء واحد هو المحافظة على الكرسى الذى يجلسون عليه .

.....

لما أراد يوسف الرجوع إلى بلاده، اجتمع حوله الملوك، وكلموه فى أن يترك لهم جيشا يحميهم من هجوم الفونسو قال لهم :

«أصلحوا نياتكم تكفوا عدوكم» .

أثار هذا التصريح خوفهم ، فرجع بعضهم إلى دفع الإتاوة إلى الفونسو، ورجع البعض إلى التعاون معه، وقطع بعضهم المدد عن الحامية التى تركها لهم يوسف، فأهاج هذا وغيره مسلمى الأندلس، فعقدوا الاجتماعات، وأعلنوا العصيان، وأفتى الفقهاء بخلع الملوك، واتهموهم بالخيانة والكفر، وعبر عن ذلك أحد الشعراء إذ قال :

ناد الملوك وقل لهم ماذا الذى أحدثتم
أسلمتم الإسلام فى أسر العدا وقعدتم
وجب القيام عليكم إذ بالنصارى قمتم
لا تنكروا شق العصا فعصا النبى شققتم

كانت الأدلة توجب على يوسف أن يتدخل لإنقاذ الأندلس من فوضى ملوك الطوائف، لكنه أراد أن يجمع كل الأدلة حتى لا يتهم فيما يقبل عليه من أمر. لكن الكتب والفتاوى والوفود تصل إليه تطلب منه أن يسرع إلى انقاذ البلاد لا من الصليبيين وحدهم بل انقاذها من ملوك الطوائف أيضا، وكان مما ورد إلى أمير المسلمين فتوى من الإمام الغزالى وأبى بكر الطُّرْطُوشِى، فاستجاب يوسف، وجهز جيشا وعبر به إلى الأندلس فى أوائل سنة ٤٨٣ هـ .

إتجه يوسف إلى طليطلة حيث أصبحت عاصمة القشتاليين، لكنها كانت من المناعة بحيث تركها يوسف لوقت آخر، ومال إلى جنوب الأندلس صوب غرناطة، فاستسلم أميرها

عبد الله بن بلقين، ولم يستطع الفونسو أن يأتى إليه لينفذ معاهدته الدفاعية معه عام ٤٨٣ هـ وفرح الناس فرحا عظيما باستيلاء المرابطين عليها .

ثم إن القائد العظيم أرسل إلى المعتمد بن عباد لكى يتكلم معه فى شأن البلاد، ولكن بن عباد لم يستجب لأمير المسلمين، فاجتمع بقواده، ورسم لهم خطة الاستيلاء على بلاد الأندلس، وتخليصها من أيدى الملوك والأمراء، ثم غادر البلاد صائما فى رمضان عام ٤٨٣ هـ بعد أن طلب من قائده سير بن أبى بكر أن يتوجه إلى اشبيلية. واتجه هو إلى مدينة سبته فى عدوة المغرب يرقب الأحوال وتأتيه العيون بالأخبار ويجهز الجيوش، ويرسل الامدادات والتوجيهات مترقبا النتائج التى سينتهى إليها مصير الخارجين على تعاليم الإسلام وقواعده .

.....

سار جيش المرابطين بقيادة أبو عبد الله محمد بن الحاج إلى قرطبة، وكان المعتمد بن عباد أخذها عنوة، وكان يتولى أمرها ابنه المأمون، وكانت المدينة تعرف الطريقة غير المشرفة، التى أخذت بها قرطبة، فتخلى عنه الناس، واستطاع المرابطون أن يتسلقوا أسوار المدينة وأن يقتلوا المأمون هو ووزيره، وأن يخضعوها لحكمهم. ثم اتجهوا إلى اشبيلية بقيادة سير بن أبى بكر، فحاصروها أربعة شهور، وفى أثناء ذلك أرسل الفونسو حملة إلى اشبيلية بقيادة البار هانس مؤلفة من عدة آلاف، واشتبكت مع المرابطين فى أحواز اشبيلية، انتهت بانتصار المرابطين، بعد معركة جرح فيها قائد الفونسو جرحاً أدى به إلى الموت فيما بعد، ثم استطاع المرابطون أن يحدثوا ثلمة فى السور عند باب الفرج قرب باب النصر، واستولوا على القصور وما بها، ولم يقتلوا المعتمد تنفيذا لأمر أمير المسلمين.

وأصدر القائد المسلم العظيم سير بن أبى بكر أماناً للمعتمد فى النفس والأهل والولد، وأرسل أسيراً إلى أغمات حتى لا يتصل بأعداء الإسلام وكان مع عائلته. ثم أخذ المرية من حاكمها معز الدولة أحمد بن المعتصم بن صمادح، وكذلك رنده وكان يحكمها الراضى بن المعتمد، وميرتله وكان يتولى أمرها المعتد بن المعتمد، وبطليوس وكان صاحبها ابن الأفطس قد تعاون وتحالف مع النصارى ضد أبناء جلدته فانتصروا عليه وعلى من عاونه، وقتل هو وأولاده جزاء خيانته، عام ٤٨٨ هـ .

وكان آخر ما استولى عليه المرابطون «بُلَنْسِيَة» فقد أنفقوا جهودا كبيرة لإنقاذها من القمبيطور وعصابته من القشتاليين فى حرب مثيرة[1] عام ٤٩٥ هـ .

.....

(١) راجع «بلنسية الشهيدة» ص ١٦٥ من كتابنا يوسف بن تاشفين .

وبرجوع بُلَنْسِيَة خلصت البلاد الأندلسية ماعدا ولاية سرقسطة وكان يحكمها المستعين فأرسل إلى أمير المسلمين مظهرا المسالمة قائلا :
«نحن بينكم وبين العدو سد لايصلكم منه ضرر» وأبدى استعداده لتحصين البلاد، وضبط أمورها فوافق الأمير على ذلك .

وبهذا استقر الحكم للمسلمين، وأصبحت الأندلس دولة مسلمة موحدة .

.....

فى عام ٤٩٤ أو قريبا من ذلك عبر يوسف عبوره الأخير، وكان قد عهد إلى القائد سير بن أبى بكر بأمور الأندلس، ولما كان من عادة يوسف إذا خرج من عاصمة البلاد أن يكون ناويا الجهاد، فقد وجه جيشا بقيادة محمد بن الحاج إلى جهة طليطلة، وكانت لا تزال عاصمة قشتالة فالتقى بالفونسو وجيشه قريبا منها، فانهزم جيش الفونسو متكبداً خسائر كبيرة .

ثم توجه يوسف إلى قرطبة عام ٤٩٥ هـ ، وأخذ البيعة لابنه على بن يوسف بن تاشفين لما يتمتع به من النباهة والحزم والتقوى، فقد كان مقتفيا سيرة والده. فووفق على ما طلب، وأشار على عَلىّ أن ينشىء فى الأندلس جيشا مرابطيا ثابتا، وأن يحسن السياسة والرفق والعناية بالأندلس ورجع إلى عاصمة ملكه «مراكش» وفى عام ٤٩٩ هـ تزايدت العلة بأمير المسلمين وهو معظم مهوب لا يخلد إلى راتبه ولا يسكن إلى دعه .

وما زالت حالته تسوء، ويذبل جسمه شيئا فشيئا حتى وافه الأجل المحتوم، فتوفى رحمه الله سنة ٥٠٠ هجرية بمراكش عن مائة عام كاملة، فكان لوفاته وقع عظيم فى المغرب والأندلس والمشرق العربى. ورثاه العلماء والفقهاء والشعراء ومما قاله أبو بكر بن سوار الأشبونى :

اسمع أمير المسلمين وناصر الـ ـدين الذى بنفوسنا نفديه
جوزيت خيرا من رعيتك التى لم ترض فيها غير ما يرضيه
تصل الجهاد إلى الجهاد موفقا حتم القضاء بكل ما تقضيه
متواضعا لله تظهر دينه فى كل ما تبديه أو تخفيه

رحمه الله ورضى عنه .

إحياء التراث الإسلامي



تحقيق جزء الضعفاء والمتروكين

للإمام الدارقطني

للشيخ عبد الرحيم محمد القشقري
محاضر بكلية الحديث الشريف بالجامعة

الإمام الدارقطني :

هو الإمام أبو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي صاحب السنن . ولد سنة ست وثلاث مائة ٠

سمع البغوي وابن صاعد وابن دريد ٠

ومن تلامذته أبو بكر البرقاني وحمزة بن محمد بن طاهر والأزهري . وخلق ٠

قال الذهبي : ـ سمع ببغداد والبصرة والكوفة وواسط وارتحل في كهولته إلى مصر والشام وصنف التصانيف الفائقة ٠

قال الخطيب البغدادي : ـ كان فريد عصره وإمام وقته وانتهى علم الأثر والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال مع الصدقة والثقة وصحة الاعتقاد والاضطلاع من علوم كالقراءات فإن له فيها مصنفاً سبق فيه إلى عقد الأبواب قبل فرش الحروف وتأسى القراء بعده ٠

قلت : ـ وكتابه العلل الكبير يشهد له بالعلم وسعة الاطلاع في أقوال المتقدمين وأهل عصره ٠

وقد نسب إلى التشيع لسبب حفظه ديوان السيد الحميري . وهى تهمة ردها الإمام الذهبي رحمه الله ٠

وهناك مواقف تدل على عظيم شأنه ودقة انتباهه لما يملي في المجالس فمن تلك ما نقله الخطيب البغدادي عن الأزهري حيث قال : بلغني أن الدارقطني حضر في حداثته مجلس إسماعيل الصفار وقعد ينسخ جزءاً والصفار يملي ٠ فقال رجل ـ للدارقطني ـ : لا يصح سماعك وانت تنسخ ٠ فقال : فهمي للإملاء خلاف فهمك ٠ اتحفظ كم أملى الشيخ ٠ قال : لا أدرى ٠ قال : أملى ثمانية عشر حديثاً ٠ الحديث الأول عن فلان عن فلان ومتنه كذا وكذا ٠ والحديث الثاني عن فلان عن فلان ٠ ومتنه كذا وكذا ٠ ومر في ذلك حتى أتى على الأحاديث فتعجب الناس منه ٠

مات رحمه الله سنة خمس وثمانين وثلاثمائة (١) ٠

---

(١) لاستيفاء ترجمته انظر تاريخ بغداد ٣٤/١٢ ، تذكرة الحفاظ ٩٩١/٣ ٠

كتـــاب الضعفـــاء :

يعتبر كتاب الإمام الدارقطني من أمهات الكتب التى اعتمد عليها المصنفون في علم الجرح والتعديل . كميزان الاعتدال ـ ولسان الميزان ـ وتهذيب الكمال وغيرها من الكتب التى أصبحت فيما بعد من المراجع المهمة للباحثين ٠

وأن كلام الدارقطني في الضعفاء ليس مقصوراً على كتابه الذي بين أيدينا بل تكلم عنهم في كتابه السنن وكتابه العلل وهذا ما يفسر لنا اختلاف لفظ التضعيف في راو ما في المراجع المختلفة التى وقفت عليها ٠

ومن الغريب حقاً ان نرى ثبوت المصنف على قوله في التصنيف بعكس الإمام ابن حبان البستي مثلاً حيث يذكر ـ أحياناً ـ بعض الرواة في كتابه المجروحين ثم يعيد ذكرهم في كتاب الثقات ٠ مما يدل على أن الدارقطني لم يصدره حكمه في ذلك الراوي إلا بعد دراسة لحاله ورواياته ومن أجل هذا جاء كلامه ثابتاً عنه ٠

وعند مقابلتي لأقواله مع أقوال غيره لم أجد من الغير تردداً في أي راو تكلم عنه الدارقطني بل هناك بعض علماء الجرح تكلموا في الراوي كلاماً أشد من كلام الدارقطني مما يرجح تأدب الدارقطني في هذه الناحية طالما انه استطاع ان يبين حال الرواة ٠

وفي الحقيقة لم أتمكن من التعليق على جميع الذين تكلم عنهم لان الغرض هو احياء هذا الجزء ليكون في متناول الباحثين الذين يفتقدون هذا الكتاب إن لم يكن كلهم فجلهم ٠ ولعل نشره في مجلة جامعية يعفيني من المطالبة بتكثير الحواش لأن الغرض هو الكتاب وليس الحاشية ٠

وأرجو أن أكون ممن ساهم ولو بجهد قليل في إحياء هذا التراث النادر ٠ وانني آمل أن أقدم موضوعاً منفصلاً عن الدارقطني ومؤلفاته وجهوده في إحياء السنة النبوية ٠

جزء فيه الضعفاء والمتروكون :

لأبي الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني ٠

رواية ؛ أبي محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري عنه ٠

رواية ؛ أبي منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون عنه اجازة ٠

رواية ؛ الشيخة أم عبد الكريم فاطمة بنت أبي الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري ٠

رواية ؛ أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن أحمد المقدسي عنها سماع منه لعبد الحافظ بن عبد المنعم بن غازي الكوري ٠

قال أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي البرقاني : طالت محاورتي مع أبي منصور ابراهيم بن الحسين بن حمكان لأبي الحسن على بن عمر الدارقطني - عفا الله عني وعنهما - في المتروكين من أصحاب الحديث فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الورقات ·

أبـــواب الألف : بـــاب إبراهيم

١ - إبراهيم بن الفضل المدني المخزومي عن المقبري روى عنه إسرائيل وكناه أبا اسحاق (١) ·

٢ - ابراهيم بن الحكم بن أبان العدني ·

قال أحمد بن حنبل : في سبيل الله دراهم انفقناها إلى عدن إلى إبراهيم بن الحكم (٢) ·

٣ - إبراهيم بن علي الرافعي · يروى عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم :

« صلى على النجاشي فكبر عليه خمسا » ·

روى عنه أيوب بن حسن بن علي بن أبي رافع عن أبيه (٣) ·

٤ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي (٤) ·

يحدث عن أبيه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم : لا تجعلوني كقدح الراكب (٥) ·

لا يتابع عليه · روى عنه موسى بن عبيدة ·

٥ - إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهري مدني يروى عن أبيه (٦) ·

٦ - إبراهيم بن خثيم بن عراك بن مالك · بغدادي (٧) ·

٧ - إبراهيم بن عثمان · أبو شيبه قاضي واسط ·

---

(١) قال الذهبي تركه غير واحد - ت ق - (ديوان ١١) ·

(٢) قال الذهبي متروك - ق - ·

ونقل قول الإمام أحمد في الميزان - ولم أجد هذه العبارة في كتاب العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد ·

انظر (ديوان ٩ ، ميزان الاعتدال ٢٧/١) ·

(٣) قال البخاري فيه نظر التاريخ الكبير ٣١٠/١/١ ·

(٤) قال البخاري : لم يثبت حديثه روى عنه موسى بن عبيدة · ضعف لذلك ·

وقال ابن حبان : من أهل المدينة منكر الحديث ولا أعلم له راويا الا موسى بن عبيدة الربذي · وموسى ليس بشيء في الحديث ولا أدرى البلية في أحاديثه والتخليط في روايته منه أو من موسى · انظر (التاريخ الكبير ٣٢٠/١/١ ، المجروحين ١٠٨/١) ·

(٥) العقيلي ·

(٦) قال الذهبي تركوه (ديوان ١٢) ·

(٧) قال النسائي متروك الحديث بغدادي (الضعفاء والمتروكين ١٣) ·

حدثني أبو شيبه عن الحكم بن إبراهيم بن عطية أبو إسماعيل الثقفي واسطي · ذكر عنه هشيم عن مغيرة عن إبراهيم ·

(النظر في مرآة الحجام دنأة) (١) ·

٨ ـ إبراهيم بن عمر بن أبان بصري سمع أباه يحدث عن عمر وعثمان بن عفان · روى عنه أبو معبد البراد روى عن الزهري حديثا لم يتابع عليه (٢) ·

٩ ـ إبراهيم بن عمر بن سفينه يقال له برية · حدث عنه أبو معشر البراء · لا يعرف أبوه إلا به ·

روى عنه ابن أبي فديك وإبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي والبصريون (٣) ·

١٠ ـ إبراهيم بن هراسة الكوفي أبو اسحاق الشيباني يروي عن الثوري ما لا يتابع عليه (٤) ·

١١ ـ إبراهيم بن هدبه بصري · عن أنس (٥) ·

١٢ ـ إبراهيم بن يزيد الخوزي · أبو إسماعيل سكن شعب الخوز (٦) ·

١٣ ـ إبراهيم بن محمد بن أبي يحى الأسلمي المديني (٧) ·

١٤ ـ إبراهيم بن حيان بن حكيم ويقال ابن البرأ من ولد أنس عن شعبة ومالك وحماد بن زيد وشريك (٨) ·

١٥ ـ إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر التميمي حجازي عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن (٩) ·

١٦ ـ إبراهيم بن أبي حية وإسم أبي حية اليسع ـ روى عنه قتيبة وداود بن حماد بن فراصة (١٠) ·

١٧ ـ إبراهيم بن زيد الاسلمى عن مالك (١١) ·

---

(١) قال النسائي متروك الحديث (الضعفاء والمتروكين ١٣) ·

(٢) قال ابن حبان ليس ممن يحتج بخبره اذا انفرد · (المجروحين ١/١١٠) ·

(٣) ترجم له الذهبي في موضعين : الأول في باب إبراهيم ـ والثاني في باب برية · انظر (ميزان الاعتدال ١/٥٠/٣٠٦) ·

(٤) قال فيه مسلم : ذاهب الحديث (الكنى والأسماء ١/٦) ·

(٥) قال الذهبي : كذاب (ديوان ١٣) ·

(٦) قال الذهبي : متروك (ديوان ١٤) ·

(٧) قال الذهبي : متروك عند الجمهور · وقال أبو داود : كان قدريا رافضيا (ديوان ١٢) ·

(٨) قال الذهبي : كأنه ابن البرأ واه (ديوان ٩) ·

(٩) قال الذهبي : قال الدارقطني ضعيف (ميزان الاعتدال ١/٢٤) ·

(١٠) قال ابن عراق : ابن أبي حية بالمثناة التحتية المشددة (تنزيه الشريعة ١/٢١) ·

(١١) قال ابن حبان : منكر الحديث جدا (المجروحين ١/١١٣) ·

١٨ ـ إبراهيم بن عمرو بن بكر السكسكي رملي متروك يروى عن جعفر بن محمد وعن ابن جريج وإسماعيل بن أمية • وروى عن هشام بن عروة حديثا مسندا (١) •

١٩ ـ إبراهيم بن مهاجر بن مسمار المدني (٢) • والكوفي هو جابر يعتبر به •

٢٠ ـ إبراهيم بن عبيد الله بن همام بن أخي عبد الرزاق عن عمه كذاب يضع الحديث (٣) •

٢١ ـ إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي عن الحارث بن عطية ووكيع (٤) •

٢٢ ـ إبراهيم بن زكريا العبدساني يروى عن خالد الواسطي (٥) •

٢٣ ـ إبراهيم بن علي الغزي سكن الكوفة عن مالك ويزيد بن عبد العزيز بن سياه (٦) •

٢٤ ـ إبراهيم بن محمد بن صدقة العامري كوفي يروى عن مروان الفزاري وسعيد بن عبد العزيز (٧) •

٢٥ ـ إبراهيم بن صالح بن درهم الباهلي بصري مقل يروي عن أبيه (٨) • أبوه صالح ثقة (٩) •

٢٦ ـ إبراهيم بن صرمة بن أبي صرمة الأنصاري عن يحيى بن سعيد الأنصاري (١٠) •

٢٧ ـ إبراهيم بن حماد بن أبي حازم الزهري الضرير سكن مصر عن مالك والحجازي (١١) •

٢٨ ـ إبراهيم بن بشير مكي عن مالك وابن عيينه ومعاوية الضال وحباب بن فضالة (١٢) •

٢٩ ـ إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع سمعته يقول متروك (١٣) •

---

(١) قال الذهبي : قال الدارقطني متروك (ديوان ١١) •

(٢) قال النسائي : ضعيف مدني (الضعفاء والمتروكين ١٢) •

(٣) انظر (تنزيه الشريعة ٢٢١) •

(٤) قال ابن حبان : يسوي الحديث ويسرقه (المجروحين ١١٦/١) •

(٥) قال الذهبي : هو العبدسي وعبدسي من قرى واسط (ميزان الاعتدال ٣١/١) •

(٦) قال ابن حجر : قال الدارقطني روى عن سويد بن عبد العزيز بن سياه (لسان الميزان ٨٤/١) •

(٧) قال الذهبي : ضعيف (ديوان ١٢) •

(٨) قال الذهبي : ضعفه الدارقطني (ديوان ١٠) •

(٩) وثقه ابن معين من الرابعة ـ د ـ (التقريب والتهذيب ١٤٩) •

(١٠) قال ابن معين : كذاب خبيث (لسان الميزان ٥٠/١) •

(١١) قال ابن حجر : ضعفه الدارقطني (لسان الميزان ٥٠/١) •

(١٢) قال ابن حجر : قال الدارقطني ضعيف (لسان الميزان ٤٠/١) •

(١٣) قال ابن حجر : ضعيف من السابعة ـ خت ق ـ •

٣٠ ـ إبراهيم بن إسماعيل الصيني سمعته يقول متروك (١) ٠

٣١ ـ إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة سمعته يقول متروك (٢) ٠

=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X

بـــاب أحمـــــــد

٣٢ ـ أحمد بن عطاء الهجيمي بصري يروي عن خالد العبد (٣) ٠

٣٣ ـ أحمد بن أخت عبد الرزاق كذاب (٤) ٠

٣٤ ـ أحمد بن الحسن المضري متأخر كذاب (٥) ٠

٣٥ ـ أحمد بن عبد الله الفريابي مروزي حدثونا عنه يروي عن أبي عاصم النبيل (٦) ٠

٣٦ ـ أحمد بن عبد الله الجويباري هروى كذاب (٧) ٠

٣٧ ـ أحمد بن معدان العبدي عن ثور بن يزيد روي عنه محمد ابن وزير الواسطي متروك (٨) ٠

٣٨ ـ أحمد بن علي بن أخت عبد القدوس عن مالك ٠ مقل متروك ٠

٣٩ ـ أحمد بن محمد الأنصاري أبو عقبة بصري سكن الجزيرة عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى حدث عنه هلال بن العلا (٩) ٠

٤٠ ـ أحمد بن محمد بن مالك بن أنس عن ابن أبي أويس عن أبيه عن جده (١٠) ٠

٤١ ـ أحمد بن عاصم الموصلي عن مالك (١١) ٠

---

(١) انظر (ديوان ٨) ٠

(٢) قال الذهبي ونفسه أحمد وضعفه غيره (ديوان ٨) ٠

(٣) قال ابن حجر : قال الدارقطني متروك (لسان الميزان ٢٢١/١) ٠

(٤) قال ابن عراق : متهم (تنزيه الشريعة ٣٠/١) ٠

(٥) قال ابن عراق : المضري بضم الميم وبالضاد المعجمة ٠ كذبه الدارقطني (تنزيه الشريعة ٢٦/١) ٠

(٦) قال أبو نعيم : كان وضاعا (تنزيه الشريعة ٢٨/١) ٠

(٧) قال ابن عراق : دجال وضع حديثا كثيرا (تنزيه الشريعة ٢٨/١) ٠

(٨) (ديوان ٦) ٠

(٩) قال الذهبي : ضعيف واه (ديوان ٦) ٠

(١٠) قال ابن حبان : منكر الحديث (لسان الميزان ٢٩٢/١) ٠

(١١) (ديوان ٥) ٠

٤٢ ـ أحمد بن دهثم الأسدي عن مالك متروك (١) ٠

٤٣ ـ أحمد بن سليمان القرشي الخفتاني عن مالك متروك (٢) ٠

٤٤ ـ أحمد بن الحكم العبدي كوفي عن شريك والكوفيين (٣) ٠

٤٥ ـ أحمد بن يحي الأحول الكوفي عن مالك وشريك (٤) ٠

٤٦ ـ أحمد بن عمار بن نصر عن مالك مقل (٥) ٠

٤٧ ـ أحمد بن محمد صاحب بيت الحكمة له حديث واحد عن متروك (٦) ٠

٤٨ ـ أحمد بن محمد بن عمر بن يونس بن القاسم يماني عن جده وعبد الرزاق (٧) ٠

٤٩ ـ أحمد بن الحسن بن القاسم الكوفي سكن مصر ـ يعرف برسول نفسه عن ابن عيينه ووكيع متروك (٨) ٠

٥٠ ـ أحمد بن عبد الله بن ميسرة النهاوندي أبو ميسرة عن أبي معاوية والكوفيين (٩) ٠

٥١ ـ أحمد بن داود بن عبد الغفار الحراني عن أبي مصعب متروك كذاب (١٠) ـ وجده عبد الغفار بن داود من الثقات (١١) ٠

٥٢ ـ أحمد بن عيسى بن عبد الله بن محمد أبو طاهر عن ابن أبي فديك وابنه وأبوه عيسى يعرف بمبارك وجده عبد الله بن صالح حدث عنه أبو أسامة كذاب (١٢) ٠

٥٣ ـ أحمد بن طاهر بن حرمله بن يحي التجيبي مصري يكذب (١٣) ٠

٥٤ ـ أحمد بن محمد بن عيسى السكوني بغدادي عن أبي يوسف القاضي وأبي بكر بن عياش (١٤) ٠

---

(١) (ديوان ٣) ٠

(٢) قال الذهبي : قال الدارقطني متروك كذاب (ديوان ٣) ٠

(٣) انظر (ديوان ٣) ٠

(٤) انظر (ديوان ٧) ٠

(٥) قال ابن حجر : قال الدارقطني متروك (لسان الميزان ٢٣٤/١) ٠

(٦) قال ابن حجر : قال الدارقطني حدث عن مالك ٠ متروك (لسان الميزان ٢٩٦/١) ٠

(٧) قال الحاكم : له افراد وعجائب (ميزان الاعتدال ١٤٧/١) ٠

(٨) انظر (ميزان الاعتدال ٩٠/١) ٠

(٩) قال ابن حبان : يسرق أحاديث الثقات ويلزقها بأقوام اثبات لا يحل الاحتجاج به (المجروحين ١٤٤/١) ٠

(١٠) انظر (ديوان ٣) ٠

(١١) قال ابن حجر : ثقة فقيه من العاشرة ـ خ د س ق ـ (تقريب التهذيب ٢١٦) ٠

(١٢) انظر (ميزان الاعتدال ١٢٦/١) ٠

(١٣) انظر (ديوان ٤) ٠

(١٤) انظر (ديوان ٥) ٠

٥٥ ـ أحمد بن ميتم بن أبي نعيم الفضل بن دكين كوفي عن جده وعلي بن قادم (١) ·

٥٦ ـ أحمد بن صالح المكي السمومي أبو جعفر يحدث عنه شيوخنا (٢) ·

٥٧ ـ أحمد بن محمد بن خالد بن مرداس غلام خليل متروك (٣) ·

٥٨ ـ أحمد بن محمد بن مفلس بن الصلت الحماني أبو العباس ابن أخي جبارة بن المفلس البغدادي عن مالك الزاهد واسماعيل بن أبي أويس وأبي عبيد ومن بعدهم يضع الحديث (٤) ·

٥٩ ـ أحمد بن محمد بن عمرو بن مصعب بن بشر أبو بشر المروزي يضع الحديث عن أبيه عن جده (٥) ·

٦٠ ـ أحمد بن العباس الهاشمي أبو بكر البصري زوج أم موسى عن محمد بن عبد الأعلى الصنعاني متروك (٦) ·

٦١ ـ أحمد بن محمد بن حرب أبو الحسن الملحمي حدث عنه شيخنا الأنبدونى (٧) ·

٦٢ ـ أحمد بن محمد بن الفضل المقدسي الأيلى عن نصر بن علي وغيره (٨) ·

٦٣ ـ أحمد بن محمد بن الأزهر بن حريث السجستاني حدثونا عنه أبو العباس الأزهري وبلغني أن ابن خزيمة حسن الرأى فيه (٩) ·

٦٤ ـ أحمد بن علي بن سلمان المروزي عن إبراهيم بن المنذر والمدنيين (١٠) ·

٦٥ ـ أحمد بن أبي سليمان القواريري بغدادي أبو جعفر عن حماد بن سلمة روى عنه ابن مخلد ونهشل من باب الشعير (١١) ·

---

(١) انظر (ديوان ٦) ·

(٢) انظر (ميزان الاعتدال ١٠٤/١) ·

(٣) قال ابن عراق : معروف بالوضع (تنزيه الشريعة ٣٣/١) ·

(٤) انظر (لسان الميزان ٢٦٩/١ ، تنزيه الشريعة ٣٣/١) ·

(٥) قال ابن عراق : كذاب وضع شيئا كثيرا (تنزيه الشريعة ٣٣/١) ·

(٦) قال الذهبي : ساقط (ديوان ٤) ·

(٧) قال ابن عدى : يتعمد الكذب ويضع (ميزان الاعتدال ١٣٤/١) ·

(٨) قال الذهبي : دجال (ديوان ٦) ·

(٩) قال السلمي : سألت الدارقطني عن الأزهري فقال منكر الحديث لكن بلغني أن ابن خزيمة حسن الرأى فيه ويكفي بهذا فخرا (ميزان الاعتدال ١٣١/١) ·

(١٠) (ديوان ٥) ·

(١١) قال ابن حجر : قال الدارقطنى روى عن حماد بن سلمة مقلوبات كان مغفلاً يترك ولا يحتج به · وقال في العلل ضعيف (انظر لسان الميزان ١٨٣/١) ·

٦٦ ـ أحمد بن حمك النيسابوري أبو حفص عن ابن ماسرجس ونظرائه (١) .

٦٧ ـ أحمد بن عبد الله بن يزيد المؤدب أبو جعفر يعرف بالهشيمي عن عبد الرزاق (٢) .

٦٨ ـ أحمد بن الخليل بن مالك بن ميمون أبو العباس بغدادي يعرف بجور عن أبي بكر بن عياش والأصمعي وزينب بنت سليمان (٣) .

٦٩ ـ أحمد بن خالد الشيباني عن عيسى بن يونس (٤) .

٧٠ ـ أحمد بن يحي بن أبي العباس الخوارزمي عن ابن فهزاد وغيره متروك (٥) .

٧١ ـ أحمد بن الخليل القومسي ضعفه أبو زرعة الرازي (٦) .

٧٢ ـ أحمد بن عيسى بن زيد التنيسى عن أبي حفص وعبد الله بن يوسف مصري ليس بالقوي (٧) .

بـــاب إســـماعيل

٧٣ ـ إسماعيل بن أبي إسحاق أبو اسرائيل الملائي (٨) .

٧٤ ـ إسماعيل بن أبان الفنوي كوفي أبو اسحاق القيسي الكوفي عن الحكم وعطية وفضيل بن عمرو الخياط عن هشام بن عروة (٩) .

٧٥ ـ إسماعيل بن سلمان الكوفي الأزرق عن أبيه والشعبي وابن عمر (١٠) .

٧٦ ـ إسماعيل بن مسلم المكي أصله بصري عن الحسن وابن سيرين وقتادة والحكم والأعمش والزهري (١١) .

---

(١) ميزان الاعتدال ٩٥/١ .

(٢) قال ابن عدى : كان بسامراء يضع الحديث . ميزان الاعتدال ١٠٩/١ .

(٣) قال الذهبي : قال الدارقطني ضعيف لا يحتج به . ميزان الاعتدال ٩٦/١ .

(٤) قال الذهبي : جرحه الدارقطني ديوان ٣ .

(٥) لسان الميزان ٣٢١/١ .

(٦) وقال أبو حاتم : كذاب . الجرح والتعديل ٥٠/١/١ ، لسان الميزان ١٦٧/١ .

(٧) قال أبو حاتم : تكلم الناس فيه . الجرح والتعديل ٦٤/١/١ .

(٨) قال ابن حجر : سيء الحفظ ـ ت ق ـ من السابعة . تقريب التهذيب ٣٣ .

(٩) متروك رمى بالوضع ـ تميز ـ من التاسعة . تقريب التهذيب ٣١ .

(١٠) قال الذهبي : ضعفوه ـ ق ـ ديوان ٢١ .

(١١) متفق على ضعفه . ديوان ٢٣ .

٧٧ ـ إسماعيل بن يعلي أبو أمية الثقفي بصري متروك (١) ٠

٧٨ ـ إسماعيل بن رافع هو أبو رافع مدني عن أنس وابن أبي مليكة والمقبري والزهري ٠ شيخ العطاف بن خالد والوليد بن مسلم وغيرهما ـ روى عن أنس حديثا طويلا في الطهارة والحج (٢) ٠

٧٩ ـ إسماعيل بن يحي بن عبيد الله التيمي حوال عن ابن جريج والثوري حدث عنه هلال بن العلاء متروك كذاب (٣) ٠

٨٠ ـ إسماعيل بن عباد بصري عن ابن أبي عروبه عن قتادة متروك (٤) ٠

٨١ ـ إسماعيل بن محمد بن يوسف الجبريني أبو هارون عن أبي عبيد وعن حبيب كاتب مالك وغيره (٥) ٠

٨٢ ـ إسماعيل بن رجاء الحصني جزري عن موسى بن أعين (٦) ٠

٨٣ ـ إسماعيل بن أبي زياد وهو إسماعيل بن مسلم السلولي ويقال الشعيري كوفي عن داود بن أبي هند وابن عون يضع كذاب متروك (٧) ٠

٨٤ ـ إسماعيل بن يحي بن سلمة بن كهيل سمعته يقول متروك (٨) ٠

٨٥ ـ إسماعيل بن عمرو البجلي الأصبهاني ضعيف (٩) ٠

٨٦ ـ إسماعيل بن محمد المزني كوفي حدثونا عنه كذاب ٠

٨٧ ـ إسماعيل بن هود الواسطى ليس بالقوي يكني أبا إبراهيم (١٠) ٠

---

(١) ميزان الاعتدال ٢٥٥/١ ٠

(٢) قال ابن حجر ضعيف الحفظ من السابعة ٠ تقريب التهذيب ٣٣ ٠

(٣) قال صالح جزره : كان يضع الحديث ٠ تنزيه الشريعة ٤٠/١ ٠

(٤) ديوان ٢١ ٠

(٥) قال ابن طاهر : كذاب ٠ تنزيه الشريعة ٣٩/١ ٠

(٦) اتهمه ابن عدى ٠ تنزيه الشريعة ٣٨/١ ٠

(٧) لسان الميزان ٤٠٦/١ ٠

(٨) ميزان الاعتدال ٢٥٤/١ ٠

(٩) قال الذهبي : ضعفه غير واحد ٠ ديوان ٢٢ ٠

(١٠) ميزان الاعتدال ٢٤٦/١ ٠

بـــــاب إســـــحاق

٨٨ ـ إسحاق بن بشر بن مقاتل أبو يعقوب الكاهلي كوفي متروك (١) ·

٨٩ ـ إسحاق بن إدريس الأسواري بصري عن همام وأبان منكر الحديث (٢) ·

٩٠ ـ إسحاق بن بشر أبو حذيفة البخاري كذاب متروك (٣) ·

٩١ ـ إسحاق بن نجيح الملطي عن عطاء الخراساني وابن جريج وهشام بن حسان متروك (٤) ·

٩٢ ـ إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة متروك (٥) · له ثلاثة اخوة ثقات ـ وابن عمهم أبو علقمة ثقة ·

٩٣ ـ إسحاق بن الصباح الأشعثي من ولد الأشعث بن قيس الكندي عن عبد الملك ابن عمير روى عنه الخريبي · لجده صحبه (٦) ·

٩٤ ـ إسحاق بن أبي يحي الكعبي عن ابن جريج روى عنه علي بن معبد المصري منكر الحديث (٧) ·

٩٥ ـ إسحاق بن إبراهيم بن نسطاس مدني · أبو يعقوب مولى آل كثير بن الصلت عن سعد بن اسحاق بن كعب بن عجره (٨) ·

٩٦ ـ إسحاق بن إبراهيم الطبري يماني منكر الحديث (٩) ·

٩٧ ـ إسحاق بن سعيد (بن أبي كعب) (١٠) شامي منكر الحديث ·

٩٨ ـ إسحاق بن محمد بن عبيد الله العرزمي أخو عبد الرحمن واخوه متروك رأسا (١١) ·

---

(١) قال الذهبي : كذاب · ديوان ١٧ ·

(٢) قال الذهبي : كذاب · ديوان ١٧ ·

(٣) قال الذهبي : متروك متهم · ديوان ١٧ ·

(٤) قال ابن حجر : كذبوه من التاسعة ـ تميز ـ تقريب التهذيب ٣٠ ·

(٥) قال ابن حجر : متروك من الرابعة ـ د ت ق ـ تقريب التهذيب ٢٩ ·

(٦) قال الذهبي : ضعفه يحى والدارقطني ، وقل ما روى · ميزان الاعتدال ١٩٢/١ ·

(٧) قال الذهبي : هالك يأتي بالمناكير عن الاثبات · ميزان الاعتدال ٢٠٥/١ ·

(٨) قال البخاري : فيه نظر · التاريخ الكبير ٣٨٠/١/١ ·

(٩) ميزان الاعتدال ١٧٧/١ ·

(١٠) في الحاشية ابن اركون وهو الصواب لموافقته لكتب الرجال · انظر ميزان الاعتدال ١٩٢/١ ·

(١١) قال الذهبي : عن اسحاق تكلم فيه · وقال عن أخيه : ضعفه الدارقطني · انظر ميزان الاعتدال ١٩٩/١ ، ديوان ١٩٠ ·

٩٩ ـ إسحاق بن وهب الطهرمسي من قرى مصر كذاب متروك يحدث بالأباطيل عن عبد الله بن وهب وغيره (١) ·

١٠٠ ـ إسحاق بن عمر عن عائشة مجهول يترك (٢) ·

بـــــاب أبـــــان

١٠١ ـ أبان بن أبي عياش بصري وهو ابن فيروز يحدث عن أنس متروك (٣) ·

١٠٢ ـ أبان والد يزيد بن أبان الرقاشي مجهول لا يعرف الا بابنه له حديث واحد (٤) ·

١٠٣ ـ أبان بن سفيان جزري متروك (٥) ·

١٠٤ ـ أبان بن المجد روى عنه مروان الفزاري مقل متروك (٦) ·

١٠٥ ـ أبان بن جبلة كوفي (٧) ·

بـــــاب يجمـــع جمـــــاعة

١٠٦ ـ أيوب بن خوط بصري متروك (٨) ·

١٠٧ ـ أيوب بن سيار مدني نزل فيد يعرف بالفيدي منكر الحديث (٩) ·

١٠٨ ـ أيوب بن مدرك الحنفي شامي متروك (١٠) ·

١٠٩ ـ أيوب بن واقد نزل البصرة مقل كوفي (١١) ·

١١٠ ـ أصله عن عثمان بن حكيم وهشام بن عروة منكر الحديث ·

١١١ ـ أشعث بن بزار بصري مقل منكر الحديث ·

١١٢ ـ أشعث بن سعيد أبو الربيع السمان بصري متروك ·

---

(١) ميزان الاعتدال ٢٠٣/١ ·

(٢) ميزان الاعتدال ١٩٥/١ ·

(٣) قال الإمام أحمد : ترك الناس حديثه · العلل ومعرفة الرجال ١٣٥ ·

(٤) انظر ديوان ٧ ·

(٥) قال الذهبي : وقيل انه ابين · متهم ديوان ٧ ·

(٦) ميزان الاعتدال ١٥/١ ·

(٧) ميزان الاعتدال ٦/١ ·

(٨) قال الذهبي : تركوه · ديوان ٢٦ ·

(٩) قال النسائي : متروك · ميزان الاعتدال ٢٢٨/١ ·

(١٠) الضعفاء والمتروكين للنسائي ١٥ ·

(١١) قال النسائي : بصري ضعيف · الضعفاء والمتروكين ١٦ ·

١١٣ ـ أسيد بن زيد الحمال (١) ·
أشعث بن سوار كوفي ضعيف ·
كوفي أبو محمد متروك سمع شريكا وليث بن سعد وهشيم ·
١١٤ ـ أصرم بن حوشب الهمداني أبو هشام منكر الحديث ·
١١٥ ـ أصرم بن غياث الخراساني منكر الحديث (٢) ·
١١٦ ـ أصبغ بن نباته كوفي منكر الحديث (٣) ·
١١٧ ـ أزور بن غالب منكر الحديث (٤) ·
١١٨ ـ أبيض بن أبان عن عطاء بن السايب يروى عنه أحمد بن يونس (٥) ·
١١٩ ـ أوس بن عبد الله بن بريدة مروزي متروك (٦) ·
١٢٠ ـ الأحوص بن حكيم الحمصي منكر الحديث (٧) ·
١٢١ ـ إدريس بن سنان عن وهب بن منبه روى عنه إبنه عبد المنعم (٨) ·

حـــرف البـــاء

١٢٢ ـ بشر بن رافع النجراني من اليمن الحارثي أبو الأسباط كناه حاتم بن اسماعيل منكر الحديث (٩) ·
١٢٣ ـ بشر بن نمير القشيري بصري متروك (١٠) ·
١٢٤ ـ بشر بن حسيب حسين أصبهاني عن الزبير بن عدى وله عنه نسخة موضوعة · قال والزبير ثقة (١١) ·

---

(١) انظر الكامل ٢٨٢/١/١ ·
(٢) قال الإمام أحمد والبخاري والرازي : منكر الحديث · التاريخ الكبير ٥٦/١/٢ ، الجرح والتعديل ٣٣٦/١/١ ، لسان الميزان ٤٦٢/١ ·
(٣) قال النسائي : متروك الحديث · الضعفاء والمتروكين ٢٢ ·
(٤) قال الذهبى منكر الحديث مجهول ديوان ١٦ ·
(٥) لسان الميزان ١٢٨/١ ·
(٦) لسان الميزان ٤٧٠/١ ·
(٧) قال ابن حجر ، ضعيف الحفظ من الخامسة ـ ق ـ تقريب التهذيب ٢٥ ·
(٨) ديوان ١٥ ·
(٩) قال ابن حجر · ضعيف الحديث من السابعة ـ بخ د ت ق ـ تقريب التهذيب ٤٤ ·
(١٠) قال الذهبى متروك عندهم ـ ق ـ ديوان ٣٢ ·
(١١) ديوان ٣١ ·

١٢٥ ـ بشر بن عمارة الخثعمي · قال لي متروك (١) ·

١٢٦ ـ بكر بن خنيس القاضي كان ببغداد (٢) ·

١٢٧ ـ بشر بن ميمون الوصفي واسطي عن مجاهد (٣) ·

١٢٨ ـ بحر بن كنيز السقا بصري ويكنى أبا الفضل متروك عن الحسن والزهري (٤) ·

١٢٩ ـ بكر بن الشرود صنعاني عن الثوري ومالك ومعمر (٥) ·

١٣٠ ـ بزيع بن حسان أبو الخليل متروك (٦) ·
كوفي عن الأعمش وهشام بن عروة بواصل ·

١٣١ ـ بكر بن الأسود أبو عبيدة الناجي بصري عن الحسن وابن سيرين مواعظ (٧) ·

١٣٢ ـ بريدة بن سفيان بن فروة الآسلمي روى عنه محمد بن إسحاق وافلح بن سعيد المدني متروك (٨) ·

١٣٣ ـ باب بن عمير عنه الأوزاعي ويحى بن أبي كثير مجهول (٩) ·

١٣٤ ـ بركه بن يعلى عن أبي سويد العبدي عن ابن عمر مجهولان (١٠) ·

حـــرف التـــاء والثـــاء

١٣٥ ـ تمام بن بزيع أبو سهل بصري متروك عن محمد بن كعب والحسن والعامر ابن عمر الطفاوي (١١) ·

١٣٦ ـ ثابت بن زهير أبو زهير بصري عن نافع وهشام بن عروة منكر الحديث (١٢) ·

---

(١) قال النسائى ضعيف الضعفاء والمتروكين ٢٤ ·

(٢) ديوان ٣٤ ·

(٣) ديوان ٣٣ ·

(٤) قال الذهبى متفق على تركه ديوان ٢٨ ·

(٥) لسان الميزان ٥٢/٢ ·

(٦) قال ابن حجر · قال البرقانى عن الدارقطنى متروك ـ لسان الميزان ١٢/٢ ·

(٧) قال الذهبى متروك ديوان ٣٤ ·

(٨) ديوان ٣٠ ·

(٩) قال الذهبى تابعى مجهول ـ د ـ ديوان ٢٨ ·

(١٠) لسان الميزان ٩/٢ ·

(١١) لسان الميزان ٧١/٢ ·

(١٢) لسان الميزان ٧٦/٢ ·

١٣٧ ـ ثابت بن أبي صفية أبو حمزة الثمالي كوفي عن زاذان وعكرمة وأبي جعفر (١) ٠

١٣٨ ـ ثوير بن أبي فاخته ضعيف ٠ مولى بني هاشم (٢) ـ واسم أبيه سعيد بن علاقة كوفي ثقة (٣) ٠

حـــــرف الجـــــيم

١٣٩ ـ جلد بن أيوب كوفي عن معاوية بن فروة متروك (٤) ٠

١٤٠ ـ جابر بن زيد الجعفي ان اعتبر له بحديث بعد حديث صالح اذا كان عن الأئمة (٥) ٠

١٤١ ـ جعفر بن الزبير الشامي عن القاسم عن أبي امامة متروك (٦) ٠

١٤٢ ـ جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ولى قضاء الثغر يضع (٧) ٠

١٤٣ ـ جعفر بن أبي الحسن الخواري يحدث عنه أبو غنام (٨) ٠ ٠

١٤٤ ـ جسر بن فرقد بصري عن ثابت والحسن ٠

١٤٥ ـ جويبر بن سعيد خراساني متروك (٩) ٠

١٤٦ ـ جميع بن ثوب حمصي عن خالد بن معدان مقل ويقال جميع منكر الحديث (١٠) ٠

---

(١) قال الذهبى متفق على ضعفه ـ د ـ ديوان ٣٨ ٠

(٢) قال الذهبى ـ تابعى واه كذبه الثورى ـ ت ـ ديوان ٤٠ ٠

(٣) قال ابن حجر ـ مشهور بكنيته ثقة من الثالثة ـ ت ق ـ تقريب التهذيب ١٢٥ ٠

(٤) ديوان ٤٥ ٠

(٥) قال يحى بن أبي بكير عن شعبة ، كان جابر اذا قال أخبرنا وحدثنا وسمعت فهو من أوثق الناس ٠ ميزان الاعتدال ٣٧٩/٢ ٠

(٦) قال الذهبي : كذبه شعبة وتركه أحمد ٠ ديوان ٤٤ ٠

(٧) تنزيه الشريعة ٤٥/١ ٠

(٨) ميزان الاعتدال ٤٠٥/١ ٠

(٩) ديوان ٤٧ ٠

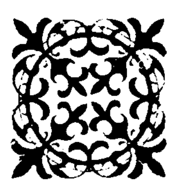
(١٠) قال الذهبي : منكر الحديث واه ٠ ديوان ٤٦ ٠

١٤٧ ـ جارية بن هرم الفقيمي أبو شيخ بصري متروك عن يعقوب بن عطاء وإسماعيل بن مسلم وابن عون وابن جريج روى عنه محمد بن اسحاق ويقلب اسمه لا يقال فيه (١) ٠

١٤٨ ـ جراح بن منهال أبو العطاف عن الزهري وأبي الزبير والحكم بن عتبة جزري روى عنه يزيد بن هارون والمعافا بن عمران ويحى بن صالح فيه خلاعة متروك (٢) ٠

١٤٩ ـ جارود بن يزيد أبو الضحاك نيسابوري متروك يروى عن بهز بن حكيم وعمرو بن ذر (٣) ٠

١٥٠ ـ جميل بن زيد الطائي كوفي عن ابن عمر روى عنه الثوري وعباد بن العوام مقل متروك ٠ وقال مرة يعتبر به (٤) ٠



■ ■ ■ ■ ■ ■

---

(١) قال الذهبي : بصري هالك ٠ ميزان الاعتدال ٣٨٥/١ ٠

(٢) ميزان الاعتدال ٣٩٠/١ ٠

(٣) ديوان ٤١ ٠

(٤) لسان الميزان ١٣٦/٢ ٠


لغة و أدب

ظاهرة التقارض في النحو العربي

(٢)

للدكتور أحمد محمد عبد الله
أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية

تكلمنا فى العدد السابق عن اهمية «التقارض» كظاهرة التوسع اللغوى، وحدَّدناه لغة واصطلاحًا، ثم فَصَّلنا الحديث فى نوعين :-

الأول :- التقارض بين اللفظين فى الأحكام الإعرابية، كالتقارض بين إلَّا «وغير» وكاالتقارض بين أنْ «وما» . . . الخ

:- التقارض بين اللفظين فى الهيئة ةوالشكل، كالتقارض بين الحال والتمييز فى الاشتقاق والجمود . . . الخ

والحديث الآن فى النوع الثالث :

النوع الثالث : التقارض بين اللفظين فى المعاني :

يذكر النحاة أن كل حرف من حروف المعاني يفيد ــ بطريق الأصالة ــ معنى أو عدة معان، تعد من لوازم هذا الحرف غالباً، غير أنه فى بعض الأحيان قد يفيد الحرف معنى من المعاني ليس أصلاً فى إفادته، وإفادة الحرف معنى يختص به حرف آخر يعد عند بعض العلماء من باب التقارض بينهما، فكأنَّ الحرف الآخر أقرضه هذا المعنى، وربما عدَّه بعضهُم من باب نيابة الحرف مكان الحرف الآخر، وهذه مسألة خلافية بين البصريين والكوفيين فالبصريون يرون «أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس، كما أن أحرف الجزم وأحرف النصب كذلك، وما أوهم ذلك فهو عندهم محمول على ما يلى :

١ ــ إما مؤول تأويلاً يقبله اللفظ، كما قيل فى قوله تعالى ﴿ولأصلبنكم فى جذوع النخل﴾ (طه : ٢٠) إنَّ «فى» ليست بمعنى على، ولكن شبِّه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحالّ فى الشىء.

٢ ــ وإمَّا على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف، كما ضمَّن بعضهم «شربن» فى قول أبي ذؤيب الهذلي:

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهنَّ نئيج [١]

معنى «روين» وأحسن فى قوله تعالى ﴿وقد أحسن بى﴾ (يوسف: ١٠٠) معنى «لطف».

٣ ــ وإمَّا على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى:

وقد ذهب الكوفيون إلى جواز نيابة الحرف عن الحرف أى أن يقترض الحرف من الحرف الآخر معناه.

أما المالقى فقد وقف بين الفريقين موقفا وسطا حيث قال:

إن نيابة الحرف مكان الحرف الآخر موقوفة على السماع؛ لأن الحروف لا يوضع بعضها موضع بعض قياسا إلا إذا كان معناهما واحدا ومعنى الكلام الذى لا يدخلان عليه واحدا[٢].

وغير خاف أن مذهب الكوفيين بعيد عن التكلف والتعسف ومن ثم فهو جدير بالاتباع لذا سوف نسوق أمثلة متنوعة لبعض الحروف التى تفيد معانى أصيلة ومعانى أخرى غير أصيلة اقترضتها من الحروف الأخرى.

إلى ــ اللام :

أ ــ «إلى» تدل من خلال الأسلوب على انتهاء الغاية المكانية أو الزمانية، **ذلك** أوضح معانيها نحو قوله تعالى ﴿**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى**﴾ (الاسراء: ١) وقوله تعالى ﴿**ثم أتموا الصيام إلى الليل**﴾ (البقرة: ١٨٧).

وقد تخرج عن معناها الأصلى المتقدم فتأتى فى بعض أحوالها بمعنى اللام نحو قوله تعالى ﴿**والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين**﴾ (النمل: **٣٣**) أى الأمر لك ونحو قوله تعالى

---

(١) ديوان الهذليين: ١: ٥١.

(٢) رصف المبانى: ٢٢١. وراجع الخلاف بين البصريين والكوفيين فى هذه المسألة: مغنى اللبيب: ١٥٠-١٥١. والخصائص: ٢: ٣٠٦. والجنى الدانى فى حروف المعانى: ٥. والأزهية: ٢٧٧-٣٠٠. والآمالى الشجرية: ٢: ٢٦٧.

﴿**فادفعوا إليهم أموالهم**﴾ (النساء: ٥) أى ادفعوا لهم فقد اقترضت «إلى» من اللام معنى شبه الملك فى الآية الأولى والاستحقاق فى الآية الثانية[1].

ب ـ أما «اللام» فتفيد غالبا المعانى التالية:

الاستحقاق نحو قوله تعالى ﴿**ويل للمطففين**﴾ (المطففين: ١) والاختصاص نحو قوله تعالى ﴿**فإن كان له إخوة**﴾ (النساء: ٦) والملك نحو قوله تعالى ﴿**له ما فى السموات وما فى الأرض**﴾ (البقرة: ٢٥٥) والتمليك نحو «وهبت لزيد دينارا» وشبه الملك نحو قوله تعالى ﴿**جعل لكم من أنفسكم أزواجا**﴾ (النحل: ٧٢) والتعليل نحو قوله تعالى ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾ (النحل: ٤٤) وقد تخرج اللام عن كل هذه المعانى فتأتى بمعنى «إلى» ويتمثل ذلك فى نحو قوله تعالى ﴿**يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها**﴾ (الزلزلة: ٤، ٥) أى أوحى إليها ونحو ﴿**كل يجرى إلى أجل مسمى**﴾ (الرعد: ٢) أى إلى أجل مسمى ونحو ﴿**ولو رُدُّوا لعادوا لما نهوا عنه**﴾ (الأنعام: ٢٨) أى إلى ما نهوا عنه، فدلالة اللام فى الآيات المتقدمة هى انتهاء الغاية وذلك المعنى مقترض من «إلى».

قال الزجاجى فى باب اللام التى بمعنى إلى:

وذلك نحو قوله تعالى ﴿**ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان**﴾ (آل عمران: ١٩٣) قال بعضهم معناه ينادى إلى الايمان فأما قوله تعالى ﴿**الحمد لله الذى هدانا لهذا**﴾ (الاعراف: ٤٣) فلا خلاف فى أن تقديره: هدانا إلى هذا، فهذه لام إلى.

وفى قوله تعالى ﴿**إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم**﴾ (الاسراء: ٩) أى إلى التى هى أقوم، فأما قوله تعالى ﴿**وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت**﴾ (الأعراف: ٥٧) فجائز أن تكون اللام لبيان المفعول من أجله فيكون المعنى: سقناه من أجل بلد ميت، وجائز أن تكون بمعنى «إلى» فيكون التقدير: سقناه إلى بلد ميت.[2].

وهكذا اقترضت «إلى» معنى اللام كما اقترضت «اللام» معنى «إلى».

---

(١) راجع الأشمونى: ٢: ٢١٣. والهمع: ٢: ٢٠.

(٢) اللامات للزجاجى: ١٥٧. وراجع رصف المبانى: ٢٢٢. ومعانى القرآن للفراء: ١: ٢٥٠. وشرح التصريح على التوضيح: ٢: ١٧. ومغنى اللبيب: ١٠٤-٢٨٠.

إلى – فى :

أ – «**إلى**» التى تفيد بطريق الأصالة معنى انتهاء الغاية المكانية أو الزمانية، قد تخرج عن هذا فتأتى بمعنى «فى» فى الأسلوب على سبيل المقارضة، ذكر ذلك جماعة من النحاة، وعليه فقد ذهبوا إلى أن «إلى» بمعنى «فى» فى قول النابغة الذبياني:

فلا تتركنىِّ بالوعيد كأننى ... إلى الناس مطلىٌّ به القار أجرب

أى كأننى فى الناس مطلىٌّ به القار.

وفى قول طرفة :

وإن تلتق الحىَّ الجميع تلاقنى ... إلى ذروة البيت الكريم المصَمَّد

أى فى ذروة البيت الذى يصمد ويعضد.

ويقال : جلست إلى القوم أى فيهم، قال ابن مالك :

ويمكن أن يكون إلى بمعنى «فى» فى قوله تعالى ﴿**ليجمعنَّكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه**﴾ (النساء: ٨٧).

وخالف فى مجىء «إلى» بمعنى «فى» ابن عصفور حيث قال:

ولو صح مجىء «إلى» بمعنى «فى» لجاز: زيد إلى الكوفة[1].

ب – «فى» معلوم أن أوضح معانيها هو الظرفية المكانية أو الزمانية، وقد اجتمعنا فى قوله تعالى ﴿**آلم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غَلبِهم سيغلبون فى بضع سنين**﴾ (الروم: ١، ٢)

قال المالقى :

اعلم أن «فى» حرف جار لما بعده ومعناها الوعاء حقيقة أو مجازا، فالحقيقة نحو: جعلت المتاع فى الوعاء، ومنه قوله تعالى ﴿**أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾ (البقرة: **٣٩٥**). والمجاز نحو: دخلت فى الأمر وتكلمت فى شأن حاجتك ومنه قوله تعالى ﴿**ادخلوا فى السلم كافة**﴾ (البقرة: ٢٠٨). ونحو ﴿**ولتنازعتم فى الأمر**﴾ (الانفال: ٥). غير أنها فى بعض الأحيان قد ترادف «إلى» فتقترض معنى انتهاء الغاية منها نحو قوله تعالى ﴿**فردوا أيديهم فى أفواههم**﴾ (ابراهيم: ٦). أى إلى أفواههم[2].

---

(١) راجع المغنى: ١٠٤، ١٠٥. والأزهية: ٢٨٣، ٢٨٤. ومعانى الحروف للرمانى: ١١٥. ورصف المبانى: ٨٣.

(٢) المغنى: ٢٢٣، ٢٢٥. والمطالع السعيدة فى شرح الفريدة للسيوطى: ٢: ٥٢ ط أولى بغداد. وراجع رصف المبانى: ٣٨٨. والأشمونى: ٢: ٢١٩.

الباء ــ فى :

أ ــ «**الباء**» الأصل فيها أن تفيد معنى القسم بل هى أصل أحرفه، ولذا خصت بجواز ذكر الفعل معها نحو: أقسم بالله لتفعلن ودخولها على الضمير نحو: بك لأفعلن غير أن «الباء» قد تقترض من «فى» معنى الظرفية يدل على ذلك الشواهد الكثيرة منها قوله تعالى ﴿**وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل**﴾ (الصافات: ٣٧، ٣٨). أى وفى الليل ونحو ﴿**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة**﴾ (آل عمران: ١٢٣). أى فى بدر ونحو ﴿**إلا آل لوط نجيناهم بسحر**﴾ (القمر: ٣٦). أى فى سحر ونحو ﴿**وماكنت بجانب الغربى**﴾ (القصص: ٤٤). أى فى جانب الغربى، ونحو: ﴿**وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوَّءا لقومكما بمصر بيوتا**﴾ (يونس: ٨٧). أى فى مصر، ونحو قول زهير:

بها العِينُ والآرام يَمْشِين خِلْفَة ... وأطْلاؤها ينهضن من كل مجثم

وقال ذى الرُّمَّه:

أذو زوجة بالمصر أو ذو خصومة ... أراك لها بالبصرة العام ثاويا

أى فيها العين والآرام وأذو زوجة فى المصر[1].

ب ــ **وقد تقترض «فى» معنى «الباء»** وذلك نحو قول زيد الخير بن مهلهل:

ويركب يوم الروع منَّا فوارسٌ ... بصيرون فى طعن الأباهر والكلى

أى بصيرون بطعن الأباهر، وقال بعضهم إن «فى» بمعنى «الباء» فى قوله تعالى ﴿**جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه**﴾ (الشورى: ١١). وقد جعلها ابن هشام للتعليل موافقا الزمخشري فى ذلك[2].

الباء ــ عن :

أ ــ «**الباء**» تفيد القسم فى أظهر معانيها كما تقدم ولكنها فى بعض أحوالها قد تأتى فى الأسلوب مفيدة معنى «المجاوزة» مقترضة هذا المعنى من «**عن**» نحو قوله تعالى ﴿**سأل**

(١) راجع معانى الحروف للرمانى: ٣٦. والمقرب: ١: ٢٠٤. وشرح التصريح: ٢: ١٤.
(٢) المغنى: ١٤١-٢٢٤.

سائل بعذاب واقع﴾ (المعارج: ١) أى عن عذاب واقع، ونحو: ﴿فاسأل به خبيرا﴾ (الفرقان: ٥٦) أى فاسأل عنه خبيرا، ونحو: ﴿يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾ (الحديد: ١٢) أى بين أيديهم وعن أيمانهم، ونحو: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ (الفرقان: ٢٥) أى يوم تشقق السماء عن الغمام. غير أن الزمخشرى جعل «الباء» فى هذه الآية بمنزلتها فى شققت السنام بالشفرة. على أن الغمام جعل كالآلة التى يشق بها، قال: ونظيره قوله تعالى ﴿السماء منفطر به﴾ (المزمل: ١٨).

ومن مجىء «الباء» بمعنى «عن» نظما قول علقمة بن عبده:

فإن تسألونى بالنساء فإننى بصير بأدواء النساء طبيب

أى فإن تسألونى عن النساء.

وقول عنتره:

هلا سألت الخيل ياابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمى

أراد: عما لم تعلمى.

وقول النابغة الجعدى:

سألتنى بأناس هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل

أى سألتنى عن أناس.

وقول النابغة الذبيانى:

كأن رحلى وقد زال النَّهار بنا بذى الجليل على مستأنس وحَد

أى وقد زال النهار عنا.

فالباء فى كل ما تقدم تفيد معنى المجاوزة على سبيل الاقتراض من «عن»[1].

ب ــ **أما** «عن» فهى حرف يفيد معنى المجاوزة ولم يذكر البصريون سواه. نحو: سافرت عن البلد، ورغبت عن كذا، ورميت السهم عن القوس[2]، وغير البصريين

---

(١) راجع مغنى اللبيب: ١٤١-١٤٢. وابن عقيل: ٢: ٢٢. والأزهية: ٢٩٥. ورصف المبانى: ١٤٤. والتسهيل: ١٤٥.

(٢) مغنى اللبيب: ١٩٦.

يذهبون إلى أنها تفيد معاني أخر منها قد تجيء بمعنى الباء أى تقترض معناه يدل على ذلك الأمثلة الآتية :

قال تعالى : ﴿**وما ينطق عن الهوى**﴾ (النجم : **٣**) . أى وما ينطق بالهوى . غير أن بعضهم ذهب إلى أن الباء فى هذه الآية على حقيقتها أى ما يصدر قوله عن الهوى[١] .

وتقول العرب : رميت عن القوس أى رميت بالقوس ، وقال امرؤ القيس :

تَصدُّ وتبدى عن أسيل وتتقى ... بناظرة من وحشى وجرة مطفل

أى تصد وتبدى بأسيل ، فعن فى البيت بمعنى الباء[٢]

الباء ــ على :

أ ــ وأيضا **فالباء** المتقدمة قد تأتى فى بعض الأحيان مفيدة معنى الاستعلاء مقترضة هذا المعنى من «**على**» نحو قوله تعالى ﴿**ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك**﴾ (آل عمران : **٧٥**) أى تأمنه على قنطار، بدليل قوله تعالى ﴿**هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل**﴾ (يوسف : **٦٤**) ونحو قوله تعالى ﴿**وإذا مرُّوا بهم يتغامزون**﴾ (المطففين : **٣٠**) أى إذا مروا عليهم يتغامزون بدليل قوله تعالى ﴿**وإنكم لتمرون عليهم مصبحين**﴾ (الصافات : **١٣٧**) .

ومن مجيء الباء بمعنى الاستعلاء أيضا قول الشاعر:

أربٌّ يبول الثعلبان برأسه ... لقد هان من بالت عليه الثعالب

أى يبول الثعلبان على رأسه ، ويؤكد ذلك الشطر الثانى من البيت[٣] .

ب ــ ومعلوم أن «**على**» تفيد معنى الاستعلاء كما سيأتى الكلام على ذلك لكنها قد تأتى مفيدة معنى الباء نحو قوله تعالى ﴿**حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق**﴾ (الأعراف : **١٠٥**) أى حقيق بأن لا أقول ، وقد قرأ أبى بن كعب المتوفى سنة **٢١**هـ الآية المتقدمة بالباء ، وقد سمع : اركب على اسم الله أى اركب باسم الله[٤] .

---

(١) مغنى اللبيب : ١٩٨ .

(٢) راجع معانى الحروف للرمانى : ٩٥ . والأزهية : ٢٩٥ . والخزانة : ٤ : ٢٤٤ . والهمع : ٢ : ٢٩ ، ٣٠ . ومعنى الأسيل فى البيت : الخد الناعم .

(٣) مغنى اللبيب : ١٤٢ .

(٤) مغنى اللبيب : ١٩٢ .

وقال امرؤ القيس:

بأيِّ علاقتنا ترغبون عن دم عمرو على مرتد[1]

أراد: ترغبون عن دم عمرو بدم مرتد وليس بدونه.

وقال أبو ذؤيب الهذلي:

فكأنهنَّ ربابة وكأنه يَسَرٌ يفيض على القداح ويَصْدَع[2]

أي يفيض بالقداح أي يضرب بها.

فيلاحظ أن «**على**» قد تأتي بمعنى «**الباء**» كما يشهد لذلك الأمثلة المتقدمة[3].

الباء ـ من :

قد ترد «الباء» المتقدمة في الأساليب مفيدة معنى التبعيض مقترضة هذا المعنى من «**من**» قال بهذا الأصمعي والفارسي والقتبي وابن مالك والكوفيون[4]، وجعلوا من ذلك قوله تعالى ﴿**عينا يشرب بها عباد الله**﴾ (الانسان: ٦) أي يشرب منها عباد الله، ومن ذلك قول أبي ذؤيب[5] الهذلي:

شربن بها البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج

أي شربن من ماء البحر.

وقول جميل[6]:

فلثمت فاها آخذا بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

أي شرب النزيف من برد ماء الحشرج، فقد جاءت «الباء» بمعنى «من» فيما تقدم.

---

(١) الديوان: ٣٩. والأزهية: ٢٨٧.

(٢) المفضليات: ٢٠٢. ولسان العرب: ربب. وديوان الهذليين: ١: ٦.

(٣) راجع المطالع السعيدة: ٢: ٥٦. وشرح التصريح: ٢: ١٣. والأشموني: ٢: ٢٢٢.

(٤) مغني اللبيب: ١٤٢.

(٥) ديوان الهذليين.

(٦) الديوان: ٤٢. والنزيف: العطشان. والحشرج: نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء.

ب ـ ومن المعلوم أن «مـن» تفيـد ابتـداء الغـايـة حتى ادعى جماعة أن سائر معانيها راجعة إليه[1] لكن الأرجح ان ابتداء الغاية مطلقا هو أشهر معانيها قال السيوطى فى المطالع السعيدة[2].

«مـن» لابتداء الغاية مطلقا مكانا أو زمانا أو غيرهما نحو قوله تعالى ﴿**سبحان الذى أسـرى بعبـده ليـلا من المسجـد الحرام إلى المسجد الأقصى**﴾ (الاسراء: ١) ونحو الحديث الشـريف: «فمطـرنـا من الجمعة إلى الجمعة»[3] وقوله تعالى ﴿**إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ (النمل: ٣٠).

وقـد تأتى «مـن» مفيـدة معنى الاستعـانـة مقـترضة هذا المعنى من «**الباء**» قال بهذا يونس بن حبيب ومثل لذلك بقوله تعالى ﴿**ينظرون من طرف خفى**﴾ (الشورى: ٤٥) أى ينظرون بطرف خفى، وعلى هذا النحو أورد الهروى[4] عدة آيات قرآنية ظهر فيها أن «من» بمعنى الباء نحو قوله تعالى ﴿**يحفظونه من أمر الله**﴾ (الرعد: ١١) أى بأمر الله ونحو ﴿**يلقى الروح من أمره**﴾ (غافر: ٥) أى بأمره ونحو ﴿**تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر**﴾ (القـدر: ٤، ٥) أى بكـل أمـر سلام، «فمن» فى كل ما تقدم بمعنى الباء.

عـلى ـ عـن:

أ ـ سبق القـول أن «معنى الاستعـلاء» فى «عـلى» هو أظهر معـانيهـا، سواء كان الاستعـلاء حقيقيـا نحـو قولـه تعـالى ﴿**وعليها وعلى الفلك تحملون**﴾ (المؤمنون: ٢٢) أم مجازيا نحو قوله تعالى ﴿**ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون**﴾ (الشعراء: ١٤) ونحو ﴿**فضلنا بعضهم على بعض**﴾ (البقرة: ٢٥٢) ونحو ﴿**وللرجال عليهم درجة**﴾ (البقرة: ٢٢٨) غير أنها فى بعض الأحيان قد تقترض «معنى المجاوزة» من «عـن» نحو قول القحيف بن سليم العقيلى:

إذا رضيـت علىَّ بنـو قشـير لعـمـرو الله أعـجـبـنـى رضـاهـا

أى إذا رضيت عنىّ بنـوقشـير، ويحتمـل ان يكون «رضى» ضمن معنى «عطف» من

---

(١) مغنى اللبيب: ٤٢٩.

(٢) المطالع السعيدة: ٢: ٧٠.

(٣) البخارى: باب الاستسقاء.

(٤) الأزهية: ٢٩٣.

باب إعطاء الشيء حكم ما أشبهه في معناه، ولهذا تعدت رضى بعلى في البيت المتقدم لما كان «رضى عنه» بمعنى أقبل عليه بوجه ودّه، وقال الكسائي: إنما جاز هذا حملا على نقيضه وهو سخط[1].

ومن مجيء «على» بمعنى «عن» قول عدى بن زيد:

في ليلة لا نرى بها أحدا يحكى علينا إلا كواكبها

أي يحكى عنا إلا كواكبها، وقال بعضهم أن «يحكى» ضمن معنى ينم ولذلك عداه بعلى فهو من باب إعطاء الشيء حكم ما أشبهه في المعنى.

ب ــ «عن» تفيد «معنى المجاوزة» ولا تفيد سواه عند البصريين قد تخرج عن هذا المعنى فتفيد «معنى الاستعلاء» مقترضة إياه من «على» وذلك على رأى غير البصريين. يشهد لذلك قوله تعالى ﴿**ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه**﴾ (محمد: ٣٨) أي يبخل على نفسه. وقول ذى الأصبع العدواني:

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عنى ولا أنت دياني فتخزوني

وقد فسر البيت ابن هشام بقوله: أي لله درّ ابن عمك لا أفضلت في حسب عَلَيَّ ولا أنت مالكي فتسوسني، وذلك لأن المعروف أن يقال: أفضلت عليه[2]، ونحو قوله تعالى ﴿**إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي**﴾ (ص: ٣٢) أي قدمت الخير على ذكر ربي.

على ــ اللام:

أ ــ وإذا كان الاستعلاء في «على» **هو أظهر معانيها فإنها أحيانا قد تأتي مفيدة معنى التعليل مقترضة هذا المعنى من «اللام»** نحو قوله تعالى ﴿**ولتكبروا الله على ما هداكم**﴾ (البقرة: ١٨٥) أي لهدايته إياكم، ومن ذلك قول عمرو بن معديكرب:

علام تقول الرمح يثقل عاتقي إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرت

أي لم تقول الرمح يثقل عاتقي، «**فعلى**» في البيت بمعنى «**اللام**»[3].

---

(١) راجع مغنى اللبيب: ١٩١-٨٨٧.

(٢) المغنى: ١٩٦. وراجع الايضاح العضدى: ٢٥٩. والهمع: ٢: ٢٩. وابن عقيل: ٢: ٢٣. وشرح التصريح: ٢: ١٥.

(٣) مغنى اللبيب: ١٩١. والمقرب لابن عصفور: ١: ٢٠١. والمطالع السعيدة: ٢: ٦٢.

ب ــ وقد تأتى «اللام» مفيدة معنى الاستعلاء الحقيقى والمجازى، مقترضة هذا المعنى من «على» فالاستعلاء الحقيقى نحو قوله تعالى ﴿**ويخرون للأذقان سجدا**﴾ (الاسراء: ١٠٩) أى ويخرون على الأذقان، ونحو قوله تعالى ﴿**وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه**﴾ (يونس: ١٢) أى دعانا على جنبه، وقوله تعالى ﴿**فلما أسلما وتله للجبين**﴾ (الصافات: ١٠٣) أى وتله على الجبين، ونحو قول الأشعث الكندى:

تناولت بالرمح الطويل ثيابه فخر صريعا لليدين والفم

أى فخر صريعا على اليدين والفم.

والاستعلاء المجازى نحو قوله تعالى ﴿**إن أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها**﴾ (الاسراء: ٧) أى وإن أسأتم فعليها ونحو قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله عنها: «اشترطى لهم الولاء»[١] أى اشترطى عليهم الولاء. وقد أنكر النحاس أن يكون لهم فى الحديث بمعنى عليهم، وذهب إلى أن المعنى من أجلهم، فاللام قد جاءت على أصلها فى رأيه[٢].

على ــ فى:

أ ــ وقد تأتى «على» مفيدة «معنى الظرفية» مقترضة هذا المعنى من «فى» نحو قوله تعالى ﴿**ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها**﴾ (القصص: ١٥) أى فى حين غفلة من أهلها. وقوله تعالى ﴿**واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان**﴾ (البقرة: ١٠٢) أى ما تتلوا الشياطين فى زمن ملكه، ويحتمل أن تكون «على» فى الآية حقيقتها إذا ضمن «تتلو» معنى تقول، فيكون بمنزلة ﴿**ولو تقول علينا بعض الأقاويل**﴾ (الحاقة: ٤٤) من مجىء على بمعنى «فى» أى مفيدة معنى الظرفية قول الأعشى:

فضل على حين العشيات والضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

أى: فصل فى حين العشيات.

ويقال: أتيته على عهد فلان. أى أتيته فى عهد فلان[٣].

ب ــ وقد تأتى «فى» مفيدة معنى الاستعلاء مقترضة هذا المعنى من «على» قال بذلك الكوفيون وجعلوا من ذلك قوله تعالى ﴿**ولأصلبنكم فى جذوع النخل**﴾ (طه: ١٧)

---

(١) صحيح البخارى: كتاب العتق.

(٢) مغنى اللبيب: ٢٨٠. ورصف المبانى: ٢٢١. والأشمونى: ٢: ٢١٧.

(٣) الأزهية: ٢٨٥. وشرح التصريح: ٢: ١٤. وابن يعيش: ٩: ٣٩.

أى على جذوع النخل غير أن البصريين قالوا إن «فى» فى الآية الكريمة على بابها أى مفيدة معنى الظرفية والمعنى : أن النخلة مشتملة على المصلوب، لأنه إنما يصلب فى عراضها لا عليها، فكأنها صارت له وعاء أو اشتملت عليه[1].

ومن مجىء «فى» بمعنى «على» قول سويد بن كاهل أو غيره :

هم صلبوا العبدى فى جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا

أى هم صلبوا العبدى على جذع نخلة.

وقول عنترة بن شداد :

بَطَلٌ كأن ثيابه فى سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوءم

والسرحة : الشجرة العظيمة أى ثيابه على شجرة. ونحو قوله تعالى ﴿**أم لهم سلم يستمعون فيه**﴾ (الطور: ٣٨) أى يستمعون عليه[2].

علی ـ من :

وقد تأتى «**على**» مفيدة معنى ابتداء الغاية مقترضة هذا من «**من**» نحو قوله تعالى ﴿**ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون**﴾ (المطففين : ١، ٢) أى إذا اكتالوا من الناس. وقوله تعالى ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم**﴾ (المؤمنون : ٥، ٦) أى إلا من أزواجهم بدليل : «أحفظ عورتك إلا من زوجتك وما ملكت يمينك».

وقوله تعالى ﴿**من الذين استحق عليهم الأوليان**﴾ (المائدة : ١٠٧) أى استحق منهم الأوليان. وقول أبى المثلم الهذلى يصف كتيبة :[3].

متى ما تنكروها تعرفوها على أقطارها علق نفيث

أى من أقطارها، والعلق : الدم الجامد. ونفيث : منفوخ.

ب ــ وقد تأتى «**من**» بمعنى «**على**» أى مفيدة معنى الاستعلاء نحو قوله تعالى ﴿**ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا**﴾ أى ونصرناه على القوم الذين كذبوا، وقيل : ضمن «**نصرناه**» معنى منعناه أى منعناهم بالنصر.

---

(١) معانى الحروف للرمانى : ٩٦.

(٢) منار السالك : ١ : ٣٩٣. والمغنى : ٢٢٤.

(٣) البيت فى ديوان الهذليين : ٢ : ٢٢٤. والمخصص : ٦ : ٩٥.

وهكذا جاءت «على» فى الأساليب بمعنى «من» أى مفيدة معنى ابتداء الغاية، وجاءت «من» بمعنى «على» أى مفيدة معنى الاستعلاء وكل ذلك على سبيل التقارض بينهما فى المعانى[1].

عن ـ اللام :

وقد تترك «عن» معنى المجاوزة إلى إفادة «التعليل» على سبيل الاقتراض من «اللام» نحو قوله تعالى ﴿**وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه**﴾ (التوبة: ١١٤) أى إلا الموعدة وعدها إياه، وقوله تعالى ﴿**وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك**﴾ (هود: ٥) أى ما نحن بتاركى آلهتنا لقولك، وقد ذهب الزمخشرى إلى غير هذا فجوز أن يكون «عن قولك» حالا من ضمير تاركى أى ما نتركها صادرين عن قولك، فليست عن بمنزلة اللام على رأيه[2].

ب ـ وقد تأتى «اللام» بمعنى «عن» أى مفيدة «معنى المجاوزة» نحو قوله تعالى ﴿**وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه**﴾ (الأحقاف: ١١) أى قال الذين كفروا عن الذين آمنوا قال بهذا ابن الحاجب، وذهب ابن مالك وغيره إلى أن اللام فى الآية لام التعليل، وقيل هى لام التبليغ والتفت عن الخطاب إلى الغيبة، أويكون اسم المفعول لهم محذوفا أى قالوا لطائفة من المؤمنين لما سمعوا إسلام طائفة أخرى، وحيث دخلت اللام على غير المقول له فالتأويل على بعض ما ذكر[3]

عن ـ من :

أ ـ وقد تأتى «عن» بمعنى «من» أى مفيدة معنى ابتداء الغاية. نحو قوله تعالى ﴿**وهو الذى يقبل التوبة عن عباده**﴾ (الشورى: ٢٥) أى يقبل التوبة من عباده، وقوله تعالى ﴿**أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا**﴾ (الأحقاف: ١٦) أى يتقبل منهم أحسن ما عملوا بدليل قوله تعالى ﴿**فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر**﴾ (المائدة: ٢٧) وبدليل قوله تعالى ﴿**ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾ (البقرة: ١٢٧).

---

(١) الأزهية: ٢٩٣. والمغنى: ١٩١، ٤٢٤. والأشمونى: ٢: ٢١٣. والهمع: ٢: ٢٨، ٣٤.

(٢) مغنى اللبيب: ١٩٧.

(٣) مغنى اللبيب: ٢٨٢. والأشمونى: ٢: ٢٢٤.

ب ــ وقد تأتي «مــن» مرادفة «**لعــن**» فتفيد معنى المجاوزة على رأى بعضهم نحو قوله تعالى ﴿**فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله**﴾ (الزمر: ٢٢) أى عن ذكر الله ، وقوله تعالى ﴿**ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا**﴾ (الأنبياء: ٩٧) أى فى غفلة عن هذا ، وذكر الهروى : «أنه قيل : حدثنى فلان من فلان» أى حدثنى فلان عن فلان .

قال ابن هشام :

وزعم ابن مالك أن «**من**» فى نحو: زيد أفضل من عمرو للمجاوزة ، وكأنه قيل : جاوز زيد عمرا فى الفضل قال: وهو أولى من قول سيبويه وغيره أنها لابتداء الارتفاع فى نحو: أفضل منه ، وابتداء الانحطاط فى نحو: شر منه إذ لا يقع بعدها إلى ، وقد رُدَّ على ابن مالك أنها لو كانت للمجاوزة فى المثال المتقدم لصح فى موضعها عن[1] .

فى ــ اللام :

أ ــ «فى» تفيد معنى الظرفية . قال أبو على الفارسى : «وفى معناها الوعاء وذلك نحو: المال فى الكيس واللص فى الحبس ويتسع فيها فيقال: زيد ينظر فى العلم وأنا فى حاجتك» وقد تخرج عن هذا المعنى إلى مرادفة «**اللام**» فتفيد معنى التعليل أو السببية نحو قوله تعالى ﴿**فذلكن الذى لمتننى فيه**﴾ (يوسف: ٣٢) أى لمتننى لأجله . وقوله تعالى ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه**﴾ (النور: ١٤) أى لأجل إفاضتكم فيه ، ومن ذلك حديث الرسول ﷺ : «دخلت امرأة النار فى هرة حبستها»[2] أى لأجل هرة فالهرة هى العلة والسبب فى دخول المرأة النار.

ب ــ «**واللام**» التى تفيد معنى «التعليل» قد تخرج عنه إلى إفادة معنى الظرفية على سبيل الاقتراض من «فى» نحو قوله تعالى ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة**﴾ (الأنبياء: ١١) أى ونضع الموازين فى يوم القيامة . وقوله تعالى ﴿**يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو**﴾ (الاعراف: ١٨٧) أى لا يجليها فى وقتها إلا هو، قيل: ومنه قوله تعالى ﴿**ياليتنى قدمت لحياتى**﴾ (الفجر: ٢٤) أى فى حياتى . وقولهم: مضى لسبيله أى مضى فى سبيله[3] .

---

(١) الأزهية: ٢٨٩ .

(٢) الحديث فى مسند أحمد والبخارى ومسلم .

(٣) الايضاح العضدى: ٢٥١ . والمغنى: ٢٢٤ ، ٢٨١ .

فى ـ من :

أ ـ وقد تأتى «فى» بمعنى «من» أى تأتى مقترضة معنى ابتداء الغاية أو التبعيض من «من» نحو قول امرىء القيس : [1]

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
وهل يعمن من كان أحدث عهده ثلاثين شهرا فى ثلاثة أحوال

أى من كان من العصر الخالى وثلاثين شهرا من ثلاثة أحوال.

ب ـ وقد تأتى «من» بمعنى «فى» أى تفيد معنى الظرفية على رأى بعضهم نحو قوله تعالى ﴿**أرونى ماذا خلقوا من الأرض**﴾ (فاطر: ٤٠) أى ماذا خلقوا فى الأرض، وقوله تعالى ﴿**يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله**﴾ (الجمعة : ٩) أى نودى للصلاة فى يوم الجمعة.

وقد ذهب ابن هشام إلى أن «من فى الآية الكريمة لبيان الجنس وليست بمعنى فى»[2].

اللام ـ من :

أ ـ وقد تخرج «اللام» عن معنى التعليل فتأتى بمعنى «من» أى تفيد معنى ابتداء الغاية نحو قولهم : «سمعت له صراخا» أى سمعت منه صراخا. ونحو قول جرير : [3]

لنا الفضل فى الدنيا وأنفك راغم ونحن لكم يوم القيامة أفضل

أى ونحن أفضل منكم يوم القيامة[4].

ب ـ وقد تخرج «من» عن إفادة ابتداء الغاية فتأتى بمعنى «اللام» أى تفيد معنى التعليل نحو قوله تعالى ﴿**مما خطيئاتهم أغرقوا**﴾ (نوح : ٢٥) أى لأجل خطيئاتهم أغرقوا. ونحو قول امرىء القيس : [5]

وذلك من نبأ جاءنى وخبرته عن أبى الأسود

---

(١) الديوان : ١٣٨.

(٢) مغنى اللبيب: ٢٢٥، ٤٢٤. والمطالع السعيدة: ٢ : ٦٤. وأوضح المسالك: ١ : ٣٨٩. ورصف المبانى : ٣٩١.

(٣) الديوان : ٤٥٧.

(٤) مغنى اللبيب : ٢٨١. والأشمونى : ٢ : ٢١٨.

(٥) الديوان : ٧٦.

أى وذلك لأجل نبأ جاءنى .

ونحو قول الفرزدق : [1]

يُغْضِى حياء وَيُغْضَى من مهابته فما يكلم إلا حين يبسم

أى ويغضى لأجل مهابته[2] .

أو ـ الواو :

أ ـ «أو» حرف عطف يفيد معنى الشك أو الابهام أو التخيير أو الاباحة ، وفى بعض الأحيان قد يأتى هذا الحرف مفيدا معنى «الواو» أى يفيد معنى الجمع المطلق قال بذلك الكوفيون والأخفش والجرمى واحتجوا بقول توبه بن الحُميرٍ :

وقد زعمت ليلى بأنى فاجر لنفسى تقاها أو عليها فجورها

أى لنفسى تقاها وعليها فجورها «فأو» بمعنى «الواو» . قال المالقى : وهو قليل لا يقاس عليه[3] . وقيل «أو» فى البيت للابهام أى جاءت على بابها .

واحتجوا أيضا بقول جرير فى مدح عمر بن عبد العزيز : [4]

جاء الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى موسى ربه على قدر

«فأو» فى الشطر الأول لمطلق الجمع كالواو.

ويقول النابغة الذبيانى : [5]

قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد

«فأو» فى البيت لمطلق الجمع كالواو.

ويقول حميد بن ثور: [6]

قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم ما بين ملجم مهره أو سافع

فأو فى الشطر الثانى لمطلق الجمع كالواو. والسافع : هو الآخذ بناصية الفرس من غير لجام .

---

(١) الديوان : ٨٤٨ .

(٢) مغنى اللبيب : ٤٢١ . ومنار السالك : ١ : ٣٨٩ .

(٣) رصف المبانى : ١٣١ .

(٤) الديوان : ٢٧٥ .

(٥) الديوان : ٤٥ .

(٦) الديوان : ١١١ .

وقال الرمانى :[1] ذهب قوم من الكوفيين إلى أن «أو» بمعنى «الواو» وجعلوا من ذلك قوله تعالى ﴿**لعله يتذكر أو يخشى**﴾ (المرسلات : ٦) ومثله ﴿**عذرا أو نذرا**﴾ (طه : ٤٤).

وفى قوله تعالى ﴿**أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون**﴾ (الواقعة : ٤٧، ٤٨) ذهب المالقى إلى أن «أو» فى الآية بمعنى «الواو» على قراءة من سكن الواو[2] وفى قوله تعالى ﴿**وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون**﴾ (الصافات : ١٤٧) «أو» بمعنى الواو أى مائة ألف ويزيدون.

وفى قوله تعالى ﴿**ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم**﴾ (النور: ٦١) ذكر ابن مالك أن «أو» فى الآية بمعنى «ولا». قال ابن هشام : إن «أو» فى الآية بمعنى «الواو» وإنما جاءت «لا» فى الآية توكيدا للنفى السابق ومانعة من توهم تعليق النفى بالمجموع لا بكل واحد، وذلك مستفاد من دليل خارج عن اللفظ وهو الاجماع[3].

ب ـ وقد تخرج «**الواو**» عن إفادة «مطلق الجمع» فتأتى بمعنى «أو» أى تفيد الاباحة أو التخيير وقالوا إن مجىء «الواو» بمعنى «أو» على ثلاثة أقسام :

أحدها : أن تكون بمعنى «أو» فى التقسيم نحو قولك : الكلمة اسم وفعل وحرف أى الكلمة اسم أو فعل أو حرف، ونحو قول عمرو بن براقة :

ونـنـصـر مولانـا ونـعـلـم أنـه   كما الـنـاس مجروم عليـه وجـارم

«فـالـواو» فى الشطـر الثـانى بمعنى «أو» وذهب ابن هشام : إلى أن الواو جاءت على أصلها لمطلق الجمع.

الثانى : أن تكون «الواو» بمعنى «أو» فى إفادة الاباحة وعلى ذلك الزمخشرى، وزعم أنـه يقـال : جالس الحسن وابن سيرين أى جالس أحـدهما، وأنـه لهذا قيـل : ﴿**تلك عشرة كاملة**﴾ (البقـرة : ١٩٢) بعـد ذكـر ثلاثة وسبعة لئلا يتوهم إرادة الاباحة وقد رد ابن هشام ما ذهب إليه الزمخشرى[4].

الثالث : أن تكون «الواو» بمعنى «أو» فى إفادة التخيير، واستدلوا بقول كثير عزه :[5]

وقـالـوا نأت فاخـتـر لها الصـبـر والبكـا   فقـلـت : الـبـكـا أشـفـى اذن لغـلـيـلى

أى فاختر لها الصبر أو البكاء أى أحدهما، إذ لا يجتمع البكاء مع الصبر.

---

(١) معانى الحروف : ٧٧، ٧٨.

(٢) رصف المبانى : ٤٢٦.

(٣) مغنى اللبيب : ٩٠. وراجع الانصاف فى مسائل الخلاف المسألة ٦٧ ط رابعة مصر.

(٤) مغنى اللبيب : ٤٦٨.

(٥) الديوان : ٢ : ٢٥١.

مـــع ـــ بعـــد :

أ ــ «**مـــع**» اسم يدل على الظرفية ويستعمل مضافا ومفردا فيستعمل مفردا نحو قول جندل بن عمرو:

أفـيـقـوا بنى حرب وأهـواؤ نـا معـا وأرمـاحـنـا موصـولـة لم تقـضـب

وحين يستعمل مضافا فإنه يفيد ثلاثة معان :

أحدها : موضع الاجتماع ولهذا يخبر به عن الذوات نحو: الكتاب معك.

والثانى : زمان الاجتماع نحو: جئتك مع الظهر.

والثـالـث : بمعنى «عنـد» كقـراءة بعضهم ﴿**هذا ذكر من معى**﴾ (الأنبياء : **٢٤**) وكما تأتى فى الأسلوب موافقة لعند فقد ذكر الهروى أنها قد تأتى بمعنى «بعد» واستدل بقول الله عز وجل ﴿**فان مع العسر يسر**﴾ (الانشراح : **٥**) معناه : فإن بعد العسر يسر. ولما ذكر العسر بالألف والـلام ثم أعـاد ذكـره، وجب أن العسر الثانى هو الأول وصار المعنى : ان مع العسر يسرين، ومنه الحديث : «لا يغلب عسر واحد يسرين»[١].

ب ــ «**بعـد**» هو أحـد الظـروف الـذى لا يلازم البنـاء، فهـو يبنى فى بعض الأحوال ويعرب فى بعضها الآخر كقيل ودون وأول والجهات الست، ويأتى هذا الظرف أى «بعد» فى مقابل «قبل» نحو قوله تعالى ﴿**لله الأمر من قبل ومن بعد**﴾ (الروم : ٤) وقد يخرج عن معنى مقابلة قبل فيأتى بمعنى «مع» نحو قول الله سبحانه وتعالى ﴿**عتل بعد ذلك زنيم**﴾ (القلم : **١٣**) أى **عتل** مع ذلك زنيم.

وهكذا يلاحظ أن مع وبعد تقارضا المعانى فيما بينهما[٢].



وبعـــد فلعلى أكـــون قد ألممت بما يجب أن يقـــال فى «ظـاهـرة التقـارض فى النحـو العربي»، وربما فاتنى منها القليل أو الكثير أرجو الله أن يهدينى إليها فى قابل الزمان، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) الحديث أخرجه الحاكم بسند ضعيف مرسلا.

(٢) راجع الأزهية : ٢٩٢. والمغنى : ٤٣٩. وجامع الدروس العربية : ٢ : ٢١٤.

ملامح النقد الأدبي ومقاييسه في العصر الجاهلي

د. محمد عارف محمود حسين
مدرس بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر

النقد الأدبى ملكة وذوق وفطرة، قبل أن يكون علما وأصولا وقواعد، وكما وجد الأديب المنشىء الذى وهب ملكة الإنشاء والإبداع الأدبى، الذى يستطيع أن يصور فى أسلوب مثير ما يجيش به خاطره، وما يعتمل فى فؤاده من أفكار وخواطر وأحاسيس. - كما وجد الأديب المنشىء المبدع، فقد وجد - كذلك - الانسان الذواقة، المرهف الاحساس، النافذ النظر، الذى يستطيع أن يكشف عما فى العمل الأدبى من جمال أو قبح، وأن يصل إلى ما خفى من سماته وشاراته، التى تكسبه المكانة العالية إن كانت سماته وشاراته جميلة، أو التى تنزل به إلى الدرك الأسفل فى باب الفن الأدبى، إن كانت قبيحة.

ونخلص من هذا إلى القول بأنه إذا كان العرب قد وهبوا ملكة الإنشاء والإبداع الأدبى، وجادت ملكتهم بروائع الشعر والنثر، فقد وهبوا - كذلك - ملكة النقد والتذوق الأدبى، لما أنشأه المنشئون من شعرائهم، ونخلص - أيضا - إلى القول بأن النقد الأدبى نشأ مع النتاج الأدبى جنبا إلى جنب، وأن الناقد الأدبى وجد فى الوقت الذى وجد فيه الأديب المنتج.

وهذا يعنى أن العرب القدامى قد عرفوا النقد الأدبى وزاولوه، عرفوه فطرة وطبيعة، وزاولوه ذوقا وإحساسا، وطبقوه على نتاجهم الشعرى، ولكنهم لم يعرفوه علما وفنا، له أصوله وقواعده؛ إذ لم يسموا عملهم هذا نقدا، ولم يصفوه هذا الوصف، لأن كلمة «نقد» - مقصودا بها تمييز جيد الكلام من رديئه - لم تستعمل إلا فى القرن الثالث الهجرى؛ حيث أضيفت إلى الشعر مرة، وإلى النثر ثانية، وإلى الكلام مرة ثالثة، وأخذ الناس يقولون: نقد الكلام، وهو من نقدة الشعر ونقاده، وانتقد الشعر على قائله[1]، واستعمل الشعراء النقد بهذا المعنى

(١) أساس البلاغة.

كذلك، فقال بعضهم:

إن نقد الدينار إلا على الصيـ ـرف صعب فكيف نقد الكلام[1]

واستخدم المؤلفون هذا التعبير، وأول من استعمله «قدامة[2] بن جعفر» وذلك حين أطلق على كتابه «نقد الشعر» ثم مضى الناس على إثره، فوجدنا كتاب «نقد النثر» فالأرجح أنه لغيره وليس له، ووجدنا «ابن رشيق[3]» يعنون كتابه بـ«العمدة فى صناعة الشعر ونقده».

ملامح النقد الجاهلى:

والنقد الأدبى يعنى النظر الدائب الفاحص فى النتاج الأدبى، للكشف عما فيه من جوانب الجمال، أو مواضع القبح؛ ولذا كان أول شىء مارسه العرب القدامى من شئون النقد الأدبى، هو نظر الشعراء منهم إلى نتاجهم، فكان أغلبهم يتناول شعره بالنظر والتأمل، فلا يزيده النظر والتأمل إلا احتفاء به وحبا له، ورغبه فى تثقيفه، ومحاولة دائبة لصقله، حتى يصل به إلى درجه يشعر معها أنه راض كل الرضا.

وقد اشتهر من هؤلاء الشعراء الذين عنوا بأشعارهم، ووقفوا بأبواب قوافيه، بل باتوا بها - كما كانوا يقولون - اشتهر من هؤلاء زهير[4] بن أبى سلمى، وكعب[5] بن زهير، والحطيئة[6]. فكان الواحد منهم يمضى عاما كاملا ينقح قصيدة واحدة، حتى يصل بها إلى درجة يظن معها أن قصيدته نالت رضاه واستحسانه، وقد سميت هذه القصائد - لذلك - بالحوليات والمنقحات والمحككات.

---

(١) دلائل الإعجاز: ١٩٦.

(٢) هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادى، كان أديبا ومؤلفا، ألف كتبا كثيرة، لم يصلنا منها سوى كتابى: «نقد الشعر» و«الخراج» توفى سنة ٣١٠هـ.

(٣) هو أبو على الحسن بن على بن رشيق الأزدى القيروانى، ناقد وأديب وشاعر، ومن مؤلفاته: «قراضة الذهب فى نقد أشعار العرب» و«الغرائب والشذوذ فى اللغة» بالإضافة إلى كتابه الشهير «العمدة» توفى عام ٤٥٦هـ.

(٤) هو زهير بن أبى سلمة - ربيعة - بن رياح المزنى، أحد الشعراء الثلاثة المشهورين والمقدمين فى الجاهلية، وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة. مات قبل الإسلام بزمن طويل.

(٥) هو كعب بن زهير بن أبى سلمى، شاعر مخضرم، كان من أكثر الشعراء هجوا للنبي ﷺ، ثم جاء وأسلم، ومدحه بقصيدته الشهيرة «بانت سعاد» توفى سنة ٢٤هـ.

(٦) الحطيئة: هو جرول بن أوس من بنى قطيعة بن عبسى، يكنى أبا مليكة، وكان راوية كعب بن زهير، وهو جاهلى إسلامى، من فحول الشعراء وفصحائهم، متين الشعر، متصرف فى جميع الفنون، ولكنه اشتهر بفن الهجاء، توفى سنة ٣٠هـ.

فها هو ذا كعب بن زهير، يذكر الشعر وحاجته إلى التقويم والتثقيف، ويذكر فضله وفضل الحطيئة فى هذا الشأن فيقول:

فمن للقوافى شانها من يحوكها إذا ما ثوى كعب وفوز جرول[١]

يقومها حتى تلين متونها فيقصر عنيا كل ما يتمثل[٢]

والحطيئة يذكر صعوبة المرتقى إلى جيد الشعر، وحاجة الشاعر إزاءه إلى الجهد والخبرة؛ إذ يقول: [٣]

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه يريد أن يعربه فيعجمه[٤]

وهو الذى يقول: «خير الشعر الحولى المنقح المحكك»[٥].

وعناية الشاعر الجاهلى بشعره: بالنظر فيه وتقويمه وتثقيفه منحى نقدى جاهلى، سار على نهجه كثير من الشعراء الذين تتابعوا عبر العصور.

ومن هؤلاء الشعراء الذين جروا فى طلق الشعراء الجاهليين عدى[٦] بن الرقاع، وسويد[٧] بن كراع، ومروان[٨] بن أبى حفصه، فها هو ذا عدى بن الرقاع يتحدث عن تقويمه لشعره وتثقيفه له فيقول:

---

(١) القوافى: الأشعار. شانها من يحوكها: ألحق بها العيب من يتصدى لصنعها ونسجها. ثوى، فوز: مات. جرول: الحطيئة.

(٢) يقومها: يهذبها ويقوم معوجها. المتون: جمع متن، وهو الظهر، أى تستقيم كما يريد. ما يتمثل: ما يشتهر كالمثل.

(٣) الأغانى: ٢/١٩٦.

(٤) يعجمه: يجعله كالأعجمى، غير مفصح ولا مبين. ويعجمه معطوف على يريد.

(٥) البيان والتبيين: ١/٢٠٤ (تحقيق عبد السلام هارون). والمحكك: الذى فحص واختبر وعولج.

(٦) هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع، من عاملة: شاعر كبير من أهل دمشق، كان معاصرا لجرير، مهاجيا له، مقدما عند بنى أمية، مداحا لهم، خاصا بالوليد بن عبد الملك، لقبه ابن دريد فى كتاب «الاشتقاق» بشاعر أهل الشام توفى نحو ٩٥هـ.

(٧) هو سويد بن كراع العكلى، من بنى الحارث بن عوف: شاعر فارس مقدم، كان فى العصر الأموى صاحب الرأى والتقدم توفى نحو ١٠٥هـ.

(٨) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة: شاعر مجيد، عاصر الدولتين: الأموية والعباسية، ظهر نجمه فى الأخيرة خاصة عند المهدى والهادى والرشيد، وكان شاعرهم الأول، اشتهر بالمديح طلبا للنوال. توفى سنة ١٨٢هـ.

وقصيدة قدبت أجمع بينها حتى أقوم سيلها وسنادها[1]
نظر المثقف فى كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منادها[2]

وهذا سويد بن كراع يصف نزعة الصناعة وصفا أدبيا فى وجه البداهة والارتجال إذ يقول: [3]

أبيت بأبواب القوافى كأنما أصادى بها سربا من الوحش نزعا[4]
أكالئها حتى أعرس بعد ما يكون سحيرا أو بعدا فأهجعا[5]

ثم يقول:

وجشمنى خوف ابن عفان ردها فثقفتها حولا حريدا ومربعا[6]
وقد كان فى نفسى عليها زيادة فلم أر إلا أطيع وأسمعا

وأما مروان بن أبى حفصة فيتحدث عن صناعته لشعره، ومعاودة النظر فيه وتقديمه، فيقول: «كنت أعمل القصيدة فى أربعة أشهر، وأحككها فى أربعة أشهر، وأعرضها فى أربعة أشهر، ثم أخرج بها إلى الناس، فقيل له: فهذا هو الحولي المنقح»[7].

**** ***** ****

ولم يقف الأمر بالشعراء الجاهليين عند حد شعرهم بالتأمل فيه والنظر إليه، ومحاولة تنقيحه وتهذيبه... بل تعدوا ذلك؛ فكان منهم من يتجاوز النظر فى شعره إلى النظر فى شعر غيره، فيتناوله بالفحص والتدقيق وإنعام النظر فيه مرة بعد مرة، ثم يعقب على ذلك، بما يرى من استحسان أو استهجان.

---

(١) السناد ـ هنا ـ: العيب فى الشعر.
(٢) المنآد: المعوج.
(٣) البيان والتبيين: ٢/١٢، ١٣.
(٤) أصادى: أراجى وأخاتل. النزع: جمع نازع، وهو الغريب.
(٥) أكالئها: أراقبها. التعريس: النزول فى وجه السحر.
(٦) الحريد: التام الكامل.
(٧) الخصائص: ١/٣٢٤، ٣٢٥ (تحقيق: محمد على النجار) ط دار الهدى للطباعة والنشر. بيروت.

ومن الأمثلة التى روتها كتب الأدب لحكم بعض الشعراء على بعض، ما روى أن النابغة[1] الذبيانى فقد حسان[2] بن ثابت، حين أنشده قوله:

لنـا الجـفنـات الغـر يلمعن فى الضحى ... وأسـيـافـنـا يقطـرن من نجـدة دمـا

نقده بقولـه: أقللت جفانـك وسيوفك (لأن الجفنات هى الجمع لأدنى العدد، أما الكثرة فتجمع على جفان، وكذلك الأسياف لأدنى العدد، والكثرة سيوف) وقلت: «يلمعن فى الضحى» ولو قلت: يبرقن فى الدجى لكان أبلغ؛ لأن الضيف فى الليل أكثر، وقلت: «يقطرن من نجدة دما» فدللت على قلة القتل، ولو قلت: يجرين لكان أكثر لانصباب الدم.

ومنها ماروى أن أهل المدينة نقدوا شعر النابغة الذى وقع فيه «الإقواء»[3] وهو قوله:

من آل مية رائح أو مغتد ... عجلان ذا زاد وغير مزود[4]

زعم البوارح أن رحلتنا غدا ... وبذاك خبرنا الغراب الأسود[5]

وقوله:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليد[6]

بمخضب رخص كأن بنانه ... عنم يكاد من اللطافة يعقد[7]

ويروى أبو عمرو[8] بن العلاء أن الذبيانى، لما قدم يثرب على الأوس والخزرج ـ وكان أهل الحجاز من المعجبين بشعره، وكانوا قد عرفوا الإقواء فى شعره ـ دسّوا له قينه

---

(١) هو زياد بن معاوية من ذبيان من قيس، أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء فى العصر الجاهلى، توفى سنة ٦٠٤م.

(٢) هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصارى، شاعر جاهلى إسلامى، وقد عاش فى الجاهلية ستين سنة، وفى الإسلام مثلها، ومات فى خلافة معاوية سنة ٥٤هـ. اشتهر فى الجاهلية بمدح ملوك غسان والحيرة، واختص بعد الإسلام بمدح النبى ﷺ والدفاع عنه.

(٣) الإقواء: اختلاف حركة الروى عما بنيت عليه القصيدة من حركة.

(٤) راح: جاء أو ذهب فى الرواح، وهو العشى. المغتدى: المبكر.

(٥) البوارح: جمع بارح. وهو الطير يمر عن يمينك إلى شمالك، وكانوا يتشاءمون به.

(٦) النصيف: كل ما غطئ الرأس.

(٧) المخضب: المصبوغ بالخضاب، وهى الحناء. الرخص: اللين الناعم. البنان: طرف الإصبع. العنم: شجر بالحجاز. له ثمر مستطيل أحمر، يشبه به البنان المخضب.

(٨) أبو عمرو بن العلاء، هو زبان بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحسن التميمى المازنى، أحد القراء السبعة، كان من الشيوخ العلماء بالرواية واللغة والأدب، ظل طول حياته يجمع أشعار العرب القدماء، ولاسيما أشعار الجاهلية، توفى سنة ١٤٥هـ.

(جاريه) تغنيه به، فغنته ومدت صوتها بالقوافى، فظهر الاختلاف فى حركتها، وتنبه النابغه لما جاء منها مضموما، وهى مكسورة كلها، فأصلحه على الوجه الآتى:

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الأسود
بمخضب رخص كأن بنانه عنم على أعضائه لم يعقد

وقال: «قدمت الحجاز وفى شعرى هنة، ورحلت عنه وأنا أشعر الناس»[1].

ومنها نقد طرفة[2] بن العبد لقول المتلمس:[3]

وقد أتناسى الهم عند ادكاره بناج عليه الصيعرية مكدم[4]

نقده بقوله: «استنوق الجمل»[5] يعنى طرفة أن الشاعر قد وصف الجمل بما توصف به الناقة؛ لأن الصيعرية سمة تكون فى عنق الناقة لا الجمل.

ومن الأمثلة على هذا اللون من النقد - أيضا - ما روى أن الحطيئة سئل: من أشعر العرب؟ قال: الذى يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم[6]

يقصد بهذا زهيرا، وسئل: ثم من؟ قال الذى يقول:

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب

يقصد عبيد بن الأبرص[7].

**** ***** ****

وليس ما تقدم من نظرات جاهلية نقدية - من نظر الشاعر فى شعره، ومحاولته تهذيبه وتثقيفه، ومن نظره - أحيانا - إلى شعر غيره والحكم عليه - ليس ما تقدم هو كل ما قام به النقد الجاهلى من دور فى تقويم الشعر العربى الجاهلى، والوصول به إلى درجة من الكمال

---

(١) المرشح: ٣٨ (المطبعة السلفية سنة ١٣٤٣هـ).

(٢) هو أبو عمرو طرفة بن العبد من بكر وائل من ربيعة، ابن أخى المرتس الأصغر، وابن أخت المتلمس، وقد نبغ فى الشعر من حداثته، حتى صار يعد من الطبقة الأولى، وهو من أصحاب المعلقات، وتوفى صغير السن سنة ٥٥٠م.

(٣) هو جرير بن عبد المسيح - وقيل ابن عبد العزى - الضبعى، ولعله ولد وثنيا فتنصر، وهو خال طرفة بن العبد.

(٤) الناجى: الجمل السريع. المكدم: الصلب.

(٥) الموشح: ٧٦، ٧٧.

(٦) يفره: يحفظه وافرا.

(٧) هو عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر بن مالك بن زهير، ينتهى نسبه إلى بنى أسد من مضر، وكان عبيد شاعرا جاهليا قديما، من شعراء الطبقة الأولى، قديم الذكر، عظيم الشهرة، توفى سنة ٥٥٥م.

الفنى . . . بل إن النقد الجاهلى قد ساهم بلون آخر من ألوانه التى عملت على النهضة بالشعر العربى ، هذا اللون هو المفاضلة أو الموازنة بين الشعراء .

وتروى كتب الأدب أن النابغة الذبيانى ، كانت تضرب له قبة فى سوق عكاظ ، حيث يفد إليه الشعراء يعرضون عليه نتاجهم ، فإذا به يستمع إليهم جميعا ، ثم يحكم فى النهاية لمن نالت قصيدته الرضا والاستحسان .

وقد ساعد على هذا اللون من النقد ، وعمل على وجوده دواع كثيرة ، ومواقف متعددة ، منها «تلك المواسم والأسواق ، والمجامع الجامعة ، والمحافل الحافلة ، التى كان العرب يحضرونها بما لديهم من المفاخر ، يتبادلون عندها المنافع ، ويتناشدون الأشعار ، متباهين بجودتها ، وقد جلس للحكم بينهم وتفضيل بعضهم على بعض فيها سادة مقدمون ، ولسن معاول[1]» ومنها تلك المواقف التى كثيرا ما «يلتقى فيها شاعران على بساط المنافسة الأدبية ، أو يجريها اللجاج حول بعض الأمور إلى التماس الفوز عن طريق الحكم لأحدهما بالأصالة والمنزلة الشعرية»[2] .

وتروى لنا كتب الأدب مشهداً من تلك المشاهد التى كانت بين النابغة والشعراء فى عكاظ ، أنشده الأعشى مرة ، ثم أنشده حسان بن ثابت ، ثم شعراء من بعده ، ثم الخنساء أنشدته قصيدتها فى رثاء أخيها صخر التى منها : -

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

فأعجب بالقصيدة ، وقال لها : لولا أن أبا بصير - يعنى الأعشى - أنشدنى لقلت : إنك أشعر الجن والإنس . فالأعشى إذن أشعر الذين أنشدوا النابغة ، والخنساء تليه منزلة وجودة شعر[3] .

ومن الأمثلة على هذا اللون من النقد الذى يقوم على المفاضلة بين الشعراء ما روى أن رهطا من شعراء تميم اجتمعوا فى مجلس شراب ، وهم : الزبرقان[4] بن بدر ، والمخبل[5]

---

(١) ، (٢) فى النقد الأدبى عند العرب : ٦٨ للدكتور : محمد طاهر درويش (دار المعارف) .

(٣) تاريخ النقد الأدبى عند العرب : ١٢ للأستاذ : طه أحمد ابراهيم (دار الحكمة - بيروت) .

(٤) هو حصين بن بدر بن خلف بن بهدلة بن عوف بن زيدمناة . كان خطيبا وشاعرا ، استعمله النبي على صدقات قومه .

(٥) هو ربيع بن مالك بن ربيعة بن قتال بن أنف الناقة ، ينتهى نسبه إلى زيد مناة بن تميم ، شاعر مشهور ، عمر فى الجاهلية والإسلام عمرا طويلا ، ومات فى خلافة عمر أو عثمان - رضى الله عنهما - وهو شيخ كبير .

السعدى، وعبدة[1] بن الطبيب، وعمرو[2] بن الأهتم، اجتمعوا قبل أن يسلموا، وبعد مبعث النبي ﷺ، وتذاكروا أشعارهم، وقال بعضهم: لو أن قوما طاروا من جودة الشعر لطرنا، فتحاكموا إلى أول من يطلع عليهم؛ فطلع عليهم ربيعة بن حذار الأسدى أو غيره فى رواية، وقالوا له: أخبرنا أينا أشعر؟ فقال: أما عمرو فشعره برود يمنية تطوى وتنشر، وأما أنت يازبرقان فكأنك رجل أتى جزورا قد نحرت، فأخذ من أطايبها، وخلطه بغير ذلك، أو قال له: شعرك كلحم لم ينضج فيؤكل، ولا ترك نيئا فينتفع به، وأما أنت يامخبل فشعرك شهب من الله يلقيها على من يشاء من عباده؛ وأما أنت ياعبدة فشعرك كمزادة أحكم خرزها فليس يقطر منها شىء[3] وفى رواية أخرى أنه قال لعمرو: وأما أنت ياعمرو فإن شعرك كبرود حبر، يتلألأ فيها البصر، فكلما أعيد فيها النظر نقص البصر، وقال للمخبل: وأما أنت يامخبل، فإن شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم، وقال لعبدة: وأما أنت ياعبدة فإن شعرك كمزادة أحكم خرزها، فليس تقطر ولا تمطر[4].

ومن الأمثلة على هذا اللون ـ أيضا ـ ما روى أن امرأ القيس[5] كان جالسا بخبائه، وعنده زوجه «أم جندب» الطائية، فجاءه علقمة[6] بن عبدة التميمى، وتذاكرا أمر الشعر، وادعى كل منهما لنفسه فيه ما ليس عند صاحبه، فاتفقا على أن ينشدا، وتحكم بينهما «أم جندب» فقال امرؤ القيس قصيدته التى مطلعها:

خليلى مرا بى على أم جندب   نقضى لبانات الفؤاد المعذب

ومنها فى وصف جواده:

فللسوط ألهوب وللساق درة   وللزجر منه وقع أفرج منعب[7]

---

(١) هو عبدة بن الطبيب ـ يزيد ـ بن عمرو بن وعلة بن أنس، وينتهى نسبه إلى زيد مناة بن تميم، شاعر مجيد، ليس بالمكثر، وهو مخضرم، أدرك الإسلام فأسلم.

(٢) هو عمرو بن سنان ـ الأهتم ـ بن سمي بن سنان، وينتهى نسبه إلى زيد مناة، كان خطيبا بليغا وشاعرا.

(٣) تاريخ النقد الأدبى عند العرب: ١٤.

(٤) الموشح: ٧٥.

(٥) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور ـ كندة ـ يعده الرواة شيخ الشعراء فى الجاهلية ويعدونه مبتدعا لكثير من المعانى التى سطا عليها الشعراء من بعده، توفى نحو سنة ٥٦٠م.

(٦) هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة بن قيس، ينتهى نسبه إلى زيد مناة، شاعر جاهلى مجيد، وكان من صدور الجاهلية وفحولها، توفى سنة ٥٦١م.

(٧) الدرة ـ هنا ـ: العدو الشديد. الأفرج: واسع ما بين الرجلين. المنعب: الفرس الجواد يمد عنقه فى العدو كالغراب، والذى يسطو برأسه.

وقال علقمة يعارضه :

ذهبت من الهجران فى كل مذهب ... ولم يك حقا كل هذا التجنب

ووصف فيها جواده فقال :

فأدركهن ثانيا من عنانه ... يمر كمر الرائح المتحلب[1]

فلما فرغا قضت «أم جندب» لعلقمة على امرىء القيس، فسألها : بم فضلته على؟ فقالت : فرس ابن عبدة أجود من فرسك، فأنت زجرت وحركت ساقيك، وضربت بسوطك، أما علقمة فأدرك بفرسه غرضه، ثانيا من عنانه، لم يضربه بسوط ولم يجهده.

مقاييسه :

ولسائل أن يسأل ويقول : على أى نحو كان هذا النقد الجاهلى؟ أكانت له أصول وأسس يتم على أساسها تقويم الشعر الجاهلى، أم كان مجرد نقدات فطرية، ونظرات ذوقية؟

نستطيع أن نقول : إن النقد الذى مارسه قدامى النقاد العرب ـ فى بدايات النقد وأولياته ـ لم تكن له أصول معروفة، ولا مقاييس مقررة، بل كان مجرد لمحات ذوقية، ونظرات شخصية، تقوم على ما تلهمهم به طبائعهم الأدبية، وسليقتهم العربية، وأذواقهم الشاعرة، وحسهم اللغوى الدقيق بلغتهم، وإحاطتهم بأسرارها، ووقوفهم على ما للألفاظ من دلالات وإيحاءات فى شتى صورها، بالاضافة إلى ما تزودهم به الطبيعة العربية الجاهلية من معارف وتقاليد، تساعدهم كثيرا فى لمحاتهم النقدية، ونظراتهم الشعرية.

وحينما نحاول تطبيق هذه المقاييس الذوقية الفطرية التى على أساسها كان الناقد الجاهلى يستلهم أحكامه، ويبنى نقده. . ـ حينما نحاول تطبيق ذلك على ما تقدم من لمحات نقدية، نجد ذلك واضحا تمام الوضوح.

فنقد النابغة الذبيانى لشعر حسان بن ثابت ـ والذى أوردناه من قبل ـ كان مستمدا من فهم النابغة لطبيعة اللغة العربية، ومعرفته التامة بدلالات الألفاظ، وما توحى به أبنية الكلمات من معان وإيحاءات.

---

(١) المتحلب : السائل. كأنه لسرعته لا يجرى، بل يسيل سيلانا.

ونقـد أهـل المـدينـة لشعر النابغة ، لما فيه من إقواء ، كان نابعا من فهم العربى لطبيعة الشعـر العـربى ، ولمـا ينبغى أن يكـون عليه من انسجام فى الوزن ، واتساق فى النغم ، الأمر الـذى يتطلب ـ ضمن ما تتطلبـه قواعـد الشعـر العربى ـ وحدة حركة الروى ، التى تكسب الشعـر اتسـاقـا وانسجاما ؛ ولذا كان اختلاف حركة الروى ـ الإقواء ـ فى شعر النابغة مذهبا لروعة الوزن، واتساقه، بل محدثا لنوع من التنافر فى النغم، مما جعله غير متسق ولا منسجم .

ونقد طرفة لشعر المتلمس لوصفه الجمل بصفة الناقة ، كان مبنيا على فهم واع بطبيعة البيئـة العـربيـة ومعـرفـة تامة بالسمات والصفات ، التى تتميز بها الحيوانات العربية ، لاسيما الحيوانات التى كانت مرتبطة بحياة العربى ، وكان العربى مرتبطا بها .

**** ***** ****

وعلى الـرغم من وضـوح تلك الحقيقة ـ وهى أن العربى الجاهلى كان خبيرا بلغته ، عالمـا بأسـرارهـا ولطـائفهـا ـ على الرغم من ذلك نلاحظ بعض نقادنا المعاصرين ، يحاولون التشكيك فى صحة ما نسب إلى بعض نقاد العرب القدامى من أحكام نقدية ، خاصة تلك التى نسبت إلى النـابغـة الـذبيـانى فى نقده لحسان بن ثابت بدعوى أن ما فيه ينضح بالروح العلميـة ، والنظـرة الـدقيقة ، التى تتسم بدقة التحليل والقدرة على الاستنباط ، وتلك أمور تأباها طبيعة العصر الجاهلى ، الذى يعتمد نقده على الذوق وحده .

يقـول المـرحـوم الأستـاذ/ طه أحمـد ابراهيم : «ملكة النقد عند الجاهليين هي الذوق الفنى المحض ، فأما الفكر وما ينبعث عنه من التحليل والاستنباط ، فذلك شىء غير موجود عندهم . وبعيد كل البعد عن الروح الجاهلى ، وعن طبيعة العصر الجاهلى ما يضيفه بعض الرواة إلى قصة النابغة مع حسان فى عكاظ . . .

عيب على حسـان أن يفتخـر فلا يحسن الافتخـار ، وأن يؤلـف بيته من كلمات غيرها أضخم معنى منهـا ، وأوسـع مفهـومـا : ترك الجفـان ، والبيض ، والإشـراق ، والجـريـان ، واستعمل الجفنات ، والغر ، واللمعان ، والقطر ، وهى دون سابقاتها فخرا ، وعيب عليه غير ذلـك ، وتختلف القصـة طولا وقصـرا ، وتختلف فيهـا وجـوه النقـد ، وكـل ذلـك تأبـاه طبيعة الأشياء ، وكل ذلك يرفض رفضا علميا من عدة وجوه[1]» .

---

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب : ١٨ ، ١٩ .

ومن هذه الوجوه التى ذكرها قوله: «فلم يكن الجاهلى يعرف جمع التصحيح وجمع التكسير، وجموع القلة والكثرة، ولم يكن له ذهن علمى يفرق بين هذه الأشياء، كما فرق بينها ذهن الخليل وسيبويه، ومثل هذا النقد لا يصدر إلا عن رجل عرف مصطلحات العلوم، وعرف الفروق البعيدة بين دلالات الألفاظ، وألم بشىء من المنطق»(١).

ومنها ـ أيضا ـ قوله: «ولو أن هذه الروح ـ يقصد روح النقد التى اتسم بها نقد النابغة ـ جاهلية؛ لوجدنا أثرها فى عصر البعثة، يوم تحدى القرآن العرب وأفحمهم إفحاما، فلقد لجأوا إلى الطعن عليه طعنا عاما، فقالوا: سحر مفترى، وقالوا: أساطير الأولين، ولو أن لديهم تلك الروح البيانية، لكان من المنتظر أن ينقدوا القرآن على نحوها، وأن يفزعوا إليها فى تلك الخصومة العنيفة التى ظلت نيفا وعشرين عاما»(٢).

أما بالنسبة للوجه الأول فنقول: إن هذه الدعوى التى أطلقها هذا الناقد ـ وهى أن العربى الجاهلى لم يكن يعرف جمع التصحيح وجمع التكسير. . . ـ إن هذه الدعوى، فيها تجن على مقدرة العقل العربى الذى كان يعرف ـ بلاشك ـ دلالات الألفاظ والفروق الدقيقة بينها، وذلك بمنطق الفطرة والطبيعة، التى فطر عليها، لا بمنطق العلم ومصطلحاته، والعربى الجاهلى لم يكن ـ فى استعمالاته لكلمات لغته ـ بحاجة إلى هذه المصطلحات التى وضعها من بعد علماء اللغة والنحو، بدليل أنه كان يرفع الفاعل، وينصب المفعول، ويجر المضاف إليه بفطرته وسليقته، دون أن يدرك هذه المصطلحات: الفاعل، المفعول، المضاف إليه، الرفع، النصب، الجر. إذن فالعربى الجاهلى لم يكن بحاجة فى استعمالاته للغته لهذه المصطلحات: جموع القلة والكثرة، والتصحيح والتكسير وما إليها، ولم يكن استعماله لها متوقفا على معرفته بها؛ كى يدرك دلالات الألفاظ والفروق الدقيقة بينها.

وأما بالنسبة للوجه الثانى فنقول: إن هذه ـ أيضا ـ دعوى، تحمل بين طياتها إنكار كون العرب قد أوتوا حظا من الفصاحة والبلاغة والبيان، ولو كان الأمر كذلك لما تحداهم الله بالقرآن، وهو المعجزة البيانية الرائعة، إذ كيف يتحدى الله بالبلاغة قوما لا حظ لهم منها؟! وإذ تحداهم الله بالبيان فى قرآنه العظيم، فهذا دليل على مبلغ بلاغتهم، وطول باعهم فى صناعتها.

---

(١) المرجع نفسه: ١٩.

(٢) المرجع نفسه: ١٩، ٢٠.

أمـا عدم ردهم على القـرآن بنحو بلاغته وفصاحته، فهذا دليل واضح، وسلطان بين على مبلغ إدراكهم لبـلاغـة القـرآن، وأنهم لن يستطيعـوا أن يجاروه فيهـا، ولذا لم يكن أمام عجزهم الواضح عن ملاحقة بلاغة القرآن، والرد عليها بنحوها أو مثلها إلا قولهم العاجز: سحـر مفـتري، أسـاطـير الأولين. ولعل قصة الوليد بن المغيرة، حينما تلا عليه الرسول ﷺ صدرا من سورة «فصلت» وكيف سجد لفصاحة القرآن. وقال فيه قولته الشهيرة: «والله لقد سمعت من محمـد آنفـا كلامـا، ما هو بكلام الإنس ولا من كلام الجن، والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى عليه»[1] ـ لعل هذه القصة خير دليل على مدى فهمهم للبلاغة، وقوة بيانهم، وإلا فكيف أدرك الوليد هذه البلاغة القرآنية، لو لم تكن لديهم هذه الروح البيانية، التي ينكرها عليهم ويسلبها منهم هذا الناقد!!

إن هذه دعـوى تنقصهـا الحجـة الـواضحـة، وتنقضهـا مخالفة الواقع، بل فيها مماراة مكشوفة، وظلم للعقل العربي الجاهلي!

طبيعـــــة أحكامــــــه:

لعلنـا نستطيـع ـ من خلال ما تقدم من حديث عن ملامح النقد الجاهلي ومقاييسه ـ أن نستشف طبيعة الأحكام النقدية في هذا العصر، وأن نقف على سماتها وملامحها.

وأول سمـة لهذه الأحكـام: **هي سمـة العموم**: ونعني بها أن يطلق الناقد ـ في أحيان كثـيرة ـ أحكـامـه، ويرسل آراءه، دون أن يذكر سببا، أو يردف علة، وخير مثل لذلك قول الحطيئة ـ وقد سئل عن أشعر العرب ـ: أشعر العرب الذي يقول:

ومـن يجعـل المعـروف من دون عرضـه   يفـره ومـن لا يتـق الـشـتـم يشـتـم

يقصد زهيرا. وسئل: ثم من؟ قال الذي يقول:

من يسأل النـاس يحرموه وسـائـل الله لا يخيـب

---

(1) صفوة التفاسير: ٤٧٦/٣ للأستاذ: محمد على الصابوني (دار القرآن الكريم ـ بيروت).

ومن ذلك حكمهم على بعض القصائد بأنها بالغة منزلة عليا فى الجودةِ بالموازنة بغيرها، كقولهم فى قصيدة سويد[1] بن أبى كاهل اليشكرى التى مطلعها:

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع

قولهم عنها انها من خير القصائد، ودعوها اليتيمة[2].

وكقولهم عن قصيدة حسان اللامية التى مدح بها أبناء (جفنة)، والتى قال فيها:

لله در عصابة نادمتهم يوما بجلق فى الزمان الأول

قولهم عنها إنها من أحسن ما قيل فى المدح، وتسميتهم لها بالبتارة، لأنها بترت المدائح[3].

وقولهم عن قصيدة علقمة بن عبدة التى يقول فيها:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم؟

قولهم عنها: إنها سمط الدهر. فلما أنشد قصيدته التى مطلعها:

طحا بك قلب فى الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

قالوا: هاتان سمطا الدهر[4]. إلى غير ذلك من الأحكام العامة، التى لا توضح علة، ولا تذكر سببا.

السمة الثانية: **الإيجاز**: ونعنى بها أن الناقد كثيرا ما يغلف حكمه النقدى بعبارة موجزة، يفهم منها ما يراد، ولكن دون شرح أو تفصيل، وذلك يتضح من نقد طرفة لشعر المتلمس السابق، حينما قال: «استنوق الجمل» فهذه عبارة موجزة تحمل حكما نقديا، عيب به شعر المتلمس الذى وصف الجمل بسمة الناقة.

السمة الثالثة: **الجزئية**: ونقصد بها تناول الناقد لجزئيات من الجوانب الفنية للقصيدة، كجانب الألفاظ أو جانب المعانى، أو جانب الوزن، مثلا، دون تناوله للقصيدة كلها تناولا متكاملا كما يتجه إلى ذلك النقد الحديث. فيتناول الناقد الجاهلى لفظة، أو

---

(١) هو سويد بن أبى كاهل ـ غطيف أو شبيب ـ بن حارثة الذبيانى اليشكرى، شاعر من مخضرمى الجاهلية والإسلام، أشهر شعره هذه العينية التى كانت تسمى فى الجاهلية «اليتيمة» توفى بعد سنة ٦٠هـ.

(٢) المفضليات (هامش): ١٩ (تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون ـ ط ثانية. دار المعارف).

(٣) تاريخ النقد الأدبى عند العرب: ١٤.

(٤) المرجع نفسه: ١٣.

ألفاظا، فيصفها ـ مثلا ـ بالسلاسة أو الجزالة، أو يتناول معنى أو معانى وردت فى القصيدة، فيسمها بالصحة أو الخطأ، أو بالوضوح أو الغموض، وخير ما يمثل ذلك مما قدمنا من أمثلة: نقد طرفة لشعر المتلمس، فقد استهدف فيه طرفة جانب المعنى، ونظر فيه فوجده خطأ.

ومنه ـ أيضا ـ نقد أهل المدينة لشعر النابغة، فهو نقد استهدف جانب الوزن ـ أو الشكل الموسيقى ـ ورأى فيه نشازا فى الوزن؛ حيث اختلفت حركة الروى فى الأبيات، فأحدثت هذا النشاز فى الوزن، والتنافر فى النغم، مما آذى السمع، وأذهب بشىء غير يسير من روعة الوزن.

وكذلك نقد النابغة لبيت حسان السابق الذكر، كله منصرف إلى ألفاظ وكلمات دون تناول النقد للنص كعمل فنى متكامل.

وذلك لأن «الشعر عند نقدته من الجاهليين صياغة وفكرة، كان نظما محكما أو غير محكم، ومعنى مقبولا أو غير مقبول، فمعنى المتلمس فاسد، لأنه أسند صفة لغير ما تسند إليه، ومعانى المهلهل التى غالى فيها فاسدة؛ لأنها فوق المعقول، وشعر الزبرقان يجمع بين الطيب والردىء، أو هو ألفاظ مرصوصة، لا قوة فى معانيها، ولا روح تؤلف بينها، وشعر عبدة بن الطبيب قوى الأسر، متين النظم، متماسك متلاحم، فالصياغة والمعانى، هى ما ينتقد فى الشعر الجاهلى... فإن لم يتعرض الجاهلى فى النقد للشعر تعرض للشاعر، فآثره على غيره، أو وازنه بغيره من الشعراء... هذان هما الميدانان اللذان جال فيهما النقد حولات خفيفة فى العصر الجاهلى: الحكم على الشعر والتنويه بمكانة الشعراء، فأما غير ذلك من البحث فى طريقة الشاعر، أو مذهبه الأدبى، أو صلة شعره بالحياة الاجتماعية، فذلك ما لم يعرفه العصر الجاهلى، وغاية نقدهم أن يأخذوا الكلام منقطعا عن كل مؤثر، بل منقطعا عن بقية شعر الشاعر، ويتذوقونه وفاقا لسليقتهم، ثم يفصحون عن رأيهم..»[1].

السمة الرابعة: **التأثرية والذاتية**: ونعنى بها أن الأحكام النقدية كثيرا ما تكون قائمة على إحساس الناقد بأثر الشعر فى نفسه، وعلى مقدار وقع الكلام عنده، فالحكم مرتبط بهذا الإحساس قوة وضعفا، وإحساس العربى بأثر الشعر إحساس فطرى، وتذوقه له طبيعة

---

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب: ١٦، ١٧.

وجبلة؛ ومن هنا يكون حكمه ـ فى كثير من الأحايين ـ قائما على ذوقه وفطرته، فهما اللذان يهديانه إلى الجيد من فنون القول، وإلى المبرز من الشعراء. وهذا يعنى أنه ليست لديه مقاييس مقررة، ولا أصول معروفة للحكم على الجيد من الكلام، أو المبرز من الشعراء، ليس لديه غير طبعه وذوقه، وإلا فعلى أى أساس كانت قريش تقبل من الأشعار ما تقبل، وترد ما ترد؟ وما الخصائص الفنية فى قصيدتى علقمة حتى تكونا نفيستين؟ وما الذى كان رائعا فى قصيدة الخنساء حتى فضلت على حسان؟ وماذا حوت قصيدة حسان فى أبناء (جفنة) حتى بترت جميع المدائح؟ تلك أحكام لا تقوم على تفسير أو تعليل، ولا تستند على قواعد مقررة، وليس لها من دعامة إلا الذوق العربى المحض[1].

**** ***** ****

وبعد: فمهما يكن من شىء فإن هذه اللمحات النقدية الأولية، التى مارسها النقد فى العصر الجاهلى، قد لعبت دورا لا بأس به فى تقويم الشعر العربى القديم وهدايته ومعاونته على الوصول إلى الكمال، أو على الأقل إلى أولى درجات الكمال، وأنها أشارت ـ أيضا ـ إلى أن كلا من الشاعر العربى والناقد العربى الجاهليين، كان يعرف الأسرار الدقيقة لهذا الفن الأدبى، فأهل يثرب (المدينة) يعرفون الإقواء، والنابغة الذبيانى يلحظ ـ فى دقة ـ الفرق بين جموع القلة وجموع الكثرة، وإن كانوا جميعا يعرفون ذلك ذوقا وفطرة لا علما وفنا.

ولاشك فى أن هذا التحليل الدقيق، أنما هو لون من ألوان النقد الأدبى الصحيح، الذى يقرب النص الأدبى، إلى الملتقي ويقدمه إليه، وإلى صاحبه نفسه ـ كذلك ـ بعد شرحه وتفسيره.

وليس كل ما تقدم هو كل ما قام به النقد الجاهلى، من دور فى تقويم الشعر العربى والوصول به إلى درجة عالية من الكمال الفنى ـ بل إن هذا النقد، قد أسهم بلون آخر من ألوانه التى عملت على النهضة بالشعر العربى، هذا اللون هو المفاضلة، أو الموازنة بين الشعراء.

---

(١) المرجع نفسه: ١٨ (مع بعض التصرف)

وكـان من ثمـرة هذا اللون الـذى ولـد فى العصـر الجاهلى أن سرى تيار المفاضلة بين الشعـراء والمـوازنـة بينهم، وهيمن على نتـاج أدبـاء القـرن الـرابع، وزخرت المكتبة العربية - بفضله - بروائع الموازنات بين الشعراء، من أمثال: «الموازنة بين أبى تمام والبحترى» للآمدى[1]، و«الوساطة بين المتنبى وخصومه» للجرجانى[2] بالاضافة إلى كتب «نقد الشعر» لقدامة، و«العمدة» لابن رشيق وغيرها من الكتب التى حوت كثيرا من هذه الموازنات.



---

(١) هو أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى، كان كاتبا لأبى جعفر هارون بن محمد الضبي، وكان شاعرا أيضا، وجه عنايته إلى دراسة أشعار المتقدمين ونقدها، ومن تصانيفه: «المؤتلف والمختلف» و«معجم الشعراء» و«الأمالى» توفى سنة ٣٧١هـ.

(٢) هو الحسن على بن عبـد العـزيـز الجـرجانى، كان أديبا ممتازا، له عدة تصانيف، منها كتابه المشهور: «الوساطة بين المتنبى وخصومه» توفى سنة ٣٦٦هـ.



للشيخ ضياء الدين الصابوني
الموجه التربوي للغة العربية بالجامعة الإسلامية

قل : السَّفِلة ولا تقل : سفَلَة

السَّفِلة : بكسر الفاء : السُّقّاط من الناس ، يقال : هو من السَّفِلة · ولا تقلْ : هو سفِلة لأنها جمع · وفي الأساس : (هو من السَّفِلة) استعير من سفِلَة الدابة : اهـ
والعامة تقول : رجل سفِلَة من قوم سفِل ·
وبعض العرب يخفف فيقول : فلان من سفلة الناس ، فينقل كسرة الفاء إلى السين
جاء في لسان العرب في مادة سفل ما يلى :
«وسَفِلة الناس وسِفْلتهم : أسافلهم وغوغاؤهم ·
قال ابن السكيت : همُ السفِلة الأرذال من الناس ·
وقال الجوهري : السفِلة : السُّقَّاط من الناس ، يعنى هو من السفِلَة وسأل رجل الترمذي فقال له : قالتُ لى امرأتي يا سفِلة ! فقلت لها : إن كنتُ سفِلة فأنت طالق ، فقال له ما صنعتك ؟ قال : سمّاك ، أعزّك الله ! قال : سَفِلَة ، والله · قال : فظاهر هذه الحكاية أنه يجوز أن يقال للواحد سفِلة · (جزء ٢ ص ١٥٩)

٢ ـ قل : شَغَاف ولا تقل : شِغَاف

الشَّغَاف : بالفتح : غلاف القلب ، وهو جلدة دونه كالحجاب ، وسويداؤه يقال : شغفه الحبُ : أي بلغ شَغَافه ·
وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما : (قد شَغَفَها حباً) وقال : دخل حبُّه تحت الشَّغَاف ، وقيل : غشّى الحب قلبها ، وقيل : أصاب شَغافها · وأنشد أبو عبيدة :

يعلمُ اللهُ أن حبَّكِ مني   في سَوَادِ الفؤاد وَسْطِ الشَّغَاف

وقال ابن السكيت : الشَّغاف هو الخِلب ، وهي جليدة لاصقة بالقلب ، ومنه قيل : خلَبه اذا بلغ شَغَاف قلبه ٠

وقال الشاعر :

حبُّها مالكٌ شَغَافَ فؤادي   كيف أسلو والحب هاج اضطراماً

٣ ـ قل : نِكَـاتْ   ولا تقل : نُكَاتَ

نِكات : بالكسر ، جمع نُكتة ، بضم النون بوزن نُقطة ، وجمعها نُكت ونِكات ، وقولهم : نُكات : بضم النون لحن ٠ وجاء في مختار الصحاح ما يلي : وقولهم (نُكات) عامية ، وفي الصحاح النكتة كالنقطة « جزء ١ ص ٢٦٩ » وفي المعجم الوسيط « جزء ١ ص ٩٥٩ » ٠

٤ ـ قل : موضوعات   ولا تقل : مواضيع

يخطىء بعض الكتاب في استعمال جموع لا صحة لها ، منها كلمات (مشروع ، موضوع ، مكتوب) فيجمعها على (مشاريع ، مواضيع ، مكاتيب) على وزن مفاعيل ، جمع تكسير ٠ والصحيح أن تجمع على مفعولات (أي جمع مؤنث سالما) فتقول : (مشروعات ، موضوعات ، مكتوبات) ٠

قال العلاّمة الصَبَّان في حاشيته على شرح الأشموني لألفية ابن مالك في أعقاب باب جمع التكسير ، عند قوله :

وبفعالل وشُبهـه انطقـا   في جمع ما فوق الثلاثة ارتقى

فائدة (لا يجمع جمع تكسير نحو مضروب (أي ما كان على وزن مفعول) وشذّ (ملاعين) جمع ملعون ٠

ذكره ابن هشام في شرح (بانت سعاد) :

وإليك ما كتبه ابن هشام في شرحه لبيت :

أمستْ سعاد بأرض ما يبلغها   إلا العتاق النجيبـات المراسيل

وإنما تمنع الصفة المبدوءة بالميم من التكسير في مسألتين : إحدهما : أن تكون على وزن مفعول كمضروب ، وشذّ نحو (ملاعين ومشائيم) ٠

والثانى : أن تكون الميم مضمومة (مُختار ، مُنقاد) فتجمع جمع مذكر سالماً (مختارون ، مُنقادون) ، وقد أشار العلاّمة الصبّان إلى جموع الكلمات : (مكتوب ، مشروع ، موضوع ، مفهوم ، وأمثالها) بأنها تجمع جمع تصحيح لا جمع تكسير . ومثال ذلك يقال في جمع مثل (مضروب ومكتوب) فتجمع على (مضروبون ، مكتوبون) .

قال تعالى في سورة الشعراء (لئن اتخذن آلها غيري لأجعلّنك من المسجونين) (جمع مسجون) . وقال أيضاً في نفس السورة : (قالوا : لئن لم تنته يانوح لتكوننَّ من المرجومين) آية ١١٦ (جمع مرجوم) . فنحن نجمعها جمع مؤنث سالماً فنقول : (مكتوبات ، مشروعات ، موضوعات ، مفهومات) . جمع تصحيح لمؤنث ... والله أعلم .

●●●●●●

احذروا الانبهار الغربي

سألت الدكتور جيرى مور عن رأيه بالطلبة العرب هناك ودراستهم في أمريكا فقال :

● هناك الكثير من الطلبة العرب وأنا شخصيا أتعامل معهم وهم نوعيات فهناك الطلبة المجدون وهناك عكسهم ممن لا يحترم العلم ولا يهتم بالجهود والأموال التى تصرفها دولته عليه ـ وللأسف فهناك من ينبهر بالمجتمع الأمريكى انبهارا كبيرا فيتأثر به رغبة بالتطور والتقدم فيفقد نجاحه ويفشل فشلا ذريعا وهنا أرجو من الأخوة الطلبة المبتعثين ملاحظة ذلك والانتباه من الانحراف نحو المجتمع الأمريكى ـ الذى أنا منه ـ والذى وللأسف أصبح مجتمعا سيئا ـ لأن الانحلال الأخلاقى وصل إلى درجة مزعجة .

وهناك مشكلة المجتمع الأمريكى نفسه والذى يجهل المجتمعات الخارجية ولا يحسن التعامل معها فتحدث بعض المشاكل .

استاذ جامعى

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

للشيخ يوسف الهزانى
مدرس بالمعهد الثانوى

نشيد على الدهر لن ينفدا ... يطيب به العيش ماردِّدا
يفيض به الخير تحيا القلوب ... وتهدى النفوس ترى المقصدا
حداء تسير به الكائنات ... وتلقى العوالم فيه الهدى
خطا الكون تمضى بإيقاعه ... ونبض القلوب فكيف اهتدى
لدى الملأ الغر ذاع النشيد ... فلم يفتروا ركعا سجدا
وجاوبهم ناطق مفصح ... أفاض البيان وعى واقتدى
وأعجم سار به لا يمل ... يردده صادحا منشدا
يزف به الديك بشرى الصباح ... فما أعجب الصوت والموعدا
أذان يجلجل فى العالمين ... على الفضل والنور كم أشهدا
تغنى به الطير فى أيكه ... وحب الحصيد وقطر الندى
وتشدو الجبال على صمتها ... ولولا الحجاب سمعنا الصدى
وشاركت الكونَ ذراتُه ... لكل قبيل ترى منتدى
ويعجز آذاننا سمعها ... كما أعجز العين أن تشهدا
فلا شىء إلا شدا باسمه ... يسبحه ما أتى أو غدا

....

نشيد المحامد للذاكرين ... وكيف نلقى ولا نحمدا
من الله جئنا ولم نك شيئا ... ولله سوف نعود غدا
وما بين ذلك شوط طويل ... من العمر فيه المنى والهدى
ترى أنعم الله لا تنقضى ... ولست بمحص بها ما بدا
ولو حجب الله عنك اليسير ... ورمت العلاج لعز الفدا
فلا يتعاظمك ما قد صنعت ... وهل يبلغ الصنع بعض المدى
فلن توفى الله مهما بذلت ... من الشكر فضلا له مُفردا
ولسنا نمن عليه الصلاح ... ولكن يمن علينا الهدى

ألـيس من الحـزم ضبـط الأمـور ... فأعـرف قصـدى لكـى أرشـدا
ولا أتـلهـى بأنـى تركـت ... إلـى أمـد ينـقـضـى حُدِّدا
أأجـهـل أن ليس لى أى أمـر ... لكـى أسـتـقـل وكـى أُفـردا
وخـلف الـبـوادى توارت غيـوب ... ومـهـما تَخَفَّـت فلن تُفـقـدا
فهـذى الحـيـاة وهـذا المـهات ... وهـذى الـعـجـائـب لن تنـفـدا
وكـيـف بجـسـمـك تجرى المقـاديـ ... ـر ما يسـتـحـيـل ومـا جُددا
تحالـيـل قد حيرت دقـة ... ولا معـمـل أو خبـير بـدا
ومـا كنـت حتـى لتـدرى بها ... أمـورك تقـضـى ولـن تشـهـدا
هل الـروح نعـرف ما سرهـا ... أخـذنـا المـنـى أفـنـنسى الهـدى
وهـذى الـنـجـوم بأفـق الـسـماء ... وقـد رفـعـت هل ترى أعـمـدا
ومـثـل الـنـجـوم ترى عالمـا ... من الـذر أعـجـب مما عدا
تنـاهـى بها صغـر فانطـوت ... وفـيـهـا الـشـمـوس نأت مرصـدا
تدور كواكـبـهـا دائـبـاتٍ ... بأفـلاكـهـا أيـن تلقـى المـدى
ففـى كل شىء ترى أمـره ... ينـادى به خالـقـا أوحـدا
فهـل ينـزل الـعـبـد فى ملكـه ... ويـرضـى له غيره مقـصـدا !
ولـكـنـه الـلؤم عز الـلـئـيـم ... وأطـمـعـه الـفـضـل فاسـتـبـعـدا
يهم بها لا تنـال يداه ... ويـدعـو الـدعـاوى فخـابـت يدا
ألا خسـىء الـلؤم ماذا سيـبـلـ ... ـغ مهما اسـتـطـال ومـهـما عدا
إذا ما أتـت ساعـة الإقـتـضـاء ... وقـيـل الحـسـاب حَمِدْنـا الهـدى
ولا تنـقـضـى حسـرات الـلئـيـم ... خداع الـتـمـنـى جزاه الـردى

****

تحية ونداء

د. محمود عبد المحسن
أستاذ مساعد بكلية الحديث الشريف

لأئمة الإسلام خير تحية ... مثل النسيم رقيقة ونديه
حدث عن السلف الكريم فإنهم ... والله نعم الأسوة المرضية
كانوا هداة مهتدين أعزة ... كالشمس فى كبد السماء عليه
كانوا دعاة فاتحين أئمة ... بين الخلائق أمة وسطية
طلعوا على الدنيا بهدى نبيهم ... مثل النجوم الطالعات جليه
ورثوا النبى عقيدة وشريعة ... قولاً وفعلاً بكرة وعشيه

. . . .

يا أيها السلف الرضى هداية ... أنتم مصابيح الأنام بهية
الأعلمون الأسلمون عقيدة ... الناسكون عبادة شرعيه
المرشدون الراشدون حقيقة ... بدلائل الحق الصريح زهيه
الخالصون المخلصون لدينهم ... المرتضون شمائلا خلقيه
الصادعون بكل حق حسبة ... الطالبون رضى الإله عطيه
يجْلُون ليل المعضلات بحقهم ... وسيوفهم فى الحق جد فتيه
تخذوا الكتاب ونور هدى نبيهم ... نهجا لمحو مساوىء البدعيه
حفظوا العقيدة من أباطيل العدى ... حفظا ومن شر الغلاة نقيه
فأجبتهم ورضيت نهج سلوكهم ... لعبادتى وعقيدتى القلبيه
أنا لا أحيد دقيقة عن نهجهم ... صدقا وعدلا مخلصا للنيه
إن السعادة والسلامة والهدى ... بالمنهج السلفى جد حريه
شهد الرسول بفضلهم ونجاتهم ... أكرم بها من سيد البشريه

. . . .

يا أيها السلف الرضى عقيدة | خير القرون دليل كل مزيه
سعد الذى بكم اقتدى مستسلما | للنص لا رأى ولا عصبيه
شقيت شعوب الأرض حين تخاذلت | واستسلمت لمدارس عقليه
واستوردوا السم الخبيث ضلالة | وتفننوا فى جلب كل دنيه
فتخرجت أمم تدين بجهلهم | أمم وربى كالغثاء شقيه

....

قد عطلوا القرآن سر ظهورهم | وتجهموا للسنة النبويه
نبذوا الهدى المهدى واتبعوا الهوى | وعبادة الأهواء شر غويه
وتفرقوا شيعاً فصاروا أكلة | للطامعين الكافرين شهيه

....

ديست كرامتهم وريع حماهمو | بشراذم الحمقى بكل أذيه
أدب من الله العلى ونقمة | حلت بكل المعتدين عتيه
فعساهمو يوما تفىء قلوبهم | للحق يبغون الحياة أبيه

....

يا أمة الإسلام هل من أوبة | لهدى الكتاب وسنة مرضيه
فهما الصراط المستقيم حقيقة | من يعتصم يحيى الحياة هنيه
وهما الحضارة والسيادة عزة | من يعتصم ينصر على الهمجيه
صنعا من الصحراء أكرم أمة | قد أُخرجت للناس جد زكيه
سارت كسير الشمس فى عليائها | بين العباد عدالة وسويه
عودوا إلى الدين الحنيف تعد لكم | سبل العلى وقيادة البشريه

....

●●●●●●●●

أنشودة الأرواح
حول الكعبة المشرفة

شعر / محمد المجذوب

بحرٌ من الخلق لا يُحصى له عددُ   فيه من الأبحر الأمواج والزبدُ

يطوف بالبيت سيلاً لا نفاد له   اذا مضى مدد منه أتى مدد

تسري ضراعته في الأفق لاهبةً   فكل شيء به نشوان يرتعد

تكاد فى غمرها الأجساد من لَهَفٍ   يحيلها الشوق أنوارا فتتقد

(يارب . .) انشوة الأرواح تعزفها   هنا القلوب . . فيا للهِ ما تجد !

والدمع من لذعها هام، فلا خجل   يكفّ جريته الحرّى ولا جلد

تذكرت شأنها يوم الحساب، وقد   سيقت إلى العرض لا عون ولا سند

تود لو أنها في الأرض ما وجدت   ولا ألم بها مال ولا ولد

فاستصرخت: رب نفسي، غير سائلةٍ   سوى النجاة وقد أودى بها الكمد

يذكي لواعجها طيفُ الذنوب فما   تكاد تبصر غير الهول يحتشد

وتنجلى نفحات العفو عن كثب   فتستقر بُعَيْدَ اللوعة الكبد

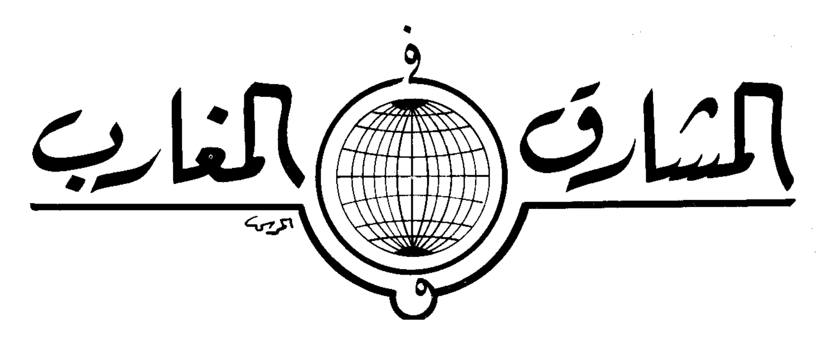
والنفس فى غمرة النجوى قد انطلقت   من أسرها فغدت روحاً ولا جسد

شفّت فما يتراءى في بصيرتها   ـ سوى المليك الذي قد صاغها ـ أحد

فيا لها جلواتٍ من فيوض هدىً   تعيا بلمح سناها الأعين الرمدُ

بها تجلّى على تلك الوفود ـ وقد   وافته تبغى رضاه ـ الواحد الصمد


مع جولات عالمية



الشيخ عبد الله بن أحمد قادري

«الحلقة الخامسة»

إلى سورابايـــــــا :

ودعنـا الأخـوة بعـد زيـارة معهد المسلمين متجهين إلى مدينة سورابايا التى تبعد عن معهـد كونتـور مائتى كيلومتر وكـانت طريقنـا ـ كالعادة ـ فى وسط الغابات والمزارع والقرى منتشـرة بين المـدن وكأننـا نسير فى مدينة واحدة لكثرتها وكان الشارع مزدحما بالسيارات على اختـلاف أشكـالها كأننا فى شارع داخل مدينة والفلاحون يعملون . هذا يحرث وهذا يحصد وهذا يغرس وهذا يزرع وهذا يحمل .

والفواكه على جانبى الطريق لا تلتفت يمنة ويسرة إلا وترى أشجارا موقرة بأنواع منها المعروف ومنها غيره والأنهار الجارية منها الكبير ومنها الصغير . وكنا مع كثرة التعب تارة نتمتع بتلك المنـاظـر الطيبـة وتـارة نتمتـع بالنوم . وقد استغرقت هذه الرحلة ساعتين وخمسة عشرة دقيقـة وكـان وصـولنا فى الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً . ونزلنا فى فندق (. . . .) وكان بقية يومنا هذا يوم راحة لحاجتنا إليها .

لا بأس بتبادل المنافع :

١٢/ ٩/ ١٤٠٠هـ .

فى الساعة التاسعة صباحا تجولنا فى أسواق سورابايا، ثم انقسمنا إلى قسمين :

قسم فشـل فى الـرجـوع إلى الفنـدق هو أنـا والشيخ عبد القوى . وقسم فضل زيارة حديقة الحيوان، وهو الأخ عبد الله بن سعيد باهرمز والابن عبد البر، وجاءنا عبد الله بالنكتة التالية قال : كان عبد البر يتفرج على القرود وكانت القرود تتفرج على عبد البر قلت كيف كانت الثانية؟

قال كانت ملابس الناس كلهم عادية عند القرود أما لباس عبد البر : الثوب الطويل والطاقية والغترة فكانت غريبة ولذلك كانت القرود لا تلتفت إلى الناس بل صوبت أبصارها إلى عبد البر . قلت : لا بأس بتبادل المنافع .

خواطر ومقترحـــات :

فى هذا اليوم والذى قبله جالت بذهنى بعض الخواطر والمقترحات أسجلها فيما يلى :

١ - ينبغى أن تقـوم بعض المـؤسسـات الإسلامية كالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بتأليف كتب فى تعليم اللغة العربية لغير العرب وتسجيلها فى أشرطة «كاسيت» أو اسطوانات أو أشرطة فيديو . واهدائها للمؤسسات الإسلامية المهتمة بتعليم اللغة العربية .

٢ - القيـام ببرنـامـج مستمـر لتعليم اللغة العربية فى اذاعة تخصصها المملكة العربية السعـوديـة يستفيـد منها العالم الإسلامى فى كل مكان ، وكذلك فى التليفزيون وتهدى افلامه إلى تلك المؤسسات الإسلامية .

٣ - اهـداء كتب إسـلاميـة باللغـة العـربيـة وغـيرها للجامعات الأسلامية والمعاهد والمدارس الإسلامية .

٤ - تسجيل أناشيد إسلامية تتضمن شرح مبادىء الإسلام أو تثير الحماس فى نفوس أبنـاء المسلمـين ، وشـراء الكتب والـدواوين التى تشتمل على أمثال تلك الأناشيد أو طبعها وتـوزيعهـا كذلـك على المـؤسسـات الإسـلاميـة لتكون مادة حفظ النصوص الشعرية لأن الشبـاب يرغب فى ذلـك وفيـه صرف له عن سماع ما لا يليق كالموسيقى والأغانى التى وجدنا الشعب الأندونيسى مغرما بها وعن طريقها يستميل أعداء الإسلام الشباب لإغوائه .

٥ - توزيع المصاحف المسجلة للمؤسسات الإسلامية والمساجد .

٦ - بنـاء قاعـات محاضرات عامة ملحقا بها مرافق نشاطات مختلفة ومساجد ومدارس ووقفها على المسلمين للاستفادة منها . وقطع الطريق على النصارى الذين يغرون الشباب بأمثالها من مرافق النشاط عندهم .

٧- فتـح مراكـز لتعليم اللغـة العـربيـة فى المـدن الكـبر ى على غرار المـركـز العربى السعودى لتعليم اللغة العربية فى جاكرتا التابع لجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية .

٨ - تخصيص مدرسـين لبعض الجـامعـات الإسـلاميـة حكومية كانت أو أهلية باسم مدرس اللغـة العـربيـة ممن يكونون مؤهلين فى اللغة العربية والمواد الاسلامية للنهوض بتلك الجامعات والمعاهد فى هذا المجال .

٩ - إقامة دورات تدريبية لمدرسى اللغة العربية والدراسات الإسلامية فى بلدانهم .

١٠ - إستضـافـة بعض المـدرسين من الجامعات الإسلامية والمعاهد ولا سيما مدرسى اللغـة العـربيـة والمـواد الإسـلاميـة للاحتكـاك بمدرسى الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة

ومثيلاتها والوقوف على مواد الكليات والمعاهد هنا وحضور الدروس فى الفصول واقامة ندوات خاصة بهم للاستفادة منها .

١١ ـ بعث اعداد كبيرة من المصحف الكريم لتوزيعه على القراء أو طبع تلك الاعداد فى البلد الذى يراد توزيعه على أهله لأنه أقل تكلفة و أضمن توزيعاً .

١٢ ـ البحث عن الكتب المترجمة إلى اللغات المحلية من الكتب الإسلامية النافعة وطبعها فى داخل البلد وتوزيعه .

١٣ ـ الاستعانة ببعض طلبة الجامعات فى ترجمة بعض الكتب العربية إلى لغاتهم لطبعها وتوزيعها .

١٤ ـ منح بعض المؤسسات الإسلامية حافلات لنقل طلابها إلى المدارس والمعاهد والجامعات وفى الرحلات . . .

١٥ ـ بناء مساكن وفصول دراسية للمعاهد الإسلامية لايواء الطلاب ودراستهم .

١٦ ـ توزيع فتاوى ابن تيمية على الجامعات والمكتبات .

فى مسجـــد الفــلاح :

فى الساعة الخامسة جاءنا الاستاذ مصرى واصطحبنا إلى مسجد الفلاح واستقبلنا مدير المسجد الشيخ عبد الكريم فتناولنا الافطار وصلينا المغرب ثم ذهبنا إلى منزل الحاج عبد الكريم لتناول طعام العشاء، وقد أخبرنا بعض العلماء هناك ان منزل الحاج عبد الكريم يعتبر مأوى للعلماء والزوار لسورابايا من داخل أندونيسيا وخارجها وكان الرجل من كبار تجار أندونيسيا وعضوا فى مجلس الشعب وهو الآن مرتاح لأنه كبير وقد أصيب بكسور فى حادث فى المملكة العربية السعودية فى إحدى حجاته .

وأخبرنا أن أبن أخيه طبيب وهو الآن فى سجن جاكرتا ـ ويرقد فى المستشفى ـ وكان سبب سجنه غيرته على دينه وعدم صبره على انتهاك حرمات هذا الدين .

وبعد أن تناولنا طعام العشاء ذهبنا إلى المسجد فصلى بنا امام المسجد العشاء وصلى بنا الشيخ عبد القوى التراويح . ثم طلب منى أن ألقى محاضرة فكان عنوانها : كيف ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه (وكان المقصود بها الشباب) .

١ ـ رباهم على العبودية الكاملة لله ومحبة الله ورسوله وطاعتهما المطلقة .

٢ ـ التضحية بالنفس والمال فى سبيل الله، وضربت لذلك أمثلة :

أ ـ مصعب بن عمير مدرسا وحاملا لراية الجهاد وشهيدا .

ب ـ أسامة قائد الجيش فيه أبوبكر وعمر .
ج ـ أبنا عفراء اللذان قتلا أبا جهل .
د ـ الفدائيون الذين قتلوا رؤس الكفر ابن أبى الحقيق ، وعبد الله بن عتيك وكعب بن الأشرف .
هـ ـ محمد بن القاسم فاتح السند .

ثم ذكرت الشباب (وأغلب المصلين وهم يملؤ ون المسجد شبابا) بواجبهم فى تحمل المسئولية والاقتداء بهؤلاء الفتية فى رفع كلمة الله ، وانه لا يجوز أن يقتدى بالشباب الفاسد الذى رباه الغرب على عداوة الله ورسوله وأصحابه ودين الإسلام الذين يستحون أن يذكر الإسلام عندهم وأن المسلم عكس ذلك يفتخر أن يكون مسلما كما قال تعالى : ﴿**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين**﴾ .

وكان من بين الحاضرين معنا فى منزل الحاج عبد الكريم وفى المسجد الحاج باى عارفين وهو من العلماء المشهورين فى أندونيسيا ذو حماس وغيرة على الإسلام وذو تأثير فى نفوس الشباب كما حكى لنا غير واحد وله ما يزيد على ثلاثين مؤلفا إسلاميا فى موضوعات مختلفة تهتم بتوعية الشباب وتثقيفهم ، وقد أهدى لنا بعض تلك المؤلفات ومنها ترجمة كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وطلب منا الحاج عبد الكريم أن نتناول طعام السحور فى منزله أيضا وأن ألقى محاضرة بعد صلاة الفجر فى نفس المسجد فلبينا طلبه .

مفهوم العبادة فى الإسلام

١٣/ ٩/ ١٤٠٠ هـ

تناولنا طعام السحور فى منزل الشيخ عبد الكريم وصلينا الفجر فى مسجد الفلاح صلى بنا الشيخ عبد القوى ثم طلب أن يقرأ على المنبر بعد صلاة الفجر، ثم ألقيت محاضرة تتضمن مفهوم العبادة الشامل الذى جاء به القرآن والسنة وفهمه الصحابة والسلف الصالح بعدهم وأنه يترتب على هذا المفهوم الاستكثار من الطاعة وعظيم ثواب الله وأن هذا المفهوم الشامل قد ضاق عند كثير من الناس فترتب عليه أن حرموا أنفسهم من الاستكثار من طاعة الله ومن عظيم الثواب .

وماذا أفعل إذا كان البحر نزل؟ .

كنت فى كل مدينـة يقـع البحـر بجـوارها ـ أو هى تقع على شاطئه ـ أحاول ألا أغادر تلك المدينة الا بعد الخروج إلى البحر لأرسم لها وله صورة فى ذهنى فاتفقنا على أن نذهب إلى شاطىء البحر فى الساعة الثالثة والنصف وكان هذا الوقت وقت خروج الفترة الثانية من طلبـة المـدارس لأن كثـرة الأنـدونيسيـين تضطرهم لذلك : فوج يدرس فى الصباح وآخر فى المساء فكانت الشوارع مزدحمة أزدحاما جعل سيارتنا كأنها غاصت فى رمال خبت البقر (وهى صحراء ذات رمال مثل الجبال فى جنوب المملكة العربية السعودية الغربى مشهورة من قديم الـزمـان بالخطـر على المسـافرين مشاة وركابا لقلة مياهها وسكانها وطول مسافتها نسبيا حتى قال أحد المسافرين بعد أن نجا من الموت لشدة العطش والجوع : إذا أعدتك ـ أى إذا عدت إليـك ـ يا خبت البقـر سمنى الثـور) . كانت السيـارات كثـيرة والدراجات العادية والنارية والعربات التى تجرها الخيول وعندما وصلنا إلى البوابة التى يدخل الناس منها إلى الشاطىء استقبلتنـا فتـاة قبض الضـرائب فأخـذت مالهـا ، فلم نجد إلا سبخة جافة لا يرى ماء البحر على مدى البصـر ، فقلت لعبـد الله باهـرمـز : أهكذا تتعبنا فى هذا الزحام وتدفع ضريبة ثم نأتى فلا نجـد البحـر؟ قال : ومـاذا أفعـل إذا كان البحر نزل ـ فرجعنا نتذكر المثل : أحشفا وسوء كيله . وكان عبد القوى يضحك مرتاحا ، لأنى أنا السبب فى هذا السفر الطويل إلى بحر لم نجده .

زيارة مسجـــد المجاهدين :

أسس هذا المسجد سنة (**١٩٥٣** م) وتتبعه مدارس تبدأ بالروضة «روضة الأطفال» ثم الثانوية العامة والثانوية الدينية والعالية الدينية .

وبعـد صلاة العشـاء القيت محاضـرة (بعنـوان : الجليس الصالح وجليس السوء) ثم صلى بنا الشيخ عبد القوى صلاة التراويح واجتمعنا مع المسئولين فى هذا المسجد وذكر لنا أن ثلاث مقـاطعـات فى أنـدونيسيـا يستبسـل أهلهـا فى نصـرة الإسـلام والـدفـاع عنه أكثر من المقاطعات الأخرى وهى :

١ ـ اتشه فى سومطرة الشمالية .

٢ ـ بوقس فى سولاديس (ومنها الحاج عبد الكريم) .

٣ ـ مادورات فى جاوة الشرقية .

ثم زرنا الحاج عبد الكريم وودعناه لانا عزمنا على السفر غدا صباحا .

وارتـــــاح المؤتمرون :

نشـــر فى احـــدى الجـرائـد المسيحيـة أن الـرئيس سوهـارتـو افتتـح المـؤتمـر المسيحى الـبر وتستـانتى الـدولى الـذى بلغ عدد وفـوده ستـة آلاف وفد وأنه صرح فى كلمته بأن لكل صاحب دين الحق أن يدعـو إلى دينـه بكـامـل الحـريـة أهـل الأديان الأخرى وأن المؤتمرين ارتـاحـوا لهذا التصـريح وصفقوا كثيرا له وأنه بذلك ألغى قرارا لوزير الشئون الدينية أصدره قبل سنة يمنع فيه أن يدعو صاحب دين آخر إلى دينه أو تغيير صاحب دين دينه إلى دين آخر وكـان المسيحيـون آنـذاك قد صرحـوا بأنهم لا يستطيعون الالتزام بقرار وزير الشئون الدينية لأنهم مكلفون بهداية القطعان الضالة .

خـاطرتــــان :

١ ـ العـرب يتحملون مسئـوليـة عظيمة أمام الله تعالى فى التمسك بالإسلام والقدوة الحسنـة للآخـرين ، لأن أبناء الشعوب الإسلامية من غير العرب يحسنون الظن بهم كثيرا ، ولـذلـك رأينـاهم يرغبـون رغبـة شديـدة فى قراءة أى كتـاب يصدر ويجدونه باللغة العربية وكـذلـك الجـرائـد والمجـلات التى ينتشـر فى كثير منها السم الفكرى والمبادىء الهدامة وهى صادرة من بلدان غربية منحرفة نظمها عن عقيدة الإسلام ومبادئه .

٢ ـ زيـارة علماء المملكـة العـربية السعودية للمسلمين فى البلدان الإسلامية أو غيرها ترفع معنوياتهم ، ولذلك ينبغى تكرر هذه الزيارات ، وينبغى أن يصحبها مساعدات مادية ، لأن أهل الأديان الأخرى يقدمون إعانات ملموسة .

إلى بـــــالى :

أقلعت بنا الطائرة من مطار سورابايا إلى جزيرة بالى (مطار مدينة دمباسار) فى الساعة العـاشـرة صبـاحـا ـ بدلا من التاسعة ـ وكان الجو صحوا يتخلله قزع من السحاب والأرض كلهـا خضـراء مليئـة بالقـرى التى تتنـاثر مساكن أهلها بين المزارع والغابات . وبدت جبال مرتفعـة تغطيهـا الغـابـات كنا نقعد فى مقدمة الطيارة . وكان الباب المؤدى إلى غرفة القيادة مفتوحا ، فجعلت أنظر إلى القائد وهو يمد يده يمنة ويسرة حتى استوت الطائرة فاذا هو يفك رباطه ، وأخذ يكتب وكأنه على مكتبة فى الأرض وكنت أود أن استمر فى النظر إلى الغرفة بما فيهـا من أدوات ومـا يصنـع القـائـد فى بعض الأحيـان ، ولكن المضيفة قفلت الباب بعد أن قدمت له طعـام الأفطـار، فلما اقفـل البـاب رجعت أطل من النافذة كعادتى لأرى عجائب صنـع الله ، فكنت أرى الجبـال والبحـار والجـزر والغـابـات والقرى وكانت مدة الطيران من

سورابـايـا إلى مطـار (دمبـاسار فى جنوب جزيرة بالى ثلاثين دقيقة . وصلنا المطار فى الساعة العاشرة والنصف .

واستقبلنا فى المطار أبو عبد الله : سعيد بن عبد الرحمن باهرمز، وهو حضرمى الأصل من مواليـد أنـدونيسيـا ذكـر لنا أن أباه هاجر إلى هذه البلاد ثم ذهب إلى بلاده «حضرموت» وتـوفى هنـاك . والشيـخ سعيـد يتكلم اللغة العربية بطلاقة قال : كان أبى عالما وداعية وقال أنى قليـل العلم ولى أمـل فى أن يخلف عبـد الله جده واشكـركم على العنـايـة به وبتعليمـه وتربيته وانى سابعث اليكم أخاه ليتلقى العلم والتربية فى المدينة المنورة كأخيه .

ولـما كنـا فى طريقنـا للفندق كان هو وأبنه عبد الله يشيران لنا إلى معابد الهندوك حيث يوجد فى كل بيت معبود من دون الله وسألناه عن حالة هؤلاء الوثنيين فقال : انهم متعصبون لدينهم ولكنهم يظهـرون تسـامحـا مع المسلمـين ويأخـذون ببعض العادات الإسلامية وانهم نشطون جدا فى العمل، فهم يزرعون السهول والجبال وأن مثقفيهم بدأوا يشكون فى صحة دينهم ولو وجد الدعاة المسلمون الأكفاء لدخل كثير منهم فى دين الإسلام وقال : ان المحافظ أصبح الان منهم (أى من الهندوك) بعد أن كان من قبل من المسلمين ويبلغ عدد المسلمين فى هذه الجزيرة ستة فى المائة (٦٪) فقط والنصارى (١٪) واحد فى المائة والأكثرية هم الهندوك .

ورأينـا فى شوارع المـدينـة السـائحـين الأجـانـب (وهم من أوربـا وأمـريكا واستراليا واليابان والصـين وغـيرهـا) . بكثـرة رجـالا ونسـاء ويمشـون شبـه عرايـا لا يلبسـون الا السراويل القصيرة . وكانت الفنادق كذلك مزحومة، فقد أختير لنا النزول بأحد الفنادق فلم نجد فيه مكانا وأتصل الأخ عبد الله بعدد من الفنادق فلم نجد الا فى فندق القصر فنزلنا فيه .

وكنـا نرى الصـور المجسمـة تنتشـر فى كل مكـان : على الشـوارع العـامة والشوارع الفرعية، وأمام المنازل والفنادق وفى داخل القاعات بأشكال مختلفة، وبعض الأوثان المعبودة يلبسونها بالأقمشة بازار وخمار .

واتصـل الأخ عبـد الله باهـرمـز ببعض المسلمـين وأخـبرهم أنا موجودون وأننا نحب زيارتهم فاتصل أحد الأشخاص هاتفيا فأجابه الشيخ عبد القوى فقال له : ان خطاب عبد الله قادرى سيكون الليلة فى مسجد النور .

وبعـد أن أفطـرنـا زكى عبد الله باهرمز أحد المطاعم فقال : انه مطعم إسلامى وزكاه كذلك بان طعامه لا يكثر فيه الفلفل .

فذهبنا إلى هذا المطعم فوجدنا التزكية الأولى صحيحة بدليل أن المطعم لا يرتاده إلا عدد قليـل جداً، أمـا التـزكيـة الثـانيـة فقـد استعجل عبد الله هداه الله، وبعد تناول طعام

العشاء فى هذا المطعم رجعنا إلى الفندق فجاءنا بعض الشباب من المسلمين بسيارتهم لتقلنا إلى مسجد النور وكان قائد السيارة وصاحبها هو الشاب موسى حسين سرو يعمل فى تجارة النظارات وكنا متفقين مع الأخوة أن فضيلة الشيخ عبد القوى يصلى التر وايح (وكان هدفنا من صلاة الشيخ بالناس هو تعليمهم كيفية الصلاة والقراءة، لأن كثيرا من الناس يسرعون فى صلاتهم ويقرأون سورا قصيرة) وكان أئمة المساجد التى نزورها يقدمونه بأنفسهم عندما يعلمون أنه حافظ لكتاب الله ويجوده ويفرحون بذلك ولكن امام هذا المسجد رفض التنازل للشيخ عبد القوى - وله الحق فى ذلك لانه امام المسجد ونحن ما كنا نطلب من الناس التنازل ولكنهم كانوا هم يرغبون وقد ينبه بعض الناس الامام فيلبى - ولكن عندما تقدم الامام يصلى بالناس التراويح بدا لى السبب فى رفضه، فقد كان سريعا فى صلاته يتكلف أن يقرأ قراءة جيدة وأخطاؤ ه كثيرة وكان يقرأ بعد الفاتحة سورة قصيرة فى الركعة الأولى وكذلك فى الثانية إلا أنها غير مرتبة فيقرأ مثلا سورة الماعون فى الركعة الأولى وفى الثانية سورة النصر وفى الثالثة سورة الهمزة وفى الرابعة سورة الكوثر وهكذا . وبعد أن صلى بالناس أخذ الميكرفون وجعل يتحدث مرحبا بالضيوف مرة باللغة العربية وأخرى بالأندونيسية ويكرر نفس الكلام لمدة لا يقل عن نصف ساعة ثم طلب منى أن أتقدم لالقاء الخطاب كما قال وأراد أن يترجم ولكنى رفضت لان لغته العربية ركيكة جدا وأسلوبه ثقيل على النفس فقلت له : ان الأخ عبد الله باهرمز هو المترجم فوافق وكنت محرجا فى إلقاء هذه الكلمة لانه قد أطال على الناس وهم ينتظرون بعد القاء كلمتى صلاة التراويح .

وكان الحديث متضمنا بيان دعوة الرسل وأنها لتثبت عقيدة التوحيد وعبادة الله وحده ونفى الشرك عنه وأن الذى منحه الله هذه العقيدة عليه مسئولية عظيمة فى انقاذ غيره من ظلمات الكفر، إقتداء بالرسل عليهم السلام الذين كان الصراع بينهم وبين أممهم سببه هذه الدعوة وأن محمدا ﷺ كان خاتمهم ولذلك فقد أصبحنا نحن المسئولين عن البشرية كلها لاخراجها من الظلمات الى النور وأن على المسلمين فى هذه البلاد أن يقووا ايمانهم وايمان أبنائهم بالله وبرسوله وأن يحصنوهم من الشرك بالله والمعاصى وأن يقوموا بواجب الدعوة إلى الله ويبينوا للوثنيين فساد الاديان الاخرى غير دين الإسلام .

وبعد صلاة التراويح قال الامام الان يتقدم عبد القوى ليقرأ آيتين - وسكت قليلا ثم قال - فأكثر فهمنا أن الرجل ما كان يريد أن يسمع الناس غير قراءته لأنه يخشى أن تقل مرتبته عندهم وكان هذا فهما خطأ منه هداه الله .

مذهب الشيخ فى التبرك بآثار الصالحين :

أخذ الناس يتزاحمون علينا لمصافحتنا ، وأراد أحدهم أن يتبرك ببعض آثار الشيخ عبد القوى (وهى الحقيبة التى فى يده وكان بها الجوزات والتذاكر وجميع سشيكاتنا ونقود نفقاتنا) فأخذ هذا الرجل يجر الحقيبة وأخذ الشيخ جزاه الله خيرا يتمسك بهذه الحقيبة فلم ينجح ذلك المخرف فى تخريفه ولو نجح فى تبركه لعطل حركتنا كلها فالحمد الله رب العالمين .

من أساليب الدعـــوة :

ثم خرجنا مع الأخوة نتجول فى السوق بالسيارة وما كان عندهم شىء يشير ون اليه الا معابد الهندوك فسألناهم هل عندكم خطة لدعوة هؤلاء إلى الإسلام؟ فقالوا : نعمل جهدنا ومن خططنا أن نزوج بعض شبابنا من بناتهم بصدد دخولهن فى الإسلام . فاذا أسلمت الفتاة وتزوجها الشاب المسلم أثر ذلك على أقاربها فيسلم بعضهم .

وكذلك نذهب إلى القرى فندعوهم إلى الإسلام فيدخل بعضهم فى الإسلام ولكن ذلك قليل والجهود غير كافية .

وسألناهم كيف يكون حال من دخل فى الإسلام؟ قالوا : أن كثيرا منهم يكونون أكثر تعصبا للإسلام بعد اسلامه من بعض المسلمين . وكنت قلت للشيخ عبد القوى أن هذه البلاد فى حاجة إلى وقت أطول ولو كان عندنا فسحة من الوقت لكان البقاء أفضل فقال : نعم ولكن مهما كان هذا الوقت الذى نقضيه لا يؤدى واجب الدعوة إلا إذا كان لمدة سنتين فأكثر يعلم فيها الشباب الإسلام ويدرب على كيفية الدعوة حتى يطمأن على تمسكهم ونجاحهم فى ذلك ثم يتركون وينتقل الداعية إلى مكان آخر وهكذا . وهذا ما يفعله المسيحيون إذ يصل القسيس إلى المنطقة التى يكون أهلها شبه عرايا متوحشين كما فى جنوب السودان ، فيلبس مثلهم ويشاركهم فى عاداتهم ثم يأخذ فى بث افكاره فيهم بالتدرج حتى يقنعهم بالتخلى عنها شيئا فشيئا ولا يخرج حتى يفتح مدرسة لأبنائهم ويستمر تعليمهم فيها ثم ينتقل إلى مكان آخر فيعمل فيه ما عمله فى المكان الأول وهكذا . . . أما نحن وأمثالنا ممن يكون نزولهم فى الفنادق وزياراتهم عابرة فان فائدتهم فى الدعوة قليلة جدا وهذا الذى قاله الشيخ عبد القوى حق وهذا يحمل المؤسسات الإسلامية مسئولياتها تجاه تدريب الدعاة وأعدادهم لتحمل المتاعب والمصاعب فى سبيل الله ، وفى الجامعة الإسلامية وجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية عدد كبير من أبناء العالم الإسلامي والبلدان كلها يمكن أن يقوموا بهذه المهمة فى بلدانهم وبلغات أقوامهم . إذا أُعِدوا إعداداً صالحا وربوا تربية صحيحة .

من أحق بذلك نحن أم هم ؟ .

وذكـر لنـا الأخـوة أن الـزلازل تكثـر فى هذه البـلاد وأنهـا تحدث خسـائـر فى الأرواح والممتلكـات وتهـدم البيـوت وقـد تذهب بعض القـرى واذا حدث شىء من ذلـك يأتى المسيحيـون من استـراليـا وأمـريكـا وأوروبـا فيقدمون المساعدات لإخوانهم المسيحيين وقد يساعدون أيضا بعض المسلمين ولكن المسلمين لا يرون أحدا يأتى لمواساتهم ومساعدتهم، قال بعض الأخـوة: الا أن المملكـة العـربيـة السعودية عندما حدث زلزال ١٩٧٦ م فى بالى ساعدت كل مسجد من المساجد المتضررة بالفى ريال تقريبا .

قلت: من أحق بالـبر والبـذل والمواساة نحن المسلمين أم أولئك الكفار الذين يمدون يد العون حتى لاخواننا المسلمين ؟ .

ومن أجدر بالدعوة العملية فى المواساة أهل الدين الحق أم أهل الأديان المنحرفة؟ .

إلى سنجـاراجـا

١٥ / ٩ / ١٤٠٠هـ .

فى السـاعـة العـاشرة من صباح اليوم غادرنا مدينة دمباسار فى جنوب جزيرة بالى إلى مدينـة سنجـاراجـا فى شمال الجـزيرة فى سيارة يقودها شاب كان شيعيا ولكنه تاب من مذهب الشيعة وانضم إلى السنة وأسمه محمد، وكنا نرى فى شوارع مدينة دمباسار قبل خروجنا منها الأوثـان التى يأتى إليهـا الهنـدوك بالفواكه والزهور يضعونها على رفوف عمد قريبة من الوثن تقـربـا اليه ويومئون برؤسهم وأيديهم وبعد الخروج من المدينة دخلنا فى المزارع التى لا يرى الـرائى الشمس الا نادرا منهـا لكثـرة الاشجـار (وأغلبها مثمرة) على جانبى الطريق وينتشر باعة الفواكه بجانبى الطريق وهى أنواع كثيرة لا نعرف الا القليل منها

فوقفنا عند أحد الباعة وقد مد طاولته الخشبية بجانب الطريق أمام منزله ووضع على الطـاولـة عينـات من الفـواكـه الموجودة عنده والأشجار المثمرة بجانبه تتدلى بها الفواكه ويخير المشترى ان أراد أن يأخذ من الفواكه المقطوعة التى على الطاولة وان شاء أن يختار من الفواكه التى لازالت معلقـة فى أشجـارها وكان من الفواكه الموجودة شجر البابای ذى النكهة اللذيذة المفضلة عنـدى وكـانت احـدى شجـراتـه تحمل ما يزيد عن خمسة وعشرين حبة وسألت كم تحمـل الشجـرة من هذه الحبـات؟ . . . فقالوا : منها ما يحمل عشرين ومنها ما يحمل ثلاثين وبعضها قد تحمل خمسين حبة . والحبة تختلف فى الصغر والكبر قد تزن الحبة الواحدة عشرة كيلو جرام . وأخذنا منه ما نريد ثم واصلنا السير .

ثم دخلنا بعد ذلك فى غابات كثيفة وجبال شاهقة تكسوها تلك الغابات وكانت السحب تغازل تلك الغابات وتعانقها فى قمم الجبال، وتلتف حولها فى الأسفل وكأنها تطمئن تلك الغابات وتبشرها بالخير والمطر المدرار فى وقته الذى يأذن الله به وكان قائد السيارة يشير إلى بعض الاشجار التى يعرف أسماءها ونحن نعرف قليلا وأكثرها لا نعرفه ومما عرفناه البن والقرنفل . ثم قربنا السائق فى طريق جانبى على اليمين إلى ساحة كبيرة بين الجبال مملؤة بالماء فقلنا ما هذا؟ . . . قالوا : هذا حوض . قلت : هل تتجمع هذه المياه من سيول هذه الجبال؟ قالوا : بل ينبع الماء من القعر ويتبقى هكذا طول الوقت وفيه قوارب صغيرة يستعملها السائحون ورغب الابن عبد البر فى الركوب ولكنى قلت له أنى أكره الوقوف فى هذا المكان لان الاجانب يرتادونه بكثرة وبملابس غير لائقة وقال عبد الله فى داخل هذا الماء أشجار شبيهة بالحيوان إذا لمست جسم أحد انطوت عليه وأنزلته إلى القعر فيكون قبره وكنت أظن ذلك خرافة ولكنهم أيدوا ذلك كلهم . وكانت الطريق تتلوى بنا مثل الثعبان حتى كنا فى دقائق نسير إلى الجهات الأربع حيث نمشى إلى جهة ثم نكر راجعين إلى الجهة المقابلة وهكذا كانت الطريق : -

نمشى حتى نكاد نلتقى بالنقطة التى كنا فيها ثم نرجع حتى نكاد نلتقى بالنقطة الأخيرة وهكذا . وكانت خطيرة بسبب ذلك وبسبب ضيق الطريق إلا أن السيارات كانت قليلة فيها وليست مزدحمة كما هى العادة فى مناطق أخرى من أندونيسيا وفى رأس الجبل وجدنا سوقا تباع فيه الفواكه والزهور المختلفة بأسعار رخيصة جدا وقفنا قليلا ثم واصلنا السير وكان الطقس باردا كأنه مكيف .

ألا تصدقونى : ؟

مررنا بمكان تنتشر فيه القردة بجانبى الطريق كبارا وصغارا ولا تفر من السيارات ولا من الناس، بل تبقى فى مكانها تأكل الثمار، والناس يتفرجون عليها، فقال الابن عبد البر : أبويه - أى يا أبى - أريد آخذ قردة فقلت : ماذا تريد به؟ قال : آخذه إلى المملكة أربيه هناك . فقلت لا داعى لذلك . فقال عبد الله بن سعيد باهرمز . لا تأخذ فأنها ستتبعنا إلى سنجاراجا، قلت له كيف ونحن فى السيارة وهى تسير بسرعة يصعب على القرود متابعتها وكنا فى منتصف الطريق تقريبا بيننا وبين سنجاراجا ما يقرب من أربعين كيلومترا قال : تجرى حتى تلحق بنا . فقلت : ما أظن . فقال منفعلا منكرا : أما تصدقونى؟ قلنا : صدقناك .

لا أبــــالى :

كان قائد السيارة يتحدث تارة باللغة العربية قلت له : أين تعلمت اللغة العربية؟ .
قال : فى معهـد كونتـور ولكن لم أكمـل الدراسة . قلت له : من أى طوائف الشيعة أنت .
قال : من بوهـرة ولكنى لا أتبـع مذهبهم بل ارتضيت مذهب أهـل السنة قلت : وأهلك .
قال لا يرغبون منى ذلك ولكن بعضهم أيضا ارتضى مذهب أهل السنة وترك مذهب الشيعة
وأنا لا أبالى إنى لا أعتقد أنهم على حق .

ثم أخذنا فى الانحدار من الجبل إلى الاسفل وبدأت الحرارة ترتفع وكان وصولنا إلى سنجـاراجـا فى السـاعـة الـواحـدة ونـزلنا فى فندق «جارودا» وهو بناء شعبى عادى، يكثر به البعوض الذى أقل راحتنا على الرغم من حاجتنا اليها .

على شــــاطىء البحر :

وبعد صلاة العصر جاء الينا الأخ عبد الله باهرمز الذى أعطى فرصة لزيارة أهله لمدة ثلاث ساعـات تقـريبـا لأن هذه المدينة مسقط رأسه وبها منزله وأسرته، وخرجنا إلى شاطىء البحـر وهـو قريب جدا من الفنـدق، وأقـرب إلى منـزل عبـد الله فمكثنـا هناك إلى غروب الشمس ثم رجعنـا لتنـاول طعـام الافطـار فى منـزل عبـد الله وفى طريقنـا إلى البحـر رأينـا الهندوكيين وهم يحملون قرابينهم على رؤسهم الى أحد أصنامهم يقدمونها له ويعبدونه من دون الله، وهذا ما دفعنا لمذاكرة أمر دعوتهم ثم زيارة زعيمهم فى المدينة كما سيأتى ان شاء الله الحديث عنه .

فى منزل الشيخ سعيد باهرمز :

وبعـد أن صلينـا المغـرب جاء إلينـا بعض الطلبة الأندونيسيين الذين يقومون بالدعوة إلى الله فى هذه الجزيرة الوثنية بين إخوانهم الشباب من المسلمين فتحدثنا معهم وشرحوا لنا ما قامـوا به ولازالـوا مستمـرين فيـه وإقبال أبناء المسلمين على الدعوة واستجابتهم لها . وأن الجهل يسيطر عليهم ولكن عواطفهم تدفعهم للاستفادة العاجلة .

وإن من أساليب دعوتهم أنهم يجمعون الشباب فى المساجد ويتحدثون معهم ويلقون فيهم محاضرات ويقرؤنهم القرآن ويعلمونهم الصلاة وبعض الاذكار باللغة العربية ويختارون من يرونـه أسـرع استيعـابـاً ويجتهدون فى تعليمه أكثر من غيره ليقوم هو بتعليم أهله وزملائه

وأنهم وزعـوا بعض الكتب الإسـلاميـة ، وشكـا الأخـوة من عدم وجود ما يساعدون به أهل البلدة من شراء بعض الأخشـاب وبنـاء مسـاجـد صغيرة أو ترميم مساجد متهدمة فقلنا لهم عليكم أن تجتهـدوا فى التعليم واثـارة الحـماس فى نفـوس النـاس لدينهم وسيـوفقهم الله لمسـاعـدتكم فى البنـاء بأنفسهم وكـانت هذه تسليـة للاخـوة الـذين يشاهدون آثار مساعدة المسيحيين لقومهم القلة فى هذه البلدة .

وكان من الحاضرين معنا فى هذه الجلسة المدعو عبد الله بن أحمد معاشر وهو حضرمى الأصـل ـ وغـيره من أهل المدينة الذين هم من أصل عربى ـ وتذاكرنا موضوع الحفاظ على أبناء المسلمين من الذوبان فى هذا المجتمع الوثنى فذكر الأخ عبد الله معاشر ـ وهو على علم بمبـادىء الـدين طيب ويـرغب فى المـذاكرة والقراءة قال : ان المحاولة حاصلة ولكنها ليست على المستـوى المطلوب وأملنـا ـ بعـد الله ـ فى خريجى الجـامعـة الإسـلاميـة كبير بأن يقوموا بالـدعـوة والتعليم ونحن نقـوم ببعض الـدروس فى الأسبوع وكذلك فى الاحتفالات الدينية كالاسراء والمعراج والمولد النبوى وغيرها فقلنا لهم ان واجبكم الاستمرار فى التعليم والدعوة وينبغى أن تكـون الـدروس فى المسـاجـد مستمرة وأن تتعاونوا فى إغراء أبنائكم بحضور هذه الدروس وأن تعقدوا إحتفالات عامة ـ على شبه ناد أو ندوات تدعون إلى حضورها أبناءكم والهنـدوكيـين يسمعـوا كلمـة الإسـلام وتقوم الحجة عليهم بشرح أركانه ومبادئه لأن دعوتهم واجبة وهم يعبدون الأوثان . فذكروا لنا أن اجتماعات تعقد لأهل الأديان الأربعة هنا وهى الإسـلام والهنـدوكيـة والبـوذيـة والنصرانية ، وكل جماعة يشرحون دينهم . قلت لهم : ولكن عليكم أن تبينـوا لهؤلاء النـاس أن دينكم هو الـدين الذى لا يقبل الله سواه من الأديان لأنها كلها باطلة وأن تقيموا الحجة على ذلك لتنقذوا هؤلاء الضالين من الشرك بالله .

ثم حضـرنـا المسجـد المسمى بالتقـوى فصلينـا العشاء وألقيت محاضرة فى الحاضرين تضمنت شرح كلمـة التـوحيـد التى دعـا إليهـا كل الـرسـل وأن علينـا أن نفهمهـا ونعمل بمقتضاها وأن نمكن نفوس أبنائنا من فهمها والعمل بها وأن ندعوا إليها الآخرين وأن على ألآبـاء والعلماء أن يعلمـوا أبنـاءهم وعلى الأبنـاء أن يجتهـدوا فى تعلم الـدين من آبـائهم وأساتذتهم وكان الحاضرون فى غاية الانصات والتأثر .

ثم صلى بنا الشيخ عبد القوى التراويح وقرأ بعد ذلك ما تيسر من القرآن بطلب منهم وقـام إمـام المسجـد فأبـدى سروره بهذه الـزيـارة وشـرح مبـدأ جماعـة المسجد وهو التمسك بالإسـلام الـذى ينبنى على الكتـاب والسنـة ونبـذ الخـرافـات وقـال : أننا سنحاول تطبيق نصـائحكم وطلب منـا ابـلاغ المسئـولـين فى المملكـة العـربيـة السعودية أن أبناء هذه البلاد ينتظرون منهم المساعدة بالكتب والمدرسين والمساعدة فى بناء المدارس ووضع المناهج .

أعيدوا النظر يا دعـــاة الإسـلام :

إن الجهود المبذولة للدعوة إلى الله فى أرض الله ـ وإن كانت قليلة ويجب بذل الوسع فى المـزيـد منهـا ـ هذه الجهـود ظهـر لنـا أنها تسير بدون تخطيط علمى دقيق وبدون تنظيم مفيد وتنفيـذهـا عشـوائى فى الغـالـب وكـذلـك يجب على المؤسسات الإسلامية أن تعيد النظر فى أساليبها المتخذة حاليا للدعوة إلى الله باتباع الأمور التالية :

١ ـ ينبغى أن تنسق المؤسسات الإسلامية فيها بينها فى إطار مجلس واحد يسمى مجلس شئـون الـدعـوة الإسـلاميـة ـ مثلا ـ يمثل هذا المجلس كل المؤسسات الإسلامية فى داخل المملكـة العـربيـة السعودية بداية لمجلس دعوة عالمى هذه المؤسسات هى الجامعة الإسلامية وجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ورابطة العالم الإسلامى وجامعة أم القرى وإدارات البحـوث العلميـة والافتـاء والدعوة والارشاد، ويكون مقر عام يختار له رجال أكفاء مهمتهم جمع المعلومات عن العالم الاسلامى، وتنسيقها وترتيبها فى بحوث يرجع اليها عند الحاجة .

٢ ـ يختـار عدد من الأسـاتذة والطلبة ويبعثون فى الأجازات الصيفية إلى بلدان العالم الإسـلامى لجمـع المعلومـات ومعـرفـة أحـوال المسلمـين والجمعيـات الإسـلامية المتمسكة بالاسـلام، والمـؤسسـات الإسلامية التى تحتاج إلى مساعدة، والبلدان التى يوجد بها دعاة والبلدان التى لا يوجد بها أحد منهم . ومعرفة المدن والقرى التى تحتاج إلى بناء مساجد أو ترميمهـا والاطـلاع على الجهـات التى توجـد بها جامعـات ومعـاهـد ومدارس وحاجة هذه الجـامعـات والمعـاهد والمدارس إلى مدرسين أو كتب أو وضع مناهج أو منح دراسية والجهات التى توجد بها مدارس ويمكن إنشاء مدارس فيها لأبناء المسلمين .

٣ ـ التخطيـط لبعث الـدعـاة والمـدرسـين المقيمين والمساعدات المادية وغيرها والبدء بالأهم وبـذلـك يمكن ايصـال الـدعـوة إلى أغلب البلدان الإسلامية وغير الإسلامية على خطط علمية مدروسة وتنظيم دقيق :

٤ ـ ينبغى أن تعقد دورات فى كل قطر للدعاة إلى الله الذين يبتعثون من المملكة على رأس كل سنتـين على الأقـل يقـوم بهذه الدورات علماء الدعوة الإسلامية من داخل المملكة وخارجها ليطلعوا على ما يقوم به هؤلاء الدعاة فى الأقطار ويوجهوهم ويحلوا لهم مشكلاتهم وبذلك يكون المؤسسات على علم بما يقوم به الأفراد التابعون لها واذا لم يمكن اقامة دورات فى تلك الاقطار فيمكن اقامتها فى احدى الجامعات بالمملكة .

٥ ـ يجب أن لا يكـدس الـدعـاة فى بلد واحـد وفى مؤسسـة واحدة مع وجود فراغ فى بلدان أخرى أو مؤسسات، بل ينبغى توزيعهم لتقوم الحجة بهم فى كل مكان قدر الاستطاعة .

والمسلمون فى سنجاراجا بالذات يبلغ نسبتهم ٤٠٪ من السكان ولهم بعض المدارس الأهلية التى كان الطلبة المسلمون مقبلين إليها حتى فتحت المدارس الحكومية التى يوجد فيها من النظام والامكانات البشرية والمادية مالا يوجد فى الأولى وعندئذ بدأوا يتركون المدارس الأهلية وينضمون إلى المدارس الحكومية . وإذا لم تسعف هذه المدارس الإسلامية بتحسين المبانى ووضع المناهج الجيدة التى تجمع بين المواد الإسلامية والمواد الحكومية المفيدة، وكذلك بالأساتذة الذين يقومون بالتدريس متفرغين فإنها يخشى عليها أن تتوقف، فأين الاسعاف ؟

دعوة زعيم الهندوكيين فى سنجاراجا إلى الإسلام :

أكد لنا الأخوة المسلمون فى جزيرة بالى تسامح الهندوكيين معهم واحترامهم ومساعدتهم ماديا فى بعض شئونهم كبناء المساجد وترميمها والاحتفالات الدينية قالوا وكثير من عامتهم مقتنعون بالإسلام ولكنهم يتمسكون بدينهم تقليدا لمتبوعيهم ويصرح بعضهم بانهم اذ دخل زعيمهم فى الإسلام فانهم سيدخلون فيه ايضا . وأثنوا على زعيمهم فى هذه المدينة بانه يتعاطف كثيرا مع المسلمين . فطلبت منهم أن يضربوا لنا معه موعدا فى هذا اليوم لنلتقى به ونشرح له الإسلام وندعوه إلى التوحيد ونشكره على تعاطفه مع المسلمين .

فرحب بالزيارة عندما بلغوه رغبتنا، وزرناه فى الساعة التاسعة صباحا فى مكتبه، وشكرناه على حسن معاملته للمسلمين وأخبرناه بموقف النجاشى من المسلمين عندما هاجروا إلى بلاده من إيذاء قومهم إياهم فى بدء الرسالة فى مكة وأن الرجل أسلم وحسن إسلامه وصلى الرسول ﷺ عليه صلاة الغائب وأن ذوى العقول النيرة إذاشرح لهم دين الإسلام تقربه عقوله ويدخلون فيه وقد كان هذا على مدار تاريخ الإسلام واقعا فقد أسلم كثير من أهل الكتابين فى القديم والحديث وكذلك الوثنيون فى فارس والهند وغيرها .

وبينا له أننا انما جئنا إليه طمعا فى أن ينقذه الله تعالى بالإسلام الذى لا يوجد فى الأرض دين يرضى الله به غيره وأن رسالة هذا الدين عالمية يجب على كل الناس الإيمان بها وأن الحجج والبراهين المقنعة قد قامت على كون هذا الدين هو الحق وما سواه باطل . كما قامت على صحة رسالة الرسول ﷺ وأنه خاتم الأنبياء، وأن هذا القرآن حق منزل من عند الله تحدى الله به الأنس والجن أن يأتوا بمثله فلم يقدروا على ذلك منذ نزوله إلى يوم

القيامة ، وأن سبيل الجنة التى يطمع فيها أهل الأديان كلها هو هذا الدين فقط وأن النجاة من النار لا تكون الا لأهله وأن كل جزئية من جزئيات الإسلام تدل على أنه حق ، ويكفى أن الأمم التى حاربته قد دخلت فيه ولا يزال المنصفون من أعداء الاسلام ينطقهم الله بالحجة إلى أنفسهم .

ولذلك فنحن رغبة فى انقاذكم من النار ودخولكم الجنة أنتم وأتباعكم جئنا ندعوكم إلى الله عز وجل والدخول فى هذا الدين حتى يكون لكم أجركم وأجر أتباعكم ولا تتحملوا وزركم ووزرهم بعدم الدخول فى هذا الدين .

وقلت له : إن هذا الرجل ـ يعنى الشيخ عبد القوى ـ يحفظ القرآن كله وهناك آلاف المسلمين يحفظونه كما أنزله الله لا تحريف فيه ولا يقدر أحد على تحريفه ولو كنت تفهم اللغة العربية وسمعت منه وصف الجنة ونعيم أهلها ووصف النار وعذاب أهلها لطرت شوقا إلى الأولى بلا اله الا الله محمد رسول الله ، ولهربت خوفا من الثانية بترك عبادة غير الله تعالى ونحن نرغب أن تدخلوا فى دين الله فى أسرع وقت لأن الإنسان لا يدرى متى يقتاده الموت إلى قبره والموت على غير الإسلام يورث الحسرة والألم والخلود فى النار ونرغب فى أن نكون أمة واحدة ندعوا إلى الخير ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وكان يظهر السرور بكل ما يسمع وأجاب أنه قد قرأ ترجمة القرآن الكريم ووجد أن ما تقوله له موجود فى القرآن وانه يرى أنه حق وقال : إننى أتابع الآذان وتعجبنى الفاظه وقال اننا نأسف لقصر زيارتكم وكنا نود لو تأخرتم عندنا أكثر . فاعتذرنا بارتباطنا واننا اذا جئنا مرة أخرى إلى أندونيسيا سنحاول زيارته ووعدنا ببعث كتب اسلامية إليه مترجمة وغير مترجمة .

وهنا يجب أن نقولها صريحة : أن المؤسسات الإسلامية ـ على الرغم مما تبذله من جهود فى سبيل الدعوة إلى الله ـ مقصرة فى التخطيط والتنظيم والتنفيذ لهذه الدعوة وأن بعث دعاة حكماء مدربين ملمين بالأديان المقارنة مزودين بالحجج المقنعة مثقفين ثقافة عصرية مع الفقه فى الدين يلتقون بأمثال هذا الزعيم مع حمل الكتب المترجمة إلى اللغة المحلية لاى بلد لجدير بفتح الباب أمامهم للدخول فى دين الله تعالى .

واذا لم يدخلوا فى أول الأمر فيمكن عقد صلات معهم تكون سببا للدخول فيه مستقبلا وأن على الدعاة إلى الله أن يكونوا أعزة بدينهم يدعون إليه العظماء فى قومهم كالسوقة كما كان يفعل الرسول ﷺ وما الذى يمنع الداعية المسلم من دعوة رؤساء الأديان بل وزعماء الحكومات ماداموا ضالين عن منهج الله لعل الله يشرح صدورهم لهذا الدين .

وقـد بعثنـا لهذا الـزعيم ترجمـة المصحف الكريم وتفسيره باللغة الأندونيسية وسنوالى مراسلته لعل الله تعالى يهديه . وهذا عنوانه ينقل مما كتبه فى مذكرتى بيده :

ثم ودعنـاه قائلين : السـلام على من اتبـع الهـدى (لم تترجم له هذه) وكان وداعه لنا حارا نسأل الله له الهداية والتوفيق .

وغـادرنـا مدينـة سنجـاراجـا فى السـاعة العاشرة إلا عشرين دقيقة ووصلنا إلى مدينة دمباسار فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين فصلينا الظهر والعصر قصرا وجمعا فى دكان عم عبـد الله باهـرمـز أخى أبيـه . ثم خرجنـا إلى المطار فى الساعة الواحدة والنصف . وفى الساعة الثانية والنصف صعدنا إلى الطائرة .

**** ***** ****

« التدخين سـم قاتل »

المدمنون على شرب الدخان بشراهة زائدة يعرضون رئتهم للتلف المبكر ويصابون بهبوط في وظائف الرئة وهبوط في القلب ... والنتيجة معروفة حتما ... وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك ان التدخين يسبب تهيجا في الأغشية المخاطية للشعب الهوائية فيحدث النزلات الشعبية المزمنة وبنسبة حدوث النزلات الشعبية بين المدخين اضعاف اضعاف نسبتها لدى غيرهم . كما ثبت ان التدخين يزيد من احتمال الأصابة بسرطان الدم ، كما يزيد من تركيز الدهنيات في الدم ويؤدى الى الأصابة بتصلب الشرايين عامة والشرايين التاجية التى تغذى عضلة القلب بوجه خاص والتدخين فوق كل هذا يرفع ضغط الدم ويحدث اسراعا في نبض القلب ولذلك فهو يجهده ويزيد عمله وفي اولئك المصابين بتصلب الشرايين التاجية قد يسبب التدخين حدوث الآم الذبحة الصدرية وذلك ما يسمى بـ : ذبحة النيكوتين .

كرة القـــــدم

يلفت النظر فى جمهور كرة القدم حبه الشديد للفريق الذى يشجع وتضحياته الكبيرة من أجله . . أى أنـه جمهـور منتمى . . والانتـماء إلى فريق معناه التضحية بالمال والنفس . . ونحن نسمع أن فلانا تبرع لناديه بكذا مليون ريال ليقيله من عثرته، بينما لا نجد اسم هذا الفلان فى قوائم المتبرعين للجمعيات الخيرية أو المجاهدين الأفغان وهذه تضحية بالمال .

ونسمـع أن علانـا لا يبـالى أن ينـزل إلى وسط ملعب الكرة فى وقت الشدة ليضرب الحكم أو يضـرب الـلاعبـين حتى لو أدت تلك الغـارة الهـوجـاء بحيـاتـه ، وهـذه تضحية بالنفس، بينما لا يمارس معظم الناس أو بعضهم حبهم لبلادهم بتلك القوة وبتلك التضحيات .

ويلفت النظـر فى جمهـور كرة القـدم أيضـا . . **أنه جمهور غيور** فهو لا يقبل أن ينتهك قانـون الكـرة مطلقـا ، فهـو يثـور ويهـز الملعب اذا ارتكب لاعب خطأ فى غفلة من الحكام ، ويقف فى وجه الحكم ويقول له لا . . اذا تغاضى عن خطأ ، **بينما يقف الناس يتفرجون على أولئـك الـذين يغتـالون قواعد القانون العام أو يعبثون بمصالح البلاد والعباد** . فمثلا نحن نرى النـاس فى أسبـوع النظـافـة وغـير أسبوع النظافة يقذفون ببقايا الساندويتشات وعلب الببسى من نوافذ سياراتهم فى وسط شوارع المدينة الكبيرة **ولانجد أحدنا يقول لهذا المعتدى على نظـافـة المدينة** . . **عيب** ، ونرى الناس يخالفون أبسط قواعد المرور، وبامكاننا أن نلفت أنظار هؤلاء إلى خطأ ما يفعلون **ولكن أحد منا لا يكلف نفسه عناء أن يقول لهؤلاء عيب** .

فى الأسبـوع المـاضى أردت أن أمـارس **دور المـواطن الصالح** أوقفت سيارتى لأعتب على أحـدهم وهـو يهم باقتـلاع غرسـة من حديقـة عامة . . استسلم المخطىء لقولى وأخذ ينفض الطـين من يديـه ويعـود إلى سيـارته . . **لكن بعض الوقوف من الناس تساءلوا على مسمع . . فيما اذا كنت من رجال البلدية . . أو من** . . وحين لا أكون كذلك فمعنى موقفى أنى انسان فضولى أو متطفل .

أتمنى أن يكون اندفاع الناس فى حب بلادهم وتضحياتهم من أجلها كاندفاعهم فى حب الكرة ونحوها .

محمد عمر العامودي

ردود و مناقشات

إنكار الجن

من شطحات التفسير الموضوعى للقرآن

للشيخ مصطفى الوراق إبراهيم
مدرس بالمعهد الثانوى

- ٢ -

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد فإن هناك شطحات أشد غرابة فى التفسير الموضوعى للقرآن أوضحها فيما يلى:

عندما تعرض الدكتور لتفسير سورة الجن إصطدم إنكاره بآيات هذه السورة التى كشفت بوضوح تام عن موقف الجن من الإسلام ويتلخص ذلك الموقف فيما يلى:

١ ـ أن الرسول ﷺ أوحى الله إليه بما كان من أمر الجن عندما استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن.

٢ ـ استماع النفر من «الجن» للقرآن.

---

* سقط من المقالة الأولى الآتى: (ثم نسأل الدكتور إلام كان يهدف نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام من رسم هذه الخريطة المزعومة؟ فيجيبنا ليستعين بها على غزو سبأ الذى عزم عليه. وإذا كان هذا صحيحا فلم طلب من (مهندسيه) أن ينكروا الملكة سبأ عرشها أى يغيروا من معالم الخريطة على زعم الدكتور. قال الله تعالى ﴿**قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون**﴾ (النمل: ٤١).

ثم يأتى بعد هذه الأسطر القول (ونلاحظ هنا أنه يخاطب ص ٣١٦ العدد ٥٣.

ولقد سقطت أيضا كلمة (لا يعدو) فى السطر قبل الأخير فجاءت العبارة هكذا [ولا يكون عناء الخ] وصحتها [لا يعدو أن يكون عناء الخ] فمعذرة.

٣ ـ إيمانهم بوحدانية الله وتبرؤهم من الشرك الذى كانوا عليه من قبل وإذعانهم برسالة المصطفى ﷺ .

٤ ـ إنطلاقهم إلى قومهم دعاة منذرين .

إذن فالأمر هنا ليس قاصراً على ورود كلمة «الجن» ولو كان الأمر كذلك لكان من اليسير على الدكتور أن يصرفها عن معناها الحقيقى إلى شيء من المعانى المبتكرة التى ادعاها لكلمة الجن ولكن الأمر هنا ليس سهلاً فكيف يصنع الدكتور ليوفق بين إنكاره للجن وهذه السورة التى سميت بهم وتكلمت عن عالمهم بكل هذا الوضوح؟ لابد إذن من تفكير وتدبير لكي يصل الدكتور إلى مخرج ـ وأعمل فكره ثم أعمل خياله وبدا له أنه وجد الإنقاذ فى فكرة عَنَّت له فسرعان ما أبرزها بل واعتبرها نظرية لم يسبق إليها وكأنى به قبل أن يصل إلى إبراز نظريته يتساءل لماذا لا يفترض أن الجنَّ قسمان جن «أصلى» وجن «ملحق به» أوسمه مجازياً أو مزيفا . . ولندع الدكتور يوضح لنا قصة الجن فى نظره .

يقول : [الجن موجود قطعاً وهم قوى مخلوقة من نار صافية ولذا كانوا قوى روحية . وعالم الجن قائم إلى يوم البعث لا مرية فيه] لقد ظننت عندما قرأت هذين السطرين أن الدكتور رجع من الإنكار إلى الإقرار ولكن سرعان ما تبدد هذا الظن عندما قرأت السطر الثالث وما تلاه . قال الدكتور : [أما موجوداته الأصلية فهى طبائع الملائكة وهى العناصر الخيرة ، وطبيعة إبليس كذلك وهو العنصر الشرير] إذن فهذا هو عالم «الجن» الأصلى وليس هناك عالم ناري عاقل سوى ما ذكر الدكتور! ! وما هو الجن «الملحق» أو المزيف ـ كما ينبغى أن يوصف؟ فيجيبنا الدكتور : [ويدخل فى عالم الجن ـ ملحقاً بطبائعه الأصلية مَنْ يتخفىٰ مِن عالم **الإنسان فى إيمانه وكفره وفى خيره وشره** باعتبار أن هذا الذى يتخفىَّ **غير ظاهر وغير مرئي** وذلك كشياطين الجن . فإنهم من الإنسان ، يخفون شرهم وكيدهم لدين الله وللمؤمنين به ، وصدهم عن سبيل الله . وجاء فى قول الله تعالى : ﴿**إنه يراكم**﴾ أى الشيطان وهو إبليس ﴿**هو وقبيله**﴾ أى **هو وأعوانه من الشياطين** ﴿**من حيث لا ترونهم**﴾ لأن إبليس بحكم طبيعته من عالم الجن ، **وأعوانه** بحكم تخفيهم فى الشر ألحقوا بهذا العالم وأصبحوا شياطين الجن . ومثل هذا الفريق الشرير من الناس فى إلحاقه بعالم الجن لتخفيه فى الكفر والإيذاء والإغراء ، فريق آخر من الناس أيضا تخفى فى إيمانه ولم يظهر فى تعرفه على الهداية وفى تبشيره بالدعوة لدين الله هو **هذا الفريق الذى أعلن عنه الوحى** فى سورة الجن فى قول الله تعالى : ﴿**قل أوحى إليَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنّا سمعنا قرآنا عجبا**﴾ أى من العالم غير

المرئي. ولكن ليس من القوى النّارية **﴿يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين﴾** انتهى كلام الدكتور في صفحتى ٨و٩ تفسير سورة الجن طبعة دار الفكر.

ومن الواضح أن الدكتور يزعم بأن الذين نزلت فيهم (سورة الجن) وآية الأحقاف ليس المراد بهم «الجن» الحقيقيين أى المخلوقات العاقلة النارية التى تختلف عن الملائكة كما تختلف عن الانس بل المراد بهم جماعة من البشر الذى يخفى إيمانه (ولم يظهر فى تعرفه على الهداية وفى تبشيره لدين الله) تفسير سورة الجن ص ٩.

ويرجح الدكتور أن هذا النفر الذى انزلت فيه سورة الجن وآية الأحقاف كان من أهل يثرب ثم يتحدث عن ثلاث قضايا أنها أدلة على أن المراد بالجن البشر. **القضية الأولى: إيمان هذا الفريق بوحدة الله فى الألوهية. القضية الثانية: حكم هذا الفريق على القرآن بعدما سمعوا منه بعض آياته بأنه كتاب مصدق لما بين يديه من التوراة. القضية الثالثة: دعوة هذا الفريق إلى الإسلام بين قومه. وهذه القضايا الثلاث تختص ــ فى رأى الدكتور ــ برسالة البشر فالبشر وحدهم المكلفون باتباع رسالة الله، راجع ص ١٠ من تفسيره المذكور.**

ولن أطيل فى مناقشة هذه القضايا ولا النتيجة التى وصل إليها الدكتور وذلك لأنها لا تعدو أن تكون مقدمات أو قضايا لا يحكم ارتباطها بما وصل إليه من نتيجة إلا مجرد الوهم والادعاء والنتيجة وهى (اختصاص البشر وحدهم بالتكليف) لا دليل عليها بل الدليل يقوم على تأييد أن الرسالة والتكليف للانس والجن. وما نحسب أن أحداً من أهل العلم الذين يعتد بهم يؤيد ما ذهب إليه الدكتور ويكفى ـ فى رد هذا الاختصاص سواء قال به الدكتور أو غيره ـ قول الله جل وعلا: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾.

ولنعد إلى نظرية الدكتور عن نوعي الجن الأصلى والملحق فنقول: إن الدكتور يخلط خلطاً عجيباً بين الملك والجنى فيدعى بأنهما عنصر واحد خلق من مادة واحدة وله طبيعة واحدة فالملائكة هم الجن والجن هم الملائكة وهذا هو الجن الأصلى أما الملحق أو الذى يسمى (تبعا) بالجن فهم البشر المتخفون. وقد سبق أن أوردت فى المقالة الأولى أن حديث رسول الله ﷺ حدَّد أن الأصل لخلق الجن هو (النار) وأن الأصل لخلق الملائكة هو (النور) وبناء على مفهوم هذا الحديث الواضح فإن الجن والملائكة نوعان مختلفان وعالمان متمايزان وكلام الدكتور حول اتحاد جوهر النار والنور لا يقدح فى كونهما عالمين ذلك لأن الخلق لنوعين

أو أكثر من جوهر واحد أو عنصر متحد ليس مثيراً للاستغراب مادام الخلق بقدرة الخالق البارىء المصوِّر سبحانه وتعالى . . ولعلنا نستأنس ببيتى الشاعر:

سبحان الذى خلق من نطفة ومن علق
سبحانه مصوراً من حماة الطين (الحدق)

فما أبعد ما بين كدر الطين وصفاء العين ولكنها قدرة الله الذى قال فى كتابه ﴿**هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه**﴾ (لقمان : ١١) .

الجن عالم والملائكة عالم آخر :

وما كنت أحسب أننى فى حاجة إلى التفريق بين الجن والملائكة لأن هذا الأمر لا يشك فيه أحد ولكنَّ دعاوى الدكتور محمد البهى جعلت الحاجة ماسة للاستدلال فى كتاب الله سبحانه ومن السنة النبوية على اختلاف عالمى الجن والملائكة ، وسأورد الآيات والأحاديث التى تفصل وتبيِّن أن لكل عالم من العالمين المتمايزين صفات تناقض صفات الآخر مناقضة تامة وليس هناك سمة مشتركة ولا طبيعة متحدة بين العالمين عالم الملائكة وعالم الجن الذى منه الشياطين وأعوذ بالله منهم وإلى قارىء هذا المقال أولا الآيات التى جاء فيها وصف الملائكة وتليها الأحاديث ولا أشك فى أن القارىء يعرف هذه الأدلة فلتكن له من باب التذكير .

قال الله تعالى مخبرا عن لزوم الملائكة لطاعته : ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ (التحريم : ٦) . وقال سبحانه : ﴿**بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**﴾ (الأنبياء : ٢٦ ، ٢٧) فهل عالم الجن بما فيهم الشياطين تنطبق عليهم هذه الصفة؟!

يقول الشيخ أبوبكر جابر الجزائرى فى كتابه (عقيدة المؤمن) «إن الملائكة منزهون عن الأغراض البشرية كالجوع والمرض والأكل والنوم والتعب وما إلى ذلك فقد جاء فى القرآن ما يدل على ذلك بدلالة الالتزام إذ أخبر الله تعالى عنهم بأنهم ﴿**يسبحون الليل والنهار لا يفترون**﴾ (الأنبياء : ٢٠) ولازم ذلك أنهم لا ينامون ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتعبون»[١] .

---

(١) عقيدة المؤمن : ص ٢٠٠ .

فهل يرى الدكتور شبهاً بين الملائكة الذين يسبحون الله ليلا ونهارا وبين الجن ومنهم الشياطين قبيل ابليس؟!

والملائكة منهم حملة العرش المسبحون بحمد ربهم المستغفرن للمؤمنين قال الله تعالى: ﴿**الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسِعتَ كل شيء رحمةً وعِلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلَكَ وقِهِمْ عذابَ الجحيم**﴾ (غافر: ٧) فهل يحمل الجن العرش، ويسبحون الله ويحبون التائبين عن المعاصي ويستغفرون لهم؟! فهل يرى الدكتور فى الشياطين أحباباً للمؤمنين؟!

والملائكة يلعنون الكافرين الذين ماتوا بكفرهم . . يقول الشيخ الجزائرى فى عقيدة المؤمن: «وإنهم ليلعنون من لعنه ربهم سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿**إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**﴾ (البقرة: ١٦١) (عقيدة المؤمن ٢٠١) فهل ترى لهذه الصفة مكاناً بين الشياطين؟!

والملائكة تقاتل مع المؤمنين فى سبيل الله . يقول الشيخ عمر سليمان الأشقر فى كتابه «عالم الملائكة الأبرار» صفحة ٦٢ (وقد أمدَّ الله المؤمنين بأعداد كثيرة من الملائكة فى معركة بدر ﴿**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنىّ ممدكم بألف من الملائكة مردِفين**﴾ الأنفال: ٩) ﴿**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يُمدكم ربُّكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزَلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يُمددْكم ربُكم بخمسةِ آلافٍ من الملائكة مُسَوِّمين**﴾ (آل عمران: ١٢٣-١٢٥) ويقول الأشقر فى صفحة ٦٣ وقد حاربت الملائكة فى مواقع أخرى ففى غزوة الخندق أرسل الله ملائكته ﴿**ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها**﴾ (الأحزاب: ٩) والمعنى بالجنود التى لم يروها الملائكة كما ثبت فى الصحاح وفى غيرها أن جبريل جاء الرسول ﷺ بعد رجوع الأحزاب وعلى ثنايا جبريل النقع (الغبار) وكان الرسول ﷺ يغتسل فقال للرسول ﷺ (اوضعتم سلاحكم فإنا لم نضع سلاحنا بعد فقال إلى اين؟ فاشار إلى بنى قريظة) فهل يمكن أن تتصف الجن والشياطين بما تقدم من جهاد وتثبيت للمؤمنين فى حربهم مع الكافرين؟! وإذا كانت الملائكة تتنزل على المرسلين فإن الشياطين تتنزل على كل أفاك أثيم.

وبعد هذا نذكر قليلا من الأحاديث التى تكشف عن صفات الملائكة وأعمالهم وأخلاقهم وذلك لأن الأحاديث فى هذا الباب كثيرة فإلى القارىء بعضها.

١ ـ يقول الأشقر في كتابه (عالم الملائكة الأبرار) «وكلّ الله بكل إنسان قريناً من الملائكة وقريناً من الجن ففى صحيح مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة . قالوا : وإياك يارسول الله . قال : وإياى ولكن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير) ولعل هذا القرين من الملائكة غير الملائكة الذين أمروا بحفظ أعماله قيضه الله ليهديه ويرشده . وقرين الإنسان من الملائكة وقرينه من الجن يتعاوران الإنسان هذا يأمره بالشر ويرغبه فيه وذاك يحثه على الخير ويرغبه فيه فعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنه من الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ثم قرأ ﴿**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم**﴾ (البقرة : ٢٦٨) .

فهل يمكن أن يختلط أمر الملائكة بالشياطين بعد هذا الكلام المبين؟!

وهل يمكن أن يكون الايعاد بالشر ثم الايعاد بالخير فعل مخلوق واحد أو صفة مخلوقات من عنصر واحد ونوع واحد أم هما عنصران ونوعان .

والملائكة يُحبون المؤمنين يقول الشيخ أبوبكر الجزائرى فى صفحة **٢٠١** من عقيدة المؤمن (إن الملائكة تحب حباً يليق بحالهم ، وحسب ذواتهم فقد دل الدليل الشرعى على أنهم يحبون ففى الصحيحين «إن الله تعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل إن الله قد أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل فى السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول فى الأرض) اللؤلؤ والمرجان (٣/٢٠٥-٢٠٦) والبخارى (٩/١٧٣-١٧٤) ومسلم (٨/٤٠-٤١) .

أما عالم الجن فهو (نوعان شياطين لا خير فيهم البتة وجن منهم الصالح ومنهم الفاسد فحالهم كحال الناس منهم البار والفاجر ومنهم المؤمن ومنهم الكافر بيد أن الشياطين أصلهم من الجن وذلك لأن إبليس كان من الجن لإخبار القرآن الكريم بذلك فى قوله تعالى : ﴿**إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه . . . الآية**﴾ (الكهف : ٥٠) .

ولما أبلس الشيطان وطرد من الرحمة الالهية وانقطع عن الخير كلية كانت ذريته مثله بحكم الوراثة لاخير فيهم أصلا فلا يعرفون إلا الشر ولا يدعون إلا إليه) عقيدة المؤمن ص ٢١٣ .

والشيطان ليس فرداً واحداً هو إبليس بل معه ذريته وقبيله من الشياطين وليس هناك مبرر على الإطلاق يسوغ للدكتور تأويل معنى «الذرية والقبيل» بما ذكره فى ص **١٧** من تفسير سورة الجن (شياطين الجن وهم من البشر تخفَّوا ويتخفون فى مباشرة الشر للناس، والصد عن سبيل الله وهؤلاء شياطين الجن هم أعوان إبليس وقبيله وهو معهم يرون الناس والناس لا يرونهم ﴿**إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم**﴾ (الأعراف : **٢٧**) وشياطين الجن أشبه بالخلايا السرية التى تعمل تحت الأرض وفى الخفاء على تقويض الإيمان بالله، والكيد للمؤمنين **فهم من الناس** ولكنهم متخفون فى مباشرتهم للكيد والصد عن سبيل الله) وبهذا التأويل الذى يجنح للتحريف المقصود أوّل الدكتور قوله تعالى : ﴿**أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا**﴾ وإنما لجأ الدكتور لكل هذا (التخريف) بالخاء المعجمة ليدعم نظرية الجن الأصلى والجن الملحق لأن هذه النظرية الغريبة هى الأساس الموهوم الذى يبنى عليه دعوى إنكار الجن كعالم موجود ومقابل لعالم الملائكة والإنس.

ولنمض فى تمييز عالم الجن عن الملائكة والإنس بما وصفه به خالقه ومصوره سبحانه وتعالى وبما وصفه به الرسول الكريم فى أحاديثه ﷺ.

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاَّ إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه**﴾ فالآية نص على أن إبليس من الجن وليس من الملائكة كما قال الدكتور فى حديثه عن موجودات عالم الجن الأصلى ص ٨ من تفسيره.

ويقول الله سبحانه مخبرا عن الجن الذين استمعوا للقرآن من رسول الله ﷺ ﴿**وإنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا**﴾ فهل يصلح هذا الوصف «للملائكة»؟ هل منهم القاسطون الذين يكونون لجهنم حطبا؟ وهل تصلح آيات سورة الجن التى وصفت ما كان عليه عالم الجن قبل أن يسلموا لله ولرسوله ﷺ لعالم الملائكة؟ أو هل تصلح لأن تكون وصفا لمن سماهم الدكتور بالملحقين بعالم الجن من (البشر) الأوس والخزرج كما ادعى؟ يقول سبحانه : ﴿**وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا**﴾ ويقول عز وجل : ﴿**وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا**﴾ ويقول : ﴿**وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا**﴾ اللهم إنها ليست وصفا لملائكة ولا لبشر. ولقد اتعب الدكتور نفسه فى التحريف عندما تعرض لتأويلها وسنعرض بعض تأويله فيما يأتى بمشيئة الله سبحانه. ولكننى أسأل هل كان رجال

من الإنس (الأوس) يعوذون بجهنم؟! وهل كانوا يلمسون السماء ويقول الله فى كتابه الكريم: ﴿**يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان...**﴾ (الأعراف: ٢٧). ويقول سبحانه: ﴿**إنَّ الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً**﴾ (فاطر: ٦). ويقول الله فى كتابه مبينا عداوة إبليس وذريته من الشياطين لبنى آدم ﴿**أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا**﴾ (الكهف: ٥٠). فهل يفتن الملائكة الناس فى دينهم؟ وهل يعادى الملائكة الناس؟ وهل يحذر الله المؤمنين من الملائكة ويأمرهم بعداوتهم؟ ولماذا؟ اللهم ليس هذا من صفات الملائكة الذين يحبون المؤمنين ويستغفرون للتائبين.

ولقد بيَّن الله أن لكل إنسان قريناً وأوضح الرسول ﷺ هذا الأمر فى أحاديثه قال تعالى: ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين**﴾ وقال تعالى: ﴿**ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا**﴾ (مريم: ٨٣) وقال تعالى: ﴿**ربِّ بما أغويتنى لأزيِّنَنَّ لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين**﴾ (الحجر: **٣٩-٤٠**) وجاء بيان الرسول ﷺ لأمر القرين وافياً شافياً وذلك فى أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ (ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن قالوا: وإياك يارسول الله. قال: وإياى إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بالخير) (مسلم: **٨/ ١٣٩**) فهل لهذا علاقة ما بملك من ملائكة الرحمن الذين لا يعصون الله ما أمرهم؟ وقد بينت الأحاديث أن من صفات الملائكة الحياء وأن من سماتهم أنهم يكرهون الروائح الخبيثة كرائحة البصل والثوم وغيرهما مما له رائحة كريهة ونهى الرسول ﷺ عن دخول بيوت الله بمثل هذه الروائح التى يتأذى منها الملائكة كما يتأذى منها بنو آدم كما بينت الأحاديث أنهم لا يدخلون بيتا فيه كلب أو صورة أما الشياطين فيسكنون الأماكن القذرة ويعملون لايذاء الإنسان فى نفسه ولإضلاله عن الطريق السوى يقول الشيخ أبوبكر الجزائرى فى كتابه عقيدة المؤمن (الغالب فى الجن والشياطين أنهم يسكنون الخرائب والحشوش والمزابل والقمائم لحديث أبى داود إن هذه الحشوش محتضرة فاذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث). والشياطين توسوس فى صدور الناس بالشر وتغريهم بالمعاصى ولذا أمرنا الله سبحانه أن نستعيذ به من شرهم فى سورتى الجن والناس فهل كل ما ذكر يمكن أن يكون له صلة بملائكة الرحمن يادكتور.

بعض الأمثلة لتفسير سورة الجن:

يقول الدكتور فى تفسير قوله تعالى: ﴿**قل أوحى إلىَّ أنه استمع نفر من الجن**﴾ أى أنصت إلى القرآن فريق من الغرباء أومن العالم غير المرئى وهوما يطلق عليه إسم الجن

﴿فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا﴾ أى قرآنا عظيما ﴿يهدى إلى الرشد﴾ وهو طريق التوازن والاعتدال، وعدم الإسراف والسفه ﴿فآمنا به﴾ فاستقر فى نفوسنا الإيمان برسالته فيما جاء فيه من عقيدة ومن منهج للحياة ﴿ولن نشرك بربنا أحدا﴾ ثم يقول الدكتور من الذى يعلن الإيمان بالله وعدم الشرك به غير الإنسان المكلف بالرسالة الإلهية؟ فالملك ليس مكلفاً والرسل لا تأتى بالرسالة لغير الناس واذا كان هناك ـ على سبيل الافتراض ـ غير الملك وغير الانسان مكلف برسالة إلهية فرسلهم لابد أن تكون من نوعهم ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ (ابراهيم : ٤) ولهذا كان الفريق الغريب المتخفى الذى قدم إلى مكة واستمع إلى القرآن وآمن به وأعلن أنه لا إله إلا الله هو فريق من الناس مكلف ـ ككل البشر ـ باتباع الرسالة الإلهية، والتى قوامها عبادة الله وحده ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلَّا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (الأنبياء: ٢٥) وليس من طبيعة أخرى غير طبيعة الإنسان ولكنها طبيعة متخفية فقط) تفسير سورة الجن ٢٩ـ٣٠.

وإننى أسأل الدكتور إذا كان المراد بهذا النفر من «الجن» بشراً ذا طبيعة متخفية فلماذا لم يرهم الرسول ﷺ وهم بقربه يستمعون إليه؟ ولماذا أوحى إليه بأمرهم؟ وهل إرادة إخفاء «الإيمان» من شأنها أن تجعل جسم صاحبها يختفى فلا تراه العيون؟! ولماذا تجاوز الدكتور كلمة (أوحى) فلم يشر إلى المقصود منها؟ ويقول الدكتور فى تفسير قوله تعالى ﴿وأنا لمسنا السماء﴾ أى كما كنا نلمسها قبل نزول القرآن إدعاء ﴿فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا﴾ ولكن لم نستطع الإقتراب منها والقعود للتسمع كما كنا نفعل لأن أبوابها قد أوصدت وعليها حرس قوى بالإضافة إلى أن من يقترب منها يرمى بالشهاب وهو شعلة النار الساطعة. ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع﴾ أى وقبل ذلك ـ وهو قبل نزول القرآن ورسالة الرسول عليه السلام ـ كما كنا نتمكن من الاقتراب من السماء والقعود بجوارها منها وبذلك كما كنا نتمكن من السمع ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا﴾ ولكن الآن وبعد أن نزل الوحى بالقرآن فمن يحاول الاقتراب من السماء والسماع لما يدور فيها لا يمكنه ذلك إذ ترقبه الشهب النارية وتنتظره فتصيبه حتماً لو اقترب. وهذا تعبير مجازى قصد منه الحيلولة وعدم التمكن من استراق السمع كما كان يدعى سابقا) تفسير سورة الجن ص ٣٧.

تفسير ابن عباس لسورة الجن :

أما حبر الأمة فيفسر قوله تعالى ﴿قل أوحى إلىَّ أنه استمع نفر من الجن﴾ بما يؤكد وجود عالم الجن الذى أثبته خالقه وأجمعت الأمة علماؤها ومفسروها عوامها وخواصها سلفها

وخلفها على الإيمان بوجود الجن وبكل ما أخبر الله به عنهم فى كتابه الكريم وليرجع من يريد الرجوع إلى تفسير ابن عباس وتفسير الطبرى تفسير ابن كثير تفسير الزمخشرى، تفسير القرطبى تفسير الجلالين أوتفسير النسفى أو الألوسى الخ التفاسير التى تعد مراجع للمفسرين بل وليرجع من شاء إلى التفاسير التى كتبها المعاصرون ليجد الإجماع الكامل على الإيمان بما فى كتاب الله من الأخبار عن الجن وليجد التصديق الجازم بما أخبر به الرسول ﷺ عنهم. وقد فسر ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى ﴿**قل أوحى الىَّ**﴾ بأن القصد أن يقول: قل لكفار مكة، يامحمد: أوحى الىَّ أنزل الىَّ جبريل فأخبرنى ﴿**أنه استمع نفر من الجن**﴾ تسعة نفر (من الجن) جن نصيبين باليمن ﴿**فقالوا**﴾ بعد أن آمنوا ورجعوا إلى قومهم ﴿**إنا سمعنا قرآنا عجبا**﴾ تلاوة قرآن عجيب كريم شريف يشبه كتاب موسى وكانوا أهل توراة ﴿**يهدى إلى الرشد**﴾ الى الحق والصواب لا إله إلا الله . . . ثم يقول فى تفسير قوله تعالى ﴿**وأنه كان رجال من الإنس يعوذون**﴾ يتعوذون ﴿**برجال من الجن فزادوهم رهقا**﴾ بذلك (رهقا) عظمة وتكبراً وفتنة وفساداً وذلك أنهم إذا سافروا سفراً واصطادوا صيداً من صيدهم أو نزلوا واديا خافوا منهم فقالوا نعوذ بسيِّد هذا الوادى من سفهاء قومه فيأمنون بذلك منهم فيزيد رؤساء الجن بذلك عظمة وتكبراً على سفلتهم والجن ثلاثة أجزاء جزء فى الهواء وجزء ينزلون ويصعدون حيثما يشاءون وجزء مثل الكلاب والحيات[1]. ثم يقول فى تفسير قوله تعالى ﴿**وأنا لمسنا السماء**﴾ انتهينا إلى السماء قبل أن آمنا ﴿**فوجدناها ملئت حرساً**﴾ من الملائكة ﴿**شديداً**﴾ كثيراً ﴿**وشهبا**﴾ نجماً مضيئاً يدحرهم عن الاستماع ﴿**وأنا كنا نقعد منها**﴾ من السماء ﴿**مقاعد للسمع**﴾ للاستماع قبل أن يبعث محمد ﷺ (فمن يستمع الآن) بعد ما بعث محمد ﷺ (يجد له شهاب)ء نجما مضيئاً (رصدا) من الملائكة يدحرونهم عن الاستماع) تفسير ابن عباس سورة الجن . . . وكيف يكون التعبير فى هذه الآية ﴿**وأنا لمسنا السماء . . .**﴾ مجازياً قصد منه الحيلولة وعدم التمكن من استراق السمع كما كان يدعى سابقاً؟ كيف يكون كذلك وهذا تفسير ابن عباس حبر الأمة ومن بعده المفسرون يقول إن استراق الشياطين للسمع قبل الرسول ﷺ كان حقاً واقعاً ويوكد هذا حديث البخارى **١٣٥/٤** (إن الملائكة تنزل فى العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضى فى السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم) ومن غير الدكتور قال بهذا التفسير المنحرف؟!

(١) ثبت ذلك فى حديث رواه الطبراني والحاكم والبيهقي باسناد صحيح (صحيح الجامع ٨٥/٣).

(**تفسير القادياني للجـــن**) :

لقـد سبق أن أوردنـا كلام القـرطبى عن إنكار الفلاسفة وبعض أهل الاعتزال للجن وهـذه فئـة المنكـرين قديـماً أما فئة المنكرين حديثاً فمنهم الفلاسفة الماديون وطائفة القاديانية يقول محمد على اللاهوري القادياني (والمراد بالجن فى قوله تعالى ﴿**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن**﴾ طائفة من البشر اجتمعوا بالنبي ﷺ **فى الخفاء** وليس المراد به نفوس لا يقع عليها البصر وقد جاءوا من الخارج **وكانوا أجانب وغرباء** ولذا سموا جناً) بيان القرآن ج **٣** ص **٦٧١١** (من كتاب القاديانية دراسة وتحليل للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي مدير ندوة العلماء بالهند وعضو المجمع العلمى العربى بدمشق.

وليس هذا الكلام فى حاجة إلى تعليق ولكنني أزيده إيضاحاً ليعرف المسلمون مصادر الدكتور ومراجعه وليدركوا من أين يستقى؟ يقول مَن يسميه القاديانيون بمولاهم محمد علي الـلاهـوري فى قولـه تعالى ﴿**قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفـك**﴾ ليس محمـولا على الحقيقـة بل هومبـالغة فى السرعة وقد كان بين العفريت والذى عنده علم من الكتاب مباراة فكان العفريت ــ **وهو الرجل الذى يخوض فى أمر بخبث وشده ويـوصله إلى الكـمال** ــ ممثـلا للقـوة البـدنيـة وكـان يحتـاج إلى وقت أطـول فى إحضار هذا العـرش، وكـان صاحب العلم يستطيـع أن يكمل مهمته فى وقت قصير مع أنه لم يكن على جانـب عظيـم من الـقــوة والمـقـصـود ترجيــح العلم على القــوة) بيــان القــرآن ج **٣** ص **١٤١٦**ـ**١٤١٧** عن كتاب القاديانية للشيخ أبي الحسن علي الحسن الندوي.

ولـيرجـع القـارىء إلى تفسير الدكتور لسورة الجن ص **٩** وإلى تفسيره لسورة النمل ص **١٩** وليوازن بين ما نقلناه من تفسير محمد علي اللاهوري وما كتبه الدكتور.

«**إنكار عموم رسالة الرسول ﷺ تبعاً لإنكار الجن**» :

وإن من المؤسف حقاً أن يجحد الدكتور عموم رسالة الرسول ﷺ الإنس والجن، وأن يدافع بحرارة عن هذا الجحود وكأنه يدافع عن حق! يقول الدكتور: (وإذن بناء على جميع هذه الافتراضات وهى:

١ ــ أن عالم الجن مستقل خلق من نار كما خلقت الملائكة من نور وكما خلق الإنسان من طين.

٢ ــ وأن الجنَّ إختبر فى طاعته وفى عبادته لحظة أن اختبرت الملائكة، واختبر آدم وحواء، أو بعد هذه اللحظة أو قبلها فظهر: أنه فى حاجة إلى هداية إلهية كما اتضحت حاجة الإنسان إليها.

٣ ــ وأن الجن كلفوا باتباع رسالة من الله لهدايتهم، كما كلف بنو آدم باتباع رسالة الله يأتى بها رسل منهم. وإذن **بناء على جميع هذه الافتراضات** فإنَّ الرسول الذى يحمل رسالة الله إليهم، هو منهم، وليس بغريب عن عالمهم أى **ليس ملكا ولا إنساناً**، وبالتالى ليس هو محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام) ص **٢٤ـ٢٥** من تفسير سورة الجن.

أرأيت ما يسميه «بالافتراضات» وإلى النتيجة التى بناها عليها على (فرض) صحتها؟! يقول الله سبحانه ﴿**قل أوحى إلىَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا فآمنا به**﴾ فيقول الدكتور لا ليس هذا موافقاً للمنطق اليونانى **وبالتالى فلابد** من تأويله ولابد من اعتبار كل خبر يؤكد تكليف الجن ويثبت وجودهم لابد من اعتباره مجرد افتراض! وهل يصح من مسلم أن يعتقد مثل هذا؟!

أصل البلاء: وأصل البلاء الذى تنطلق من ناحيته النكباء هو التفسير بالرأى، هو الاعتداد بالرأى مقابلا للنصوص بل ومعارضاً لها. يقول ابن تيمية فى كتابه (مقدمة فى أصول التفسير): (أما تفسير القرآن بمجرد الرأى فحرام حدثنا مؤمل حدثنا سفيان حدثنا عبد الأعلى عن سعيد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» ص ١٠٥. ويقول فى صفحة ١٠٨: (ولهذا تحرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به كما روى شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن أبي معمر قال: قال أبو بكر الصديق: «أى أرض تقلني وأى سماء تظلني إذا قلت فى كتاب الله ما لم أعلم».

ويقول الدكتور محمد حسين الذهبي: (وإذا أردنا أن نرجع الخطأ فى التفسير بالرأي إلى دوافعه وأسبابه أمكننا أن نرد ذلك ــ فى الغالب ــ إلى عاملين اثنين: العامل الأول أن يعتقد المفسر معنى من المعانى ثم يريد أن يحمل ألفاظ القرآن على ذلك المعنى الذى يعتقده. العامل الثانى أن يفسر القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب وذلك بدون نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه، والمخاطب به) الاتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن دوافعها ودفعها ص ١٨ـ١٩.

وصرب الدكتور الذهبي للعامل الأول أمثلة نختار منها اثنين :

١ ـ تفسير ابن عربي للآية ﴿**واذكر إسم ربك وتبتل إليه تبتيلا**﴾ يقول ما نصه واذكر ربـك الـذى هو أنت أى اعـرف نفسـك ولا تنسهـا فينسـك الله (تفسير ابن عربى ١٦) (الاتجاهات ص ٢٠).

٢ ـ تفسير بعض المعتزلة لقوله تعالى ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ (القيامة: ٢٢-٢٣) يقول (إلى) واحد الآلاء بمعنى النعم فيكون المعنى ناظرة نعمة ربها على التقديم والتأخير وذلك ليصرف الآية عن دلالتها على رؤية الله عز وجل فى الآخرة . . (أمالى المرتضى ج ٢ ص ٢٨) (الاتجاهات ص ٢١). وهكذا فعل الدكتور ولسنا فى حاجة إلى زيادة التنبيه إلى خطر هذا الاتجاه ويكفى ما تقدم فى مناقشة شطحات التفسير الموضوعي ولكني اثبت هنا فتوى ابن تيمية فى عموم رسالة الرسول ﷺ الإنس والجن كما أوردها عمر سليمان الأشقر فى كتابه (عالم الجن والشياطين) يقول ابن تيمية (مجموع الفتاوى ١٩ / ٩): (وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم أجمعين) يدل على ذلك تحدى القرآن الجن والإنس ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**﴾ (الإسراء: ٨٨). ثم ذكر النفر الذى استمع القرآن وآمن به ونزلت بشأنه سورة الجن وآية الأحقاف. وذكر رواية البخارى ومسلم لقصتهم. ص ٤٤-٤٥ من كتاب الأشقر. ولعل القارىء يعلم بما تحكم به الشريعة فى (إنكار الجن) ودونه فتاوى العلماء من أمثال النسفى فى تفسير سورة الجن، وابن تيمية فى الفتاوى والشيخ أبوبكر الجزائري فى «عقيدة المؤمن» وغيرهم من العلماء ولعل القارىء يعلم أيضاً أن إنكار المغيبات هو الاتجاه الذى يدعمه ويعمل على نشره أعداء الإسلام فى الماضى وفى الحاضر. يقول عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي فى كتابه (الفرق بين الفرق) بعد أن ذكر جملة من دعاوى الباطنية الباطلة فى إبطال الشريعة (وقد قال القيرواني فى رسالته إلى سليمان بن الحسن: إني أوصيك بتشكيك الناس فى القرآن والتوراة والزبور والانجيل وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع، وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور وإبطال الملائكة فى السماء، وإبطال الجن فى الأرض، وأوصيك بأن تدعوهم إلى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير فإن ذلك عون لك على القول بقدم العالم) ص ٢٩٦. هذا فى القديم وأما فى الحديث فقد أوردت فيما سبق قول القاديانية فى تفسير مولاهم محمد علي اللاهوري. وإليك ما يورده الدكتور عبد الوهاب ابراهيم أبوسليمان فى كتابه (منظمة الايجا محمد الأمريكية) يقول عن إيمان الإيجا محمد

بالملائكه (فإن الإيمان بالملائكة لا يتفق ومبادئه الدينية والفلسفية ويزيد هذا المعنى تأكيداً دعواه أن الرسول محمد بن عبد الله ﷺ تلقى القرآن مباشرة من الله) يقول الدكتور عبد الوهاب وفى هذا دلالة واضحة على إنكاره الإيمان بوجود الملائكة التى تنزل بالوحي من عند الله . ص ٧٢ من الكتاب .

وهل هناك منزلق أشد إهلاكا من هذا. وكل هذا أدى إليه الاعتداد بالرأي فى التفسير .

أسأل الله أن يهدينا صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين. وصلى الله على عبده ورسوله الكريم محمد وعلى آله وصحبه .

من أسباب النصر

خرج الصديق رضى الله عنه يمشي مودعاً جيش يزيد بن أبى سفيان ، وهو متوجه للفتح ، وكان مما أوصاه به :

- لا تكثرن الكلام فإن بعضه ينسي بعضاً ، وأصلح نفسك يصلح الناس لك .
- لا تجعل سرك مع علانيتك فيمزج عملك ، وإذااستشرت فأصدق الخبر تُصدق لك المشورة ، ولاتكتم المستشار فتُؤتى من قبل نفسك .
- إذا قدمت عليك رسل عدوك فأكرم منزلتهم ، فإنه أول خيرك إليهم ، وأقلل حبسهم حتى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك ، وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت الذى تلى كلامهم .
- إذا بلغك عن العدو عورة فاكتمها حتى تعانيها ، واستر في عسكرك الأخبار ، وأذْكِ حرسك وأكثر مفاجأتهم في ليلك ونهارك ، واصدق اللقاء إذا لقيت ، ولا تجبن فيجبن من سواك ...

آراء فقهيّة منحرفة والرّد عليها

فجأة خرج الدكتور محمد سعاد جلال المؤلف المصري المعروف على الناس ببعض الآراء الفقهية الجديدة التى استطاعت أن تثير الآراء المعارضة بين فقهاء وعلماء الدين في مصر .. فقد ذهب الدكتور سعاد في حديث منشور بجريدة الأحرار (لسان حزب الأحرار المعارض) إلى أنه للمرأة أن تكشف عن وجهها ويديها وذراعيها أيضا ، كما ذهب إلى أن المبالغة في التحجب ليست من الإسلام وأن المكياج ليس محرماً على المرأة بين العامة وأن رجم الزانى ليس حكماً شرعياً .

يقول الدكتور جابر حمزة مسؤول الإعلام بالأزهر :

كانت المرأة في الجاهلية تظهر بلا حجاب ولا تتسم بالحشمة أو الوقار ، فلما جاء الإسلام صان المرأة وحفظ لها كرامتها ففرض الحجاب صيانة لها وحماية من العبث والاعتداء قال تعالى (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة ، وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) .

فهذه الآية الكريمة تحدد لنا بوضوح لزوم المرأة بالمكث في بيتها وعدم الخروج إلا لضرورة ، كما نهت عن التبرج وإظهار الفتنة والزينة .. وقد نهى الله سبحانه وتعالى بالنص الصريح في القرآن على إظهار الفتنة وإبراز المفاتن ، وقد حرم الله ونهى **عن أن تضرب برجلها على الأرض حتى لا يسمع الرجال الأجانب رنين خلخالها : (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن)** ومن هنا نري أن المرأة كلها عورة .. ولكن الإسلام دين الحياة أباح للمرأة أن تخرج للعمل عندما تدعو الضرورة لذلك فهى تبيع وتشتري وتتعلم وتشهد أمام القاضى ، كما اباح النظر إلى الوجه والكفين عند الخطبة ، ومن اجل الزواج ـ وهذا الاستثناء يدل على **أن الأصل هو التحريم** ، ويقول بعض العلماء بأن تغطية الوجه هو أكثر أجزاء الجسد اثارة .

أما بالنسبة للمكياج : فلا يجوز للمرأة بحال من الأحوال أن تتزين لغير زوجها ومحارمها (كالأب والعم والخال والابن والأخ) .. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : (**أيما امرأة خرجت من بيتها متزينة متعطرة فمرت بقوم من الرجال وأصابهم عطرها فهى زانية .. زانية .. زانية وكل عين تنظر إليها زانية**) . وبالتالى يكون المكياج في الخارج وفي الشارع وفي الطرقات حراماً ومن أكبر الكبائر .. ثم أقول لهؤلاء الذين ينادون بالتحلل مخالفين رأي الدين بأنهم يتجاوزون حدود الله ، **وليعلموا بأن عظمة الشعوب لا تظهر في تبرج نسائها وإنما تكمن عظمتها في التمسك بدينها والحفاظ على تقاليدها** .

أما تدريس الجنس في المدارس والجامعات : فهو إقحام للشباب وغمس لهم في مجال الشهوة ، كما أن فيه ازالة للحياء الذي يجب أن يتحلى به المسلم والمسلمة ، وقد أمرنا الإسلام بغض البصر وعدم النظر إلى المرأة الاجنبية ، وحرم ذلك حتى لا ينحرف الإنسان إلى اغراء الشيطان ، وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم الشباب ودفعهم إلى الزواج المبكر صيانة لهم عن ارتكاب المنكر أو الوقوع في الفاحشة فقال في الحديث الصحيح (**يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**) أي صيانة وحصانة ـ ثم أمرنا الشرع بطاعة الله ودعانا إلى الصلاة التى فرضها علينا والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .. **وتدريس الجنس أمام المراهقين والمراهقات أمر خطير لم يرد في كتاب الله وسنة رسول الله ، والدعوة إلى تدريس ذلك مثلها كمثل المستجير من الرمضاء بالنار** ، فهذه دعوة للإباحية والانحلال ، وهبوط إلى درك الحيوانية والبهيمية .

ويرد (الشيخ عطية صقر) على القول بأن رجم الزانى ليس حكماً شرعياً ـ قائلا :

الزنى من أكبر الكبائر وأفحش الفواحش وأقبح القبائح لما فيه من معصية **الله** والخروج عن تعاليم الدين ، ولما فيه من انتهاك للحرمات واختلاط للأنساب مما يتنافي مع المجتمع الطاهر السليم ، ولقد حرم الله الزنى ووضع له حداً رادعاً .. **وقد قسم الإسلام الزانى إلى قسمين (الزانى المحصن والزانى غير المحصن) والمراد بالإحصان هو الزواج وما يترتب عليه** ، فالزانى المحصن حده الرجم بالحجارة حتى الموت ، والزانى غير المحصن حده الجلد مائة جلدة **والزانى المحصن حده الرجم بالحجارة حتى الموت كما ورد في السنة الصحيحة وجميع كتب الفقه** .. أن النبى صلى الله عليه وسلم رجم ماعزاً والغامدية أمام جمع من أصحابه ، وقدروت السيدة عائشة رضى الله

عنها أنها قالت : كان فيما نزل من القرآن : **الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله .. والله عزيز حكيم ..** فهذه الآية نسخت تلاوة وبقيت حكما ، ولعل قائلاً يقول (كان الأولى أن يأتى في القرآن حكم الزانى المحصن والمحصنة) ، والرد على ذلك **أن وقوع الزنى يكون من الشباب غير المتزوجين غالبا ، والحكم يكون على الكثير الغالب ، علما بأن حد الزنى لا يثبت بسهولة ، بل لابد لإثباته بشهود أربعة (شهود عدل) فضلاً عن الشروط الأخري الموجودة في كتب الفقه ..**

ويقول الدكتور الحسينى أبو فرحة :

كلام الدكتور سعاد مغالطات ، فالنقاب حجاب شرعى لكنه ليس واجباً - أما ستر جميع البدن ما عدا الوجه والكفين فهذا واجب يحرم تركه .. **والكلام عن كشف غير الوجه والكفين ، فهذه عند الضروريات وبين المحارم فقط وليس في مجال العمل** فالإسلام يبيح العمل للمرأة بشرط أن تكون في زي إسلامى وبآداب الإسلام .

- وللمرأة أن تتزين في بيتها لزوجها ، أما الخروج بالزينة خارج البيت وبين الرجال الأجانب فهذا يحرم شرعاً ، لأنها من مثيرات الفتنة ، وذلك التحريم ضرورة هامة لصيانة الأعراض .

وبالنسبة للدعوة لتدريس الجنس فإننى أقول إن الاثارة الجنسية حرام ، ولكن تدريس الأمور التى وردت في الفقه الإسلامى كوجوبات الغسل أو غيرها فهى جائزة بل وضرورة ويتعلمها الطالب في الأزهر من سن صغير .

ويقول الدكتور (جمال الدين محمود) أمين المجلس الاعلى للشؤون الإســــلامية :

هذا الذي يثار رغم اختلافي معه ليس وقته الآن ، بل إننى اعتبره عندما يأتى من عالم كبير تمييعاً لقضايا المسلمين والعالم الإسلامى **في حاجة إلى وعى اكبر في كل ما يحيط العالم الإسلامى من مخاطر ونكبات مثل الذي يحدث في أفغانستان والعراق وإيران وفي أماكن أخري كثيرة تهدد وحدة العالم الاسلامى ،** وحمايته من المخاطر التى تتهدده هى القضية الكبري التى يجب أن نقف عندها جميعا .

ويقول الدكتور (الطيب النجار) رئيس جامعة الأزهر :

لقد أفتى الدكتور (سعاد) فتوي باطلة ، فالمرأة لا يجوز لها أن تكشف إلا الكفين والوجه ، وهذا تطبيقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ترويه السيدة عائشة رضى الله عنها .. **(إذا بلغت المرأة المحيض لا يصح أن يري منها إلا هذا وذاك)** وأشار إلى الوجه والكفين والآية الكريمة تقول (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) وأما الأذرع والسيقان فهى عورة يجب أن تستر بالنسبة للمرأة .

وبالنسبة (للمكياج) يقول الدكتور **الطيب النجار :**

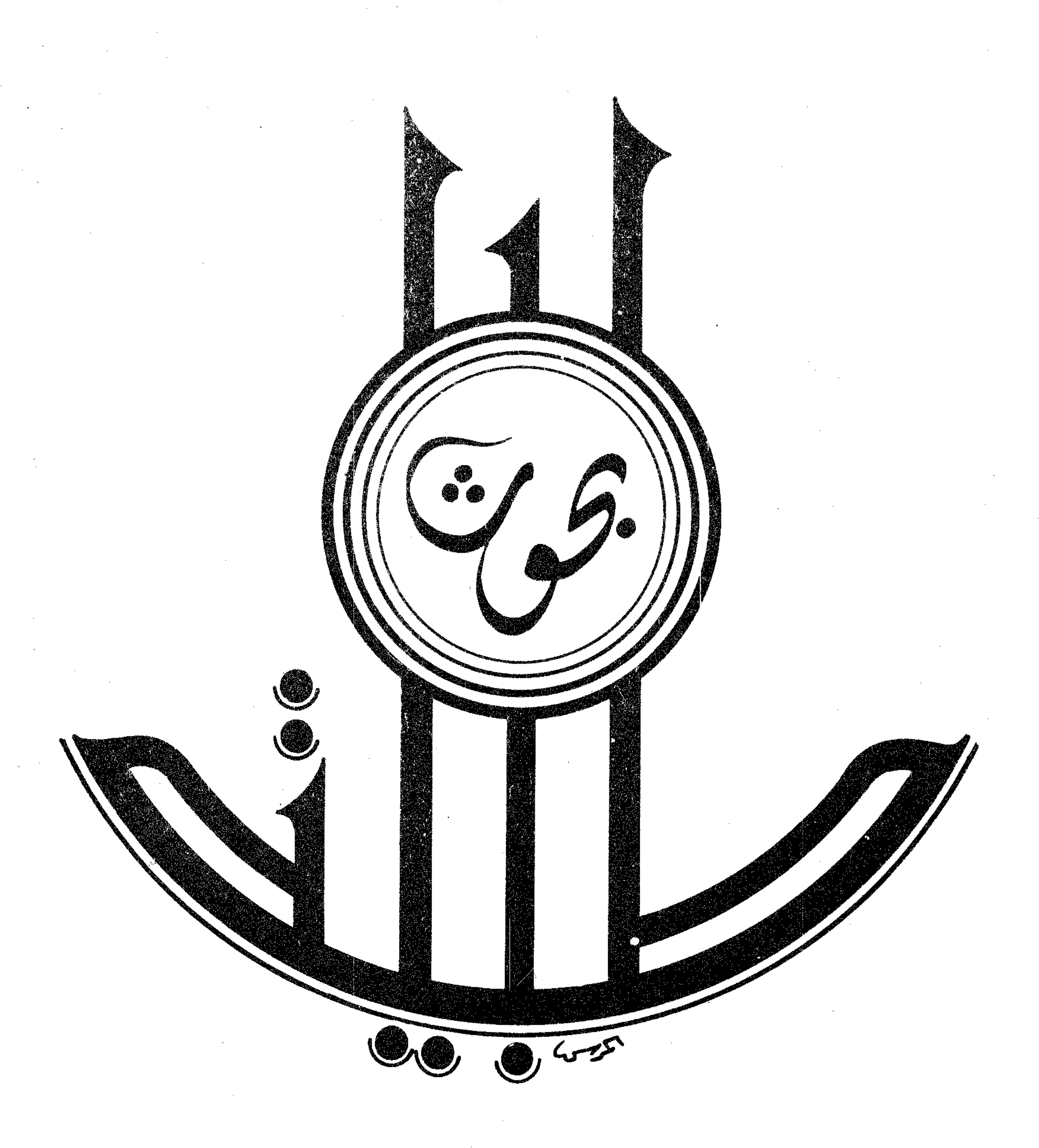
المكياج نوع من الزينة والله عز وجل قال **(ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن ..)** إلى آخر الآية الكريمة . وفي هذه الآية يذكر الله إنه لا تبدي الزينة إلا للمقربين للمرأة (وهم الأباء والأبناء والإخوة والأخوات) وهكذا .. **أما من يحل له زواج المرأة وهم سائر الأجانب فيحرم إبداء الزينة لهم .**

- وعن قول الدكتور (محمد سعاد جلال) إن رجم الزانى المحصن ليس حكماً شرعياً - يقول الدكتور الطيب النجار :

(هذا افتراء لا موضع له من الدين لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد رجم رجلاً يدعى (ماعزا) لأنه اعترف بجريمة الزنا ، وكذلك رُجمت امرأة لأنها اعترفت بجريمة الزنا .. وهذا قاطع في أن الرجم بالنسبة للمرأة المحصنة والرجل المحصن حكم شرعى أوجبه الله ...

التحرير : عجبا لأئك الذين ينتسبون إلى العلم ، ويتصدون للفنتوى ، وهم علماء ضلال وسوء ، وهؤلاء هم الأئمة المضلون الذين خاف على أمته منهم - الذين اتخذوا إلههم هواهم **(أفرأت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله)** (الجاثية) .

اللهم يامقلب القلوب تبث قلوبنا على دينك - واختم لنا بخاتمة إيمان .


بحوث

علوم المادة في خدمة الدين

د. أبو الوفا عبد الآخر
صيدلي كيميائي

أود أن أقرر قاعدة علمية هى : **خصائص المكونات لا تذوب في خليط الأطعمة والمشروبات**، ويظل النجس بحالته كما يظل الطاهر بحالته كذلك ٠

وقد اطلعت على سؤال منشور بصحيفة الأهرام القاهرية الصادرة بتاريخ ١٩٨٢/١٢/١٧ م تحت عنوان : **ما رأي الدين في الأطعمة والمشروبات التى تلحقها مواد محرمة ؟** ووجدت إجابته كما يلى : « إذا اضيفت بعض المواد المحرمة إلى المأكولات أو المشروبات أو العطور بشكل تذوب فيه خصائص هذه المادة المحرمة فإن الأشياء المضافة إليها هذه المادة تحتفظ بطهارتها وحلها ، بل إنها تحول النجاسة في المادة المحرمة إلى طهور على مذهب الإمام أبى حنيفة ، لأن التحول عنده وسيلة من وسائل التطهير ٠ وعلى ذلك يحكم بطهارة الصابون إذا أضيفت إليه مادة غير طاهرة ، وكذلك السمن الصناعى ، وبعض أنواع الحلوي ، وكذلك الجبن المعقود بمادة محرمة ، أو العجين الذي يخمر بإضافة خميرة البيرة وما يشبهها ، والعطور التى يدخل فيها الكحول ٠٠ فإن التحول الذي يذيب خصائص الشيء المحرم يجعله طاهراً ، وكذلك الحال إذا تحولت الخمر إلى خل فيصير الخل حلالاً ٠ هذا هو السؤال وهذا هو جوابه ٠

وإنى أعرض قدراً من المعلومات التى يمكن الاستئناس بها عندما نريد التعرف على رأي الدين فيما ورد من التساؤل ، وفيما يشابهه حيث يكون لعلوم المادة دور في الإيضاح ٠ وياحبذا لو أن مثل هذه الأقضية والمشكلات ، شارك في دراستها مع علماء الدين ـ علماء الماديات من صيادلة وكيميائيين وغيرهم من أصحاب التخصصات المناسبة ، حتى يقوموا بوضع المعلومات العلمية أمام رجال الدين لمساعدتهم على إصدار الفتاوي والأحكام الشرعية في مثل هذه التساؤلات ٠

أولا : معلومات من علـــوم الكيميـــاء :ـ

عند إضافة المواد بعضها إلى بعض فإنها تخضع لواحدة من حالتين :ـ

(١) **الخــــلط** : وفيه تتداخل أجزاء مادة في مادة أخري فيتكون : الخليط أو

المستحلب أو المحلول ٠ الخ وتظل كل مادة محتفظة بصفاتها الطبيعية ، والكيميائية ، وبآثارها داخل الجسم الإنسانى ، كما أنها تمر داخل الجسم بعمليات التمثيل الغذائى كما لو كانت غير مختلطة بغيرها من المواد ٠ وذلك بصرف النظر عما يصبح عليه الخليط من صفات طبيعية مشتركة - لوناً أو طعماً أو رائحةً أو مذاقاً .. الخ ٠ هى محصلة الصفات الطبيعية للمكونات نفسها ٠ والأمثلة على ذلك : خليط الملح والسكر ، خليط شحم الخنزير ، ودهن البقر ، خليط الكحول والزيوت العطرية ، خليط الدقيق وشحم الخنزير ٠ فلا تحول يحدث لهذه المواد في الخليط ، ولا تذوب خصائصها ويظل النجس بحالته والطاهر بحالته ، ويظل الحرام بحالته ، والحلال بحالته ٠

أما إذا كان المعنى المقصود بالتحول وذوبان الصفات هو ما يطرأ على المادة النجسة من تغيير في صفاته الطبيعية من لون وطعم ورائحة وقوام عند إضافتها إلى مواد أخري أو إضافة مواد إليها ، فإن ذلك يؤدي إلى تعطيل أوامر التحريم وأحكام النجاسة ، ويفتح الباب على مصراعيه أمام استعمال المواد النجسة أو الحرام ولو في خليط تكون فيه المواد النجسة أكثر من المواد الطاهرة ، فما من مادة تخلط بمادة أخري إلا ويطرأ على كلا المادتين تغييرات في الصفات الطبيعية تجعلها مختلفة عن المادة الأصلية المنفردة ٠ فشحم الخنزير يختلف عن شحم الخنزير مخلوطا بشحوم أخري ، كما أن شحم الخنزير بمفرده يختلف عن شحم الخنزير إذا أضيفت إليه مواد مكسبة للطعم أو الرائحة أو اللون ٠ ومن السهل تغيير الصفات الطبيعية للحم الخنزير به وإخفاء لحم الخنزير تماما وذلك بفرمه وخلطه بأطعمة ومواد أخري وبلحوم أخري وتقديمه باسم (لحم الخنزير) أو تحت أي اسم آخر معروف أنه لطعام يحتوي على لحم الخنزير فلو أننا أخذنا بالمعنى السابق للتحول وذوبان الصفات ، لجاز للمسلمين أن

يأكلوا لحم الخنزير ، وشحم الخنزير ، وكل حرام بهذه الحالات المقنعة ، ولما بقى عليهم محرما إلا لحم الخنزير أو شحم الخنزير أو الميتة بحالتها المفردة ، وهى حالة يمكن الاستغناء عنها ، وبهذا يتعطل تحريم أكل النجاسات والمحرمات ، ويصبح أكلها ممكنا ومباحا بهذه الصور المقنعة باسم التحول وإذابة الصفات بالمفهوم المطلق المذكور سابقا ٠

(٢) التفاعـــل : وفيه تتفاعل المواد مع بعضها تفاعلاً كيميائيا مما يترتب عليه تحول هذه المواد ، وتكوين مواد أخري لها صفات تختلف بدرجات متفاوتة عن المواد الأصلية ٠ وفي هذه الحالة تذوب خصائص المكونات الأصلية ، والأمثلة على ذلك : تفاعل المعادن والقلويات مع الأحماض لتكوين الأملاح ، وتحول المادة إلى مادة أخري تختلف عنها في الصفات كتحول (الكحول إلى خل) ٠ وفي (الكيمياء العضوية) نجد تحضير المواد بعضها من بعض يكون عن طريق التحويل ، إما بتحويل جزيئات المادة إلى جزيئات أكبر لتكوين مادة

جديدة وذلك عن طريق ما يعرف (بالتشييد الكيميائى) أو العكس وذلك عن طريق ما يعرف (بالتحليل) إلى غير ذلك من طرق التحويل المعروفة في علوم الكيمياء العضوية ·

ثانيا : معلومات في الصناعة والإنتـــاج :

وفي مجال الصناعة والإنتاج ، ومن خلال المنظور الإسلامى ، نجد تجهيز الأطعمة والمشروبات وما يستعمله الإنسان في معاشه ، يخضع لواحدة من الحالات التالية :

(١) - **تجهيزات تبدأ بمواد حلال وتنتهى بمواد حلال** : والأمثلة على ذلك :

١ - تحويل (عصير العنب) غير المتخمر إلى شرابُ العنب (الطلاء) الخالى من الحرام ·

٢ - تحويل (عصير القصب) إلى العسل الأسود ، أو سكر القصب ·

٣ - تحويل (اللبن) بواسطة (الأنفحة) (١) الحلال إلى (الجبن) ·

٤ - تحويل (العجين) بواسطة (الخميرة) التى هى مجرد نباتات فطرية إلى (خبز) ·

(٢) **تجهيزات تبدأ بمواد حلال وتنتهي بمواد حرام** : كما هو الحال في عمليات (التخمير الكحولى) التى تبدأ بالأطعمة الحلال والمشروبات الحلال ، وتنتهى بالمشروبات الحرام (الخمر) ·

(٣) **تجهيزات تبدأ بمواد حرام وتنتهى بمواد حلال** : كما هو حاصل في تحويل (الخمر) إلى (خـــل) وتحويل (عصير العنب) إلى (شراب العنب) الخالى من الخمر ·

(٤) **تجهيزات تبدأ بمواد حرام وتنتهى بمواد حرام : كتقطير (الخمر) الأقل قوة للحصول على (الخمر) الأكثر قوة ·**

(٥) **تجهيزات تبدأ بمواد حلال ومواد حرام وتنتهى بهما معا** : والأمثلة على ذلك :

١ - تجهيز بعض أنواع السمن الصناعى ، بإضافة دهن البقر (الحلال) إلى شحم الخنزير (الحرام) ·

٢ - تجهيز بعض أنواع الحلوي والفطائر وذلك باستخدام المواد الحلال كالدقيق والسكر مع شحم الخنزير الحرام ·

(١) (الأنفحة) تحضر من (بطانة معدة) الحيوانات كالعجل أو الجمل أو الجدي وذلك بنقعها فى الماء الذي يستخلص (مادة تذويب اللبن) وهى خميرة (Enzyme) تسمى (رينين) (Rannin) كما توجد هذه المادة فى بعض النباتات غير الخميرة أنزيمات تسمى (زيميزين) (Zymases) وتوجد فى بعض الخمائر (Yeasts) وهى من الفطريات (Fungr) ومنها تتكون (خميرة الخبز) المعروض فى الأسواق وكذلك (مسحوق الخميرة) المحتوي على النشا والخميرة.

٥ ـ عصائر الفواكه (الحلال) يضاف إليها (الخمر) الحرام ، لتجهيز خليط منهما ٠

٦ ـ **تجهيزات تبدأ بمواد حرام ومواد حلال وتنتهى بمواد حلال :** كما يحدث في صناعة بعض المواد الطبية ، حيث يستخدم (الكحول) الحرام لاستخلاص المواد الفعالة من النباتات الطبية ، ثم يطرد (الكحول) تماما من الخليط للحصول على (خلاصة جافة) أو (مواد فعالة) خالية من الكحول ٠

ومما سبق ذكره من حالات التجهيزات الست ننتهى إلى ما يلى :

الحالة الأولى : تجهيزاتها حلال ، وهى تمثل الجزء الأكبر من التجهيزات الست ٠

الحالة الثانية : تجهيزاتها حرام ٠

الحالة الثالثة : تحكمنا فيها أحاديث صحيحة وآثار صحيحة :

فمن الأحاديث الصحيحة : عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الخمر : أتتخذ خلا ؟ قال : (لا) أخرجه مسلم والترمذي وهذا الحديث رواه أيضا أحمد وأبو داود ٠

ومن الآثار الصحيحة والتى تعتبر أثاراً مطلقة : جاء رجل إلى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، فسأله عن العصير ؟ فقال : اشربه ما كان طريا ٠ قال : إنى أطبخه وفي نفسى منه شيء قال : أكنت شاربه قبل أن يطبخ ؟ قال : لا ، قال : فإن النار لا تحل شيئا قد حُرِّمَ ٠

الحالة الرابعة : تجهيزاتها حرام ٠

الحالة الخامسة : تجهيزاتها حرام حيث أن المواد الحرام تظل كما هى محتفظة بخواصها دون تحول ، كما لا تذوب خصائصها وتظل نجاستها قائمة ٠

الحالة السادسة : تجهيزاتها بها شبهة ، ويمكن قياسها على الحالة الثالثة ٠

ثالثا : العلوم المادية من المنظور الإسلامى :

يوجد بالقرآن الكريم وبالأحاديث النبوية والآثار ، كثير من اللطائف والدقائق والحقائق والتوجيهات العلمية التى يجب البحث عنها والوقوف عليها والاستفادة منها والعمل بها وتطبيقها على أمور الحياة ومتطلباتها ٠ ولقد وضحت الحقائق لسلفنا الصالح من فقهاء الأمة الإسلامية وعلمائها الذين عنوا بأمور الأبدان ومطالب العيش كالإمام ابن القيم رحمه الله وغيره ، وذلك لاستنارتهم بنور الإيمان وهدي النبوة ٠ وفيما يلى نعرض بعض الأمثلة لنبين أسلوب البحث والاستنباط الذي يمكن به الحصول ـ من القرآن الكريم والسنة المشرفة ـ على الفوائد في مجال علوم المادة وفي مجال الصناعة والإنتاج ٠

٣ ـ الفطائر المضاف إليها (الخمر) والشكولاته المحشوة (بالخمر) ٠

٤ ـ الزيوت العطرية الحلال المخلوطة (بالكحول) روح الخمر النجس ، وذلك لتجهيز بعض مستحضرات التجميل ومن أشهرها ما يسمى (بالكلونيا) ٠

مثـال : (الخــل) :

(١) لقد وردت الأحاديث الصحيحة التى تحرم اتخاذ الخل من الخمر ، ومنها الحديث السابق ذكره ٠

(٢) وردت أحاديث صحيحة تفيد بأن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يأكل الخل ويقول عنه : (نعم الإدامُ الخلُ) ٠

وبالنظر إلى هذه الأحاديث نري أننا كمسلمين أمام « أسلوب إنتاج حرام » وهو تحويل (الخمر الحرام إلى خل) ، كما أننا أمام إنتاج حلال وهو (الخل) الذي يأكله الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته رضى الله عنهم ٠ فإذا كان تحليل (الخمر) حراما ، فمن أين يكون (الخل) الحلال ؟ وبالدراسة المتكاملة للأحاديث وبفقهها يجىء الجواب الذي ينبنى عليه العمل الحلال كالآتى :

(١) إن الخل الحلال تكون صناعته من (عصير العنب) الطازج غير المتخمر والذي يكون حلالاً ، وذلك كنقطة ابتداء في الصناعة ، ليمر بمراحل التحول وينتهى إلى (الخل) الذي يكون (خلًا) حلالاً ٠

(٢) مابين نقطة البدء بالخامات الطاهرة الحلال ، ونقطة النهاية الحلال بإنتاج المواد الطاهرة والمطلوبة من عملية التصنيع ، تمر الخامات بمراحل تحول مختلفة قد تتولد أحيانا عنها مواد نجسة مرحلية لا يكون لها وجود في المادة المنتجة في نهاية التصنيع ، كما أنها لا تكون مقصودة في الصناعة ، كما يحدث لعصير العنب (الحلال) عند صناعة (الخل) الحلال ٠ فهو يمر بمراحل التخمر وتكوين الخمر ، قبل أن يصل إلى الإنتاج النهائى المطلوب وهو (الخل) ٠

ومفاد ذلك أن النواتج المرحلية بين البدء الحلال ، والنهاية الحلال ، حتى ولو كانت حراما ، فلا ينظر إلى حكمها الشرعى ، وتترك لتسير في دورتها الإنتاجية لتعطى الحلال من الأشياء ٠

ومن هذا الذي ذكرناه على ضوء فقه الأحاديث التى استعرضناها نخرج بالقواعد الصناعية التالية :

(١) إذا أردنا إنتاج شىء حلال فعلينا أن نبدأ بالخامات الحلال الطاهرة ٠

(٢) أن يكون الإنتاج النهائى خاليا من كل محرم .

(٣) موقفنا من الحلال والحرام في الصناعة يكون حال نقطة البداية ، كما يكون حال نقطة النهاية ، أي حال الحصول على الشيء المطلوب ، وما يجري بين البداية الحلال والنهاية الحلال من تحول وتغيير يطرأ على الخامات الطاهرة ، يكون في حكم (الإكراه الصناعى) الذي لا نرغب فيه ، ولا دخل لنا فيه .

رابعا : أقيسة يجب الاستئناس فيها برأي علماء المادة المسلمين :

هناك حالات من القياس الفقهى تحتاج إلى معرفة قدر من المعلومات الواردة في علوم المادة ، كعلوم الكيمياء والصيدلة والطب .. الخ . ولهذا فمن الصواب أن يستأنس رجال الدين برأي علماء المادة المسلمين في مثل هذه الأقيسة عند إصدار الفتاوي والأحكام الشرعية . فعلماء المادة هم المتخصصون في دراسة صفات المواد ، واحتياج الإنسان إليها طعاماً وشراباً وعلاجاً ، وهم الدارسون لطرق تجهيزها وصور استعمالها وأغراضه ، إلى أخر هذه الدراسات المادية . فالتعاون إذن واجب بين الفقهاء وعلماء المادة وتضافر الجهود بينهم فيه الصواب والخير للأمة الإسلامية .

والقول ـ مثلا ـ بأن التحول يذيب خصائص الشيء المحرم ليصبح طاهراً وحلالاً يحتاج إلى رأي علماء المادة لمعرفة طبيعة التحول في المواد وطرقها وأنواعها .. الخ .

والقول ـ مثلا ـ بأن المائعات النجسة التى تضاف إلى الأدوية والروائح العطرية لإصلاحها يعفى عن القدر الذي به الإصلاح قياسا على (الأنفحة) المصلحة (للجبن) هو قول يحتاج إلى مراجعة على ضوء المعارف العلمية كالآتى :

معروف أن (الأنفحة) تأتى من حيوانات مأكول لحمها بعد تذكيتها الشرعية وهى جزء من أجزاء الحيوان (كالمرارة) وبقياس طهارتها على طهارة مرارة الحيوان ، تكون طاهرة ، وهى جزء من الحيوان المذكى تابع له في طهارته (والجبن) في تجهيزه إنما يصلح بهذه (الأنفحة) الطاهرة التى تضاف إلى (الجبن) الطاهر الحلال . إذن فالعفو عن المائعات النجسة التى تضاف إلى الأدوية وإلى الروائح العطرية (كالكحول) مثلا ـ بالقدر الذي يلزم لإصلاحها ، قياساً على (الأنفحة) المصلحة (للجبن) قياس غير صحيح على ضوء المعارف (العلمية) ، ويكون استخدام هذه المائعات هو استخدام لنجاسات مغلظة ما لم تكن هناك ضرورة يبينها ويحددها علماء المادة من المسلمين المشهود لهم بالعلم والصلاح .

خامسا : درجة الحرمة والنجاسة للخمر ولحم الخنزير :

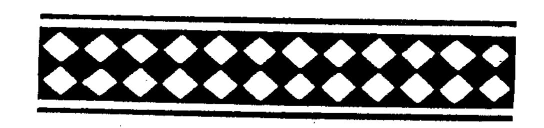
الخمر : هى أم الكبائر ، وهى نجسة لذاتها كما قرر الفقهاء . وهى الرجس ، وهى داء وليست دواء . ولقد وردت فيها نصوص القرآن الكريم (بالاجتناب) الذي هو أشمل من

تحريم تعاطيها ، كما وردت في تحريمها والتنفير من استعمالها ولو بقصد التداوي عشرات الأحاديث الصحيحة ·

وهى نجسة نجاسة مغلظة ، حتى أن (الأحناف) قالوا : بنجاسة سؤر شارب الخمر إذا شرب من الماء عقب شرب الخمر مباشرة · فإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للماء الذي مصدره سؤر شارب الخمر ، فناهيك عن الخمر نفسه نجاسة ورجسا ، وناهيك عن نجاسة (الكحول) الذي هو المادة الأساسية في الخمر ، والذي أصبحت تسمى باسمه الخمور (مشروبات كحولية) وهو الذي عمت البلوي باستعماله على شكل مستحضرات للتطييب والتزين ، ومنها المستحضر المعروف في الصيدلة (بماء الكولونيا) وهو في الحقيقة (خمر معطر) نجس لوجود الكحول النجس كمادة أساسية فيه ، بل هو المادة الغالبة بالمستحضر ·

لحم الخنزير : والمراد لحمه وعظمه ودهنه كما قرر الفقهاء ، فهو أيضا حرام بنص آيات القرآن الكريم ، وهو نجس ، بل إن الخنزير كله نجس لذاته نجاسة عينية ، ولعابه نجس وإذا سقط في الماء نجَّـه ، بل إنه إذا سقط في بئر ، نجس ماء البئر ووجب نزح البئر ليصبح ماؤها طاهراً · فإذا أضيف شحم الخنزير إلى شحوم حيوانات أخري كشحم البقر الحلال لصناعة بعض أنواع المسلى الصناعى فإن الخليط منهما يكون نجسا وحراما لوجود شحم الخنزير في هذا الخليط دون تحول ، خلافا لما يظن بعضهم ويقولون : بتحوله وذوبان خواصه في الخليط يصبح طاهراً رغم وجود المواد النجسة فيه ·

وبعـد ··· فهذا ما رأيت من الواجب بيانه وعرضه ··· وبالله التوفيق ···



معنى العلاقة بالله

المراد بعلاقة الانسان بالله ، على حسب بيان القرآن الكريم ، أن تكون حياته ومماته وصلاته ونُسُكُهُ لله تعالى وحده ﴿ قُلْ إنّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِين ﴾ وأن يعبده مخلصاً له الدين حنيفاً .

وقد شرح النبى ﷺ فى عدة من أقواله هذه العلاقة بين العبد وربه بحيث لم يترك غباراً على مفهومها ، فاذا تتبعنا أقواله ، عليه الصلاة والسلام ، علمنا أن معنى العلاقة بالله : «خشية الله في السر والعلانية» و «أن تكون بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك» . و «أن تلتمس رضا الله بسخط الناس» خلافاً لأن تلتمس رضا الناس بسخط الله . ثم ان هذه العلاقة إذا توثقت حتى يكون حب الانسان وعداوته ومنعه وعطاؤه كله لله وحده دون أن تشوبه شائبة من رغبته أو نفرته النفسانية ، فمعنى ذلك أنه قد استكمل علاقته بالله «من أحب لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان» .

ثم عليكم أن تستحضروا في كل وقت من أوقاتكم دعاءكم الذى تدعون به كل ليلة فى آخر ركعة من صلاتكم الوتر، أفلا تقولون : « اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثنى عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك . اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد . وإليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك ، إن عذابك الجد بالكفار ملحق » عليكم أن تتدبروا كلمات هذا الدعاء وتروا أي علاقة تقرون بإبرامها بينكم وبين الله في كل ليلة من لياليكم .

وقد انعكست صورة هذه العلاقة أيضا فى ذلك الدعاء الذى كان يدعو به النبى الكريم ﷺ إذا قام يصلي بالليل . فكان عليه الصلاة والسلام يقول في هذا الدعاء مخاطباً ربه جل وعلا : « اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت » .

« أبو الأعلى المودودي »

=x=x=x=x=x=x=x=x=x=x=

باب الفتاوى

حكم الإحداد على الملوك والزعماء

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء
والدعوة والإرشاد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وأصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعـــد : ـ

فقد جرت عادة الكثير من الدول الإسلامية في هذا العصر بالأمر بالإحداد على من يموت من الملوك والزعماء لمدة ثلاثة أيام أو أقل أو أكثر مع تعطيل الدوائر الحكومية وتنكيس الأعلام ·

ولاشك أن هذا العمل مخالف للشريعة المحمدية وفيه تشبه بأعداء الإسلام · وقد جاءت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهى عن الإحداد وتحذر منه إلا في حق الزوجة فإنها تحد على زوجها أربعة أشهر وعشراً كما جاءت الرخصة عنه صلى الله عليه وسلم للمرأة خاصة أن تحد على قريبها ثلاثة أيام فأقل · أما ما سوى ذلك من الإحداد فهو ممنوع شرعاً وليس في الشريعة الكاملة ما يجيزه على ملك أو زعيم أو غيرهما ·

وقد مات في حياة النبى صلى الله عليه وسلم ابنه إبراهيم وبناته الثلاث وأعيان آخرون فلم يحد عليهم عليه الصلاة والسلام · وقتل في زمانه أمراء جيش مؤته زيد بن حارثة وجعفر بن أبى وعبد الله بن رواحه رضى الله عنهم ، فلم يحد عليهم · ثم توفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو أشرف الخلق وأفضل الأنبياء وسيد ولد آدم · والمصيبة بموته أعظم المصايب ، ولم يحد عليه الصحابة رضى الله عنهم · ثم مات أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهو أفضل الصحابة وأشرف الخلق بعد الأنبياء فلم يحدوا عليه · ثم قتل عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ، وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء ، وبعد أبى بكر الصديق ، فلم يحدوا عليهم وهكذا مات الصحابة جميعاً ، فلم يحد عليهم التابعون · وهكذا مات أئمة الإسلام وأئمة الهدى من علماء التابعين ومن بعدهم كسعيد بن المسيب ، وعلى بن الحسين زين العابدين ، وابنه

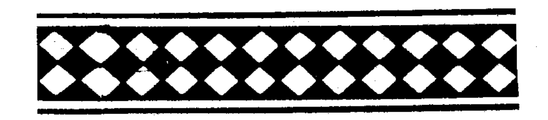
محمد بن علي ، وعمر بن عبد العزيز ، والزهري ، والإمام أبي حنيفة ، وصاحبيه ، والإمام مالك بن أنس ، والأوزاعي ، والثوري ، والإمام الشافعي ، والإمام أحمد بن حنبل ، وإسحاق ابن راهوية ، وغيرهم من أئمة العلم والهدى فلم يحد عليهم المسلمون . ولو كان خيراً لكان السلف الصالح إليه أسبق والخير كله في اتباعهم والشر كله في مخالفتهم .

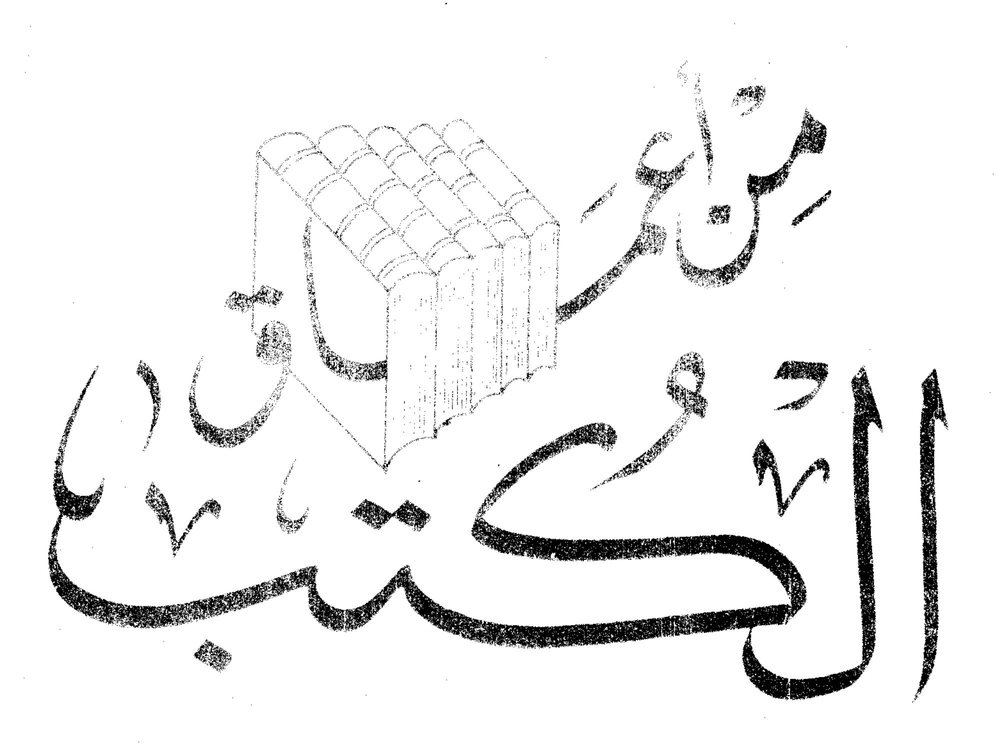
وقد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أسلفنا ذكرها على أن ما فعله سلفنا الصالح من ترك الإحداد على غير الأزواج هو الحق والصواب . وأن ما يفعله الناس اليوم من الإحداد على الملوك والزعماء أمر مخالف للشريعة المطهرة مع ما يترتب عليه من الأضرار الكثيرة وتعطيل المصالح والتشبه بأعداء الإسلام .

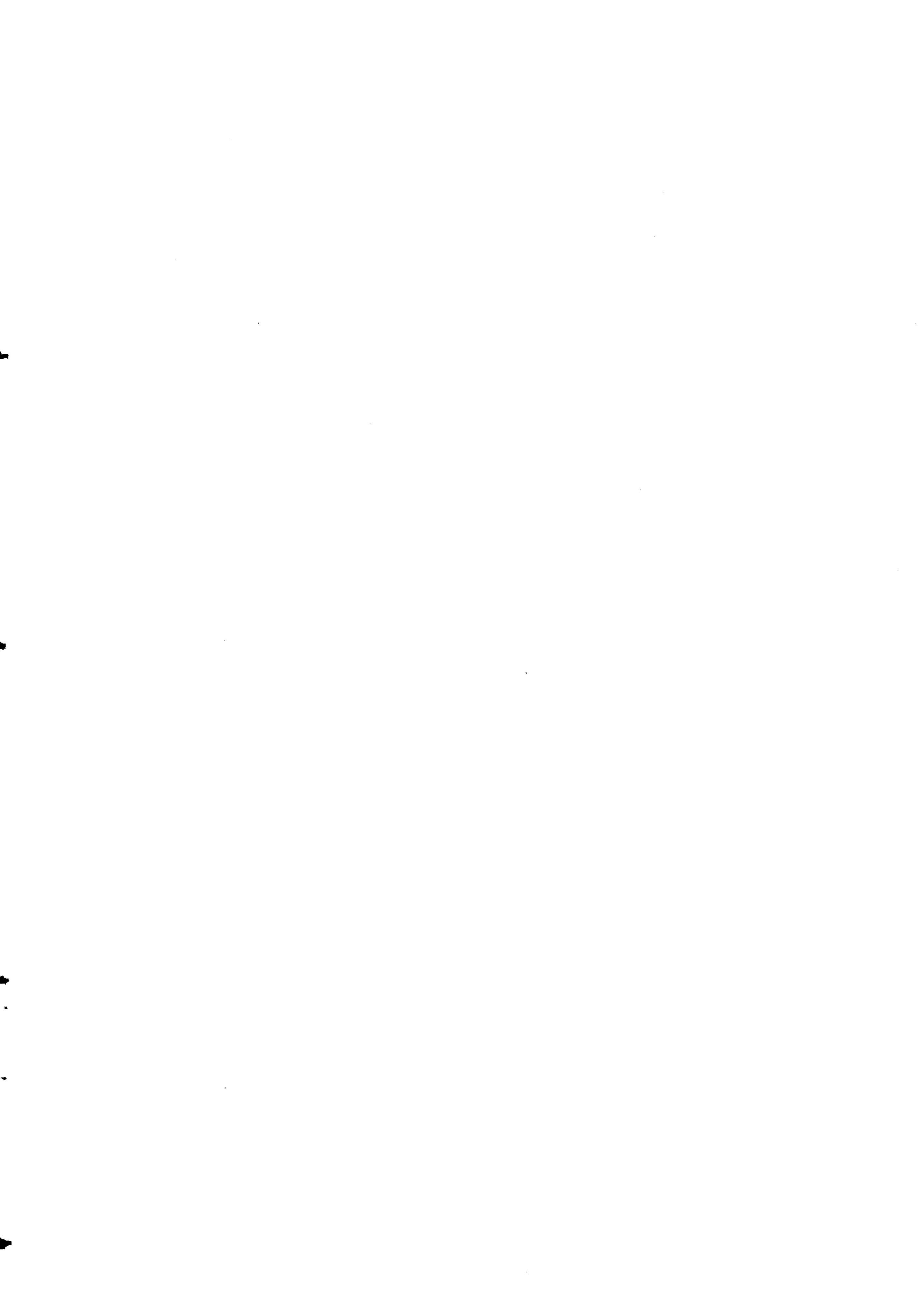
وبذلك يعلم بأن الواجب على قادة المسلمين وأعيانهم ترك هذا الإحداد والسير على نهج سلفنا الصالح من الصحابة ومن سلك سبيلهم ، والواجب على أهل العلم تنبيه الناس على ذلك وإعلامهم به أداءً لواجب النصيحة ، وتعاوناً على البر والتقوى . ولما أوجب الله سبحانه من النصيحة لله ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم رأيت تحرير هذه الكلمة الموجزة .

وأسأل الله عز وجل أن يوفق قادة المسلمين وعامتهم لكل ما فيه رضاه والتمسك بشريعته والحذر مما خالفها ، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعاً إنه سميع الدعاء قريب الإجابة .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه ...




من أعماق الكتب



كتاب عنوانه :
المسلمون في الاتحاد السوفيتي

كتـــــاب عنوانه :

(المســـلمون في الاتحـاد السوفيتى)

ألفه فضيلة الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى الأستاذ : محمد صفوت السـقا ، شمل حقائق هامة عن المسلمين في الاتحاد السوفيتى يهم كل مسلم معرفتها ، ليقف على وضع المسلمين وما يلاقون من عنت في تلك الديار ، وليفكر في الوسائل التى يمكن أن ينقذ بها هؤلاء الإخوة المستضعفين ٠

وقد صدر الكتاب المذكور ضمن مطبوعات رابطة العالم الإسلامى ، ويقع في ٩٤ صفحة بالحجم المتوسط ٠

ومن الحقائق التى شملها هذا الكتاب ما يأتى :

نظرة واحدة إلى الواقع في جميع أبعاده ، على خريطة الجمهوريات الست المسلمة بين جمهوريات الاتحاد السوفيتى تؤكد ما نريده في عرضنا هذا : -

ففي عام ١٩٣٩ كان مجموع الجمهوريات الست (١٩٫٨٤٤٫٠٠٠) نسمة كان بينهم حوالى (١٤٫٧٦٦٫٠٠٠) مسلم ، و (٥٫٠٧٨٫٠٠٠) من غير المسلمين ، وفي عام ١٩٧١ صار عدد سكان الجمهوريات الست (٣٨٫٨١٢٫٠٠٠) نسمة ، من بينهم (٢٦٫١١٠٫٠٠٠) مسلم ، و (١٢٫٧٠٢٫٠٠٠) من غير المسلمين ، فإذا اعتبرنا زيادة غير المسلمين الطبيعية يكون عدد من هاجر إلى الأراضى الإسلامية بين عام (١٩٣٩ - ١٩٧١) هو (٥٫٧٠٠٫٠٠٠) شخصاً مع أولادهم وأسرهم ، وهذا رقم هائل ، ويعطينا نظرة مبسطة عن محنة المسلمين في تلك المناطق ، ولولا ازديادهم الطبيعى لصاروا أقليات ضئيلة في أكثر من جمهورية ، بل في شتى الجمهوريات ، وتعمل الشيوعية جاهدة على إزكاء النعرة القومية ، فجريدة (البرافدا) تطبع باللهجات المحلية لكل جمهورية وتوزع ، كما أن التدريس باللغة الروسية واللهجات القومية ، إلا العربية ، فمحاربتها تأتى بهذا الطريق ولا يعرف الجيل الجديد تلك اللغة باستثناء أعداد ضئيلة منهم تقدر بالمئـات ٠

والتشكيلات الإدارية للشؤون الإسلامية في الاتحاد السوفيتي تعتبرهذا التنظيم تنظيما شعبيا ، وهذا التنظيم مرتبط إداريا بوزارة الأديان (ومقرها موسكو) ويمثل هذا التنظيم سماحة المفتى الشيخ ضياء الدين بابا خانوف . أما باقى المفتين فيمثلهم مفوض من مجلس السوفيات وفي كل جمهورية ، وممثل عن وزارة الأديان ، كما أن هناك ممثلاً مقيما في موسكو هو الأستاذ الحاج أكبر أعظم وهو الذي يقوم باستقبال المسلمين من غير الاتحاد السوفيتي .

وهو من أبناء تركستان ، وتوجد الآن أربع إدارات للمسلمين في الاتحاد السوفيتى ، وإحدي الإدارات الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازخستان ومركزها (طاشقند) ويرأسها المفتى (ضياء الدين بابا خانوف) وتضم الجمهوريات التالية : ـ

١ ـ أوزبكستان وعاصمتها (طشقند) ويقدر عدد المسلمين فيها بحوالى ١١ مليون نسمة .

٢ ـ تاجكستان وعاصمتها (دوشاشة) ويقدر عدد المسلمين فيها بحوالى ٥ ملايين نسمة .

٣ ـ قيرغيوستان وعاصمتها (مورتزة) ويقدر عدد المسلمين فيها بحوالى ٥ ملايين .

٤ ـ تركستان وعاصمتها (تشخيط) ويقدر عدد المسلمين فيها بحوالى ٥ملايين .

٥ ـ قازقستان وعاصمتها (الماءتا) ويقدر عدد المسلمين فيها بحوالى ١٢ مليونا .

ويتولى الشؤون الدينية في كل منها القاضى ، وهو مسؤول أمام المفتى ، ويوجد في هذه الإدارة نائب للمفتى .

ويرى المؤلف في كتابه الممتاز حقيقة ـ والذي يجب أن يدرسه كل من يحاول أن يكتب عن الاقليات المسلمة في الاتحاد السوفيتى كوثيقة يعتمد عليها . إن من المهم بذل المزيد من الاهتمام بهؤلاء الإخوة الخاضعين لنظام الحكم الشيوعى ، وقد يكون مفيدا بادىء ذي بدء إلى الاهتمام بالأمور التالية : ـ

١ ـ عدم تجاهل مسلمى الاتحاد السوفيتى في سائر المؤتمرات الإسلامية .

٢ ـ اختيار عضو منهم لتمثيلهم في المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإســـلامى .

٣ ـ إعطاؤهم منحا جامعية في المملكة العربية السعودية وبقية البلدان العربية والإسلامية .

٤ ـ تشجيعهم على نشر التراث الإسلامى بكل الوسائل الممكنة ..

٥ ـ مدهم بإعداد وفيرة من مصاحف القرآن الكـريم ٠

٦ ـ تزويدهم بكتب السـيرة النبوية ومختلف الكتب الامهـات للمذهب الحنفى ٠

٧ ـ تبادل الزيارات بينهم وبين مسلمى البلاد العربية والإسلامية ··

٨ ـ تزويدهم بالدوريات الإسلامية من بينها على سبيل المثال لا الحصر مجلة التضامن الإسلامى ـ مجلة رسالة المسجد ـ مجلة الدعوة ، مجلة الأمة القطرية ، مجلة (المسلمون) مجلة الجامعة الإسلامية ··

٩ ـ استضافة وفد سنوي من علماء مسلمى الاتحاد لتأدية فريضة الحج المقدسـة ٠

(التحريـــر)

من خصائص الصيام في شهر رمضان

من خصائص الصيـام : أن للصائم فيه فرحتين (فرحة عند الافطار) لازالة الجوع واتمام العبادة ·· (وفرحة يوم القيامة) ·· رجاء ثواب الله تعالى ···

ومنها أن الاخلاص في الصيام يغفر الذنوب · فعن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا · غفر له ما تقدم من ذنبه)

(رواه البخهارى) ·

ومنها أنه شهر التقوى والرحمة : جاء في الحديث الشريف : « اذا جاء رمضان فتحت ابواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين » ·

وفي رواية للإمام مسلم : « فتحت ابواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين » ·

..يقدم نحل العسل خدمات جليلة للإنسان حيث يضع الشهد .. الذي يعتبر من أجود وأشهى الأطعمة وأسهلها هضما وامتصاصا ، ويدخل في صناعة كثير من الأدوية ، ففيه الغذاء ومنه الدواء وبالنظر إلى خواصه الكيميائية فإن العسل يحتوي على حوالى ٣٨ ٪ سكر فركتوز وحوالى ٣١ ٪ سكر جلوكوز .. وهى سكريات آحدية سهلة التمثيل وإعطاء الطاقة اللازمة للجسم حيث يستفيد بها في مجالاتها المختلفة بصورة سهلة غير مرهقة للكبد ..

ومن العناصر المعدنية الهامة الموجودة في العسل الفسفور ، والكالسيوم ، والبوتاسيوم، والكبريت ، وغيرها .. وكذلك يحتوي العسل على نسبة من البروتينات متمثلة في حبوب اللقاح الموجودة به والتى تحتوي على كثير من الفيتامينات ..

كما يتم تحويل السكريات الثنائية إلى سكريات آحادية .

ومن هنا فإن العسل يجب أن يكون الغذاء المفضل للأطفال في معظم حياتهم ، حيث انه يفيد في حالات نقص التغذية ، والانيميا، والاضطرابات المعوية . وقد وجد أنه يفيد في حالات عسر الهضم ، وحالات الإمساك ، وفي حالات الحساسية ، بالإضافة الى أنه يقوي الذاكرة ، ويفيد في التئام الجروح السطحية ، حيث أن دهان الجروح البكتيريا يساعد على شفائها بسرعة .

ويجب أن تحلى السوائل التى يتناولها الأطفال بالعسل ، وبذلك تصبح ذات قيمة غذائية عالية ..

وهناك نصيحة هامة يجب أن تراعيها الأم عند تقديم العسل المتبلور أي المسكر أو المتجمد وهى أن تقدمه بصورته المتبلورة إلى المادة الغذائية المراد تقديمها إلى الطفل ، ولا تحوله إلى عسل سائل مرة أخري بالتسخين كما يفعل بعضهم باستخدام حمام مائى ، ولان ذلك يتلف مكونات العسل ، ومنها الإنزيمات ، والفيتامينات ، وبذلك يستفاد كثيرا من قيمته الغذائية ...


مختارات من
الصحف

تاريخ مجيد لخلاوي القرآن

في السودان

قال الله تعالى :

« إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، إنه غفور شكور » .

خلوة القرآن الكريم هى المكان الذي يتلقى فيه الكبار والصغار مبادىء القراءة والكتابة في السودان (حتى القرن التاسع عشر الميلادي) ودورها قبل هذا التاريخ هى دور المدرسة الابتدائية اليوم ، وهى تقوم غالبا على النظام الأهلى ، وذلك باتفاق وتعاون أهل القرية في تحفيز مشيخة الدين لتعليم الصغار والكبار .

والدور الرائد الذي لعبته (الخلوة) في إرساء ركائز المعرفة وسط المجتمع السودانى والافريقى : الأستاذ ـ حامد ضوء البيت ـ مفتش تعليم الخرطوم سابقا ببيانه فيقول :

تعتبر (خلوة) القرآن الكريم بالسودان هى المكان المعد لتعليم الاطفال مبادىء الكتابة والقراءة وتحفيظ القران ، وكانت (الخلاوي) حتى القرن التاسع عشر الميلادي وما قبله تقوم بتعليم الكبار والصغار مبادىء القراءة والكتابة كالدور الذي تقوم به المدرسة الابتدائية اليوم .

والخلوة يؤسسها صاحبها على حسابه الخاص وأحيانا يتعاون على إنشائها أهل القرية ثم يحفزون الشيخ الذي يتولى مهمة التعليم بها .

ويلتحق الأطفال بالخلوة في سن مبكرة ، ولم يعرف السودان التعليم المدنى إلا بعد الغزو التركى المصري للسودان في العقد الثانى من القرن التاسع عشر الميلادي ..

وفي أوائل هذا القرن (العشرين) ظهرت (المدارس)التى كان المستعمر ينشئها وفق سياسته ، وكان فتحها يتم في بطء شديد ، وفي أمهات المدن ، واكتفت المناطق التى يشملها التعليم المدنى (بالخلوة)التى زاد طلبتها ـ زيادة على تحفيظ القرآن الكريم ـ بشيء من علوم الفقه والسيرة واللغة العربية ـ إلا أن العناية التى أولاها المستعمر للتعليم المدنى الحديث الذي يؤهل الطالب لنيل وظيفة يعتمد عليها في مستقبله ، تلك العناية كانت سببا في جذب الأغلبية من الأطفال إلى تلك المدارس التى انتشرت في المدن والقري والأرياف وبتلك السياسة المرسومة للقضاء على القرآن الكريم دخلت الخلوة مع المدرسة الابتدائية في منافسة وصراع غير متكافىء .

وفي السنوات الماضية (قبل الستينات) نافستها أيضا (رياض الاطفال) التى يلتحق بها الأطفال قبل بلوغهم السن التى لا تسمح لهم بالالتحاق بالمدارس وهى سن السابعة .

وعلى الرغم من ذلك الصراع القائم بين الخلاوي والمدارس فإن عددا من الخلاوي الكبرى ، ظلت تؤدى دورها العظيم في تحفيظ كتاب الله لطلبتها ـ في مختلف أعمارهم ، وظلت الأمور تسير على هذا المنوال حتى قامت هيئة من الشباب في الستينات تعمل في ميادين الإصلاح العام .

في عام ١٩٦٤ تولى السيد (حسن عوض الله) وزارة التربية السودانية فعنى بالخلاوي وقدم لها الدعم الأدبى والمادي مما شجعها على المضى قدما في تنفيذ مشروعاتها وواصلت نشاطها ووسع من قاعدتها حتى بلغ عدد الذين يقفون وراء الفكرة نحو سبعين رجلا ، ومما قوي من عزمهم ومضاعفة نشاطهم ، أن مجلس الوزراء الموقر صدق لهم بقيام مؤسسة (مؤسسة احياء نار القرآن الكريم) .

واختارت المؤسسة مجلسا للأمناء يتكون من (خمسة وعشرين عضوا)واختار ذلك المجلس رئيسا له من بين الأعضاء هو السيد (بدوي مصطفى) أحد الوزراء السابقين واختار للسكرتارية الأستاذ (يوسف الخليفة ابوبكر) سكرتير جامعة أم درمان الاسلامية يومئذ . وواصلت المؤسسة أعمالها ومنح وزير التربية سلطاته لمجلس الأمناء باستثناء الاتصالات الخارجية .

إن أول عمل قامت به تلك المؤسسة هو ضم (معهد القرآن النموذجى) بـ « ألتى » ثم فتحت معاهد مماثلة في كل من المناقل وسنكات ونيالا .

وحرصا على أهمية الدور الذي يقوم به شيخ الخلوة في تحفيظ القرآن الكريم فإن المسئولين هيأوا له فترات تدريبية تمتد إلى ثلاثة أشهر يتلقى فيها (شيخ الخلوة) قواعد التجويد ، ومعرفة القراءات الصحيحة ، وشيئا من علوم التوحيد واللغة العربية ، من أساتذة

متخصصين من الأزهر ، أعارتهم جمهورية مصر العربية للسودان منذ عام ١٩٦٨ ، تم ذلك في مراكز أقيمت بالخرطوم والخرطوم بحري وأم درمان والدامر وبلغ عدد الذين تلقوا تدريبهم نحو ٣٦٠ شيخا ، عادوا بعدها يطبقون ما تحصلوا عليه بخلاويهم ..

وجدير بالذكر أنه توجد خلاوي للقرآن (خاصة بالنساء) في الإقليم الشرقى للبلاد يقوم بالتعليم فيها معلمات مدربات على تدريس القرآن الكريم ، كما توجد في ذلك الإقليم خلاوي تسمى بأسماء منشئاتها وهن يشرفن على إدارتها .

وتشجيعا لحفظ القرآن ونشره بين أفراد الأمة فقد قرر الرئيس السودانى إقامة مهرجان للقرآن الكريم يعقد بالخرطوم ، أول كل عام هجري تمنح فيه الجوائز للفائزين من حفظة القرآن الكريم - من الرجال والنساء الذين لا تزيد أعمارهم عن الأربعين ، وقد رصد سيادته في المهرجان الأول جائزة قدرها (عشرة آلاف جنيه) وكنتيجة للزيادة المضطردة في عدد الحفظة الذين يتقدمون لنيل هذه الجوائز كل عام ، فقد تم رفع هذه الجوائز في المهرجان العاشر الذي أقيم في أول السنة الهجرية الحالية (١٤٠٣ هـ) إلى (مائة الف جنيه)

في المهرجان الرابع الذي أقيم في أول السنة الهجرية ١٣٩٧ هـ وجه السيد رئيس الجمهورية ، والسيد وزير الشئون الدينية والأوقاف (الآن المجلس الاعلى للشئون الدينية والأوقاف) .. والسيد وزير التربية والتوجيه إلى إعادة النظر في (مناهج الدين الإسلام) وتكثيفها تمشيا مع القرارات الجمهورية التى نادت إلى العناية بالتربية الإسلامية الصحيحة التى تشمل حياة الفرد والجماعة وإلزام الجميع بالسلوك القويم في كل ما يمس حياة هذه الأمة المسلمة وبناء على ذلك التوجيه الكريم ، فقد تم تكوين لجان من الوزارتين ، قامت بمراجعة المناهج الدينية وأوصت بتعديلات وزيادات شملت المراحل الثلاث - ابتدائية ومتوسطة وثانوية .

والأمل كبير في أن تجنى ثمرة تلك التوجيهات الكريمة .

ظلت خلاوي القرآن الكريم تقوم بدورها الكبير في تأدية رسالتها العظيمة في تحفيظ القرآن الكريم ونشره بين الصغار والكبار معا حتى يومنا هذا . وفيةً لرسالتها الكريمة ، وظل مؤسسوها أو القائمون بأمرها يعملون في صمت وإخلاص ، يبذلون في سبيل ذلك كل ما يملكون من مال كثر أو قل في سبيل الحفاظ عليها حية ، تصل حاضر هذه الأمة بماضيها ، طارفها بتليدها ، وبذلك الإخلاص والتفانى والعزم الأكيد . تمكنوا من القيام بدورهم العظيم في نشر القرآن الكريم واللغة العربية في أرجاء هذه الرقعة الواسعة في افريقيا .

وما يثلج الصدور اليوم قيام كلية القرآن الكريم - إحدي كليات جامعة أم درمان الإسلامية ، التى تم افتتاحها عام ١٩٨٢ وبقيا لها طلبة من حفظة القرآن الكريم الذين تحصلوا

على إجازة علوم القراءات وإجازة التجويد . وتعتبر هذه الحصوة أكبر انتصار للمسئولين الذين يسعون لإعلاء كلمة الله في الأرض ونشر القرآن الكريم وترسيخ تعاليمه والعمل بما جاء به . وهذا نفس الطريق الذي سلكه أسلافنا الصالحون منذ أن تم للمسلمين فتح مصر في عهد الخليفة الثانى ، أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه في عام ١٨ هجرية الموافق ٦٤١ ميلادية . وهو التاريخ الذي وطئت أقدامهم هذه البلاد - وفي إحصائية لخلاوي القرآن الكريم أعدتها إدارة التعليم الدينى بمناسبة الاحتفال الذي عقده (المجلس الأعلى للشئون الدينية والأوقاف) لاستقبال القرن الخامس عشر الهجري عام ١٤٠١ هـ - كان عدد الخلاوي المسجلة آنئذ هو ٢٤٥٧ خلوة عاملة . نسأل الله التوفيق .. (وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) ..

(المدينة)

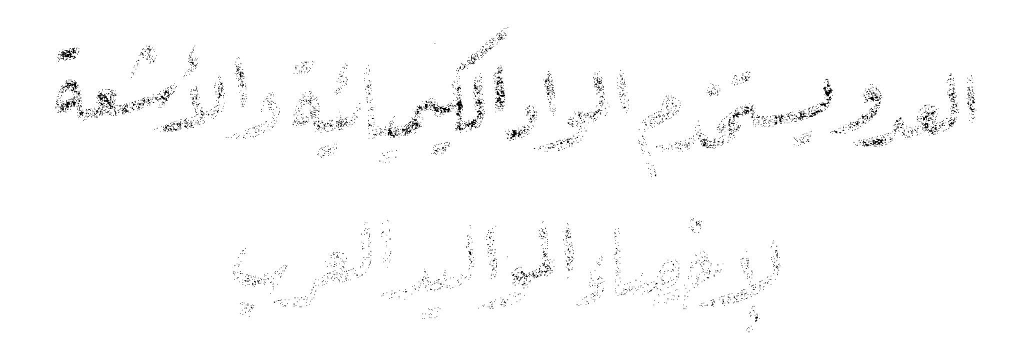
●○●○●○●○●○●○●○●○●

طريقة جديدة لعلاج الانزلاق الغضـــروفي

استطاع طبيب امريكى من التوصل الى علاج وطريقة جديدة للانزلاق الغضروفي والتهاب العصب بين فقرتين في العمود الفقري والالآم الناتجة عنه وذلك بدون عملية .

وتتمثل الطريقة الجديدة في طريقة حقن المريض بمادة مستخرجة من ثمر (البا باي) المعروف في الدول الاستوائية لتتخلل هذه المادة وتدخل بين الفقرات ليخف الضغط على العصب ويمكن للمريض ان يغادر المستشفى خلال خمسة ايام من اجراء هذه العملية ..

وقد اكتشف الطبيب اوجين نوروكى من الولايات المتحدة الامريكية هذا العلاج عندما كان يجري تجاربه العلمية على الارانب .



أشار تقرير خاص من الوطن المحتل إلى أن سلطات الاحتلال الاسرائيلى لجأت مؤخرا إلى إجراءات جديدة تستهدف اجتثاث جذور الشعب الفلسطينى من قلب الأرض المحتل بعد أن فشلت في طرد المواطنين العرب بالطرق القسريه ·

وتتمثل الإجراءات الجديدة في عمليات إخصاء المواليد العرب في الأرض المحتل بغيه وضع حد للقدرة التناسلية العربية وبالتالى إضعاف النمو البشري العربى ليسهل على العدو ابتلاع الأرض وتهويدها للأبد ·

ويفيد القادمون من الضفة المحتلة بأن العدو وضع سياسة جديدة تستهدف وقف النمو السكانى العربى في الوطن المحتل من خلال لجوئه إلى هذه الخطة الجهنمية التى تعبر عن نزعته العدوانية والعنصرية ·

ويقوم العدو بتنفيذ خطته السرية ضد المواليد العرب في مختلف المستشفيات في الوطن المحتل ·· ويشير القادمون إلى أن الاخصاء يتم عن طريق عملاء يقومون وبحركة سريعة من أصابعهم بالضغط على خصية المولود حتى تهشيمها ·

وهناك طريقة أخري لعملية الإخصاء تتمثل في تلقيح المولود بمادة كيميائية خاصة تعطى له مع الحليب وتعطل بصورة هادئة قدراته الجنسية عند الكبر ·

كذلك بالنسبة للشباب والرجال الذين يدخلون مستشفيات تديرها عناصر يهوديه فإنهم يعطون دواء معينا وعلى عدة جرعات تكفي للقضاء على قدراتهم الجنسيه ·

وذكر بعض القادمين من الوطن المحتل أن اشاعات جديدة سرت بين المواطنين العرب تشير إلى أن السلطات الإسرائيلية لجأت لبعض الإجراءات السرية اللازمة لتعريض المرضى من الذكور العرب لإشعاعات معينة تصيب الذي يتعرض لها بالعقم الفوري ·

وأشار التقرير إلى أن الإجراءات الإسرائيلية الجديدة امتدت لتشمل النساء العربيات حيث أوعزت سلطات الاحتلال لبعض الجهات بإعطاء نزيلات المستشفيات الإسرائيلية من

النساء العربيات أدوية خاصة تذاب مع الشراب أو الطعام وتتناولها المريضة دون أن تشعر بأن شيئا رهيبا قد حدث لها ٠

وخلص التقرير إلى القول بأن سلطات الاحتلال الإسرائيلى تعتقد أنها بلجوئها لهذه الطريقة ستقضى على حركة النمو السكانى العربى الذي يظل السلاح الفعال والقوي الذي يهدد إسرائيل من الداخل ويعرض كيانها ووجودها للخطر خاصة وأن هناك أصواتا صهيونية ظهرت مؤخرا تحذر من مغبة التغاضى عن التزايد السكانى العربى داخل الوطن المحتل بحجة أن العرب سيقيمون في المستعمرات والكيبوتسات الاسرائيلية مع حلول عام ٢٠٠٠ م ٠

وحذر التقرير من مغبة التغاضى عن مثل هذه الاجراءات العدوانية مشيرا إلى ضرورة أخذ الحيطة والحذر واليقظة لكافة الحيل والمكائد الإسرائيلية التى تنفذ على مراحل ضد أهلنا داخل الوطن المحتل وضد الأرض العربية ٠

(المدينة)

إســلام ٧ تايلنديين

أشهر سبعة من التايلنديين إسلامهم أمام رئيس المحكمة الشرعية في بيشة ٠ وقد تم تسميتهم بأسماء إسلامية جديدة ٠٠ كما أشهرت أيضا السيدة مرضاوي سيناكرور فلبينية الجنسية إسلامها وذلك أمام رئيس محكمة خميس مشيط ٠٠

(الندوة)

ماليزيا تصر على العقوبة المشددة لتجار المخدرات

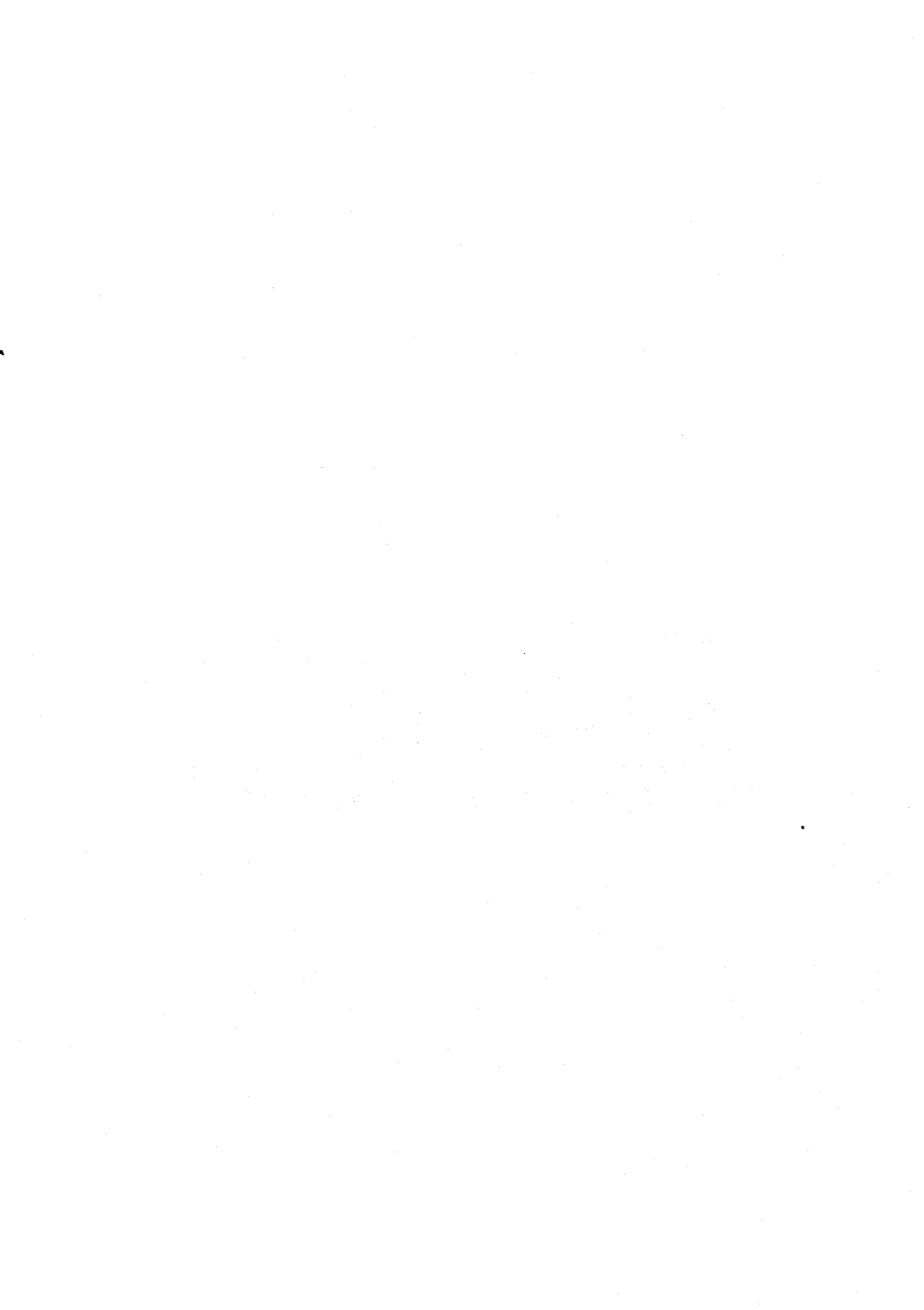
كوالالمبور ـ قال السيد موسى هيثم نائب رئيس الوزراء أن ماليزيا لن تنحنى أمام أي ضغط سياسى خارجى في تطبيق قوانين مكافحة المخدرات التى تفرض عقوبة الموت الإلزامى على كل من يوجد في حوزته ١٥ غراما من الهروين ٠

وأبلغ الصحفيين قوله إن الأجانب الذين يعثر في حوزتهم على مخدرات أو يتاجرون بالمخدرات لن يفلتوا من التشريع المعدل الذي أقره البرلمان أخيرا ٠٠ وقال « سنحاكم كل شخص بالتساوي دون إن نأخذ بعين الاعتبار الجنس أو الدين أو اللون إذا ما وجد أن هذا الشخص يخالف قوانين المخدرات » ٠

وكان كل من يعثر في حوزته على ١٠٠ غرام من المخدرات في السابق يفترض بأنه تاجر مخدرات وكان يواجه حكما بالموت أو السجن مدي الحياة ٠٠

أحداث

العالم الإسلامي



بمناسبة الاحتفال بالذكرى الألفية للأزهر الشريف

... ماذا قدم الأزهر والأزهريون للإسلام والمسلمين ؟

... ماذا قدم الأزهر والأزهريون للعلم والدين ؟ ...

... وماهى مكانته في العالم الإسلامى أمس واليوم ؟

... وماذا كانت غايته في تاريخه المديد ؟

...وماهى الخطوات التى اتخذها في سبيل خدمة الدعوة الاسلامية ونشر اللغة العربية في سائر البـلاد ؟

هذه أسئلة تشغل اليوم ذهن كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها وإن المسلمين جميعا على أختلاف أجناسهم ولغاتهم وعاداتهم وثقافاتهم - يتطلعون إلى هذه الجامعة التى هى أكبر وأقدم جامعة إسلامية على وجه الأرض ، ولها سجل تاريخى وضاح الجبين مشرق الغرة في نشر أشعة العلم والعرفان في أقطار العالم . وحفظ اللغة العربية والثقافة الاسلامية في عصر التدهور والانحطاط وسيادة الاستعمار الغربى على الأقطار الاسلامية ، في مقاومة شتى تيارات الالحاد والانحرافات والمذاهب الهدامة دعاة الفوضى والانحلال ٠

وهى الجامعة التى عالجت علوم الدين والأدب العربية عبر القرون . ويسرت سبلها وأكثرت كتبها وخرجت فطاحل علماء الاسلام والادب العربى وبقيت على مدي الأجيال والقرون قائمة بعملها وفية بأمانتها وأمدت العالم الاسلامى في الشرق والعرب بما هو في حاجة إليه فاتجهت إليها أنظار المسلمين جميعا خصوصا بعد سقوط بعداد واتلاف كتبها وذخائر مكاتبها العلمية فبدأ طلاب النور والعرفان يفدون إلى حظيرة الازهر من كل فج عميق ٠ وهو الان ملتقى آلاف الطلاب من أنحاء العالم كما أنه مصدر آلاف العلماء إلى مختلف القارات ومركز الدعوة الاسلامية إلى شتى الأمم والشعوب ٠

وإذا زرت كليات جامعة الأزهر ومعاهده وأروقته تجد هناك مظهرا عاما لثقافات عديدة ولغات مختلفة وأجناس شتى ، وتري فيها مظهرا عاما أيضا للعالم الاسلامى كله فإنه لمصداق بين للمبدأ الذي يتخذه الأزهر رمزا لرسالته هو :

وما كانت غاية الأزهر في تاريخه الطويل إلا أن يكون دائرة في مجال تبليغ رسالة الإسلام · وهذه الرسالة هى أجل ما تتطلع الانسانية في كل مكان إلى بلوغه والانتفاع بثمراته ·

وضع أساس الجامع الأزهر في ١٤ رمضان سنة ٣٥٩ هـ (٩٧١ م) تحت إشراف جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى ، وتم بناؤه في سنتين ، وفتح الجامع الأزهر للصلاة لأول مرة في رمضان سنة ٣٦١ هـ · فلم يلبث أن تحول الأزهر إلى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعصرية ، ويجتمع فيها طلاب العلوم من كافة الأقطار ، وكان الخلفاء الفاطميون حريصين على الاهتمام بهذا المعهد الكبير وتزويده بكثير من الكتب وتخصيص موارد باهظة للإنفاق على طلابه والوافدين عليه ، وبقى للأزهر منذ إنشائه مسجد الدولة الفاطمية الرسمى وكان الخليفة بنفسه يؤم الناس في صلاة الجمعة وعيدي الفطر والأضحى التى تقام فيه ·

ومنذ عام ١٩٦١ دخل الأزهر في دور فعال وجبار في المجال العلمى والعملى ، حيث جري تطوير الأزهر تطويرا يتهيأ به لأبناء المسلمين جميعا من العلم والمعرفة ويضيف إلى الخير التالد في رسالة الأزهر العلمية خيرا جديدا في رسالته العلمية ، لكى يعالج شئون الدين والدنيا ، ويخدم الإنسان بمعنييه جميعا روحه وجسده لأن الاسلام له جانبان جانب روحى وجانب مادي ، فالأول يخدم الناحية الروحية في الانسان والثانى يخدم الجانب المادي فيه ، من النواحى الاجتماعية والصحية والزراعية والهندسية والاقتصادية وغيرها ·

ومن أكبر ما اهتم به هذا التطوير إنشاء « جامعة الأزهر الحديثة » وفتح الكليات العملية بها وكلية خاصة للبنات بشعبها المختلفة من علوم إسلامية وطب وأدب وفلسفة وعلوم · وجامعة الأزهر لن تختلف غايتها عن غاية الأزهر الشريف في تاريخه المديد الا من تغيير الخطط وتعديل الوسائل بقدر ما تطلبه الحياة المتطورة ، ولن ينحرف طريقها عن طرق أبيها الجليل « الجامع الأزهر » فإن التاريخ الصحيح يقول : إن الأزهر كانت تدرس فيه ، في أبهائه وصحونه ، إلى جانب التفسير والحديث والفقه والأدب ، علوم الفلك والهيئة والميقات والطب والرياضة والحساب · وكانت تعقد فيه حلقات العلم للنساء · ويذكر التاريخ أن سيدة فضلى تقدمت فعلا لنيل شهادة « العالمية » الأزهرية ·

وأما تطوير الأزهر فخطوة جديدة تتهيأله بها دراسة الطب والهندسة والزراعة والتجارة وغيرها من العلوم الكونية والفنون العملية ، كما أنه يهيىء الفرصة للبنات من العلوم والمعرفة ما قد تهيأ للبنين · وكلية البنات الأزهرية كانت نواة للجامعة الإسلامية للبنات ،

لكى يقدر الأزهر بمختلف هيئاته ومعاهده وكلياته على إسداء الخير النافع العام إلى العالم الإسلامى كله ، وإلى الانسانية جمعاء ·

والأزهر جزء بارز في كيان المجتمع الإسلامى ، وهو تراث مجيد يعتز به كل مسلم وهو في مشارق الأرض ومغاربها ، وكان يجاهد في ميادين العلم والدين والإصلاح الاجتماعى والخلقى والسياسة في العالم العربى والإسلامى · ولولاه لجف الأمل وانطفأ النور في ميادين العلم والمعرفة في هذا العالم في عصر الظلمات والركود · وأما جمهورية مصر العربية فمدينة للأزهر فأصبحت بفضله منبرا تفيض منه أسمى الأبحاث الإسلامية والفكرية وقاعدة للإشعاع الثقافي الاسلامى وقد أسرعت مصر الفتية التى اعترفت بمكانة الأزهر في العالم الإسلامى وجهوده في سبيل العلم والأدب فمدت يدها بالعون له بكل الوسائل الممكنة ليقوم برسالته على أحسن وجه حتى يتبوأ مكانته اللائقة به كمبعث حضارة روحية ومادية ، وقلعة حصينة للعروبة والاسلام ، ومصدر رجال الفكر وزعماء الاصلاح يحملون أمانة الرسالة الإسلامية ، ويكونون ورثة الأنبياء ·

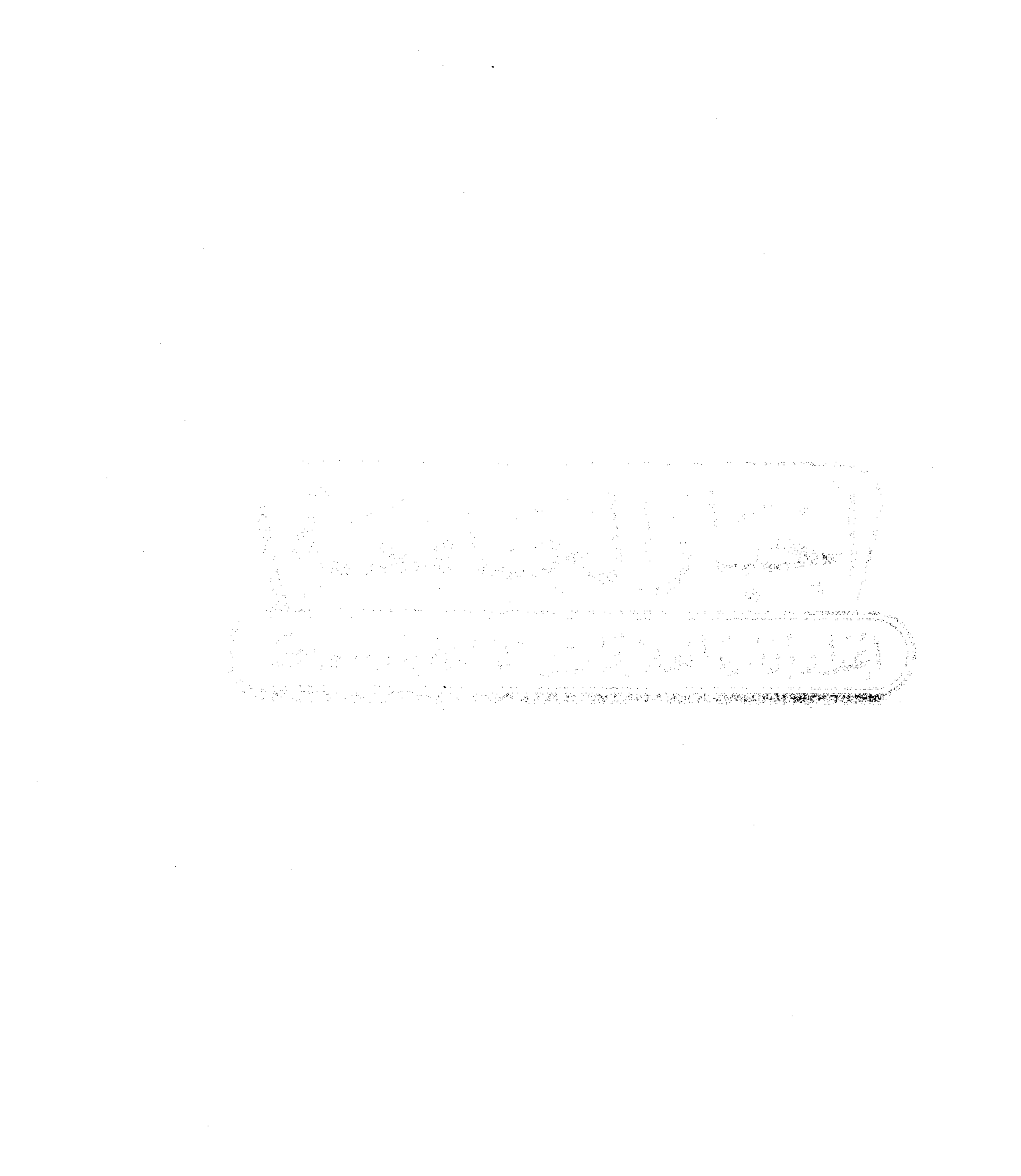
ولم يكن دور الأزهر مقصورا على العلوم الدينية واللغوية كما يظن بعض الناس ، فإن الإسلام لا يفرق بين المعارف والعلوم بل هو يجمع بين الدنيا والدين وبين الأرض والسماء وبين المطالب الدينية والسبحات الروحية ويقرر أن طلب العلم على إطلاقه فريضة على كل مسلم ومسلمة · ولهذا كان علماء المسلمين في عصر ازدهار الإسلام يدرسون جميع أنواع العلوم والفنون ، فكان منهم الفقيه ، والطبيب ، والفلكى ، والمهندس · والعالم الطبيعى ، والكيميائى ، والجغرافي ، والمؤرخ ، والرحالة ، والرياضى ، وكان هذا يتجلى في علماء الأزهر على نطاق يختلف قلة أو كثرة بحسب اختلاف العصور · وكانوا يُسَمُّون علم الفلك بعلم الهيئة ، ويُسَمُّون علوم الأحياء بعلم المواليد ، والكمياء بعلم التركيب · وظل علماء الأزهر يحرصون على دراسة هذه العلوم حتى في أشد عهود التدهور والجمود ·

ولا يخفى على من تتبع تاريخ الأزهر ، أن علماءه قد أسهموا في جميع المعارف والعلوم بالدرس والبحث والتأليف ، سواء في العلوم الدينية واللغوية أو في المنطق والحساب والهندسة والجبر والفلك · ولما بدأت النهضة العلمية في مستهل العصر الحديث لم تجد لها منبعا إلا في رحاب الأزهر فقد كان معظم المبعوثين من مصر ـ مثلا ـ إلى أوربا من رجال الأزهر وقد عادوا بعد أن تخصصوا في مختلف العلوم والفنون فوضعت أسس النهضة العلمية والفنية والثقافية في هذه البلاد ، وكان البارزون من أبناء الأزهر هم الذين وضعوا أساس النهضة الحديثة في مصر ، وأساتذة جامعة القاهرة وبقية الجامعات ومدرسة الألسن ومدرسة القضاء الشرعى وكلية دار العلوم وغيرها من مراكز الثقافات ودور العلم التى تفرعت من دوحة الأزهر الشريف ·

وإن الاستعمار بأساليبه العديدة ووسائله المختلفة ـ قد نجح إلى حد كبير ـ في أن يعوق حركة الأزهر المطردة ، واستطاع أن يُحدث فجوة بين العلوم الدينية واللغوية وبين العلوم الأخري ، وكاد الانعزال يتم بين علماء الأزهر ، وعلماء الجامعات الأخري ، فنادي علماء الإصلاح في العصر الحديث بعلاج هذه الحال فإن الغرب يعرف كما يعرف أبناءه ، أن العلوم الحديثة العصرية إسلامية في نشأتها وتقدمها ، وأن الغرب استعارها من المسلمين ، وتقدم كثير من المصلحين في هذا الميدان وتوالت الصيحات في كل مكان وقد تكررت محاولات لتجديد الأزهر وتطويره بحيث يتفق ومكانته وأثره في العالم العربى والإسلامى ، مع الاحتفاظ بطابعه وخصائصه وصفته التى استحق بها أن يبقى دوره بارزا في تاريخ العرب والمسلمين أكثر من ألف سنة ، ولكن هذه المحاولات المبذولة منذ أكثر من نصف قرن لم تنفذ إلى صميم المشكلة ولم تحاول علاجها جذريا . وأما القانون الخاص بإصلاح الأزهر فوضع على أساس تقرير المباديء اللازمة لكل إصلاح جذري شامل .. وبناء على هذا القانون ظهرت الهيئات الخمس الأزهرية للنور وهى :

١ ـ المجلس الأعلى للأزهر .
٢ ـ مجمع البحوث الاسلامية .
٣ ـ جامعة الأزهـــــر .
٤ ـ إدارة الثقافة والبعوث الاسلامية .
٥ ـ المعاهد الأزهـــرية .

وبالله التـوفيق .



حصاد الدراسات العليا

في العام الجامعي ١٤٠٢-١٤٠٣هـ

قسم الدراسات العليا فى الجامعة الإسلامية ـ كما فى أى جامعة ـ يعتبر أهم الأقسام التعليمية لأنه مركز تخريج الكوادر العلمية المتخصصة التى يسند إليها فى المستقبل القريب ـ إن شاء الله ـ تولى القيادة الفكرية، وتتحمل مسئولية البحث العلمي فى مختلف مجالات المعرفة العربية والإسلامية، ويتكون من هذه الكوادر العلمية أعضاء هيئة التدريس فى الجامعة الإسلامية وغيرها من الجامعات العربية والإسلامية.

ويقوم قسم الدراسات العليا فى الجامعة بمسئوليات جسام لتوجيه الطلاب وإعدادهم الإعداد الذى يمكنهم من حمل الأمانة فى تربية الأجيال، ويهيئهم للبحث العلمي الجاد المتعمق فى جميع مجالات الدراسات الإسلامية.

وقد كان حصاد قسم الدراسات العليا فى العام الجامعي ١٤٠٢/١٤٠٣هـ حصادا وفيرا يبشر بغد مشرق للجامعة إن شاء الله... فقد حصلنا من قسم الإحصاء والمتابعة بالدراسات العليا على بيان تفصيلي بالحاصلين على درجتي الدكتوراه والماجستير فى المدة من أول محرم ١٤٠٢هـ الى أواخر شعبان ١٤٠٣هـ.

وقد بلغ عدد الحاصلين على الدكتوراه فى المدة المذكورة ١٥ خمسة عشر طالبا من شعب الفقه، وأصوله والدعوة والسنة والعقيدة. ومن جنسيات مختلفة. كما بلغ عدد الحاصلين على الماجستير ٣٥ خمسة وثلاثون طالبا من شعب الفقه وأصوله والدعوة والسنة والعقيدة والتفسير واللغويات والأدب والنقد، وينتمى هؤلاء الطلاب إلى جنسيات مختلفة من السعودية ومصر واليمن وأندونيسيا والهند وحضرموت ونيجير يا والسودان ونيبال وبورما وباكستان واوندى ومالى والأردن والصومال. وقد نشرنا فى العدد الماضى أسماء بعض الذين حصلوا على درجة الماجستير والدكتوراه.

ويسرنا أن نسجل أسماء الحاصلين على الدكتوراه والماجستير فى المدة المذكورة، والتى لم يتم نشرها فى العدد الماضى. وندعو الله أن يوفق القائمين على قسم الدراسات العليا إلى

مزيد من النجاح المضطرد فى سبيل تحقيق الغاية المرجوة لخدمة الإسلام مع تهانينا للخريجين.

أولا ــ الحـــاصلون على الدكتـــوراه

١ ــ الـدكتـور محمد زين الهادى ــ سودانى الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «حاجتنا إلى إعـلام إسـلامي» من شعبـة الدعوة، وقد نوقشت رسالته يوم ١٥/٣/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور عبد المنعم حسنين وعضوية كل من الأستاذ محمد قطب، والدكتور إبراهيم إمام وحصل على الدكتوراة بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الثانية وبلغ عدد صفحات رسالته ٥٣٦ صفحة.

٢ ــ محمـد علي قاسم العمـري ــ أردني الجنسيـة ــ وكـان موضوع رسالته «مغلطاى ومنهجـه فى كتـابـه: إكـمال تهذيب الكـمال» من شعبـة السنـة، ونـوقشت رسـالتـه يوم ٨/٤/١٤٠٣هـ برئـاسـة وإشـراف الدكتور محمود ميرة، وعضوية كل من الدكتور أحمد نور والـدكتـور أكرم ضياء العمري. وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وبلغ عدد صفحات رسالته ١٢٨٤ صفحة.

٣ ــ الدكتور مرزوق بن هياش الزهراني ــ سعودي الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «الغيـلانيـات فى حديث أبي بكـر الشـافعي» من شعبـة السنـة، ونـوقشت رسـالتـه يوم ٢٥/٣/١٤٠٣هـ برئـاسـة وإشـراف الدكتور أكرم ضياء العمري وعضوية كل من الدكتور محمـد أديب الصـالـح والدكتور ربيع هادي مدخلي، وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وبلغ عدد صفحات رسالته ٧٨٠ صفحة.

٤ ــ الدكتور صالح بن مسعد صنيتان السحيمي ــ سعودي الجنسية ــ وكان موضوع رسالته: «أحكام عقد الإيجارة فى الشريعة الإسلامية» من شعبة الفقه، ونوقشت رسالته يوم ٦/٦/١٤٠٣هـ برئـاسـة وإشراف الدكتور محمود علي وعضوية كل من الدكتور محمد مندور وفضيلة الشيخ عبد القادر شيبة الحمد. وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى. وبلغ عدد صفحات رسالته ٦٨٢ صفحة.

٥ ــ الـدكتـور أحمـد محمد عبد الوهاب ــ سعودي الجنسية ــ وكان موضوع رسالته: «الـوصف المنـاسب لشـرع الحكم» من شعبـة أصـول الفقـه. ونـوقشت رسـالتـه يوم

١٤٠٣/٧/١هـ برئاسة وإشراف الدكتور عمر عبد العزيز وعضوية كل من الدكتور محمود عبد الدايم وفضيلة الشيخ عبد الله القديان، وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٥٠ صفحة.

٦ ــ الدكتور أبو بكر دكوري ــ من فولتا العليا ــ وكان موضوع رسالته «تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول لعلاء الدين المرداذي دراسة وتحقيق» من شعبة أصول الفقه، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/٨هـ برئاسة وإشراف الدكتور عمر عبدالعزيز وعضوية كل من الدكتور محمود محمد فرغلي والدكتور عبد القادر شحاته، وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وبلغ عدد صفحات رسالته ٧٢٤ صفحة.

٧ ــ الدكتور أبو حماد صغير أحمد بن محمد ضيف ــ هندى الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «الأوسط لابن المنذر» تحقيق ودراسة من شعبة الفقه. ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/١٠هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمد مندور وعضوية كل من فضيلة الشيخ عطية سالم وفضيلة الشيخ عبد الله الغنيمان. وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى. وبلغ عدد صفحات رسالته ١٠٢٧ صفحة.

٨ ــ الدكتور محمود صالح شريتح جابر ــ أردني الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «دراسة وتحقيق كتاب (المحقق من علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول ﷺ) لأبي قامة المقدسي».

٩ ــ الدكتور أحمد محمد محمود عبيد ــ لبناني الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «منهجية الدعوة فى القرآن الكريم» من شعبة الدعوة، ونوقشت يوم ١٤٠٣/٨/٧هـ برئاسة وإشراف الدكتور عبد المنعم حسنين وعضوية كل من الدكتور نعمان عبد الرازق والدكتور محمد نمر الخطيب، وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الثانية، وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٧٣ صفحة.

١٠ ــ الدكتور عبد العزيز راجي الصاعدي ــ سعودي الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «كتاب البعث والنشور للبيهقي» تحقيق ودراسة من شعبة السنة، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٨/١٠هـ برئاسة وإشراف فضيلة الشيخ حماد الأنصاري وعضوية كل من الدكتور محمود ميرة والدكتور ربيع هادي مدخلي، وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، وبلغ عدد صفحات رسالته ٧٨٣ صفحة.

١١ ــ الدكتور علي أحمد القليصي ــ يمني الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «عقد بيع الغَـررِ» من شعبـة الفقـه، ونـوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٨/١٢هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمـد منـدور وعضـويـة كل من فضيلة الشيخ عطية سالم والدكتور محمود علي، وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٧٨ صفحة.

١٢ ــ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبده ــ يمني الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «أدلة الكفاءات جمعا وتخريجا ودراسة» من شعبة السنة، وقد نوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٨/١٣هـ برئـاسـة وإشـراف الـدكتـور السيد الحكيم وعضوية كل من الدكتور محمد أبو شيبة والدكتور محمـد طنطـاوي وحصـل على الـدكتـوراه بدرجـة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، وبلغ عدد صفحات رسالته ١٠٥٦ صفحة.

١٣ ــ الـدكتـور محفـوظ الـرحمن زين الله ــ هنـدي الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «العلل الـواردة فى الأحـاديث النبـويـة» من شعبـة السنـة، ونـوقشت رسـالتـه يوم ١٤٠٣/٨/١٤هـ برئـاسـة وإشـراف الـدكتـور محمـود ميرة وعضـوية كل من الدكتور أكرم العمري وفضيلة الشيخ حماد الأنصاري وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وبلغ عدد صفحات رسالته ١٦٧٤ صفحة.

١٤ ــ الـدكتـور صالـح عبـد الله العبـود ــ سعودي الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها» من شعبة العقيدة، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٨/٢٤هـ برئـاسـة وإشـراف فضيلة الشيـخ عبـد المحسن العبـاد وعضـوية كل من فضيلة الشيـخ عبـد الله الغنيـمان والدكتور علي ناصر فقيهي. وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وبلغ عدد صفحات رسالته ٨٠٠ صفحة.

ثانيـا: الحـاصلون عـلى المـاجستير

١ ــ فضـل الله الأمـين فضـل الله ــ سوداني الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «حجية قول الصحابي» من شعبة الأصول. ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/١/٢٥هـ برئاسة وإشراف الدكتور عبد العظيم فياض، وعضوية كل من الدكتور حسين الجبوري والدكتور محمود محمد فرغلي. وحصل على الماجستير بدرجة جيد. وبلغ عدد صفحات رسالته ٢٢٥ صفحة.

٢ ــ سلامـة ضويعن الأحمـدي ــ سعـودي الجنسيـة ــ وكان موضوع رسالته «حجية القياس فى الشريعة الإسلامية» من شعبة الأصول، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/١/٢٥هـ

برئاسة وإشراف الدكتور محمد فرغلي وعضوية كل من الدكتور حسين الجبوري والدكتور علي بابكر، وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا. وبلغ عدد صفحات رسالته **٢٥٠** صفحة.

٣ ــ عبد الله جولم ــ نيبالى الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «الإمام أبو حنيفة واحتجاجاته بالسنة» من شعبة الأصول. ونوقشت رسالته يوم **١٤٠٣/٢/٢٦هـ** برئاسة وإشراف الدكتور محمد فرغلي وعضوية كل من الدكتور أحمد فهمى والدكتور علي أحمد وحصل على الماجستير بدرجة ممتاز وبلغ عدد صفحات رسالته **٥١٥** صفحة.

٤ ــ سعود بن صالح العطيشان ــ سعودي الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «الجزء الأول من كتاب شرح العمدة فى الفقه لابن تيمية» تحقيق ودراسة من شعبة الفقه، ونوقشت رسالته يوم **١٤٠٣/٣/١٣هـ** برئاسة وإشراف الدكتور محمد مندور وعضوية كل من فضيلة الشيخ صالح بن محمد وفضيلة الشيخ عبد الله الغنيمان وحصل على الماجستير بتقدير ممتاز وبلغ عدد صفحات رسالته **٣٣٤** صفحة.

٥ ــ إبراهيم يوسف محمد إبراهيم ــ سعودي الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «أحكام الغصب فى الشريعة الإسلامية» من شعبة الفقه، ونوقشت رسالته يوم **١٤٠٣/٣/٢٠هـ** برئاسة وإشراف الدكتور محمود علي وعضوية كل من فضيلة الشيخ صالح الفوزان والدكتور عبد الرحمن العدوى وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا. وبلغ عدد صفحات رسالته **٥١١** صفحة.

٦ ــ شير علي شاه ــ باكستاني الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «تفسير سورة الكهف» من شعبة التفسير، ونوقشت رسالته يوم **١٤٠٣/٣/٢٢هـ** برئاسة وإشراف فضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري وعضوية كل من الدكتور مصطفى مسلم والدكتور محمد طنطاوي. وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا. وبلغ عدد صفحات رسالته **٦٠٧** صفحة.

٧ ــ صالح سعيد باقلاقل ــ حضرمي الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «المرسل واختلاف الأصوليين» من شعبة الأصول، ونوقشت رسالته يوم **١٤٠٣/٣/٢٤هـ** برئاسة وإشراف الدكتور عبد العظيم فياض وعضوية كل من الدكتور محمد حسين والدكتور عبد القادر شحاته وحصل على الماجستير بدرجة ممتاز وبلغ عدد صفحات رسالته **٥٤١** صفحة.

٨ ــ المكاشفى الشيخ الزبير ــ سوداني الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «دفع مطاعِنْ عَنِ القرآن من حيث مصدره» من شعبة الدعوة ونوقشت رسالته يوم **١٤٠٣/٤/١هـ** برئاسة

وإشراف الدكتور أحمد مهنا وعضوية كل من الدكتور عبد المنعم حسنين وفضيلة الشيخ عبد الله الغنيمان وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا، وبلغ عدد صفحات رسالته ٦٧٣ صفحة.

٩ ــ علي محمد الزبير ــ يمني الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «ابن جزى الكلبى ومنهجه فى التفسير» من شعبة التفسير، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٤/٦هـ برئاسة وإشراف الدكتور أحمد مهنا وعضوية كل من فضيلة الشيخ عبد القادر شيبة الحمد والدكتور محمد الطنطاوي وحصل على الماجستير بدرجة ممتاز وبلغ صفحات رسالته ١١٨١ صفحة.

١٠ ــ عزام نعمان عبد الرحمن سلهب ــ أردني الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «العقيدة الإسلامية وأثرها فى بناء المجتمع» من شعبة العقيدة، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٤/٢٩هـ برئاسة وإشراف الدكتور عبد المنعم حسنين وعضوية كل من فضيلة الشيخ صالح الفوزان وفضيلة الشيخ أبوبكر الجزائري. وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا. وبلغ عدد صفحات رسالته ٣٢٧ صفحة.

١١ ــ سميح أحمد خالد ــ أردني الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «تحقيق الجزء الثانى من أصول الجصاص من أوله الى نهاية باب القياس» من شعبة الأصول. ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٥/١١هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمد فرغلي وعضوية كل من الدكتور طه جابر والدكتور عبد القادر شحاته. وحصل على الماجستير بدرجة ممتاز مع توصية لجنة المناقشة بطبع الرسالة التى بلغ عدد صفحاتها ١٢٥٠ صفحة.

١٢ ــ علي عبد الله المحيسن ــ سعودي الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «أحكام قطاع الطرق فى الشريعة الإسلامية» من شعبة الفقه، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٥/١٦هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمود علي أحمد وعضوية كل من الدكتور محمد مندور والدكتور أحمد الأزرق. وحصل على الماجستير بتقدير جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٠٠ صفحة.

١٣ ــ محيسن عبد الله المحيسن ــ سعودي الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «أحكام الكفالة فى الشريعة الإسلامية» من شعبة الفقه. ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٥/١٨هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمود علي أحمد وعضوية كل من فضيلة الشيخ عبد القادر شيبة الحمد والدكتور يوسف عبد المقصود وحصل على الماجستير بتقدير جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٢٤٥ صفحة.

١٤ ــ عبد الله ديريه ابتدون ــ صومالى الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «أصول التفسير بين شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من المفسرين» من شعبة التفسير. ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/٥هـ برئاسة وإشراف فضيلة الشيخ أبوبكر الجزائري وعضوية كل من فضيلة الشيخ عبد القادر شيبة الحمد والدكتور محمد طنطاوي وحصل على الماجستير بتقدير جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٧٠ صفحة.

١٥ ــ كمال الدين شاه عبد الحميد ــ هندي الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «مباحث فى العقيدة الإسلامية على ضوء سورة التكاثر» من شعبة العقيدة. ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/٦هـ برئاسة وإشراف فضيلة الشيخ عبد الله الغنيمان وعضوية كل من فضيلة الشيخ حماد الأنصاري، والدكتور علي ناصر. وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٢٥ صفحة.

١٦ ــ حافظ محمد عبد الله حكمي ــ سعودي الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة» من شعبة السنة، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/٢١هـ برئاسة وإشراف فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد وعضوية كل من الدكتور السيد الحكيم والدكتور أكرم العمري وحصل على الماجستير بتقدير ممتاز. وبلغ عدد صفحات رسالته ٥٥٥ صفحة.

١٧ ــ عمر محمد عمر باحاذق ــ سعودي الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «الجانب الفنى فى قصص القرآن الكريم» من شعبة الأدب والنقد. ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/٢٢هـ برئاسة وإشراف الدكتور عبد الفتاح الدماصي وعضوية كل من الدكتور شكري فيصل والدكتور جودة مصطفى وحصل على الماجستير بتقدير جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٣٠٠ صفحة.

١٨ ــ سليمان عبد الله العمير ــ سعودي الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «زكاة الخارج من الأرض» من شعبة الفقه، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/٢٧هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمود علي إبراهيم وعضوية كل من الدكتور يوسف عبد المقصود والدكتور يوسف المرصفي. وحصل على الماجستير بتقدير جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٣١٠ صفحة.

١٩ ــ عوض رجاء فريح العوفى ــ سعودي الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «الولاية فى النكاح» من شعبة الفقه. ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٨/٤هـ برئاسة وإشراف الدكتور

محمـد منـدور وعضوية كل من الدكتور أحمد الأزرق والدكتور عبد الرحمن العدوي ، وحصل على الماجستير بدرجة ممتاز وبلغ عدد صفحات رسالته ٦٧٠ صفحة .

٢٠ ــ اسحق موسى كونى ــ مالي الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «الأحكام الثابتة بخطـاب الـوضع عند الأصوليين» من شعبة الأصول . ونوقشت رسالته يوم **١٤٠٣/٨/٥**هـ برئـاسـة وإشـراف الدكتور محمد فرغلي وعضوية كل من الدكتور عبد القادر شحاته والدكتور علي أحمد، وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته **٤٤٠** صفحة .

٢١ ــ هير امـانـا عبد الكريم ــ رواندي الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «الحكمة فى شعر العصر العباسي» من شعبة الأدب والنقد، ونوقشت رسالته يوم **١٤٠٣/١/٦**هـ برئاسة وإشـراف الـدكتـور محمـد أحمـد العزب وعضوية كل من الدكتور شكري فيصل . والدكتور جلال صابر، وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته **٤٤٥** صفحة .

٢٢ ــ عبد الحميد فطاهري ندوى ــ من بورما ــ وكان موضوع رسالته «معالم الدعوة فى الـدولـة الإسـلامية الى عهـد معـاويـة» من شعبـة الـدعـوة . ونـوقشت رسـالتـه يوم **١٤٠٣/٨/١١**هـ برئـاسـة وإشـراف الـدكتـور عبد المنعم حسنين وعضوية كل من الدكتور محمـد الجيـوشي والـدكتـور جمعـة الخولي وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته **٣٠٠** صفحة .

٢٣ ــ أحمد حسن حسين ــ يمني ج ــ وكان موضوع رسالته «أهمية المسجد فى الدعوة الى الله» من شعبة الدعوة، ونوقشت رسالته يوم **١٤٠٣/٨/٢١**هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمد الوكيل وعضوية كل من الدكتور عبد المنعم حسنين والدكتور محمد الجيوشي . وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته **٥١٧** صفحة .

٢٤ ــ محمد عوض السهلي ــ سعودي الجنسية ــ وكان موضوع رسالته «دراسة لغوية للأسـاليب الطلبيـة» من شعبـة اللغـويـات . ونوقشت رسالته يوم **١٤٠٣/٨/٢٣**هـ برئاسة وإشـراف الـدكتـور أحمـد غالي وعضوية كل من الدكتور يوسف أبو العلا والدكتور أحمد عبد الله ، وحصل على الماجستير بدرجة ممتاز. وكان عدد صفحات رسالته **٢٦٠** صفحة .

وبعد فإلى هذا الرعيل السابق من طلاب الدراسات العليا نقدم تهانينا ونتمنى لهم مستقبلا مشرقا يخدمون فيه الدعوة إلى الله عن طريق العلم والبحث العلمي . وفقهم الله وإيانا إلى ما فيه رضاه ، وأن يرزقنا الإخلاص فى القول والعمل والقصد إنه ولينا وهو حسبنا ونعم الوكيل .

المخيم الصيفي السنوي لطلاب الجامعة الإسلامية

تقيم عمادة شئون الطلاب بالجامعة الإسلامية المخيم الصيفي السنوي ، والذى اعتادت العمادة إقامته فى صيف كل عام ويشارك فيه الطلاب المتخلفون عن السفر إلى أوطانهم فى العطلة الصيفية .

وسيقام المخيم ويستمر لمدة شهر ابتداء من يوم ٧/ ١٠/ ١٤٠٣هـ بمدينة النماص بمنطقة الجنوب .

ومن المقرر أن يشارك فيه مائتا طالب من مختلف الكليات والمعاهد والدور التابعة للجامعة .

وقد تم إعداد برنامج تربوي وثقافي حافل بالندوات والمحاضرات والأنشطة المختلفة التى تعمل على توجيه الطلاب توجيها إسلاميا صحيحا ، وتعدهم للمشاركة فى إلقاء المحاضرات وإدارة الندوات .

ويصحب المخيم مجموعة من الموجهين الاجتماعيين من عمادة شئون الطلاب والمسئولين فى العمادة .

نرجو الله أن يوفق الجميع لما فيه خير أبناء المسلمين فى هذه الجامعة .

شخصيات ووفود إسلامية فى زيارة الجامعة

من أهداف الجامعة الإسلامية التى حددها نظامها الأساسي إقامة الروابط العلمية والثقافية بالجامعات والهيئات والمؤسسات العلمية فى العالم وتوثيقها لخدمة الإسلام وتحقيق أهدافه .

وفى إطار هذا الهدف يفد إلى الجامعة شخصيات ووفود إسلامية بقصد دعم التعاون المنشود فى مجال الدعوة والتربية والتعليم والتبادل الثقافي، أو طلب دعم الجامعة لهذه الهيئات والمؤسسات التى تمثلها هذه الوفود أو هذه الشخصيات.

ومن الوفود والشخصيات التى قامت بزيارة الجامعة فى الفترة الأخيرة:

(١) وفد يمثل الاتحاد الإسلامي لشمال أمريكا، وقد ضم هذا الوفد: البروفسير سيد محمد سعيد عضو اللجنة التنفيذية للاتحاد، والأستاذ ربيع حسن أحمد أمين عام الاتحاد، والسيد دواد زوتك، ورافق الوفد الأستاذ أحمد عبد العزيز الرشيد من وزارة التعليم العالى فى المملكة العربية السعودية وقد اجتمع بالوفد معالى رئيس الجامعة الإسلامية الدكتور عبد الله الصالح العبيد وفضيلة الأمين العام للجامعة الشيخ عمر محمد فلاته. وقد دار الحديث فى هذا الاجتماع حول شئون الأقليات الإسلامية فى شمال أمريكا والصعوبات التى يلاقونها والتحديات التى يواجهونها..

وقام الوفد بجولة فى الجامعة زار خلالها المكتبة المركزية وشاهد قسم المخطوطات بها، كما قام بزيارة للأماكن المقدسة فى المدينة المنورة..

(٢) قام الحاج بابا سيسي مدير معهد الملك خالد الإسلامي فى مدينة باماكو بجمهورية مالى بزيارة للمدينة المنورة زار خلالها الجامعة الإسلامية وحضر مناقشة رسالة الماجستير المقدمة من الطالب اسحق موسى كونى مالى الجنسية وكان موضوعها: الأحكام الثابتة بخطاب الوضع عند الأصوليين من شعبة الأصول، كما رافقه فى حضور المناقشة سعادة سفير مالى لدى المملكة.

(٣) كما زار الجامعة وفد من الكلية العربية المالية بكيرالا بجنوب الهند. ويتكون هذا الوفد من الشيخ أبو بكر العمري والشيخ داد عبد الجبار، وقد التقى بهم معالى الدكتور عبد الله الصالح العبيد رئيس الجامعة وفضيلة الشيخ عمر محمد فلاته الأمين العام للجامعة..
وقد بحث هذا الوفد الأمور ذات العلاقة المشتركة فيما يتصل بالشئون التعليمية والتربوية.

(٤) كما زار الجامعة فضيلة الشيخ غالب سنجقدار رئيس جمعية التوجيه الإسلامي الخيرية بطرابلس الغرب، وقابله كل من معالى رئيس الجامعة والأمين العام. وتباحث معهما حول رغبة الجمعية فى إنشاء معهد متوسط وثانوي لتدريس المناهج الإسلامية لأبناء المسلمين. وتناول اللقاء إمكانية مساهمة الجامعة فى هذا المشروع.

(٥) وفى إطار جولة فى بلدان إسلامية مختلفة ومنها المملكة العربية السعودية وصل إلى المدينة المنورة فى أواخر شهر رجب ١٨ منه أعضاء مجلس علماء باكستان وزاروا الجامعة الإسلامية والتقوا بمعالى الدكتور عبد الله العبيد رئيس الجامعة حيث دار الحديث حول شئون الدعوة الإسلامي فى إطار عالمي والدور الذي يمكن أن تؤديه الجامعات الإسلامية فى هذا المجال كما جرت الأحاديث حول القضايا التى تهم العالم الإسلامي.

محاضرات الموسم الثقافي للعام الجامعي ١٤٠٢هـ / ١٤٠٣هـ

فى إطار الموسم الثقافى الذى تعده وتنفذه عمادة شئون الطلاب شهدت قاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الإسلامية سبع عشرة محاضرة ألقاها العلماء والمفكرون من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة، ومن غيرهم من علماء المملكة.

ومن الجدير بالذكر أن هذه المحاضرات يحضرها طلاب الجامعة وأساتذتها وعدد غفير من علماء المدينة وأدبائها والمهتمين بالحياة الثقافية والأدبية، وتمثل هذه المحاضرات نافذة يطل منها طلاب الجامعة على كثير من جوانب العلم والمعرفة خارج قاعات الدرس.

وفيما يلى نورد بيانا بعناوين هذه المحاضرات ممن لم يسبق نشره:

١ ـ الأفعى الباطنية: من أخبارها وأوزارها: ألقاها الدكتور عبد الفتاح إبراهيم سلامة الأستاذ المساعد بكلية الحديث فى ١٤٠٣/٢/٢٣هـ.

٢ ـ القدس قبل الإسلام وبعده: ألقاها الدكتور شفيق الجاسر الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين فى ١٤٠٣/٢/٣٠هـ.

٣ ـ منهاج أهل السنة فى العقيدة والعمل: ألقاها فضيلة الشيخ محمد الصالح العيثيمين. مساء يوم ١٤٠٣/٣/٧هـ.

٤ ـ شبابنا بين الأصالة والتقليد: ألقاها الدكتور محمد السيد الوكيل الأستاذ المساعد بكلية الحديث. مساء يوم ١٤٠٣/٣/١٤هـ.

٥ ـ طريق الخلاص : ألقاها الشيخ أبوبكر الجزائري الأستاذ المشارك بقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية . مساء يوم ١٤٠٣/٥/٣هـ.

٦ ـ صور من الحياة الإسلامية فى أمريكا الجنوبية : ألقاها الشيخ عبد العزيز المسند . مساء ١٤٠٣/٥/١٠هـ.

٧ ـ العقوبات الشرعية : أسسها وأهدافها : ألقاها الشيخ محمد بن ناصر السحيبانى الأستاذ المساعد وعميد القبول والتسجيل بالجامعة الإسلامية . مساء ١٤٠٣/٥/١٧هـ.

٨ ـ ندوة مفتوحة اشترك فيها كل من سعادة أمين المدينة المنورة الشيخ صدقة خاشقجي ، وسعادة مدير مرور المدينة المنورة الرائد إبراهيم الردادي . حضرها عدد غفير من أهالى المدينة المنورة وعلمائها ومفكريها وطلاب الجامعة الإسلامية وأساتذتها . أجاب فيها كل من سعادة أمين المدينة ومدير مرور المدينة على الأسئلة التى توجه بها الحضور فيما يتصل بمشاريع المدينة ونظام المرور . وكان ذلك مساء يوم ١٤٠٣/٥/٢٤هـ.

٩ ـ الجزاء الحق : هذا هو عنوان المحاضرة التى ألقاها الشيخ علي الحذيفي . مساء يوم ١٤٠٣/٦/٢هـ.

١٠ ـ معاوية بن أبي سفيان بين المنصفين والمتعسفين : ألقاها فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد رئيس المجلس العلمى بالجامعة الإسلامية . مساء يوم ١٤٠٣/٦/٩هـ.

١١ ـ واجب الإنسان الذى كلف به من الله : ألقاها الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان . مساء يوم ١٤٠٣/٦/١٠هـ.

١٢ ـ مكانة أهل الحديث : ألقاها الدكتور ربيع هادى مدخلى الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية . مساء يوم ١٤٠٣/٦/٢٣هـ.

١٣ ـ جاء الإسلام ليبقى : ألقاها الدكتور جمعة الخولى الأستاذ المشارك ورئيس قسم الدعوة بالجامعة الإسلامية . مساء يوم ١٤٠٣/٦/٣٠هـ.

١٤ ـ أعرفت أنك بالمدينة : ألقاها الشيخ عبد الفتاح العشماوى عضو هيئة التدريس بالجامعة . مساء يوم ١٤٠٣/٧/٧هـ.

صياغة الشيخ محمود محمد سالم

مجلة الجامعة الإسلامية

لا تلتزم برد البحوث والمقالات التي لم تنشر إلى كتابها ولا بإبداء أسباب عدم نشرها.

محتويـــات العــــدد

الموضوع		الصفحة

التفسير وأصولـــه

الحديث وأصولـــه

العقيــــدة

الفقــه وأصولـــه

الموضوع		الصفحة

ثقافة إسلامية

سيرة وتاريخ

إحياء التراث

الموضوع		الصفحة

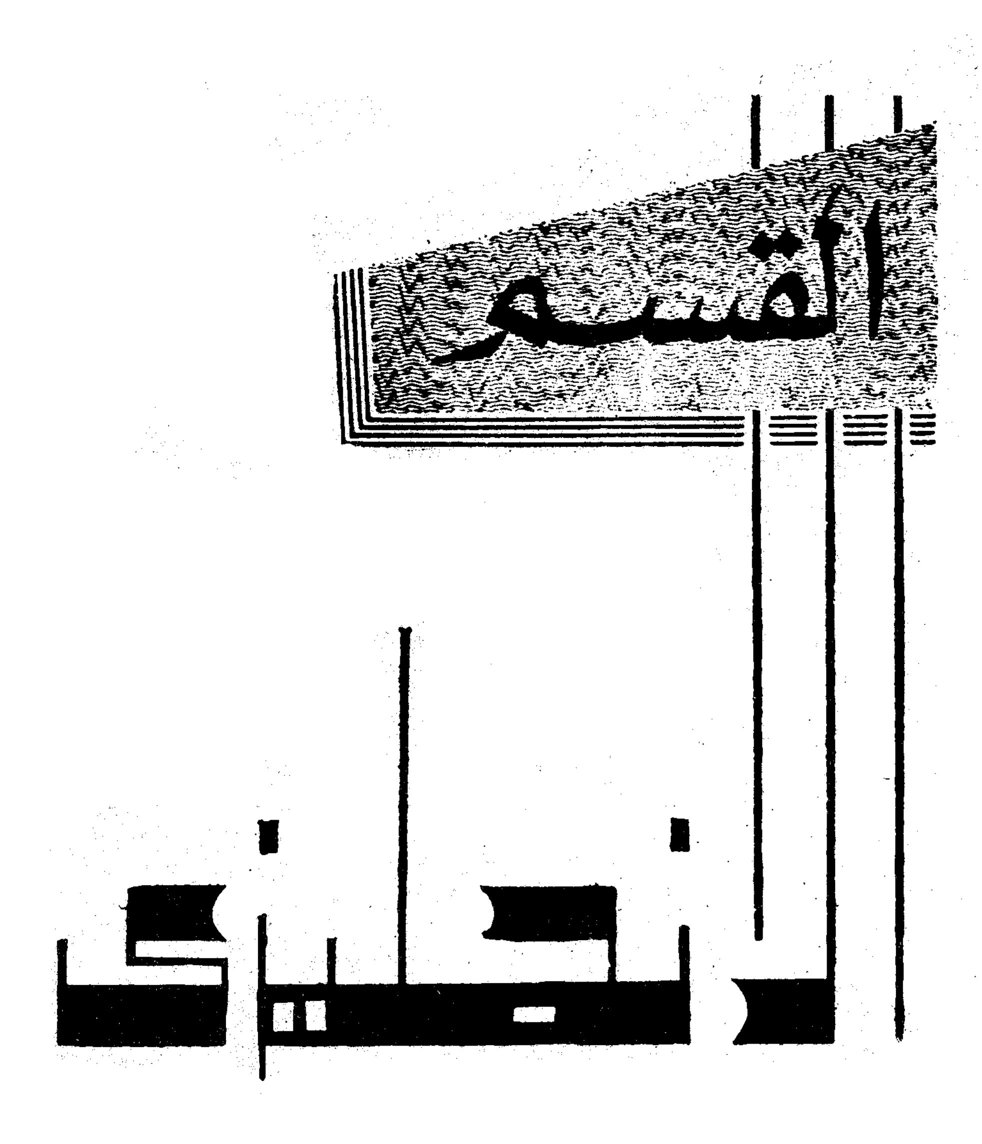
لغـــــة وأدب

جـــولات عالميـــة

ردود ومناقشـــات

بحوث طبيـــة

الفتـــاوى


القسم
الانجليزى

It is incumbent on every believer to adhere to the douvine teachings of Allah the Almighty and His Prophet (P. b. u. h.) and the line followed by the companions of the Prophet (p. b. u. h.) and their followers. One should guard against innovations of those who have gone astray from the Qur'an and the Sunnah (practical life of the prophet) and resorted to their delusive reasoning and random thaughts; They were led astray and deluded others .

We pray to Allah the Almighty to save us and all the muslims from the attacks of the Devil and his agents; He is all powerful and is quite capable of that May Allah shower His peace and Blessings on our Prophet Muhammad, his family and companions .

Sh. Abdul Aziz bin Abdullah bin Baz
general President .
Idarat Buhus al-Ilmiyyah wal-iffta
wa - Dawwah wal-Irshad
Translated by : —
Dr. Malik Ghulam Murtaza
Asstt. Professor
Islamic University
Madinah Munawwarah

The same explanation has been communicated to us through Ummul Muminin Ummi Salmah and Rabiah bin Abdir Rahman Sheikh Malik. This is the real truth and same is the faith of Ahlus-Sunnah- wal-Jama'ah without any doubt. Same is their faith about the rest of the Attributes of Allah i. e. Hearing, Seeing, Pleasure, Wrath, Hand, Foot, Fingers, Words, Will etc .

It may be said about all of them that they are well- known as understood in Arabic language and belief in them is imperative; whereas the details about them are not known except to Allah Himself. We have to believe that He is Perfect in all His Attributes and that He does not resemble anything created by Him; His Knowledge is not like aur Knowledge; His Hand is not lihe aurs; His Fingers are not Pleasure and so on as He, the, Exalted has said : —

﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .

«There is nothing like Him; He is all-Seer and all-Hearer» .

﴿ قل هو الله أحد ـ الله الصمد ـ لم يلد ولم يولد ـ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ .

«Say : He is Allah, the one and Only, Allah, the Eternal, the Absolute. He begetts not; Nor is He begotten; And there is none like unto Him

And He has Said : —

﴿ هل تعلم له سميا ﴾ .

«Do you know any one resembling Him» ?

This means there is none who could be like Him or who could resemble Him .

﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ـ إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ .

Allah, the Almighty has said : —

«Don't give similies about Allah; Verily He knows while you do not know» .
There are many verses in the Holy Qur'an which convey the same meanings.

﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ (النحل: ٥٠) .

" **They all revere their lord High** above them " .

﴿ ثم استوى على العرش ﴾ (السجدة: ٤) .

"Then He is firmly established on the Throne" .

"There are innumerable verses of the Holy Qur'an which bear the same meanings. Likewise, then are innumerable authentic and reliable traditions (Ahadith) which refer to the same faith and confirm it .

To cite a few examples, there is the story of escending of the Prophet to His Lord, descending of the angels from Allah and then ascending to Him back; His saying about the angels who accompany human bings at night and during day time : —

"The angels which have spent night with you ascend to their Lord; He ashk them even though He know more than themselves" . In the same way there is a tradition about Khawari in "Sahih" : —

"Don't you belive in me and I am the trusty of all who are in the Heavens; The news of Heavens comes to me in the morning and in the evening" .

So there are innumerable sayings of the Prophet, which through their words and import make it clear and communicate to us a clear belief that Allah, the Glorious, is ab he Throne, and above the Heavens. This is the natural belief conveyed by A ı to all the nations be they Arabs or non- Arabs, pre Islamic or post- Islamic except those who have been led astray by the Devil. Then there are thousands of the sayings recorded by the Scholars of Salaf in support of what is mentioned above .

This may be enough to make it clear for the readers that the saying attributed by Ahmad Mahmud Dahlob to the A Salaf pertaining to the explanation of Istawa (establishing on the Throne) is a blunder, a white lie that deserves no attention .

The sayings of the pious Salaf in this respect are well known, clearly established and communicated to us uninterruptede by as clearly pointed out by Shei khul-Islam ibn Taimiyyah while explaining "Istawa" determining thereby that He is Seated high above the Throne and that belief in it is imperative whereas the details there of are unknown except to Allah Himself .

"This is the book of Allah from its beginning to its end and the Sunnah (saying and deeds) of His Prophet (P.B.U.H.). Then there are the general teachings of the companions of the prophet (p.b.u.h.) and their followers; Then there are sayings of all the Imams, the established Scholars among the muslims. Everything mentioned above explains definitely and clearly in the form of a verdict. That Allah the Almighty and Glorious is Greatest of all and Highest of all; He is above each and everything; He is above the throne; He is above the Heavens as He has said : —

﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ (فاطر: ١١) .

"To Him mount up (All) words of purity. It is He Who exalts Each Deed of Righteousness" .

﴿ إنى متوفيك ورافعك إلىّ ﴾ (آل عمران : ٥٦) .

"I will take thee and raise thee to myself" .

﴿ أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض ﴾ (الملك : ١٧) .

"Do you feel secure that He Who is in Heaven will not cause you To be swallowed up By the the earth" .

﴿ أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا ﴾ (الملك : ١٨) .

"Qr do you feel secure that He Who is in HeavenWill not send againts you aviolent tornad" ? .

﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ (النساء : ١٥٩) .

"Nay Allah raised him up unto Himself" .

﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ (المعارج : ٥) .

"The angels and the Spirit ascend up to Him" .

﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه ﴾ (السجدة : ٥) .

He rules affairs from the Heavens to the earth which then go up to him"

Statement about the Faith of Ahl-us-Sunnah regarding "Istawa" and all Attributes of Allah

by Sh. Abdul Aziz bin Abdullah bin Baz

Translated by Dr. Malik Ghulam Murtaza

Praise be to Allah, the Alnighty and His blessings and Peace be upon the prophet of Allah, his family and Companions .

Recently, I have come to know what has been published in the magazine "Albalagh" (lssue No. 637) in the form of a reply to a question concerning the explanation of the Quranic Verse "Allah sat upon the throne". The reply which was given by Ahmad Mahmud Dahlob contained a sentence which was attributed to the "Salaf". The sentence is:- "Ahl-us-Salaf say that the meaning of "Sitting upon the throne" is to seize and take possession of it as they say: "a human being seized Iraq without wood or blood shed" .

Now, as this sentence has been wrongly attributed to Ahl-Us-Salaf, I like to make this point clear for any reader so that he may not be deceived by it taking it for a saying of the reliable Scholars. The fact is that this explanation is the same as given by Jahmiah and Mutzalites and their followers. It contains negation of the Attributes of Allah and His Suspension. Allah is great, Sublime and above all such changes as He has attributed to Himself all the qualities in perfection. The scholars of ahl- us-Salaf have denied such explanations and disallowed such interpretations. They hold that the meaning of "establishing oneself on the throne" would be the same as in case of other Attributes i.e. to affirm all the Qualities as it behoves His glory, without changing, Suspending, over interpreting / conditioning or examplifying them. Imam Malik has said : —

"The fact of 'establishing firmly (on throne) is well — know but its details are unknowns,. The belief in it is incumbent and questioning about it is innovation" .

The scholars of Salaf have all followed the same line .

Sheikhal- Islam ibn Taimiyyah (May Allah bless him) has said in his boohlet "Risalah Hamdiyyah : —

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى
لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى
وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا

الكهف ١٠٩

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."

(Qur'an 18:109)

Journal of

THE ISLAMIC UNIVERSITY

OF

MADINAH MUNAWWARAH

RAJAB — SHABAN — RAMADAN

1403 A . H

[QUARTERLY]

59 **15 th Year**